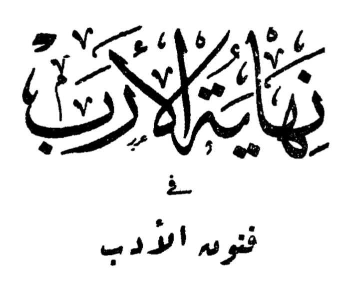
تراثنا



في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

٦٧٧ هـ - ٧٣٢ هـ

السفر الثامن

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع ققيص الحرنوطلي بالظاهر ت ١١٨ ٩
القاهرة

فهرس

السفر الثامن

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى

صفحة

صفحة

بيان

ليس لدينا من نسخ هـذا الجزء غير نسـخة واحدة مأخوذة بالتصوير الشمسى ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ، وهى المشار اليها فى بعض حواشى هـذا الجزء بحرف (أ) ، وقطعتين من نسختين أخريين أُخذتا بالتصوير الشمسى وحُفِظتا بدار الكتب المصرية : إحداهما تحت رقم ٤١٦ (معارف عامة)، وهى المشار اليها فى بعض حواشى الجزء بحرف (ب) وتنتهى فى السطر التاسع من صفحة ٦٩ من هذا الجزء، وقد نبّهنا الى موضع انتهائها فى حواشيه ؛ والثانية تحت رقم ٥٥١ (معارف عامة)، وهى المشار اليها فى بعض الحواشى بحرف (ج) وتبتدئ من السطر السادس من صفحة ١٠١ وتنتهى فى السطر السادس من صفحة ١١٣ وقد نبهنا على موضع انتهائها فى الحواشى أيضا .

وليس التحريف فى هاتين القطعتين بأقلّ منه فى النسخة الأولى، فإن التحريف فى جميع هذه الأصول يكاد يكون متفقا، كما يتبين ذلك مما كتبناه فى بعض الحواشى إذ نقول : «فى كلا الأصلين» أو «فى كلتا النسختين كذا ؛ وهو تحريف» أو «تصحيف» .

وعلى كل حال فقد بذلنا ما نستطيع فى إصلاح المحرّف والمصحّف من كلماته، وتكميل الناقص من جُمَله ؛ وتحقيق أعلامه وضبطها، وضبط الملتبس من ألفاظه، وتفسير غريبه، وإيضاح الغامض من عباراته، وشرح ما أشكل من أبياته ونسبتها الى قائليها، وشرح [illegible]يه من أسماء البلاد والأمكنة، والتنبيه على ما فى هذا الجزء — ولا سيّما فى كتابة الديوان — من الكلمات العامّيـة ، والألفاظ الاصطلاحية التى لم ترد فيما لدينا من كتب اللغة ، وبيان المراد منها ؛ فإن المؤلف قد استعمل بعض

هـذه الكلمات جريا على مصطلح كتّاب الدواوين فى استعمالها ؛ كما أننـا لم ندع التنبيه أيضا على ما استعمله المؤلف فى هذا الباب (أى كتابة الديوان) من مخالفات لغويّة فى صِيَغ الجموع وتعديَةِ الأفعال، كأن يعدّىَ الفعل بنفسه ومقتضى اللغــة أن يتعدّى بالحرف ، أو العكس ، أو أن يعدّيَه بحرف واللغة تقتضى تعديَتَــه بحرف آخر؛ وغير ذلك ممـا استعمله المؤلف متّبعا فيه آصطلاح كتّاب الدواوين فى ذلك العهد ولم نجده فى كتب اللغة التى بين أيدينا؛ ولم نغيّر بعض هـذه الآستعمالات ، بل أبقينا الأصل فيها على حاله لِعلْمنا أنهـا ترد كثيرا فى عبارات كتّاب الدواوين ، وأوّلْنا ما يستطاع تأويله منها .

أمّا الصعوبات التى صادفناها فى تصحيح هذا الجزء فإنا لم نكد نجــدُ صفحة من أصوله التى بين أيدينا خاليــة من عدّة كلمات وعبارات محرّفة أو مصحّفة غير مستقيمة المعنى ولا واضحة الغرض ، يحتـاج إصلاحها إلى زمن طويل ، وبحث غير قليل، وتحفُّظٍ من الخطإ، وحُسن اختيارٍ فى المحو والإثبات، وتفهُّمٍ لمـا يقتضيه السـياق من المعانى والأغراض ، ومعرفةٍ بأساليب الكتّاب ومصطلحاتهم فى كل عصر، ليكون المحو والإثبات تابعَين لمـا تقتضيه هذه الأساليب وتلك المصطلحات وخبرة بالكتب وأغراضها ، ومكان الفائدة منها، لئلا يضيع الزمن فى البحث عنها وتصفُّح جملتها .

أمّا طريقتنا فى التصحيح فقد كنّا نقف بالكلمة المحرّفة أو العبارة المغلقة فنحملها على ما يستطاع حملها عليه من المعانى، ونقلّبها على ماتحتمله من الوجوه، ونقرأ مادّة الكلمة فيما لدينا من كتب اللغة، ونرجع إلى ما نعرفه من مظانّها، فاذا لم يستقم المعنى بعد ذلك قلّبنا حروفها بين التحوير والتغيير، والتقديم والتأخير، والحذف والزيادة،

والإعجام والإهمـال، حتى يستقيم المعنى و يظهر الغرض ، منبهين فى الحواشى على ما كان فى الأصل من حروف هذا اللفظ و وجهِ آختيار غيره و إثباتِه مكانه .

وقد تمّ طبع هذا الجـزء فى عهد المدير الحازم ، والمربّى الفاضل ، الأسـتاذ "محمد أسعد براده بك" مدير دار الكتب المصرية .

فلا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نشكره الشكر الجزيل على ما بذله ويبـذله من العناية الصادقة بهذه الكتب ، وما يسديه إلى مصححيها من الإرشادات القوّيمة ، والآراء السديدة .

كما لا يفوتنا أن نثنى الثناء الجميل على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ "السيد محمـد البيلاوى" مراقب إحياء الآداب العربيّـة على حسن معاونته بمـا لديه من المعلومات الواسعة عن الكتب وأغراضها ، والبحوث ومظانّها . ونسأل الله سبحانه حسن المعونة والتوفيق فى العمل .

مصحّحه

أحمـد الزين

أسماء أهمّ الكتب والمصادر التى رجعنا اليها فى تصحيح هــــذا الجـــزء

وهى مرتّبة على حروف المعجم ومبينٌ فيها ماهو مطبوع فى غير مصر وما هو مخطوط أو مأخوذ بالتصوير الشمسى، ورقمه فى دار الكتب المصرية

أساس البلاغة، لجار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى .

الأغانى، لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهانى .

إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، وهو معجم الأدباء لأبى عبد الله ياقوت الرومى الحموى .

أعيان العصر وأعوان النصر ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ .

الأمالى، لأبى علىّ القالى .

الإرشاد الشافى على متن الكافى فى العروض والقوافى، وهو الحاشـية الكبرى للسيد محمد الدمنهورى .

أقرب الموارد فى فُصَح العربية والشوارد ، لسعيد الخورى الشرتونى اللّبنانى .

إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى ، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلّانى .

إخبـار العلماء بأخبار الحكماء، للوزير جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى، طبع أوربا .

الأحكام السلطانية، لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب المعروف بالماوردى طبع أوربا ومصر .

الأوائل ، لأبى هلال العسكرى، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ .

الأطعمة المعتادة، المأخوذ منه بالتصوير الشمسى نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية؛ ولم يُعلَم مؤلفه .

بدائع الزهور فى وقائع الدهور، المشهور بتاريخ مصر، لمحمد بن أحمد المعروف بابن إياس المصرى .

تاريخ العينى ، المسمى بعقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، للحافظ بدر الدين محمود، المعروف بالعينى المأخوذ منه بالتصوير الشمسى نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

تاج العروس، وهو شرح القاموس، لمحب الدين السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى .

تاج اللغة وصحاح العربيـة، لأبى نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهرى الفارابى .

التذكرة الصفدية، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، المحفوظ منها بدار الكتب المصرية بعض أجزاء مخطوطة تحت رقم ٤٢٠ أدب .

تاريخ أبى الفداء ، وهو المختصر فى أخبار البشر، للملك المؤيد أبى الفـداء ، المعروف بصاحب حماة .

تاريخ ابن الأثير ، وهو المسمى بالكامل ، لعز الدين على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير الجزرى، طبع ليدن .

تاريخ الأمم والملوك ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، طبع أوربا .

تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، طبع بغداد .

التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية ، لشرف الدين يحيى المعروف بابن الجيعان .

الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .

الجامع لديوان الأدب ، فى اللغة ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥ لغة تأليف أبى ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابى .

حاشية الخضرى ، على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك .

حاشية الصبّان، على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك .

الحاوى الكبير،فى الفقه ، لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف بالماوردى ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعى .

خريدة القصر وجريدة أهل العصر ، للوزير أبى عبد الله محمد بن محمد بن أبى الرجاء الكاتب الأصبهانى . وهذا الكتاب مأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب .

الخراج ، ليحيى بن آدم بن سليمان القرشى .

الخراج ، لأبى يوسف يعقوب صاحب الإمام أبى حنيفة .

خطط المقريزى ، وهو المسمى بالمواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار

ديوان الشريف الرضى .

ديوان جرير .

ديوان الحماسة ، لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى .

ديوان أبى الطيّب المتنبيّ .

دائرة المعارف، للبستانى .

درّة الغـوّاص فى أوهام الخواصّ ، تأليف أبى محمد القاسم بن على الحريرى.

الروضتين فى أخبار الدولتين، لشهاب الدين أبى شامة المقدسى .

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، للسـيد محمود بن عبد الله الألوسى البغدادى .

زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبى اسحاق ابراهيم بن على المعـروف بالحصرى القيروانى .

سقط الزند، لأبى العلاء المعرّى .

سيرة ابن هشام، وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرىّ .

سرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون، لجمـال الدين أبى بكر محمـد بن محمد المعروف بابن نباتة المصرىّ .

شرح التنوير على سقط الزند، لأبى يعقوب يوسف بن طاهر النحوىّ .

شرح ديوان أبى تمّـام حبيب بن أوس الطائى، لأبى زكريا يحيى بن على المعروف بالخطيب التبريزى؛ وهذا الكتاب محفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش .

شرح حماسة أبى تمّـام، لأبى زكريا يحيى بن على المعروف بالخطيب التبريزى.

شرح ديوان أبى الطيّب المتنبيّ ، وهو المسمى بالتبيان لأبى البقاء عبد الله بن الحسين المعروف بالعكبرى .

شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين الخفاجى .

شرح كافية ابن الحاجب فى النحو ، لرضىّ الدين محمد بن الحسن الإستراباذى النحوىّ .

صبح الأعشى فى كتابة الإنشا ، لشهاب الدين القلقشندى .

صحيح البخارى .

الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، لكمال الدين أبى الفضل الإدفوى .

طبقات الشعراء، تأليف أبى عبدالله محمد بن سلّام الجمحىّ البصرىّ، طبع أوربا .

الطبقات الكبرى، لأبى عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدى طبع أوربا .

عيون الأخبار، لأبى محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينورى .

العقد الفريد، لأحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبىّ .

الفاضل من كلام القاضى الفاضل، اختيار جمال الدين أبى بكر المعروف بابن نباتة المصرىّ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٢ أدب .

القاموس، لمجد الدين الفيروزابادى .

قوانين الدواوين، للأسعد بن مماتى .

لسان العرب، لأبى الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور الإفريقىّ المصرىّ .

لزوم ما لا يلزم، لأبى العلاء المعرى .

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، لشهاب الدين المعروف بابن فضل الله العمرى القرشى؛ وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

مغنى اللبيب، لجمال الدين بن هشام الأنصارى .

ملخّص تاريخ الخوارج، للشيخ محمد شريف سليم .

المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، لأبى المحاسن جمال الدين المعروف بابن تغرى بردى وهذا الكتاب محفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ .

المصباح المنير، لأحمد بن محمد المقرى الفيومى .

المغرب فى ترتيب المعرب، لأبى الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزى .

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى .

المستطرف فى كل فن مستظرف، لشهاب الدين أحمد الأبشيهى .

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لأبى الفتح عبد الرحيم العباسى .

معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين اليسبكى ، طبع أوربا .

المعرّب والدخيل ، للشيخ مصطفى المدنى، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة .

المعرّب من الكلام الأعجمى ، لأبى منصور موهوب المشهور بالجواليق ، طبع أوربا .

معجم البلدان، لياقوت، طبع أوربا .

مقدّمة ابن خلدون .

المعجم الفارسى الإنجليزى، تأليف ستاين جاس .

مفاتيح العلوم، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمى، طبع أوربا .

مناقب الليث بن سعد، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد الشهير بابن حجر العســـقلانى .

المخصّص، فى اللغة، لأبى الحسن على بن اسماعيل المعروف بابن سيده .

مفردات الأدوية والأغذية، لضياء الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد الأندلسى المعروف بابن البيطار .

نهـاية الأرب فى فنون الأدب، للنويرى .

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقـاهرة ، للأمير أبى المحاسن جمـال الدين المعروف بابن تغرى بردى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين المعروف بابن خلّكان .

يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر ، لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابورى .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر نبذة من كلام القاضى الفاضل الأسعد محيي الدين

أبى علىّ عبد الرحيم ابن القاضى الأشرف [أبى المجد علىّ][1] بن الحسن[2] بن الحسين ابن أحمد اللّخمىّ الكاتب المعروف بالبَيْسانىّ — رحمه الله تعالى — إليه انتهت صناعةُ الإنشاء ووَقفتْ، وبفضله أقَرّتْ أبناءُ البيان واعترفتْ، ومن بحر علمه رَوِيَتْ ذوو الفضائل واغترفتْ، وأمامَ فضله ألقت البلاغةُ عصاها[3]، وبين يديه استقرّتْ[3] بها نواها؛ فهو كاتبُ الشرقِ والغربِ فى زمانه وعصره، وناشرُ ألوية الفضل فى مصره وغير مصره؛ ورافعُ عَلَمِ البيان لا مَحَالة، والفاصلُ بغير إطالة؛ وقد أنصف بعضُ الكُتّاب فيه، ونطَقَ مِن تفضيله بملءِ فيه؛ حيث قال :

(١) التكملة عن كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسى ج ٢ ص ٢٤٢ طبع مطبعة وادى النيل . وفى (ب) : «أبى الحسين» بدل «أبى المجد» . وفى وفيات الأعيان ترجمة القاضى الفاضل زيادة فى هذا النسب لم ترد فى الأصل ولا فى الروضتين ؛ وهذا نص عبارته : «ابن القاضى الأشرف بهاء الدين أبى المجد علىّ ابن القاضى السعيد أبى محمد محمد بن الحسن» الخ . وكذلك ورد نسب القاضى الفاضل مشتملا على هذه الزيادة فى عقد الجمان للعينى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٢) فى (ا) : «أبى» ؛ وهو تحريف .

(٣) يشير بها بين العبارتين إلى قول معقر بن حمار البارقىّ ؛ وقيل : الطرماح بن حكيم :

فألقت عصاها واستقرّتْ بها النوى ... كما قرّ عينا بالإياب المسافر

انظر تاج العروس مادة «نوى» .

كلٌّ فاضلٍ بعدَ الفاضل فضلَه ، وكلٌّ قد عَرَفَ له فضلَه ؛ وستقف إن شاء الله من كلامه على السحر الحلال ، فتَرْوِى صداك من ألفاظه بالعذب الزُّلال ؛ فمن ذلك قوله : وافَيْنا قلعةَ نجمٍ [1] [وهى نجمٌ [2]] فى سحاب ، وعُقابٌ فى عِقاب [3] ، وهامةٌ لها الغمامةُ عِمامه ، وأنْمَلَةٌ اذا خَضَبها الأصيلُ كان الهلال لها [4] قُلامه .

ومن رسائله ما كتب به الى النظام أمير حلب : ورد كتاب المجلس السامى ـ حرس الله به نظامَ المجد [وأطلق فيه لسان الحمد [2]] ، ودامت مساعيه مصافحةً لـيـد السعد ، وأحسن له التدبيرَ فى اليومين : مِن قَبلُ ومِن بَعد ـ فمرحبا بمَقْدَمه ، وأهلا بمَنْجَمه ؛ والشوقُ تختلف وفودُ [5] صُروفِه ، وتتنوع صنوفُ ضيوفِه ؛ فلابد أن تَبعُض اذا تبعّضت المسافات ، وتَبرُدَ وتَخمُدَ اذا عُبِدَتْ [6] ودنت الطُّرقات ؛ ولو بمقدار ما يدنو اللقاءُ على الرسول الساهر ، بالكتاب الصادر ، والخيالِ الزائر ، بالحبيب العاذر ، والنسيمِ الخاطر ، من رسائل الخواطر ؛ وقد وجدتُ عندى أنسا لا أعهدُه ، وعَددتُ نقصَ البُعدِ أحدَ اللقاءين ، كما كنتُ أعُدّ زيادةَ البعدِ أحدَ النأيين ؛ فزاده الله من القلوب

(١) كذا وردت هذه العبارة فى (أ) ، (ب) ؛ والذى فى كتاب الروضتين ج ١ ص ٢٣٩ «والشيخ الفقيه قد شاهد ما يشهد به من كونها نجما فى سحاب» الخ والشيخ الفقيه هو زين الدين بن نجا الواعظ ؛ والقلعة التى وصفها ، هى قلعة حمص ، كما ذكره صاحب الروضتين أيضا . وفى وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٣ طبع بولاق أن هذه القلعة يقال إنها قلعة كوكب .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) العقاب بكسر العين : المراقى الصعبة من الجبال ، مفرده عقبة بفتح العين والقاف .

(٤) فى الروضتين : « منها » .

(٥) فى الأصل : «فقود» ؛ وهو تحريف .

(٦) عبدت : ذللت ومهدت . وفى كلا الأصلين : « بعدت » ؛ وهو غير مستقيم ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما قبله وما بعده من الكلام .

حُظوه، ولا أخلاه من بسطِ يدٍ وقدمٍ فى حظٍّ وحُظوه[1]؛ ووقفتُ على هذا الكتاب المشارِ اليه وما وقفتُ عنه لسانا شاكرا، ولا صرفتُ عنه طَرْفا ناظرا، و بلغتُ من ذلك جَهدى و إن كان قاصرا، واستفرغتُ له خاطرى وما أَعُدّه اليوم خاطرا؛ ومما أُسَرّ به أن يكون فى الخدمة السلطانية — أعلاها الله و رفَعَها، و وصَلَها ولا قطَعَها، وألّف عليها القلوبَ و جمَعها، واستجاب فيها الأدعيــة وسمعها — من يكثّر قليلى، ويَشفِى فى تقبيل الأرض غليلى، فإن تقبيلَ سيّدنا كتقبيلى؛ فلو شرب صديقٌ وأنا عطشانُ لأروانى، ولو آستضاء بلَمعة فى الشرق وأنا فى الغرب لأَرانى؛ كما أنّ الصّـديق اذا مسّـتهُ نعمةٌ وجب عنها شكرى ، واذا وَصلتْ اليــه يدُ منعم وصلَتْنى وتغلغلت الىّ ولو كنت فى قبرى .

ومنها : وأعود الى جواب الكتاب، الأخبارُ لا تزال غامضةً إلى أن يشرحَها، ومقفَلةً إلى أن يفتحَها؛ بخلاف حالى مع الناس، فإن القلوبَ لا تزال سالمةً إلا أن يجرحَها، والهموم خفيفة إلا أن يرجّحَها؛ والحقُّ من جهته ما تحقّق، وما استَنطَق بشكرٍ مَن أَنطَق؛ وفى الخواطر فى هذا الوقت موجودٌ يجعلها [فى][2] العَدَم، و يُخرجُها من الألمِ الى اللَّمِ[3]، ويعادِى بين الألسنةِ والأسماعِ وبين العيونِ والقلمِ؛ وكلّما قلّت الحيلةُ المشكوكُ فى نُجحِها، فتَحَ اللهُ باب الحيـلةِ المطموعِ فى فتحِها ؛ وهى من فضل الله سبحانه والآستجارةِ بالآستخاره، فتلك تجارةٌ رابحةٌ وكلُّ تجارةٍ لا تخلو من خساره؛ والله تعالى يجمَع كلمةَ المسلمين على يد سلطاننا، ولا يُخلينا منه ومن [بنيــه][4] حلىً زمانِنا، وشُنوف إيمـانِنا، ويُسعدُنا مِن أكابرِهم بتيجان رءوسِنا، ومِن أصاغرِهم بخواتم أيمـانِنا ؛

(١) أراد بالحظوة هنا : التفضيل أو الحظ من الرزق . وبالتى قبلها : المكانة والمنزلة .

(٢) كذا فى (ب) .

(٣) اللم بالتحريك : الجنون .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى كلا الأصلين؛ وقد أثبتناها عن مسالك الأبصار .

ولو تفرّغت العزمةُ الفلانيّةُ لهذا الكلبِ العدوّ فترجُم كلبَه، وتُكفّ غَرْبَه، وتذيقه وبالَ أمرِه، وتطفئ شَرار شرّه، وتعجّل له عاقبةَ خُسرِه، فقد غاظ المسلمين وعضّهم، وفلّ جموعَهم وفضّهم، وما وجد من يكفى فيه ويكفّه، ويَشفى الغليلَ منه بما يَشُفُّه[1]، ولو جَعل السلطانُ — عزّ نصرُه — غزوَ هذا الطاغيــة مَغْزاه[2]، وبلادَه مستقرّ عسكرِه ومثواه، لأخذ الله الكافر بطَغواه، ولأبقى ذكرا، وأجرى في الصحيفة أجرا، ولأطفأ الحقدَ الواقد، بالحديد البارد، وغنِم المَغنَمَ البارد، وسدّد الله ذلك العزمَ الصادرَ والسهمَ الصارد[3]، فلابدّ أن يُجرى سيّدُنا هذا الذكر، ولو لما أحتسبه أنا من الأجر، وما أورده المجلسُ عن فلانٍ من صفوِ شُربِه، وأمنِ سِربِه، واستقرارِه تحت الظلّ الظليلِ السلطانيّ — جعله الله ساكنا، وأحلّه منه حَرَما آمنا — ومِن مُعافاته في نفسه وولدِه وجماعته، وأهلِ وَلائه وولايته، فقد شكرتُ له هذه البشرى، وفرحتُ بما يسّر الله ذلك المولى له من اليسرى، غيرأنى أريد أن أسمع أخبارَه منه لا عنــه وبمباشرته لا باستنابتِــه، فلا عَرَفتُ مودّتَه من المودّات الكُسالى، ولا أقلامَه إلا بلُبسِ السواد — على أنهـا مسرورةٌ سارّةٌ لا ثَكالى، وإذا قنِـع صديقُه منه بفريضةِ تحيّة، لا تُؤدّى إلا في ساعةٍ حَوليّة، فإن يخَل بها ذلك الكريمُ فقد انتحل الاسمَ الآخر — أعاذه الله منــه، وصَرَف عنــه لفظَه كما صَرف معناه عنه، وللودّ عينٌ لا يَكحُلها إذا رَمِدتْ إلا إثْمدُ مدادِ الصديق، وما في الصبرِ وُسْعٌ لصحبةِ أيامِ العُقوق بَعد صحبةِ أيامِ العقيق، وقد بلغنى أن ولدَ المذكورِ نَزَع[4] وتَرعرَع، ونفع

---

(١) يشفه: يحزنه. (٢) المغزى: المقصد. (٣) الصارد من السهام: النافذ.

(٤) كذا في كلا الأصلين بالنون والزاى؛ ولعله من قولهم: نزع فلان إلى أبيه ينزع بكسر الزاى في المضارع، أى ذهب إليه وأشبهه. أو هو من قولهم: نزع الى عرق كريم. أو لعله: «برع» بالباء الموحدة والراء المهملة.

وأينع، وخَدَم فى المجلس السلطانىّ، فسررت بأن تجمع فى خدمته الأعقابُ والذّرارى؛ والله تعالى يحفظ علينا تلك الخدمةَ جميعا، ولا يُعدِمنا من يدِها سحابا ولا من جنابِها ربيعا؛ وقد فتح سيّدُنا بابا من الأنس ونَهَجَه، وأُوثرُ ألّا يُرْتِجَه؛ بمكاتباته التى يدُه فيها بيضاء، ويدُ الأيام عندى خضراء؛ بحيث لا يستوفى على الحساب، فى كل جواب؛ وأنا فى هذه الأحوال أُوثرُ العُزلةَ وأبدأ فيها بلسانى وقلمى، وأتوخّى أن أشبّه حالةَ وجودى بعَدمى؛ فإنى أرى مَن تحتَها أروَحَ ممن فوقَها، ومَن خرج منها أحظَى ممن أقام بها؛ وللمودّات مقرٌّ ما هو إلا الألسنه، والقلوبُ قضاةٌ لا تحتاج الى بيّنه.

وكتب [جوابا][1] أيضا الى آخر وهو: وقفتُ على كتاب الحضرة — يسّر الله مَطالبَها وجمّل عواقبَها، وصفّى من الأكدارِ مَشاربَها، وحاط مِن غِيَرِ الأيّام جوانبَها، ووسّع فى الخيرات سُبلَها ومذاهبَها؛ ووقاها ووقى ولَدَها، وأسعدها وأسعد يومَها وغَدَها؛ وجمع الشملَ بها قريبا، وأحدث لها فى كلّ حادثةٍ صُنعا غريبا — من يد الحضرة الفلانيّة — لاعَدمتُ يدَها ومدَّها، وأدام الله سعدها — وشكرتُ الله على [ما][2] دلّ عليه هذا الكتابُ من سلامة حَوزتِها[3]، ودوامِ نعمتِها، وسُبوغ كفايتِها؛ وسألته سبحانه أن يُصحّ جسمَها، ويُميطَ همّى وهمَّها؛ فهُما همان لا يتعلّقان إلا بخدمة المخدوم — أجارنا الله فيه من كلّ هم، وأجرَى بتخصيصه السعدَ الأعم، واللّطفَ الأتمّ — وعرفت ما أَنعَمتْ بذكره من المتجدّدات بحضرتِه، ومن الأمور الدالّة على سعادته وقوّتِه؛ ولِلأمورِ أوائلُ [وأواخر]، ومواردُ ومصادر؛ فنسأل الله سبحانه أن يجعل

---

(١) لم ترد هذه الكلمة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب).

(٢) فى (أ): «على أدل» بدون «ما»؛ والسياق يقتضى إثباتها، كما فى (ب).

(٣) حوزة الرجل: ما فى حيزه.

العواقبَ لكم، والمصادرَ إليكم، والنعمةَ عندكم، والنُّصرةَ خاصّةً بسلطانكم، والكفايةَ مكتنِفةً بجماعتكم[1]، وقد قاربت الأمورُ بمشيئة الله أن تُسفِرَ وجوهُها، والخواطرُ أن يستروِحَ مشدوهُها[2]، "إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ" وفي كلّ أقدارِ الله الخيرة، وفي حكمته أنه جعل الخِيرةَ محجوبةً تحت أستار الأقدار؛ وقد علم الله تقسُّمَ فكرى لمـا هي عليـه من المشقّات المحمولةِ بالقلب والجسـد، والأمورِ الحاضرةِ في اليوم والمستقبَلةِ في غد؛ وهي في جانب الخير، والخيرُ بيد الوكيل لصاحبِـه، ومَن أصلح جانبَه مع الله كان الله جديرا بإصلاح جانبِه .

ومنه : وعليه السلامُ الطيّبُ الذي لو مرّ بالبهيم لأشرق، أو بالهشيم لَأورق؛ وكتبُها الكريمةُ إن تأخرتْ فمأموله، وان وصلتْ فمقبوله؛ وان أنبأتْ بسـارٍّ فمشهوره وان أنبأتْ بشرٍّ فمستوره؛ وخادمُها فلانٌ يخدُم مجلسها خدمةَ الخادم لمخدومه، ويكرِّرُ التسليم على وجهه الكريمِ المحفوفِ مِن كلّ قلب بحبّه، ومن كلّ سلامٍ بتسليمه .

وكتب أيضا : وصل كتابُ الحضرة ـــ وصل الله أيامَها بحميد العواقب، وبلوغ المآرب، وصَحِبتِ الدهرَ [على خير ما صحِبَه صاحب][3]، وأنهضَنا بواجب طاعته، فإنه بالحقيقة الواجبـ وكلُّ واجبٍ غيرِه غيرُ واجبـ ـمن يدِ فلانٍ، فرجوتُ أن يكون طليعةً للاقترابِ، ومبشِّرًا بالإياب، ومخبِرا بعوْدِها الذى هو كعَوْدِ الشباب لو يعود الشباب؛ وأعلمَني من سلامة جسمها، وقلبِها من همِّها، ما شكرتُ الله عليه، وآستدمتُ العادةَ الجميلةَ منه، وسألته أن يوزِعَها[4] شكرَ النعمةِ فيه، وعرَفتُ الأحوالَ جملةً من كتابِها، وكلُّها

(١) كذا في الأصول . ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أن «اكتنف» يتعدى بالحرف ؛ ولعله مضمن معنى الإحاطة، فعدّاه بالباء؛ أو لعله : «لجماعتكم» باللام .

(٢) المشدوه : المدهوش .

(٣) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٢ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٤) يوزعها : يلهمها .

تَشهد بتوفيق سلطاننا، و بأيّامه التي تَعُود بمشيئة الله بإصلاح شانه وشاننا؛ والذى مدّه ظلّا، يَمُدّه فضلا؛ فالفضلُ الذى فى يديه، فى يد خلقِ الله الذى أحالهم فى الرزق عليه؛ فكيفما دعونا له دعونا لأنفُسنا، وكيفما كانت أسنّةُ رماحِه فهى نجومُ حرسِنا، فلا عدمت أيامه التى هى أيام أعيادِنا، ولا لياليه التى هى ليالى أعراسِنا .

٥ ومن أجوبته : ورد على الخادم — أدام الله أيامَ المجلس وصفّاها من الأكدار، وأَبقى بها مِن تأثيراته أحسنَ الآثار، وأَسمَع منه وعنه أَطيَبَ الأخبار وجعل التوفيقَ مقيما حيث أقام، وسائرا أينما سار — كتابُه الكريم، الصادرُ عن القلب السليم، والطبعِ الكريم، والباطنِ الذى هو كالظاهرِ كلاهما المستقيم؛ ولا تزال الأخبارُ عنّا محجمه، والأحاديثُ مستعجِمه؛ والظنونُ مترجّحه[1]، والأقوالُ مُسقمةٌ ١٠ ومصحّحه؛ الى أن يرِدَ كتابُه فيُحقّ الحقَّ ويُبطِلَ الباطل، ويَتّضِحَ الحالى ويَفتضِحَ العاطل؛ ويُعرَف الفرقُ مابين تحريرِ قائل، وتحويرِ ناقل[2]؛ فتدعو له الألسنةُ والقلوب وتستغفر بحسناته الأيامُ من الذنوب؛ والشجاعةُ شجاعتان : شجاعةٌ فى القلب وشجاعةٌ فى اللسان؛ وكلتاهما لديه مجموع، ومنه وعنه مَروىٌّ ومسموع؛ وذخائرُ الملوك هم الرجال، وآراءُ الحُزَماء هى النصال، ومودّاتُ القلوب هى الأموال، ومجالسُ آرائهم ١٥ هى المَعركةُ الأولى التى هى ربما أغنتْ عن معارك القتال؛ والله تعالى يُمِدّ المسلمين به حالَ تجمّعِهم على جهاد الكفّار، ويُلهِمهم أن يَبذُلوا فى سبيله النفْسَ والسيفَ والدّرهمَ والدينار؛ ويزيلُ ما فى طريق المَصالح من الموانع، ويَفطِمُ السيوفَ عن الدّماء الإسلاميّة ويحرِّمُ عليها المَراضع؛ ويجعل للمجلس فى ذلك اليدَ العُليا، والطريقةَ المُثلى، ويجمع له بين خَيرَى الآخرةِ والأولى؛ والأحوالُ هاهنا بمصر مع بعد سلطانها

٢٠ (١) المترجحة : المتذبذبة .
(٢) فى الأصلين : «قائل» ؛ وهو تحريف .

وتمــادى غيبته عن مباشرة شأنها ؛ على ما لم يُشهَد مثلُه فى أوقات السكون فكيف فى أوقات القلق ، على من يَحفَظ الله به من فى البلاد من الجموع ومن فى الطُّرقاتِ مِن الرُّفَق ؛ والأميرُ الولدُ صحيحٌ فى جسمِه وعزمِه ، متصرِّفٌ فى مصالحه على عادته ورسمِه ؛ جعــله الله نعم الخَلَفُ المسعود ، وأمتعه بظلِّ المجلس الممــدود، فى العمر الممدود؛ وعرَف الخادمُ أن المجلس ناب عنه مرّةً بعد مرّةٍ بمجلس فلان ويشكُرعلى ما سلف من ذلك المَناب، ويســتزيدُ ما يستأنفُه من الخطاب؛ والبيتُ الكريمُ أنا فى وَلائه وخدمته كما قيل :

إنّ قلبى لَكُم لَكالكَبِد الحـــرّى[*] وقلبى لِغيرِكم كالقــلوبِ

يسرّنى أن يَمُدّ الله ظلَّهم، وأن يَجمعَ شملَهــم؛ كما يســوءنى أن تختلفَ آراؤهم ولا تَنتظِمَ أهواؤهم. وهــذا المولى يَبلُغنى أنه سَــدّ وساد، وجَدّ وجاد، وخلف مَن سلَف مِن كرامِ هذا البيت من الآباء والأجداد؛ وآشتهرتْ حسنُ رعايتِه لمن جعله الله من الرعايا وديعه، وحسنُ[(1)] عنايتِه بمن جعله الله له من الأجنادِ شيعه ؛ وإذ بلغنى ذلك سُررتُ له ولأبنِه ولجدّه ، وعلمتُ أنه لم يمت من خلّفه لإحياء مجدِه ؛ ومن آستعمله بحَسَنٍ فقد أراد الله به حَسَنا، ومن أحسن إلى خلق الله كان الله له محسنا؛ إن الله أكرمُ الأكرمين، وأعدَلُ العادلين؛ وكُتبُ المجلس السامى يُنعِم بهــا متى خَفّ أمرُها ، وتيسّر حملُها ، وتَفرّغ وقتُه لهــا ؛ والثقةُ حاصلةٌ بالحاصــل من قلبِه ،وعاذرة وشاكرةٌ فى المبطئ والمسرع[(2)] من كُتبِه ،ورأيُه الموفَّقُ إن شاء الله تعالى.

وكــتب : ورد كتابُ الحضرة السامية ــ أحسن الله لها المَعُونه، ويَسّرلها العواقبَ المأمونه، وأنجدَها على حرب الفئةِ الكافرةِ الملعونه ــ بخبَر خروجِ الخارجِ

(1) فى الأصلين : « ومن حسن » ؛ وقوله : « من » زيادة من الناسخ ، إذ لا مقتضى لها هنا .
(2) فى (أ) : « من المبطىء » ؛ والسياق يقتضى الفاء ، كما فى ب ، أى فى حالة الإبطاء .

(١١٤) من قلعة كذا، وما صَرّح به من الخوف الذى ملأ الصدور، والآستحثاث فى مَسِيرِ العسكر المنصور، وكلُّ ضِيقةٍ[1] وردت على القلوب ففزعت فيها إلى ربّها فرَجَتْ فَرَجَه وأذكى لها اليقينُ سُرُجَه، ولَم تُشرِكْ معه غيرَه مستعانا، ولم تَدَعْ معه مِن خَلقِه إنسانا؛ فما الضِّيقةُ وإن كانت منذرةً إلا مبشِّره، والخطةُ وإن كانت وَعْرةً إلا ميسَّره؛

٥ لاجرم أن هذا الكتاب أعقبه وُصولُ خبرِ نهضة فلان — نصَرَ الله نَهَضاته ، وأدّى عنه مفترَضاته — فاستَنهَض العساكر، وقوتل العدوُّ الكافر؛ فنفَّس ذلك الخناق ، وتماسكت الأرماق ؛ وما أحسَب أنّ الأمر يتمادى مع القوم، بل أقول: لا كَرْبَ على الإسلام بعد اليوم؛ تَتواقى بمشيئة الله ولاةُ الأطراف، ويزول من نفْسِ العدوّ وسمعِه ما آستشعره بين المسلمين من الخلاف؛ ويجتمعون إن شاء الله على عدوّهم ،

١٠ ويُذهِب الله بأهلِ دينه ما كان [من فساد][2] أعدائه فى أرضه وعُلوِّهم.؛ وقد شَمِمنا رائحةَ الهدنة بطلب الرسول، وبخبرِ هلاكِ مَلِكِ الألمانِ الذى هو بسيف الله مقتول، والموتُ سيف الله على الرقاب مسلول .

ومنها : فأما ما أشار إليه من القِلاع التى شَحَنها[3]، والحصون التى حصّنها؛ والأسلحةِ التى نقَلها إليها، والأقواتِ التى ملأ بها عيونَ مُقاتِلتها وأيديها ؛فإن الله يَمُنّ عليه

١٥ بأن يسّره لهذه الطاعه، ورَزَقه لها الآستطاعه؛ فكم رزق الله عبدا رزقا حرَمه منه وفتح عليه بابا من الخير وصَرَفه عنه؛ لاجرم أنه وفَّى قوما أجرَهم بغير حساب. ووقَف

(١) الضيقة بكسر الصاد : مثل الضيق (اللسان) .

(٢) عبارة الأصول : «ما كان أعدائه فى أرضه» الخ وهى على هذا الوجه غير تامة ولا مستقيمة الإعراب ؛ والتكملة عن مسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى

٢٠ المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٣) فى (ا) : «نحها» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما فى (ب) .

قوبا بموقف مناقشة الحساب ، الذى ٱلمَصرِفُ عنه إلى ما بعده من العذاب ؛ الآن والله مُلِّكَ الملِكُ العادلُ مالَه الذى أنفقَه ، وأَودعَه لخير مستودَع من ٱلذى رزقَه ؛ وشتّان بين الهمم : همّةُ ملِكٍ ذخر مالَه فى رءوس القِلاع لتحصينِ الأموال ، وهمّةُ ملِكٍ أَودع مالَه فى أيدى المُقاتِلة لتحصين القلاع

يبنى الرجالَ وغيرُه يبنى القرى * شـتّان بين مزارعٍ ورجالِ

والحمــد لله الذى جعــل مالَه له مَسَرّه ، يوم يَرَى الذين يكنزون الذهبَ والفضّـةَ المــالَ عليهم حسره؛ ما أحسَب أحدا من هذه الأمّة إن كان عند الله مِن(١) أهلِ الشهاداتِ بين يديه ، وإن كان كريمَ الوِفادة لديه ؛ إلا تلقّاه شاكرا لهــذا السلطان شاهدا بمــا يُولى هذه الأمّةَ من الإحسان، "وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ" سيحصُد الزارعون ما زرعوا ، والله يزيده توفيقا إلى توفيقــه ، ويلهم كلَّ مسـلم [القيامَ](٢) بمفتَرَض بِرّه ويعيذه من محذورِ عقوقه ؛ وأنا أعلم أنّ الحضرة تُفرِد لى شَطْرا من [زمانها المهمّ](٣)، لكتاب تُلقيه الىّ ، وخبر سارٍّ توردِه علىّ ؛ وأنا أُفرِد شطرا من] زمانى لِشكرِها ، وأسرُّ واللهِ لهــا بتوفيقِ الله فى جميع أمرِها ، فإن الذّاكر لها بالخـير كثير ، فزاد الله طيبَ ذكرِها ؛ ورأيه الموفَّقُ فى أن يُجرِيَنى على كنف العــادة ، و[لا](٤) يقطع عنى هذه المــادّة ؛ إن شاء الله تعالى .

وكتب : ورد كتاب المجلس السامى — نصر الله عزائمَه، وأَمضَى فى رءوس الأعداء صوارمَه ، وشدّ به بنيانَ الإسلام ودعائمَه ، وٱستردّ به حقوقَ الإسلام من

(١) فى (أ) : « من عند » ؛ وقوله : « من » زيادة من الناسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصول ، والسياق يقتضى إثباتها إذ لم نقف فيما راجعناه من كتب اللغة على تعدية "ألهم" بالباء .

(٣) هذه التكملة لم ترد فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٤) فى (أ) : «و يقطع» بسقوط «لا» والسياق يقتضى إثباتها كما فى (ب) .

الكفر ومَظالمَه، وأخلف نفقاته فى سبيل الله ومَغارِمَه، وجعَلَها مَغانمَه — وكان العهدُ به قد تطاول، والقلبُ فى المطالَبة ما تساهل، ولمحتُ أشغالَه بالطاعة التى هو فيها وما كلُّ من تَشاغَل تَشاغَل؛ فهنّأه الله بما رزقَه، وتقبّل فى سبيل الله ما أنفقَه وعافى الجسمَ الذى أنضاه فى جهاد عدوّه وأخلقَه، وقد وُفِّق مَن أتعبَ نفسا فى طاعة مَن خلقَها، وجسما فى طاعة مَن خلقَه؛ فهذه الأوقات التى أنتم فيها أعراسُ الأعمار، وهذه النفقاتُ التى تُجرَى على أيديكم مهورُ الحُور فى دار القرار؛ قال الله سبحانه فى كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وأما فلان وما يسّره الله له، وهوّنه عليه، من بذلِ نفسه ومالِه، وصبرِه على المشقّات واحتمالِه، وإقدامِه فى موقف الحقائق قَبل رجالِه؛ فتلك نعمةُ الله عليه، وتوفيقُه الذى ما كلُّ مَن طلبَه وصل اليه؛ وسوادُ العجاج فى تلك المواقف، بياضُ ما سوّدته الذنوبُ من الصحائف "يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا" فما أسعدَ تلك الوقفات، وما أعوَدَ بالطُّمأنينة تلك المرجِفات[1]؛ وقد علم الله سبحانه وتعالى منّى ما علم من غيرى من المسلمين من الدعاء الصالح فى الليل إذا يَغشَى، ومن الذكر الجميل لكم فى النهار إذا تجلّى؛ والله تعالى يؤيّد بكم إيمانَكم، وينصُركم وينصر سلطانَكم، ويُصلحكم ويصلح بكم زمانَكم، ويشكرُ هجرتَكم التى لم تؤثِروا عليها أهليكم ولا أموالَكم ولا أوطانَكم، ويعيدُكم إليها سالمين سالِبين، غانمين غالِبين؛ إنه على كل شىء قدير.

وكتب: وصل كتاب الحضرة السامية — أيد الله عزمَها، وسدّد سهمَها وجعل فى الله همَّها، ووفَّر فى الخيرات قِسمَها — مبشِّرا بالحركة الميمونةِ السلطانية

(١) المرجفات من الإرجاف، وهو الزلزال.

إلى العدوّ خذله الله، ومَسيرِ المسلمين — نصرهم الله — تحت أعلامه أعلاها الله؛ ومُباشرةِ العدوّ واستبشارِ المسلمين بما أسعدهم الله من الجراءة عليه، ومن إضمارِ العَودِ اليه؛ وهذه مقدّمةٌ لها ما بعدَها، وهى وان كانت نُصرةٌ من الله فما تَقنَع بها وحدَها فالهمّةُ العاليـةُ [السلطانيةُ] للحربِ التى تَسلُب الأجسامَ رءوسَها، والسيوفَ حدَّها؛ فإن الجنّة غاليةُ الثَّمَن، والخطابُ بالجهاد متوجِّهٌ الى الملكِ العادل دون ملوك الأرض وإلا فمَن؟ فهذه تُشترَى بالمشقّات، كما أن الأخرى — أعاذنا الله منها — رخيصةُ الثَّمَن وتُشترَى بالشهوات؛ والحضرةُ الساميةُ نعم القرين ونعم المعين، وفَرْضُ ذى اللّهجة المُبين، أن يستجيش ذا القوّة المتين، وكلمةٌ واحدةٌ فى سبيل الله أَنْمَى من ألوف المُقاتِلة والمئين؛ والله تعالى يوسّع إلى الخيرات طُرقَها، ويُطلق بها منطلِقَها، ويُمتع الإخوان بخُلقها الكريم فما منهم إلا من يشكر خُلقَها؛ ورأيُها الموفّقُ فى إجرائى على العـادة المشكورة مِن كُتبِها، وإمطارى من خواطرها، لا عدمتُ صَوبَ سحبِها .

ومن كتاب كتبه الى القاضى محيى الدين بن الزكىّ : بعد أن أصدرتُ هذه الخدمةَ الى المجلس — لا عَدِمتُ عواطفَه وعوارفَه، ولطائفَه ومعارفَه؛ وأمتع الله الأمةَ عموما بفضائله وفواضـلِه، ونَفعَهم بحاضره كما نفعهم بسلفِه الصالح وأوائله، وعادى الله عدوَّه ودَلَّ سهامَه على مَقاتلِه — [ورد كتابٌ منه فى كذا[1] وما بقِيتُ أذكر الإغبابَ، فإن سيّدَنا يقابله] بمِثلِه، ولا العتابَ فإن سيدنا يساجله بأفيَض من سَجْلِه؛ ولا ألقِى عليه من قولى قولا ثقيلا، ولا أقابِل به من قوله قولا جليّاً

(١) التكلة عن (ب) ومسالك الأبصار .

جليلا؛ فقد شبَّ عمرو[1] عن الطَّوق، وشَرُفَ البُراقُ عن السَّوق؛ وذلك العمرو[2] ما برح محتنَكا[3] والطَّوق للصبيّ، وذلك البُراقُ حتى لا يقدَّم إلا للنبيّ؛ ومع هذا فلا تُقلّص عنّي هـذه الوظيفه، واعتقِدْها من قُرَب الصحيفه؛ فإنك تسكّن بهـا قلبا أنت ساكنُه وتَسُرّ بها وجها أنت على النوى معاينُه .

وكتب إلى العماد : كانت كتبُ المجلس — لا غيّر الله ما به من نِعَمِه ولا قطع عنه مَوادّ فضلِه وكَرَمِه، ولا عَدِمت الدنيا خَطَّ قلمِه وخطوَ قدَمِه؛ وأعاذنا الله بنعمة وُجودِه من شِـقوةِ عدَمه — تأخّرتْ وشقّ عليّ تأخُّرها، وتغـيّرتْ عليّ عوائدُها والله يعيذها مما يغيّرها؛ ثم جاءت ببيت ابن حجّاج :

غاب ما غاب ووافا * نى على ما كنتُ أعهدْ[4]

وأجبتُه ببيت الرّضيّ :

ومتى تَدْنُ النوى بهمُ * يجدوا قلبي كما عَهِدوا

كتابةٌ لا ينبغي مُلكُها إلا لخاطـرِه السليمانيّ، وفَيضٌ لا يسـند إلا عن[5] نُوح قلمِه

---

(١) فى أساس البلاغة مادة «طوق» «جل»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . وهـذا المثل لجذيمة الأبرش فى عمرو بن عدى، كما فى جمهرة الأمثال .

(٢) كذا ورد هذا الاسم فى الأصلين مقرونا بالألف واللام؛ ووجهه أنه نكر عمرا ثم أدخل عليـه حرف التعريف؛ ومنه قوله :

باعد أم العمرو من أسيرها * حراس أبواب على قصـورها

قال فى مغنى اللبيب ص ٥٠ مانصه : وقيل : «ال» فى اليزيد والعمرو للتعريف، وأنهما نكرا ثم أدخلت عليهما «ال» كما ينكر العلم اذا أضيف، كقوله : «علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم» اهـ .

(٣) يقال : حنكته السن واحتنكته، اذا أحكمته التجارب .

(٤) فى (أ) : «أعهده»؛ والهاء زيادة من الناسخ، إذ بها يختل الوزن؛ ولم نقف على هذا البيت فى يتيمة الدهر ضمن شعر ابن حجاج .

(٥) لعله : «... نوح» إذ هو مقتضى اللغة؛ أو لعله ضمن قوله : «يسند» معنى الأخذ والرواية فسوغ له هذا التضمين ذكر «عن» مكان «إلى» وعبارة مسالك الأبصار : «لا يصدر إلا عن» الخ وهى أظهر.

الطُّوفانىّ ، أوجبت على كل بليغ أن يتلو ، "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ" و بالجملة فالواجب على كلّ عاقل ألّا يتعاطى ما لم يُعْطَه ، وأن يدخل بابَ مجلس سيّدنا و يقولَ حِطّه ؛ فأما ما أفاض فيه من سكون الأحوال بتلك البــلاغة فقــد كدت أَسكَر لمــا آستخرجتُــه من تلك المحاسن التى لو أن الزمان الأصمّ يَسمع لأسمعته ، ولو أن الحظَّ الأشمّ يخضع لأخضعنه ؛ و بالجملة فإنه لا يُشنأُ زمنٌ أَبقَى من سـيّدنا نعمةَ البقيّةِ التى مهما وُجدتْ فالخير كلّه موجود ، والمجدُ بحفيظته مشهود ؛ وكما تيسّرتْ راحةُ جسمِه ، فينبغى أن يقتدىَ به قلبُه فى راحة من همّه ؛ وأعراضُ الدنيا متاعُ المتاعب ، وقد رفع الله قدره ، و إلا فهــده الدنيا وهدةٌ إليهــا مَصابُ المصائب ؛ والحالُ التى هو الآن عليها عاكفٌ [إلا] [1] مِن علمٍ يدرُسُــه ، وأدبٍ يقتبسُــه ، وحريمِ عقائلَ يذبّ عنه و يحرسه ؛ هى خير الأحوال ، فالواجب الشكر لواهبِها ، والمسَرّةُ بالإفضاء إلى عواقِبها ؛ وما ينقُص شيءٌ من المقسوم ، وإن زاد عد المجلس فليس من حظّه ، ولكن من حظّ السائل والمحروم ؛ فلا يَسمحِ المجلسُ بكتابٍ من كتبِه على يدٍ من الأيدى التى لا تؤدّى ، ولا يؤمَن أن تكون أناملُها حروفَ التعدّى ، وهى إحدى ما تعلّقتْ به الشهواتُ من اللذّات ، وهو يُنعم بها على عادته فى كفّ ضراوةِ القلب ودفعِ عادبِه ؛ موفّقا إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى القاضى محيى الدين بن الزكىّ أيضا : كان كتابى تَقــدّم الى المجلس الســامى — أدام الله نفاذَ أمرِه ، وعلوَّ قــدرِه ، وراحةَ سرّه ونعمةَ يسرِه ؛ وأجراه على أفضل ما عوّدَه ، وأَسعد جَدّه وأَصعدَه ، وأَحضرَه أمثال العامِ المقبل وأَشهدَه ؛ ولا زال يلبَس الأيّامَ ويخلعها ، و يســتقبِل الأهلّة ويودّعها

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وهو محروس فى دنياه ودينه ، مستلئمٌ من نُوَب الدهر بدرع يقينه، كاشفٌ لليل الخطب بنور جبينه ، وليوم الجدب بفيض يمينه؛ وأعماله مقبوله،ودعواته على ظهر الغمام محموله؛ والدنيا ترعاه وهى تأتى برغمها[1] ، والآخرةُ تُدَّخر له وهو يسعى لها سعيَها — من أيدى عدةٍ من المسافرين ، ولثقتى بهم ما قدرتُ[2] أسماءهم ، ولضيق صدرى بتأخير كتب المجلس ما حفظتُها .

٥

وجاء منها : وما كأنا إلا أن دعونا الله سبحانه دعوةَ الأوّلين أن يباعد بين أسفارنا، وأردنا أن يقطع بيننا وبين أخبارنا ؛ فأجيبت الدّعوه ، ولا أقول لسابق الشّقوه، ولكن للاحق الحُظوه؛ فإن مكابدةَ الأشواق إلى الأبرار، تَسُوق الى الجنّة ولا تَسُوق إلى النار، وأقسم اننى بالأجتماع به فى تلك الدار، أبهجُ منى بالاجتماع به لو أُتيح فى هذه الدار ؛ فعليه وعلىّ من العمل ما يجمع هنالك سلكَ الشمل ويصلُ جديدَ الحبل ؛ فثمّ لا يُلقِى العصا إلا من أَلقَى هنا[3] العِصيان، وهناك لا تقرّ العينُ إلا ممن سهرتْ منه هاهنا العينان؛ فلا وجه لجمع آسمى مع آسمه فى هذه الوصيّة مع علمى بسوء تقصيرى ، وخوفى من سوء مَصيرى ، ولكن ليزيدَ سيّدُنا من وظائفه وعوارفه، — فكلّ فعله تفضُّل من فضله — ما يخلّصنى بإخلاصه فإنى أستحقّ شفاعتَه لشُفعةِ جوارِ قلبى لقلبه ، وهذا معنى ما بعث على شغل الكُتّاب به، مع علمى باستقرار نفسه النفيسة، إلا أنه — أبقاه الله — قد أَبعد عهدى من كُتبه بما يقع التفاوضُ فيه ، والمراجَعةُ عنه؛ والخواطرُ فى هذا الوقت متقبضه، والشواغلُ لها معترضه، وأيامُ العُمر فى غير ما يُفترَض من الدنيا للآخرة

١٠

١٥

(١) عبارة مسالك الأبصار : «وهو يأبى رعيها » ؛ وبها مع ما بعدها يتم السجع الذى التزمه القاضى فى رسائله .

٢٠

(٢) فى (ب) : «قيدت» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) فى الأصل : "هنالك" ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

متقرِضـه، ومتجدِّدُ نَوبةٍ يَرُوتَ قد غَمّت كلّ قلب، وهاجت ٱلمسلمين أشواقا الى الملِكِ الناصر، وذكرَى بما ينفعه الله به من كلّ ذاكر، وأَخَذَ الناسُ فى الترحّم على أوّلِ هذا البيت والدعاءِ للحاضر والآخر — وليس إن شاء الله بآخر؛ فما ٱدّخر المولى لهذه الحروب مجهودا، ولا قَلّتْ عسكرا مجرورا ولا مالا ممدودا

فإن كان ذنبى أنّ أحسَنَ مطلبى * إساةٌ ففى سوء القضاء لىَ العـذرُ

ومنه : وسـيّدُنا يستوصى[(1)] بالدار بدِمَشقَ فقد خَلَتْ، وإنما الناسُ نفوسُ الديار، وأنا أعلم أن سـيّدَنا فى هذا الوقت مشدُوهُ الخاطر عن الوصايا، ومشغولُ اللسان بتنفيذِ ما ينفّذه ممـا هو منتصب له من القضايا؛ فما فى وقتِه فضلةٌ ولكن فضلُ، وسيّدُنا يُحسِن فى كلّ قضيّة مِن بَعد كما أَحسَن مِن قَبل؛ فهو الذى جعل بينى وبين الشام نَسَـبا [وأنشأنى فيـه الى أن ٱدّخرتُ عَقارا ونَشَبا][(2)] فعليـه أن يَرعى ما أقناه[(3)]، وينفىَ الشّوكَ عن طريقِ اليدِ إلى جَناه، والجارُ إلى هذا التاريخ ما ٱندفع جَورُه، ولا أُدرِكَ غَورُه؛ يَعِدُ لسانُه ما تُخلف يدُه، ويَدّعى يومه ما يكذّبه فيه غدُه؛ وأنا على ٱنتظار عواقب الجائرِين، وقد عرف الغيظُ منّى ألفاظا مجهولةً ماكنت أسمح بأن أعرفها، وكشَفَ مستورا من أسـباب الحَرَج ما يسرّنى أن أكشـفها ﴿لَا يُحِبُّ ٱللهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ وأَسْوأُ خُلقا مِن السيّء الخُلق مَن أحوَجَه إلى سوء الخُلق؛ وما ذكرتُ هـذا لِيُذكَر، ولا طويتُ الكتّابَ عليه لِيُنشَر، والسرُّ عند سيّدنا ميتٌ وهو يَقضِى حقّه بأن يُقبَر .

(١) فى الأصل : "يتوصى" بسقوط السين المهملة وتشديد الصاد؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها من (ب) . ليتم بها السجع الذى التزمه الكاتب فى أكثر رسائلـــه .

(٣) أقنيت فلانا، إذا أعطيته ما يقتنى .

وكتب : أدام الله أيامَ المجلس وخصه مِن لطفه بأوفر نصيب ، ومنحه من السعادة كلّ عجيب وغريب ، وأراه ما يكون عنه بعيدا مما قرّبه أقربَ من كل قريب — الخادمُ يخدُم ويُنهِي وصولَ كتابٍ كريم تفجّرتْ فيه ينابيعُ البلاغه ، وتبرّعتْ [له][1] بالحكم أيدى البراعه ، وجادَ منه بسماءٍ مزيّنةٍ بزينةِ الكواكب ، وهطَلَ منها لأوليائه كلُّ صَوبٍ ولأعدائه كلُّ شهابٍ واصب[2] ، وتجلَّى فى الغِيدُ الكواعب ، وما العقودُ فى التَّرائب ، وتفرَّق منه جيشُ الهمّ فانظر ما تفعل الكتبُ فى الكتائب ، وما ورَدَ إلا والقلب إلى مَوردِه شديدُ الظما ، وما كُحِلَ به إلا ناظرهُ الذى عَنِيَ عن الهدى وقَرُب من العمى ، وما نار إبراهيم بأعظمَ من نورِه ، ولا سرورُه — صلّى الله عليه وسلم — حين نجا أعظَمَ يومَ وصولِه مِن سرورِه ، فحيّا الله هذه اليدَ الكريمةَ التى تنهلّ بالأنواء وتجزل سوابغَ النعماء ، وتُعطِى أفضلَ عطاءٍ يسرّها فى القيامه ، وتحُوز به أفضلَ أنواع الكرامه ، فأما شوقُه لعبده فالمولى — أبقاه الله — قد أُوتِيَ فصاحةَ لسان ، وسحَبَ ذيلَ العِيِّ على سَحبان ، ولو أنّ للخادم لساناً مُواتِ[3] ، وقلبا يقال له هِيْ هاتِ[4] ، لقال

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ ولعله : « ثاقب » فإنه يريد الإشارة الى قوله تعالى : (الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وأما الوصف بالوصوب ، أى الدوام واللزوم فقد ورد فى القرآن للعذاب لا للشهاب ؛ قال تعالى : « ولهم عذاب واصب » .

(٣) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ والقواعد تقتضى إثبات يائه والوقوف عليه بالألف فيقال : « مواتيا » إلا أن السجع اقتضى أن يجرى الكاتب المنقوص المنصوب مجرى المرفوع والمجرور فى الإعراب فيسكن ياءه ويحذفها فى الوقف ؛ وهى لغة لبعض العرب ومنه قول الشاعر :

* ولو أن واش باليمامة داره * الخ البيت . والأصح جواز ذلك فى غير الضرورة ؛ ومنه قراءة جعفر الصادق : من أوسط ما تطعمون أهاليكم بإسكان الياء انظر حاشية الخضرى ج ١ ص ٦١ طبع بولاق .

(٤) قال أبو الهيثم : يقولون عند الإغراء بالشىء : «هى هى» فاذا بنوا منه فعلا قالوا : هييت به ، أى أغريته .

ما عندَه، وأذكرَ عهدَه ووده، وباح بأشواقه، وذمّ الزمنَ على آعتياقه؛ وأما تفضّله بكذا فالخادمُ ما يقوم بشكره، ولا يقدُره حقّ قدره؛ وقد أحال مكافاةَ المجلس على [(١)] مليءٍ قادر، ومَسرّة خاطرة عليه يوم تُبلَى السرائر، والله تعالى يصلُه برزقٍ سنيّ يَملأ [(٢)] إناه، ويُوضح هداه، ولا يُخلى المجلسَ من جميلِ عوائده، ويمنحه أفضلَ وأجزلَ فوائده إن شاء الله تعالى .

ومن مكاتباته يتشوّق الى إخوانه وأودّائه، ومحبّيه وأوليائه —

كتب إلى بعضهم :

أأحبابَنا هل تَسمعون على النوى * تحيّــةَ عان أو شكيّةَ عاتبِ
ولو حملتْ ريحُ الشَّمال إليكمُ * كلاما طَلبْنا مثلَه فى الجنائبِ

أصدر العبد هذه الخدمة وعنده شوقٌ يغُور به ويُنجِد ، ويستغيث من ناره بماء الدمع فيجيب ويُنجِد، ويتعلّل بالنسيم فيغرِى نارَه بالإحراق ، ويرفع النواظرَ إلى السُّلوان فيعيدها الوجدُ فى قبضة الإطراق؛ أسفا على زمنٍ تَصرّم، ولم يُبقِ إلا وجدا تَضرّم، وقلبا فى يد البين المُشتّت يتظلّم

ليالىَ نحن فى غفلات عيش * كأنّ الدّهر عنّا فى وَثاقِ

فلا تنفّس خادمُه نفسا إلا وصَلَه بذكره، ولا أجرَى كلاما إلا قيّده بشكره، ولا سار فى قفرٍ إلا شبّهه برحيب صدره، ولا أطلّ على جبل إلا آحتقره بعلىّ قدره، ولا مرّ بروضةٍ إلا خالَها تفتّحت أزهارُها عن كريم خُلقه ونسيم عطره، ولا أوقد المصطَلون نارا إلا ظنّهم آقتبسوها من جمره، ولا نزل على نهر إلا كاثَر دمعَه بحره

(١) فى (أ) « جاءك » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والإحالة بالدين : نقل من ذمة إلى ذمة أخرى ، والاسم الحوالة بفتح الحاء .

(٢) الملىء والملىّ بتشديد الياء : الغنىّ القادر، أو هو الحسن القضاء للدين .

سقى الله تلك الدارَ عَودةَ أهلِها * فذلك أجدَى من سحاب وقَطْرِه

لئن جَمَع الشَّملَ المشتّتُ شملَه * فما بَعدَها ذنبٌ يُعَدّ لدهرِه

(١١٨)

فكيف ترى أشواقه بعد عامه * اذا كان(١) هذا شوقُه بَعد شهرِه

بعيدٌ قريبٌ منكمُ بضميره * يَراكم(٢) اذا ما لم تروه بفكرِه

٥ ترَحّل عنكم جسمُه دون قلبِه * وفارقكم فى جهره دون سرّه

اذا ما خلتْ منكم مجالسُ ودّه * فقد عَمَرتْ منكم مجالسُ شكرِه

فياليل لا تُجلِبْ عليهم بظُلمة * وطلعةُ بدر الدين طلعةُ بدرِه

ونسأل الله تعالى أن يمنّ بقُربِه ورحابُ الآمال فسائح ، وركابُ الهموم طلائح والزمن المناظِر(٣) بالقرب(٤) مسامِح ؛ هنالك تُطلَق أعنّةُ الآمال الحوابس ، ويهتزّ مخضرّا

١٠ من السعود عودٌ يابس

وما أنا من أن يَجمعَ الله شَملَنا * بأحسنِ ما كنا عليه بآيِس

وقد كان الواجب تقديم عَتْبِه ، على تأخيرِ كُتْبِه ؛ ولكنه خاف أن يجنىَ ذنبا عظيما ويؤلمَ قلبا كريما

ولستُ براضٍ(٥) من خليلٍ بنائلٍ * قليلٍ ولا راضٍ له بقليلِ

---

١٥ (١) كذا فى (ب) ومسالك الأبصار والذى فى (أ) «وان» وهو غير مستقيم .

(٢) فى كلا الأصلين : «يراد» ؛ وهو تحريف .

(٣) المناظر : المجادل .

(٤) بالقرب : متعلق بقوله : «مسامح» وقد ورد فى الشعر تعدية «سامح» بالباء ، قال الشاعر :

ولكن اذا ما حل كره فسامحت * به النفس يوما كان للكره أذهبا

٢٠ انظر اللسان .

(٥) البيت لكثير عزة الأغانى ج ١ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية .

وحاشى[1] حلاله من الإخلال بعهودِ الوفاء ، ومن انحلال عقودِ الصفاء، وما عهدتُ عزمَه القوىَّ فى حَلْبة الشوق إلا من الضعفاء، وحاشيةَ خُلُقِه إلا أرقّ مِن مدامع غُرَماء الجفاء

من لم يَبِتْ والبينُ يصدع قلبَه * لم يدر كيف تَقلقُلُ الأحشـاءِ

وكتب أيضا فى مثل ذلك : كَتَبَ مملوكُ المولى الأجلِّ عن شـوقٍ قدَحَ الدمعَ من الجفون شرارا ، وأَجرَى من سيل المـاء نارا ، واستطال واستطار فمـا تَوارَى أُوارا، ووجدٍ على تذكّر الأيام التى عَذُبتْ[2] قِصـارا، والليالى التى طابت فكأنما خُلقتْ جميعُها أسحارا .

وبى غَمرةٌ للشوق من بَعـد غمرةٍ * أخوض بها ماء الجفون غِمـارا
وما هى إلا سَـكرةٌ بَعـــد سكرةٍ * اذا هى زالت لا تزال خُمـارا
رحلتم وصبرى والشبابَ وموطنى * لقد رحلتْ أحبابُنـا تَتبـارى
ومن لم تصافحْ عينُـه نورَ شمِســه * فليس يرى حتى يُراه نهـارا
سقى الله أرض الغُوطتين[3] مدامعى * وحسبكِ سُحْبا قد بعثتُ غزارا
وماخدعتْنى مصرُ عن طيبِ دارِها * ولا عوّضتْنى بعـــد جارىَ جارا
أدارَ الصِّبا لا مِثلَ ربعك مَربَعٌ * أرى غيرَك الربعَ الأنيس قفـارا

(١) يقال : حاشاك وحاشى لك ، والمعنى واحد، كما فى الصحاح للجوهرى ؛ وحاشى : اسم على الصحيح مرادف للبراءة ، كما فى مغنى اللبيب فى الكلام على «حاشى» التنزيهية .

(٢) فى مسالك الأبصار : «التى ذهبت» .

(٣) المراد بالغوطتين هنا : أرض الغوطة ، و إنمـا ذكرها بالتثنية جريا على عادتهم من ذكر الواحد بلفظ المثنى ؛ والغوطة : هى الكورة التى منها دمشق ، اسـتدارتها ثمانية عشر ميـلا ، تحيط بها جبال عالية جدا ومياهها خارجة من تلك الجبال ، وتمد فى الغوطة فى عدة أنهر فتسق بساتينها و زروعها و يصب باقيها فى أجمة هناك و بحيرة .

فما ٱعتضتُ أهلا بعد أهلِك جيرةً * ولا خلتُ دار المُلك بعدَك دارا

وما ضرّ اليدَ الكريمةَ التى أياديها بيض فى ظلمات الأيام، وأفعالها لا يقوم بمدحها إلا ألسنةُ الأسنّةِ والأقلام ، لو قامت للودّة بشرطها، ومحتْ[1] خطَّ الأسى بخطّها ، وكَتبتْ ولو شطرَ سطرٍ ففرّغتْ قلبا من الهمّ مشحونا ، وأطلقتْ صبرا فى يد الكمد مسجونا ، ونزّهتْ ناظرَ المملوك فى رياضٍ منثورةِ الحُلى ، وحلّت عهودَه بمكارمَ مأثورةِ العُلا

وما كنت أرضى من علاك بذا الجفا * ولكنه من غاب غاب نصيبُه

ولو غيرُكم يَرمى الفؤادَ بسهمه * لَما كان ممن قد أصاب يصيبُه

ومالىَ فيمن فرق الدهر أُسوةٌ * كأن محبّا ما نأه حبيبُه

والمملوكُ مذ حطّت مصر أثقاله ، وجهّز الشامُ رحالَه ، وألقت ٱلنوى عصاها وحلّت ٱلأوبةُ عُراها ، يكتب فلا يجاب ، ويستكشف[2] الهمّ بالجواب فلا ينجاب

يا غائبا بلقائه وكتابه * هل يُرتجى من غَيبتيك إيابُ

ومتى يصفّى الله وردَ الحياة من التكدير ، ويتحقق بلقائه أحسنُ التقدير "وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ" .

وزمانٍ مضى فما عُرِف الأوّلُ إلا بما جناه الأخيرُ

أين أيّامُنا بظلّك والشملُ جميعٌ والعيشُ غضٌّ نضيرُ

(١) فى كلا الأصلين : «ومضت» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل بالسين والتاء ؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أنه يقال : «استكشف الهم» مثلا ، بمعنى طلب أن ينكشف ويزول ، كما هو المراد هنا ؛ والذى وقفنا عليه انه يقال . « استكشف عنه » اذا سأل أن يكشف له عنه ؛ وهذا المعنى لا يناسب ما هنا .

وحوشى المولى أن يكون عَونا على قلبِـه ، وأن يرحل إثره الرِّىُّ على سربِه[1] ، وأن ينسـيَه بإغبابِ الكُتبِ ساعاتِ قربه ، وأن يُحوجه الى إطلاق لسانه عمـا يصون السمعَ الكريمَ عنه من عَتْبِـه[2] . الأخ فلان مخصوصٌ بسـلام كما تفتَّحتْ عن الوردِ كمائمُه ، وكما توضّحتْ عن القَطر غمائمُه

اذا سار فى تُرْب[3] تَعَرَّف تُرْبُها * بريّاه والتفّتْ عليهـا لطائمُه[4]

وقد تَبِـع الخُلُقَ الكريمَ فى الإغباب والجفوه ، وأعْدَتْ عزائمُه قلبَه فاستويا فى الغِلظة والقســوه

انـ كنت أنت مُفـارقى * من أين لى فى الناس أُسوه

وهبْ أن المولى آشتغل — لا زال شغلُه بَمساره ، وزمنُه مقصورا على أوطارِه — فـا الذى شـغله عن خليلِه ، وأَغفَله عن تَدارُكِ غليلِه ؟ هذا وعلائقُه قد تقطّعت وعوائقُه قد آرتفعت ، وروضـةُ هواه قد صارت بعـد الغضارة هشِيما ، وعهودُه قد عادت بعد الغضاضة رميما

إن عهدا لو تعلمان دميما * أن تناما عن مقلتى أو تُنيما

وما أَولى المولى أن يواصـل بكتبِه عبدَه ، ويجعل ذكرَه عقدَه ، ولا ينساه و يألَف بُعدَه ، ويَستبدل غيرَه بَعدَه .

وكتب أيضا :

أكذا كلُّ غائبٍ * غاب عمّن يحبُّـه

غاب عنه بشخصه * وسـلا عنه قلبُـه

---

(١) لعله : «عن شربه» ؛ والشرب بفتح الشين المعجمة وسكون الراء : الجماعة يشربون .

(٢) فى (أ) : «عبه» ؛ وهو [illegible] .

(٣) الترب : جمع ترباء ، وهى الأرض [illegible] التراب . وهذا الجمع مطرد فى فعلاء [illegible] .

(٤) اللطائم : جمع لطيمة ، وهى [illegible] .

ولو أن لى يدا تكتب، او لسانا يُسْهِب، أو خاطرا يَستهِلّ، أو فؤادا يَستدِلّ، لوصفتُ إليه شوقا إن آستمسك بالجفون نَثَرَ عِقدَها، أو نزل بالجوانح أَسعَر وقْدَها؛ أو تَنَفَّس مشتاقٌ أعان على نَفَسِه، وظنّه آستعاره من قبَسِه؛ أو ذَكَرَ محبٌّ حبيبا خالَه خطَر فى خَلَدِه، وتَفادَى من أن يَخطُر به ذكرُ جَلَدِه

٥ حتى كأنّ حبيبا قَبل فرقتِه * لا عن أحبّتِه ينأى ولا بلدِه

بالله لا ترحموا قلبى و إن بلغتْ * به الهمومُ فهذا ما جنى بيدِه

ولولا رجاؤه أنّ أوقاتَ الفراق سحابةُ صيف تَقشَعها الرياح، وزيارةُ طيفٍ يَخلَعها الصباح؛ لآستطار فؤادُه كمدا، ولم يجد ليوم مسرّته أمدا؛ ولكنه يَتعلّل بميعاد لقياه، ويدافع ما أَعَلّه بلعلّه أو عساه

١٠ غِنًى فى يد الأحلام لا أستفيدُه * ودَيْنٌ على الأيّام لا أتقاضاهُ

ومن غرائب هذه الفُرقه، وعوارض هذه الشُّقّه؛ أنّ مولاى قد بَخِل بكتابه وهو الذى يداوِى به أخوه غليلَ آكتئابِه، ويَستعديه على طارق الهمّ إذا لجّ فى انتيابِه

كمثلِ يعقوبَ ضلّ يوسفَه * فاعتاض عنه بشم أثوابِه

١٥ وهبْ أنّ فلانا عاقه عن الكتب عائق، وآختدَع ناظرَه كمن هو فى ناضِر عيشٍ رائق؛ فما الذى عرض لمولانا حتى صار جوهرُ ودّه عَرَضا، وجَعَل قلبى لسهام إعراضه غَرَضا؟

بى منه ما لو بدا للشمس ما طلعت * من المكاره أو للبرق ما ومضا[1]

وما عهدتُه — أدام الله سعادته — إلا وقد آستراحت عواذلُه، وعُرِّيَ[2] به أفراسُ

٢٠ (١) البيت لأبى العلاء المعرى (سقط الزند).

(٢) لعله: «منه»؛ يشير بهذه العبارة الى قول زهير بن أبى سلمى:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعرى أفراس الصبا ورواحله

الصِّبا ورواحلُه ، إلا أن يكون قد عاد إلى تلك اللُّجج ، ومرِض قلبه فما على المريض حرَج ، وأيًّا(١) ما كان ففى فؤادى اليــه سريرةُ شوقٍ لا أُذيعها ولا أضيعها ، ونفسى أسيرةُ غُلّةٍ لا أُطيقها بل أُطيعها

وانى لمشتاق اليــك وعاتبٌ * عليك ولكن عَتْبة لا أُذيعُها

والأخ النِّظام — أدامَ الله ٱنتظام الســعد ببقائه ، وأعدانى على الوجد بلقائه — مخصوصٌ بالتحية إثرَ التحيّه ، وَوَالَهفى على تلك السجيّة السخيّه ، وردتُ منها البابلىَّ معتّقا ، وظَلْتُ مِن أسرِ الهموم بلقائها معتّقا

خلائق إما ماءُ مُزنٍ بشُهْدة * أغادَى بها أو ماءُ كَرْمٍ مصفَّقا(٢)

وقد ٱجتمعتْ آراء الجماعة على هِجرانى ، ونسُوا كلَّ عهدٍ غيرَ عهد نسيانى

وما كنتُم تعرفون الجفا * فبالله ممّن تعلّمـــتمُ

وكتب أيضا : إنْ أَخَذ العبدُ — أطال الله بقاء المجلس وثبّت رفعتَــه وبَسَطَ بسطتَه ، ومكّن قدرتَه ، وكبَتَ حسَدتَه — فى وصفِ أشواقه إلى الأيام التى كانت قصــارا وأعادت الأيامَ بعــدها طوالا ، والليالى التى جَمعتْ من أنوار وجهه شموسا ومن رغدِ العيش فى داره ظلالا

وَجدتُ ٱصطبارى بعدهنّ سفاهةً * وأبصرتُ رشدى بعدهنّ ضلالا

وإنْ أَخَذ فى ذكرِ ما ينطق به لســانُه من وَلاءٍ صريح ، ويَعتقِــده جَنانُه من من ثناءٍ فصيح(٣)

---

(١) فى كلا الأصلين : «وأنّى ما كان» ؛ وهو تحريف .

(٢) مصفقا ، نصب على الحال من "ماء" وهو من صفقت الشراب إذا حولته من إناء إلى إناء آخر ليصفو .

(٣) الظاهر أن فى هذه الجملة والتى قبلها تقديما وتأخيرا فى بعض ألفاظهما ، وأن الأصل يجب أن يكون هكذا : «ما ينطق به لسانه من ثناء فصيح ، ويعتقده جنانه من ولاء صريح» فإن الثناء محله اللسان ، والولاء ، وهو المحبة ، محله القلب .

تَعاطَى مَنالا لا يُنال بعزمه * وكلُّ ٱعتزامٍ عن مداه طليحُ

ولكنه يعدل عن هذين إلى الدعاء بأن يبقيَه الله للإسلام صدرا، وفى سماء الملّة بدرا، وفى ظلماتِ الحوادث فجرا؛ وأن يَجمعَ الشَّملَ بمجلسه وعِراصُ الآمال مطلوله (١) وسهامُ القُربِ على نحور البعد مدلوله، وعقودُ النوى بيَدِ اللّقاء محلوله؛ "وَمَا ذٰلِكَ عَلَى ٱللهِ بِعَزِيزٍ".

٥

(٢)
فقد يجمع الله الشَّتِيتَين بعد ما * يظنّان كلّ الظنّ أن لا تَلاقِيا

وما رمت به النوى مراميَهَا، ولا سَلكتْ به الغربةُ مواميَها (٣)؛ إلا ٱستَنجَد شوقُه من الجفون هاميا، واستَدْعَى من الزَّفرة ما يُعيد مَسلكَه من الجوانح داميا، وصدَرَ عن مَنهل الماء العذبِ النمير ظاميا، وتَعلّل بالأمانى فى الاجتماع "وآخر ما يبقى (٤) الإياس الأمانيا" (٥) والسلوةُ أن الطريقَ بحمد الله أسفرتْ (٦) عن فضل اجتهادِه، وفضيلة جهادِه؛ ونُصرةِ الإسلام، وإعلاءِ الأعلام؛ وخدمةِ المجلس الفلانى — أعزّ الله نصرَه، وأسعَد بها جَدَّه، وبلغ بها قصدَه، وأمضَى فى الكفر حدَّه؛ وأورَى بها للإسلام قَدْحا، وشَرُفتْ حديثا وشرحا، وأجهدت الأعداء إثخانا (٧) وجرحا

١٠

---

(١) المطلولة : التى نزل عليها الطل .

١٥ (٢) البيت لقيس بن الملوح، وهو المعروف بالمجنون .

(٣) الموامى : جمع موماة، وهى المفازة من الأرض .

(٤) فى (ب) «ولا ضرما يبق» الخ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصول منصوبا؛ ولم يتضح لنا وجه نصبه فان القواعد تقتضى رفعه اذ هو خبر المبتدإ وهو قوله : «وآخر» .

٢٠ (٦) أسفرت بالهمز : تكشفت؛ وهو مستعار من قولهم : أسفر الصبح، أى انكشف وأضاء إضاءة لا يشك فيه، كما فى اللسان (ج ٦ ص ٣٦) .

(٧) الإثخان : المبالغة فى القتل .

وأَبقَ بها فى جبهة الدهر أسطرا * اذا ما ٱمّحَى خَطُّ الكواكب لا تُمحَى

اذا جاء نصرُ ٱلله فالفتحُ بَعـــدَه * وقـد جاء نصرُ الله فليَرقب ٱلفتحا

فأما الخادمُ فيودّ ألّا يزالَ لشرف محصِّلا ، ولتلك اليدِ الكريمةِ مقبِّلا. وللغُرّةِ المتهلّلة كالصباح مستقبِلا

محيًّا اذا حيّاك منـه بنظـرةٍ * فتحتَ به بابا من اللطف مُقفَلا

ويرى أن خير أوقاته ما كان فيـه بالحاشية الفلانيّـة مكاثِرا، وتحت ظلال ألويتِها سـائرا

فثَمّ ترى معنى السعادة ظاهرا * وثَمّ ترى حزبَ الهداية ظاهرا

والخادم يؤثر من المجلس المواصَلةَ بالمراسم(١) [التى يعُـدّ أيامَها من المواسم](٢)، ويقابل بهـا أوجهَ المسارّ طَلقـةَ المباسم؛ ويرتقبها ٱرتقابَ الصُّوّام للأهلّه ، والرُّوّادِ لمواقع السحائبِ المنهلّه .

وكتب عن الملك الناصر صلاح الدين الى تقى الدين بن عبد الملك:

سقى الله أرضَ الغُوطتين وأهلَهـا * فلى بجنوب الغُوطتين جنونُ

وما ذكرتُهـا النفسُ إلا اسـتفزّنى * الى طيبِ ماء النَّيرَبين(٣) حنينُ

وقد كان شكّى فى الفراق مروِّعى * فكيف أكونُ اليـوم وهو يقينُ

(١) المراسم والمراسيم : المكاتيب .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) المراد بالنيربين قرية نيرب ، وانما ذكرها الشاعر بالتثنية جريا على عادتهم من ذكر المفرد بلفظ المثنى؛ وهذه القرية بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين وذكر ياقوت أنهـا أنزه موضع رآه؛ وهذا الشعر لأبى المطاع وجيــه الدولة بن حمدان كما فى معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٥٥ طبع جوتنجن . وفى (أ) "البيرتين"؛ وفى (ب) : « النيرين »؛ وهو تصحيف فى كلتيهما .

كم جَهْدِ ما تَسلّى القلوب ، وتُسرَّى الكُروب [(١)]؛ لا سيّما إذا كان الذى فارقته أعلقَ بالأكباد من حِلْبها [(٢)]، وأقربَ الى القلوب من حُجُبها؛ وهل يَستروح إلا أن يَفُضَّ ختامَ الدمع، ويَخترِقَ حجابَ السمع، ويستغيثَ بسماء العيون ذات الرَّجْع [(٣)]، لتجودَ أرضَ الخواطر ذاتَ الصدع ؛ وهنالك أَوفَى ما يكون الشوقُ جندا، وأَورَى ما يُورِى الوجدُ زندا

إلى زفرةٍ أو عَبرةٍ مستباحةٍ * لِهذى مَراحٌ عنده ولذى مَغدَى

وقد علم الله أنّى مذ فارقتُه مادعانى الذكرُ إلا لبَّيتُه بجوابٍ من ماء الغليل غيرِ قليل ولا ذكرتُ خُلقَه الجميلَ إلا ورأيت الصبرَ الجميلَ غيرَ جميل

وغيرُ كثيرٍ فيه وجدُ كُثيِّرٍ * ولوعةُ قيس والتياحُ [(٤)] جميلِ

أهيم برسمٍ فيك للجدِ واضحٍ * وهاموا برسمٍ للغرام مُحيلِ [(٥)]

وقد كتبتُ اليه حتى كاد يشيب له المداد، لو لم يَخلع عليه الناظرُ حلّةَ السواد وحبّةَ الفؤاد ، فما رَدّ ، وحارَ عن خُلقِه الكريم فإنه قطّ ما ودَّ [(٦)] وصَدّ ؛ وأُوثرُ منه ألّا يحكِّم الفراقَ علىّ فيَشتطّ ، ولا يمكِّنَ اللوعةَ من مهجتى فتَخبِط [(٧)]

بجُد لى بدرٍّ من بحارِك إننى * من الدمع فى بحرٍ وليس له شطُّ

(١) تسرى بتشديد الراء : تكشف .

(٢) الحلب بكسر الحاء : حجاب الكبد .

(٣) الرجع بفتح الراء : المطر بعد المطر .

(٤) الالتياح فى الأصل : العطش ، والمراد هنا شدّة الهيام والشوق . والذى فى الأصول : «وارتياح» ؛ وهو تحريف .

(٥) المحيل : الذى مضى عليه حول .

(٦) فى الأصول : «ما رد» بالراء؛ وهو تحريف .

(٧) يقال : هو يخبط فى عمياء اذا ركب ما ركب بجهالة .

بكفِّ بها للحرب والسـلم آيةٌ * فيُحيِي لديها الخطُّ أو يَقتُلُ[(١)] الخطُّ

ونسأل الله الرغبــة فى آجتماع لا يكدر وِردُه ، ولا يُنْتَرِعقدُه، ولا يعزُب عن آفاق الوفاق سعدُه

وما كان حُكمى أن أفارقَ أرضَكم * ولكنّ حُكم الله لسـنا نردُّه

وكتب عنه أيضا إلى عز الدين فَرّوخ شاه[(٢)] : ٥

أحبابَنا لو رُزِقتُ الصبرَ بَعدكُم * لَمَا رضيتُ به عن قربكم عِوَضا

إنى لأَعجب أنّى بَعـد فرقتكم * ما صحّ جسمىَ إلا زادنى مَرَضا

أُنبِيكُم عن يقينٍ أنّ قلبيَ لو * أضحى مكانَ جناحَىْ طائرٍ نَهَضا

هـذا ولو أنّه بالعهـد فيك وفَى * لكان حين قضى الله الفراق قضى

١٠ كتبتُ ــ أطال الله بقاء المولى الولَدِ ــ عن قَريحةٍ قَرِيحه[(٣)] ، و إنسانِ مقلةٍ جَريح فى جَريحه ، ولوعةٍ صريحه ، وذكرةٍ اذا ذُكِر الصبرُ كانت طَريحه

وليـلٍ بطىءِ طلوعِ الصبا * حِ شوقا الى القَسَمِاتِ[(٤)] الصَّبِيحه

أَبحتَ فؤادى وأنت المُباحُ[(٥)] * وما كان من حقّه أن تُبيحَه

وما أَصحبتْ[(٦)] فى قتال العـذول * أعِنّـةُ قلبٍ عليهـم جَموحَه

---

١٥ (١) فى (١) : «يقبل» بياء موحدة؛ وهو تحريف .

(٢) كذا فى وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ طبع بولاق؛ والذى فى كلا الأصلين : «فرخشاه» بدون واو .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (ا) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضيها .

(٤) القسمات : واحده قسمة بكسر السين وفتحها وهى الحسن ، أو أعلى الوجه ، أو طاهر الخدين .

٢٠ (٥) وأنت «المباح» ، أى أنت الفؤاد الذى أبحته .

(٦) أصحبت : انقادت بعد صعوبة .

مُعَنًّى بريحِ شمالِ الشآم ،، لقد عذّب اللهُ بالريحِ رُوحَه

فلا رَوّح اللهُ مِن قربِكم * فؤادى بخطرةِ يأسٍ مُريحَه

ولولا التعلّلُ بأبنيةِ المُنى الخادعه ، والتروّحُ بأفنيةِ الأُسا[1] الواسعه ؛ لتصدّعتْ أكبادٌ وتفطّرتْ ، وتجدّلتْ[2] أفراسُ دموعٍ وتقطّرتْ[2]

يا صاحبي إنّ الدموع تنفّستْ * فدَعِ الدموعَ تبيح ما قد أضمرَتْ

قد كنتُ أكتم عن وشاتى سرَّها * ولقد جرى طرْفُ الحديث كما جرَتْ

لله ليلاتٌ قرَنَّ بخومها * بل بدرَها بوجوهِ عيشٍ أقمرَتْ

أغلتْ على السُّلوان شَوقَكُم فما * باعت كما أمرَ الغرامُ مَن آشترَتْ

ومذ فارقتُ تلك الغرّةَ البدريّه ، والطلعةَ العزيزةَ العِزّيّه ؛ ما ظفرتُ بشخصه نوما ولا بكتابه يوما

* فواعجبًا حتى ولا الطيفُ طارقا * !

وأعجِبْ[3] له فى الحرب شُرَّكائبٍ * بكفٍّ أبتُّ[4] فى السِّلم نظْمَ كتابِ

يحاسبنى فى لفظةٍ بَعد لفظةٍ * ومعروفُه يأتى بغير حسابِ

ولو رضيتُ — وكلّا — بأن أحملَ من هذا الجفاء كَلًّا ؛ لما رضِىَ به خُلُقه الرَّضِىّ ، ولأخذ بقول الرَّضِىّ :

(١٣٢)

---

(١) الأسا بكسر الهمزة وضمها : جمع إسوة ، بالكسر والضم أيضا ، وهى ما يأتسى به الحزين .

(٢) تجدلت : من جدله بتشديد الدال وتخفيفها ، أى صرعه على الجدالة بفتح الجيم ؛ وهى الأرض . وتقطرت : من قطره ، اذا ألقاه على أحد قطريه ، وهما جانباه .

(٣) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ وفى هذا البيت حذف المتعجب منه ، والأصل : «وأعجب به له » الخ والذى يفهم من حاشية الصبان على شرح الأشمونى ج ٣ ص ١٨ س ٢٧ أن ذلك الحذف سائغ لا شذوذ فيه ، إذ المدار على أن يدل عليه دليل .

(٤) فى كلا الأصلين «أبت» بالباء المثناة ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى مسالك الأبصار ؛ ويدل عليه سياق ما قبله وما بعده .

هبونى أَرضَى فى الإياس بهجركم * أَترضَى لمن يرجوك ما دون وصلِه[1]

والرغبةُ مصروفةُ العِنانِ إلى الله أن يُبيح من اللقاء مَنيعا ، ويَنتجَ من اللّطفِ صنيعا

لو تأخذون بساعةٍ * من وصلِكم عُمرى جميعا

لرغبتُ فى أن تشترى * ان كنتَ تَرضَى أن تبيعا

ومفارقين مع الصِّبا * عزماً[2] فهل أرجو الطلوعا[3]

أقسمتُ لو رجعوا لأعـ * ـقبَنى الصِّبا معهم رجوعا

هبْكم منعتم [قُربَكم][4] * ولبستُم بُعدا مَنوعا

أفتمنعون بكم ضلو * عا قد شُفِين بكم ولُوعا[5]

ما غايتى إلا الدمو * عُ وأستقِلّ لك الدموعا

وكتب [أيضا رحمه الله تعالى][6] يتشوق :

فيارب إن البين أنحتْ صروفُه * علىّ وما لى من معينٍ فكن معى

على قربِ عذّالى وبعدِ أحبّتى * وأمواهِ أجفانى ونيرانِ أضلعى

هذه تحيّةُ القلب المعذّب ، وسريرةُ الصبرِ المذبذَب ، وظلامةُ عزمِ السلوِّ المكذَّب ؛ أصدرتُها إلى المجلس وقد وَقدتْ فى الحشى نارُها ، الزَّفيرُ أُوارُها ، والدموعُ شرارُها ، والشوقُ أثارَها وفى الفؤاد ثارُها :

---

(١) لم يرد هذا البيت فى ديوان الشريف الرضى الموحود بين أيدينا .

(٢) لعله رغما بالراء المهملة والغين المعجمة .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى كلا الأصلين ؛ ولم يتصح لنا معناها ؛ ولعل الصواب : « فهل يرجوا الطلوعا » .

(٤) لم يرد هذا اللفظ فى (أ) وقد أثبتناه عن (ب) اذ لا يستقيم البيت بدونه .

(٥) ولوعا مفعول ثان لقوله : «تمنعون» ؛ يقول : أفتمنعون الضلوع ولوعا بكم وشوقا اليكم وقد شفيت بقربكم فيما سلف .

(٦) لم ترد هذه العبارة فى (أ) .

لو زارنى منكم خيالٌ هاجرٌ * لَهَدتْه فى ظُلُماته أنوارُها

أسفًا على أيّام الاجتماع التى كانت مَواسمَ لسرور الأسرار، ومَباسمَ لثغور الأوطار، وتذكّرا لأوقاتٍ عَذُب مَذاقُها، وعَذّب فراقُها[1]؛ وروّحتْ بُكَرُها، وروّعتْ ذِكَرُها

والله ما نسيتْ نفسى حلاوتَها * فكيف أذكر أنّى اليوم أذكُرها

٥ ومذ فارقتُ الجنابَ النُّورىّ — لا زال جَنَى جنابه نضيرا، وسنا سنائه[2] مستطيرا، وملكُه فى الخافقَين خافق الأعلام، وعزُّه على الجديدَين جديدَ الأيام، لم أقف منه على كتاب يَخلُف سوادُ سطورِه ما غَسَل الدمعُ من سواد ناظرِى، ويقْدم[3] ببياضِ منظومِه ومنثورِه ما وَزّعه البينُ من سواد[4] خاطرِى

ولم يَبقَ فى الأحشاء إلا صُبابةٌ[5] * من الصبر تَجرِى فى الدموع البوادرِ

١٠ وأساله المَناب[6] بشريف الجناب، وأداءَ فرض، تقبيلِ الأرض، حيث تَلتقِي وفودُ

---

(١) فى كلا الأصلين : «مراقها» بالميم ؛ وهو تحريف .

(٢) السناء بالمد : الرفعة وعلو المنزلة، يقال منه : أسناه اذا رفعه .

(٣) كذا فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥ والذى فى كتاب الفاضل من كلام القاضى الفاضل المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٨ أدب "ويغرم" ١٥ بالغين المعجمة والراء. وفى كلا الأصلين : "ويعزم بياض" الخ بالعين المهملة والزاى المعجمة ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالسواد هنا، العدد الكثير، كما يفهم من سياق العبارة .

(٥) الصبابة بضم الصاد : « البقية » .

(٦) كذا فى (ب) وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥ ؛ والمناب مصدر ميمى من النوب ، أى أن ٢٠ ينوب عنه ، كما يدل عليه سياق ما بعده . والذى فى (أ) : "المتاب" بالتاء المثناة ، والمعنى عليه غير ظاهر .

الدنيا والآخره ، وتَغمُر البيوتَ العامرةَ المننُ الغامره ؛ ويظَلّ الظلُّ غيرَ منسوخ بهجيرِه، ويُنشَر المجد بشخص لا تسمح الدنيا بنظيرِه

تَظاهَر فى الدنيا بأشرفِ ظاهرٍ * فلَم يُرَ أنقَى منــــه غيرَ ضميرِه
كفانىَ عزًّا أن أسمَّى بعبـــدِه * وحسبىَ هـــذيا أن أسير بنورِه
فأىُّ أمــيرٍ ليس يشرف قدرُه * إذا ما دعاه صادقا بأمــــيرِه ٥

وإننى فى السؤال بكتبه أن يوصلها ليوصل بهــا لدى تهانىُّ تَملأُ يدِى، ويُودعَ بها عندى مسَرّةً تقتدح فى الشكر زَنْدِى

عهدتُك ذا عهدٍ هو الوَردُ نَضرةً * وما هو مِثلُ الورد فى قصر العهدِ

وأنا أرتقِب كتابه آرتقابَ الهلال لتفطر عين عن الكرى صــائمه ، وتَرِدَ نفسٌ على موارد المـاء حائمه . ١٠

وكـــتب أيضا يتشوق :

لاعَتْبَ أخشاه لِقطـعِ كتابِكم * وآسمعْ فعذرى بَعده لا يُعتَبُ
مهما وجدتُك فى الضمير ممثَّلا * أبدا تُناجينى إلى مَن أكتبُ

كَتَبَ عبدُ حضرة مولاه — حرس الله سموَّه، وأدام مزيدَ علائه ونموَّه(1)، وقَرَن بالمَسارِّ رواحَه وغدوَّه، وكَبَت حاسدَه وأهلَك عدوَّه — عن سلامة ما آستثنى فيها ١٥ الدهرُ إلا ألمَ فراقِه، وعافيةٍ موصولةٍ بمرضِ قلبٍ لا أرجو موعدَ إفراقِه(2)

لو لم يكن إنسانُ عيــنِى سابحا * لخشيتُ حين بكَيتُ مِن إغراقِه

---

(١) فى (أ) : « وسموه » بالسين المهملة ؛ وهو تحريف .

(٢) إفراق المريض : برؤه وإقباله .

وعندى اليه[1] وجدٌ يَكْلُمُ الضلوع ، ويتكلّم بألسنة الدموع ؛ والنفسُ قريبةُ ٱستعبار، لذكرِ أوقات السرور القِصار، وأنوارِها التى يكاد سنا برقِها يَخطَف ٱلأبصار[2] .

شهورٌ ينقضين وما شَعَرنا * بأنصافٍ لهنّ ولا سِرارِ[3]

(١٣٣)

إذ العيشُ غضٌّ وَرِيق ، والمهجُ لم يتقسّمْها التفريق ، ولا سار منها إلى بلدٍ فريقٌ وبقىَ فى بلدٍ فَرِيق، ولا سقاها كؤوسَ وجدٍ لجفونِ المترَعة تُرِيق

ثمِلتُ منها وما لى * سوى الغرامِ رَحِيق

وإلى الله الشكوى من شوقٍ فى الصّميم، وصبرٍ راحلٍ وغرامٍ لا يَرِيم، كأنّه غريم

زعموا أنّ مَن تَباعَد يسلو * لا ومُحيى العظامِ وهى رميمُ

ولقد ٱستغرَب وُصولَ الرفاقِ وقد صَفِرتْ مِن كتابِه الكريمِ عيابُهم، ولو زاره لَعدّه تحفةَ الخصيصِ بالتخصيص[4]، وأدرَك به بُغْيةَ الحريص، ورأى للدّهرِ المذنبِ مزيّةَ التمحيص، وصالَ به على نوائبِ الأيامِ المتنابةِ صولةً لا يجدُ عنها من محيص

وحسِبتُنى لوصولِه * يعقوبَ بُشِّر بالقميص

(١) كذا فى كلا الأصلين؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أنه يقال : "وجد اليه"؛ والذى يقال : "وجد به"؛ ولعله أراد بالوجد هنا معنى التشوق، فسوّغ له ذلك ذكر «إلى» مكان الباء .

(٢) فى كلا الأصلين : «بالأبصار»؛ والباء زيادة من الناسخ؛ أو لعل أصل العبارة : «يذهب» بدل «يخطف» وإذن فتثبت الباء؛ فان الكاتب يشير الى قوله تعالى فى سورة النور : «يكاد سنا برقه يذهب بالابصار» .

(٣) السرار بفتح السين وكسرها : الليلة التى يستسر فيها الهلال آخر الشهر؛ ونقل عن الأزهرى أن كسر السين فيها لغة ليست بجيدة عند اللغويين .

(٤) المراد بالخصيص، من خصصه بودّك؛ وقد راجعنا كتب اللغة التى بين أيدينا مادة (خص) فلم نقف على هذه الصيغة بهذا المعنى غير أننا وجدنا ٱستعمالها شائعا فى بعض كتب الأدب كمعجم الأدباء لياقوت، فقد قال فى ج ٥ ص ١٥٢ عن أبى الفرج الأصفهانى ما نصه : «وكان أبو الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى من ندماء الوزير أبى محمد المهلبى خصيصين به» الخ .

هنالك يَرتع فى تلك الرياض التى غصونُها أسطارُها، وشكلُها أطيارُها، وألفاظُها نُوّارُها، ومعانيها ثمارُها، وبلاغتُها أنهارُها، وجزالتُها تيّارُها

إن أظلمتْ للنفسِ فيها ليلةٌ * قمرُ المعانى عنـدنا سمسارُها(١)

ويتلقّاه قبل يده بقلبِه، ويكاد يسبق ضميرَه إلى أكلِه وشربِه

ويظنّه والطرفُ معقودٌ به * شخصَ الرقيب(٢) بدا لعين محبِّه

ولهذا ضنّ مولاه بمأثورِه، جاد عليه بميسورِه(٣)؛ ...

فكأنّنى أهـديتُ للشمسِ السّنا * وطرحتُ مابينَ المصاحفِ دفترا

وعلى كلّ حالٍ فيسأله أن يواصلَه مِن مَراسِمِه بمـا ينتظره ناظرُه ليجد نورا، وقلبُـه ليستشعر به سرورا، وخاطرُه ليجعله بينه وبين الهمّ سُورا، وألاّ يخلىَ رُفقةً من كتابٍ ولو بالقلائد القلائلِ من درِ أقلامِه، ودرارىّ كلامِه .

وكـتب : لو آستعار الخادمُ — أدام الله نعمةَ المجلس — أنفاس(٤) البَشَر كلاما، وأغصانَ الشجر أقلاما؛ وبياضَ النهار أطراسا، وسوادَ الليـل أنقاسا؛ ماعبّر عن الوجد الذى عبرتْ عنه عَبَراتُه، ولا عن الشوق الذى لا يستثير مثلَه مَعبدًا(٥)

(١) المراد بالسمسار هنا، الدليل والهادى . وأصل معناه : المتوسط بين البائع والمشترى، أو هو السفير بين المحبين انظر القاموس .

(٢) كذا فى كلا الأصلين . ولعله : «الحبيب»، فان تشبيه كتابه بشخص الرقيب غير مناسب لما أراده من الأستبشار به، والتّهلل لوروده؛ ويدل على ذلك أيضا قوله : "لعين محبه"؛ ولم نقف على هذا البيت فيما لدينا من المظان .

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من الناسخ إذ لا مناسبة بين معنى البيت وبين ما سبقه من الكلام؛ ولم نقف على هذه الرسالة فيما راجعناه من المظان .

(٤) أنقاس : جمع نقس بكسر النون، وهو المداد .

(٥) هو أبو عباد معبد بن وهب؛ وقيل : ابن قطنى مولى ابن قطر؛ مغنّ معروف غنى فى أوّل دولة بنى أمية ومات فى أيام الوليد بن يزيد الأغانى ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب .

إذا هَزِجتْ[1] فى الثقيل الأوّل تَبْراتُه[2]، أسفا على ما عَدِمه فى هذه الطريق، من ذلك المحيّا الطّليق، والخُلُقِ الذى هو لكل مَكْرُمَــةٍ خليق، والصفاتِ التى يَحْسُن بها كلُّ حُسنٍ ويليق، ويُعدَو كلُّ جفنٍ يَسفَح ذخيرتَه شوقا إليها ويُريق

قِفا أوخذا فى العذْل أىَّ طريقِ * فـا أنا مِن سكرِ الهوى بمُفيقِ

أما والهــوى إنّ الهوى لأَلِيّةٌ * يعظّمُها فى الحبِّ كلُّ مَشُوقِ

لو آنّ الهوى ممـا تصحّ هِباتُه * لقاسمتُ منه قلبَ كلِّ صديقِ

وما زار ناظرَ خادمِه الكرى إلا تَمثّل له مولاه طيفا يهُمّ أن يتعلّق بأذياله، وقَبِــلَ تمويهَ ناظرِه على قلبِه فى وصالِه

وَوَدَّ أن ســوادَ الليل مُدَّ له[3] * وزاد فيه سوادَ القلبِ والبصرِ

ولقد وَجَد طعمَ الحياة لِبعدِه مرًّا، وقال بَعدَه للذّتَى ٱلعين والقلب: مُرّا

وها هو يرجو فى غدٍ [وعدِ][4] يومِه * لعـــلّ غدا يأبى[5] لمنتظرٍ عـــذرا

وإلى الله سبحانه وتعـالى يَرغب أن يجعلَه بالســلامة مكنوفا، وصَرْفَ الحِدْثان عن ساحتِه مكفوفا، وعِنانَ الصُّروف عن فِنائه مصروفا[6]، ووُفودَ الرجاء على أرجائه عُكوفا، وأن يُمتِّع الوجهَ[7] بوصفه الذى هو أشرفُ مِن كلِّ وجهٍ موصوفا

---

(١) يقال: هزِج المغنى بكسر الزاى المعجمة وهزّج بتشديدها، اذا طرّب بتشديد الراء وترنم، والذى فى كلا الأصلين: «رجعت»؛ وفيه قلب وتصحيف.

(٢) كذا فى (ب) والذى فى (أ) «مراته»؛ وهو تحريف.

(٣) فى كلا الأصلين: "السمع"؛ وهو غير مستقيم؛ والتصويب عن سقط الزند، والبيت لأبى العلاء المعرى

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى (أ) ولا يستقيم البيت بدونها.

(٥) فى الأصول: «يأتى»؛ وهو تحريف.

(٦) فى (أ): «مكنوفا» بالنون؛ وهو تحريف.

(٧) فى كلا الأصلين: «الوجد» بالدال؛ وهو تحريف.

مَن كان يُشرِك فى علاك فإنّنى * وجّهتُ وجهىَ نحوهنّ حنيفا

وقد كان[1] يَنتظر كتابا يشرّفه ويشنّفه، ويستخدمه على الأوامر ويصرّفه؛ ويَجتني ثمر السرور غضّ المَكاسر ويقتطفه؛ فتأخّر ولَمْ يُحِدثْ له التأخيرُ ظنّا، ولا صرَفه [عن] أن يَعتقِدَ أنّ مولاه لا تُحدث له الأيامُ بخلا بفضله ولا ضنّا

٥ ولو تُصَرف السحْبُ الغزارُ عن الثّرى * لَمـا ٱنصرفتْ عن طبعك الشّيمُ الحُسنى

(١٢٤) وهو يَنتظرُ مِن الأمرِ والنهيِ ما يكون عملُه بحسبِه، ويثبت له عهد الخدّام بنسَبِه

ومِن عَجَبٍ أنّى أحِنّ إليهمُ * وأَسألُ عنهم مَن أَرى وهمُ معى

وتَطلُبهم عينى وهُم فى سوادِها * ويشتاقهم قلبى وهُم بين أضلعى.

وكتب أيضا : كتبتُ والعبَراتُ تمحو السطور، ويُوقد ماؤها نارَ الصدور

١٠ ويهتِكُ[2] وجدا كان تحت ٱلسّتور، ويُرسِل من بين أضلعى نفَسَ المَوْتور

قد ذَكرْنا عهودَكم بعـد ما طا * لت ليالٍ مِن بَعـدِها وشهورُ

عَجَبًا لِلقـلوبِ كيف أطاقتْ * بُعدَكم! ما القلوبُ إلّا صخـورُ

وما وردتُ المـاءَ إلّا وَجدتُ له على كبـدى وَقْدًا لا بَرْدا ، ولا تعرّضتُ لنفحات النسيم إلا أَهدَى إلىّ جَهْدا، ولا زارنى طيفُ الخيال إلا وجدنى قد قطعتُ طريقه

١٥ سُهْدا، ولا خَطِفَ[3] لى البارقُ الشّامىُّ إلا باراه قلبى خُفوقا ووَقْدا

وأيسرُ ما نال مـنّى الغليـ * ـلُ ألا أُحِسَّ من المـاء بردا

---

(١) فى (أ) : «ومن»؛ وهو تحريف .

(٢) فى (أ) : «ويهبك» بالباء الموحدة؛ وهو تحريف .

(٣) «خطف لى» أى لمع لمعانا يخطف البصر .

فسقى الله دارَه ما شربتْ [من](١) الغمام، وأيّامَنا بها وبُدورُ ليالى تلك الأيّامِ تَمام

ذُمَّ اللّيالىَ(٢) بعد منزلة اللّوى * والعيشَ بعد أولئك الأقوامِ(٣)

وكان قد وصل منه كتابٌ كالطّيف أو أقصرُ زَوْرا، وكالحبِّ أو أظْهرُ جَوْرا، والربيع أو أبهرُ نَوْرا، والنجمِ أو أعلى طَوْرا، والماءِ الزلال أو أبعدُ غَوْرا؛ فنثرتُ عليه قُبَلى، وجعلتُ سطورَه قِبلى(٤) بل قِبَلى(٥)، ووردتُ منه مَوردا

أهلًا به وعلى الإظماءِ أَنشُدُه(٦) * لو بَلَّ مِن غُلَلى أبللتُ مِن عِللى

إلا أنه — أبقاه الله — ما عزّزه(٧) بثان، ولا آنس غريبَه، وإنى وإيّاه غريبان

وكم ظلّ أو كم بات عندى كتابُه * سميرَ ضميرٍ أو جِنانَ جَنان

وأَرغبُ إليه — لا زالت الرّغبَات اليه —، وأسألُه — لا خَيّم السؤالُ إلا لديه —؛ أن يلاطِفَ بكتابه قلبى، و يمثّلَ لى بمثاله أيّامَ قربى

(١) عبارة كلا الأصلين: «ما شربت الغمام» بسقوط «من» والسياق يقتضى إثباتها، كما فى مسالك الأبصار؛ يشير الكاتب بهذه العبارة الى قول الشريف الرضى:

سقى منى وليالى الخيف ما شربت * من الغمام وحيّاها وحيّاك

انظر ديوان الشريف الرضى.

(٢) البيت لجرير انظر ديوانه ص ١٢٤ طبع المطبعة العلمية وقد روى البيت فيه هكذا

* ذم المنازل بعد منزلة اللوى * الخ البيت.

(٣) فى ديوان جرير: «الأيام» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

(٤) قبلى بكسر القاف وفتح الباء، أى تجاهى، ويجوز ضبطه بضم القاف وسكون الباء، أى قصدى تقول: أنا أقبل قبلك، أى أقصد قصدك.

(٥) قبلى، هو جمع قبلة بكسر القاف.

(٦) يريد أنه ينشد كتابه، أى يطلبه على ظمائه إياه، وقلة جدواه فى شفاء علته، كما يدل عليه عجز البيت. وفى كلا الأصلين: «وعن الظلماء»؛ وهو تحريف إذ المعنى عليه غير ظاهر.

(٧) عززه: من التعزيز، وهو التقوية والإعانة.

والله لولا أنّـــنى * أرجو اللِّقا لقَضَيتُ نَحْبِى
هـــذا وما فارقتُكـــم[(١)] * لكنّنى فارقتُ قلـبى .

وكتب جواب كتاب ورد عليه :

شكرتُ لدهرى جَمْعَـه الدارَ مرّةً * وتلك يدٌ عـــدى له لا أُضِيعُها
وطلعة مولانا يطالِعُ عبـــدَه * وكلُّ رُبوعٍ كانـ فيها رُبوعُها
فؤادٌ ســـقاه لا يعـــودُ غليـلُه * وعينٌ رأتْه لا تَفيض دموعُها

ورد على الخادم كتابُ المجلس — أعلى الله سلطانه وأثبتَـه ، وأرْغَم أنفَ عدوّه وكَبَتَه ، وأصماه بسهام أســقامه وأصمَتَه ؛ ولا أخلَى الدنيـا من وجودِه ، كما لم يُخْلِ أهلَها مِن جودِه ، ولا عَطّل سمـاءَ المجد من صـعودِه ، كما لم يُعطّل أرضَها من سُعودِه — وهو كتابٌ ثانٍ يَثـنِى إليه عِنانَ الثنـاء ، ويَصِفُ لى حسنَ العهـد على التّناء ، ويَستنهِضُ الأدعيـةَ الصالحةَ فى الأطرافِ والآناء ، ويبشِّرُ الخـادمَ بأنه وإن كان بعيـدَ الدارِ فإنه بمثـابة المقيم فى ذلك الفِنـاء ، وأنـ هـذه الخـــدمةَ التى أنعم الله عليـه بهـا وَثيقـــةُ الأســاسِ على الدهرِ شامخةُ البنـاء ؛ فقام له قائمـا على قدمِه ، وسَجَدَ فى الطِّرس ممثِّلا سُجودَ قلمِه ، وٱستَرعى اللهَ العهدَ على أنه تعالى قد رعى ما أوْدعه فى ذمّة كرمِه ؛ وصارت له نَجْرانُ[(٢)] علاقةَ خيرٍ صَرَفَ إليها وجَهه فكأنها قِبْله ، ودعا بنى الآمالِ إلى ٱعتقادِ فصلِ مالِكِها فكأنّمـا يدعوهم إلى

(١) فى (أ) : «وما قد فارقتكم» ، و«قد» زيادة من الناسخ اذ بها يختل الوزن ، وهذا الشعر ينسب الى العينى من أهل مصر ، أو هو لطاهر الحداد انظر خريدة القصر لعماد الدين الأصفهانى المأخوذ منه بعض أجزاء بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب ، والعينى الذى ينسب اليه هذا الشعر غير الحافظ بدر الدين محمود العينى صاحب عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان .

(٢) كذا فى (ب) ؛ وقد وردت هذه الكلمة فى (أ) مهملةَ الحروف من النقط ، ونجران فى عدّة مواضع ، منها نجران فى مخاليف اليمن من ناحية مكة .

مله، والله يوزعه شكر هذا الافتقاد[1] على البعاد، ولا يخليه من هذا الرأى الجميل الذى هو ملجأ الاستناد، وعقد الاعتقاد؛ والخادم لاينفك متطلعا لأخبار المولى فترده مفصلة ومجمله، ومفصلة ومجمله؛ ويعرف منها مايعرف به موقع اللطف بالمولى فى أحواله، ومكان النجح فى آماله؛ وأنه بحمد الله فى نعمة منه — لاغير الله مابه ٥ بها، ولا صرفها عنه ولا صرفه عنها — فيجدد لله الشكر والحمد، ويبلغه مايبلغه منها المراد والقصد؛ ونسأل الله ألا يخلى الدولة الناصرية منه ناصرا لسلطانها، وعينا لأعيانها، وسيفا فى يد الإسلام يناضل عن حقه، وورعا شريفا يشهد مرآه بشرف عرقه؛ والرأى أعلى فى إجرائه على ما عود من هذا الإنعام، وزيادته شرفا بالاستنهاض — إن صلح له — والاستخدام.

١٠ ومن جواب آخر: ورد كتاب المجلس — أدام الله واردات الإقبال على آماله، و [لا] سلبت[2] الأيام نعمتى جميله وإجماله، ولا انحط قدر بدره عن درجتى تمامه وكماله، وأحسن جزاءه عن ميثاق[3] الفضل الذى نهض باحتماله — ووقفت منه على ما لا يجد الشكر عنه محيدا، وآنست[4] به القلب الذى كان وحيدا، وعددت يوم وصوله السعيد عيدا، ووردت منه بئرا معطلة[5] وحللت قصرا مشيدا؛ ولا يكلف ١٥ الله نفسا إلا وسعها، وتلك الغاية ليست فى وسعى، ولا تعلم نفس إلا ماطرق سمعها، وتلك المحاسن ماطرق مثلها سمعى، ولا تتناول يد إلا ماوسعه ذرعها، وهذه الأوابد الأباعد ماطالها ذراعى ولا استقل بها ذرعى.

(١) افتقده وتفقده: طلبه عند غيبته.

(٢) فى (أ): «وسلبت» بسقوط «لا» ولا يستقيم الكلام بدونها.

٢٠ (٣) فى كلا الأصلين: «ميقات»؛ وهو تحريف.

(٤) فى (أ): «وأنسيت»؛ وهو تحريف.

(٥) تعطيل البئر: ألا تورد كما فى أساس البلاغة؛ يريد أنها صافية الماء عذبة المورد لقلة الزحام عليها المكدر لها.

ومن آخر : خلّد الله أيّامَ المجلس ، وعضّـد الملّةَ الحنيفيّـةَ منه بحاميها ، والأركانَ الإسلاميّةَ من سـيفه بشائدها وبانيها ، وأمتع الدولةَ المحمديّةَ بعزمته التى حسُنتْ الكفايةُ بها ، فلا غرو أن تحسُن الكفايةُ فيها ؛ ولا عَدِمت الدنيـا نَضرةً بأيّامه النّضيره ، والدينُ نُصرةً بأعلامه النصيره ؛ الملوكُ يقبّل الترابَ الذى يوماً يَستقرُّ بحوافر سَيْله[1] ، و يوما يَستقِرّ بحوافر خيلِه — فلا زال فى يوم السِّلْم جُوده سحابا صائبا ، و يومِ الحربِ شهابا ثاقبا — ويُنهى أنه وردتْ عليه المكاتبةُ التى ٱستيقظتْ بها آمالُه من وسَنها ، وأفادته معنًى من الجَنّة فإنها أذهبتْ ما بالنفوس من حَزَنها ، وتلقّى المملوكُ قُبْلَها[2] بالسجود والتقبيل ، وتحلّى بعقودِ سطورِها فهيهات بعد هذا شكوى التعطيل ؛ وٱكتحَلَ من داء السهد بإثْمِدها[3] ، وأدار على الأيّامِ كأسَ مَرقَدِها[4] ، وأسمعته نَغْمَ النِّعمِ التى هى أعجبُ إلى النفس من نَغَمات مَعْبَدِها ، وأطالت الوقوفَ عليها رِكاب طَرْفه [فما وقوفُ ركابِ طَرَفَةَ][5] ببُرقةِ ثَهمَدِها[6] ، وضَرِعَ إلى من يشـفّع وسائلَ المتضرّعين ،

---

(١) الحوافر جمع حافرة ، وهى الأرض المحفورة ، كما قاله الأزهرى .

(٢) القبل بضم القاف وسكون الباء الموحدة : الوجه اطر اللسان .

(٣) الإثمد بكسر الهمزة والميم : الكحل الأسود . و يقال إنه معرب . قال ٱبن البيطار فى المنهاج : هوالكحل الأصبهانى ، و يؤيده قول بعضهم : ومعادنه بالمشرق . وهو هنا مذكور على سبيل الأسـتعارة والتمثيل .

(٤) يريد أنه بهذه الرسالة قد أنام الأيام عن محاربته وأغفلها عن الكيد له .

(٥) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار .

(٦) البرقة والبرقاء : أرض غليظـة مختلطة بحجارة و رمل ؛ و جمعها برق بضم الباء وفتح الراء وبراق بالكسر اطر اللسان . وفى معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٧٩ طبع جوتنجن أن (برقة ثهمد) لبنى دارم وذكر فى ج ١ ص ٩٤٢ فى الكلام على (ثهمد) نقلا عن نصر أن ثهمد جبل أحمـر حوله أبارق كثـيرة فى ديار غنى ؛ ونقل عن غيره أن ثهمد موضع فى ديار بنى عامر . وقد أشار الكاتب بهذه العبارة الى قول طرفة ابن العبد فى مطلع معلقته :

لخولة أطلال ببرقـة ثهمـد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

ويملأ مواقعَ آمالِ المتوقّعين؛ أن يَغُلّ عنه كلَّ يدٍ للخطوب بسيطه، ويفكّ به كلَّ رِبْقةٍ[(١)] للأيّام[(٢)] بأعناق بَنيها محيطه .

ومن آخر : رفع الله عمادَ الإسلام ببقاء المجلس، وبَسَط ظلّه على الخلق، ومَلَّك يدَه الكريمةَ قصَبَ السّبق، وجَمَع بتدبيره بين ناصيتَي الغربِ والشرق؛ وألّف لقدرته طاعتَي الجهرِ والسرّ، وصَرّف بعزمته زمامَي النّهي والأمر، وأحْرَزَ لحَدّه مَسَرّتَي الأجرِ والنصر، وقَطّ[(٣)] بفتكته شَوكتَي النفاقِ والكفر — وَردتْ على المملوك مكاتبةٌ كريمةٌ رَفَعها حيث تُرفع العمائم، ومَدَّ اليدَ إليها كما تُمَدّ إلى العمائم؛ وفَضّها، بعد أن قَضَى باللّثم فرضَها، واستَمْطَرتْ نفسُه سماءها فأرضتْ أرضَها، وكاد المملوكُ يتأمّلها لولا أنّ دمعَ الناظرِ إلى العين سبَقَه، على أنه دمعٌ قد تلوّن بتلوُّنِ الأيّامِ في فراقه، فلو فاض لَعَصْفَرَ[(٤)] الكتابَ وخَلّقه[(٥)]، فلا أعدمه الله المولى حاضرا وغائبا، ومُشافِها ومُكاتِبا، وأحلّه[(٦)] في جانب السعادة ويَعِزّ على المملوك أن يَخِلّ من مولاه جانبا .

ومن آخر : ورد كتابُه ووقفتُ على ما أودَعه مِن فصلِ خط وفصلِ خِطاب، وعقائلِ عقولٍ ما كنّا لها من الأكفاء وإن كنّا مِن الخُطّاب[(٧)]، وآثار أقلامٍ

(١) في كلا الأصلين «كل رفعه للأيام» الخ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى وسياق الكلام

تُاضِل عن المِلّة نضالَ النِّصال، وكأنها فضلُ سبقٍ[1] لما تحُوزه مِن حقّ السّبق وخَصْلِ[2] الخصال؛ فأُعيـذَ الإسلام مِن عَدَمه، ولا عدِمَ بَسطةَ قلمِه، وثبوتَ قدمِه؛ فإنه الآن عينُ الآثار، وأثرُ الأعيان، وخاطرُ الحِفظ إلا أنّ الخطوب تَصحب فيه خواطرَ النِّسيان؛ ولَئِنْ آهتَصَر الدهرَ سَطْوا[3]، وآختَصَر خطْوا[4]؛ وإنه سيفُ يمـانٍ إن قَدُم عهدا، فقد حَسُن فِرِندا[5]، وخشن حدّا، وأجرَى نهرا، وأَورَى شررا، وآخضرّ نخيلَه، وقَطَع الأيّامَ جيلَه، وضارَب الأيّامَ فأجفَلتْ[6] عن مضاربه ضرائبُها[7]، وشَيّعتْ عن عزمه غرائبُها؛ ولبِسَها حتى أَنْهَجتْ[8] بَواليًا، ثم آختار منهـا أيّاما وأبى أن يلبسها لياليًا؛ لا جرم أن صحيفتَه البيضاءَ شعارُ شعرِه، وروضة علمه الفَنَاء[9] قد جلت أنوارَ نَورِه، وزواهرَ زهرِه؛ فالزمانُ لا يعدو عليه بزَمانةٍ تعدُو، ولا يتجاوز أوقاتَه إلّا مَوسُومَةً بمحاسنه ولا يعـدو؛ حتى يمُتَّ إليه عدوٌّ[10] يَلتفِتُ[11] أمس، ويَروِىَ اليـوم

(١) يريد، السبق الى الإسلام الذى كان من مفاخر بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، كعلىّ ابن أبى طالب وأبى بكر وغيرهما .

(٢) الخصل : الخطر الذى يتراهن عليه فى الرمى ؛ يقال : أحرز فلان خصله، والمعنى أنه غلب . والخصال : مصدر خاصله، اذا راهنه فى الرمى .

(٣) فى كلا الأصلين : «سطورا» وهو تحريف؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا؛ واهتصر الدهر جذبه وأماله؛ ومن نعوت الأسد المهتصر .

(٤) واختصر خطوا : كناية عن الوثب، فإن الواثب يقل الخطو الى غايته .

(٥) فرند السيف : جوهره .

(٦) أجفلت : قصرت وأسرعت فى الهرب . وفى كلا الأصلين : «وأحفلت» بالحاء المهملة وهو تصحيف .

(٧) الضرائب : جمع ضريبة، وهى فعيلة بمعنى مفعولة . وإنما ثبتت فيه التاء مع أنه بمعنى المفعول لأنه صار فى عداد الأسماء .

(٨) يقال : أنهج الثوب، إذا أخذ فى البلى .

(٩) فى كلا الأصلين : «الحنا» وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(١٠) فى كلا الأصلين : «عليه» وهو تحريف .

(١١) يلتفت، أى ينصرف عنه ويعرض .

أنّ قرابتَه مِن فضـلِه أَمَسّ؛ واللهُ يعـلم أنّى لأَرَى له ولا أَرَى فيــه ، وأَسُدّ عنه كلّ خَرْقٍ تَعجَز عنه يدُ رافِيه؛ ضنًّا بالصدور أن تخلوَ من صدرٍ كقلبها، وحاماةً عن حقوقٍ تَقدِمتِه التى أُوجبها أن تُعارَض بسَلْبها .

ومن آخر : وصل كتابُ الحضرة فحَل مستَقَرَّه النّعمةَ فى الصــدور ، وأخرجتْنى ظلمــاتُ خطّه إلى نور السرور ؛ ووقفتُ وكأنّى واقف على طَللٍ من الأحبّة قد بكَى عليه السحابُ بِطَلّه ، وٱبتَسم له الروضُ عن أخبار أهلِه وآثارِ منهم؛ فلم أزل أرشُف مســكَ سطورِه ولَمَاها، وأنزّه العينَ والقلبَ بين حسنِها وجَناها ؛ وأُطلِقُ عِنانَ شوقٍ جَعَلتُ الأقلامَ له لُجُما ،وحسِبتُ النِّقْسَ ليلا، والكتابَ صُبحا، والوقوفَ عليه حُلُما ؛ إلى أن قضت النفوسُ وَطَرا، وحَمَلتْ الخواطرُ خطره ، وقرنت[1] بما ظَنّته سحابا ما ظنّته مطرا؛ هذا على أنه قريبُ العهد بيدِ النَّعماء، فإن هَرَب من ماءٍ إلى ماء .

ومن آخر : فلمّا وقف على الكتابِ جَدَّدَ العهدَ بلَثمه ما لَم يصِلْ إلى اليد [التى[2]] بعثته، وشَفَى القلبَ بضمّه عوضا عن الجوانح التى نفثته

وأين المطامعُ مِن وصلِه * ولكن أعلّلُ قلبا عليلا.

ومن آخر : وصلَ كتابُه، وكان من لقائه طيفا إلا أنه أَنِسَ بالضياء، ونار حربَ الشوقِ وكان قطبَ الرَّحَى

تَخطَّى إلىّ الهولَ والقفرُ دونه * وأخطارُه لا أصغَرَ اللهُ ممشاه.

---

(١) فى كلا الأصلين : « وقرنته » ، والهاء زيادة من الناسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من (ا) ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما فى (ب) .

ومن كلامه رحمه الله يصف بلاغة كتاب، قال : كتابٌ إلى نحرى ضممتُـه، وذكرتُ به الزمنَ الذى ما ذممتُه، وأكبرتُ قدرَه فحين تسلّمتُه [أستلمتُه][1] والتقطتُ زهرَه فحين لمحتُـه آستملحتُه، وامتزج بأجزاء نفسى فحين لحظتُه حفظتُه ؛ وجمعتُ بينه وبين مستقرّه من صدرى ، وآستطلتُ به مع قِصره على حادثات دهرى، وجعلتُ سِحرَه بين سَحْرى[2] ونحرى ، وآستضأتُ به ورَشَفتُه فهو نهارى وهو نَهرى؛ فإن أردتُ العِطرَ بلا أثرٍ أمسكتُ مِسكَه بيدى، وإن أردتُ السكرَ بلا إثمٍ أدرتُ كأسَـه فى خَلَدى ؛ فلله أناملُ رَقَمْتـه، ما أشرفَ آثارَها ! وخواطرُ أملَتْـه، ما أشرقَ أنوارَها ! ولم أزل متنقلا منـه بين روضةٍ فيهـا غدير، وليلةٍ فيهـا سمير ؛ وإمارةٍ لها سرير ، ومَسَرّةٍ أنا لهـا طليقٌ أسير، ونعمةٍ أنا لهـا عبدٌ بل بهـا أمير؛ حتى أدبَرتْ عنى جيوشُ الأسى مفلوله ، وقَصُرتْ عنّى يدُ الهمّ مغلوله ؛ ومُلئتْ منّى مسامعُ المكارم حمـدا، وخواطرُ الصنائع ودّا ؛ وحَطّ الأملُ بربعى رحلَه ؛ وأنبتَ الربيعُ بفِنائى بَقْـلَه ؛ ولبِستُ من الإقبال أشرفَ خلعه ، ووردتُ من القبول أغزرَ شِرْعه ، وآنتجعتُ من رياض الرجاء أرجى نُجْعه .

وقال أيضا من آخر : هذا مِن عفـوِ الخواطر، فكيف إذا اسـتَدعَى المجلسُ خَطِّيَّـةَ[3] خطِّه بجاءت تَعسِل[4]، وحَشَدَ حُشودَ بلاغتـه فأتت من كل حَدَبٍ[5] تَنسِـــل ! .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من (أ) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضى إثباتها؛ ويرشد إليها أيضا ما يأتى فى الجملتين اللتين بعدها ، والمراد بالاستلام هنا ، التقبيل ، تشبيها له بالحجر الذى يستلمه الحجيج .

(٢) السحر بفتح السين وسكون الحاء المهملة وفتحها : الرئة ، أراد ما يحاذيها من الصدر .

(٣) الخطية : رماح تنسب الى الخط ، وهو مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح لأنها تحمل إليه من الهند فتباع به .

(٤) عسل الرمح عسلا وعسلانا : اشتدّ اهتزازه وآضطرب .

(٥) الحدب بفتحتين : الغلظ المرتفع من الأرض . وتنسل : تسرع .

ومن آخر : ورتّع فى رياض بلاغتــه التى لم يقتطفهنّ مِن قبله غارس ولا جان ، وآجتــلى الحورَ المقصــوراتِ فى الطروس التى لم يَطْمِثهنّ (١) إنسٌ قبــله ولا جانّ؛ وغَنىَ بتلك المحاسن غنًى خيرا مِن المــال ، وآعتقد (٢) فيهــا كنوزا إذا شاء أنفق منها الجُمل، وإذا شاء أَمسَكَ منها الجمال .

وقال أيضا : كتابٌ آشتمَل على بديع المعــانى وباهرِها ، وزَخرتْ بحارُ الفضــل إلا أنى ما تعبتُ فى آســتخراج جواهرِها ؛ بل سبَحتْ حتى تناولتُها ، وجَنحتْ إلىّ فمــا حاولتُها ؛ وآقتبستُ مِن محاسنِ أوصافه ، وبدائع أصنافه؛ نكتًا آستقلّتْ أجسادُها بالأرواح ، وزُهِيَتْ جيادُها بما فيها من الغرر والأوضاح ؛ فيالله مِن بدائعَ وروائع، ولطائفَ وطرائف! فيها ما تَشتهِى الأنفسُ وتَلَذّ الأعين، وما يقرّط الأسماعَ ويقرّط الألسُن (٣) ؛ فكأنه طرفُ (٤) طرفٍ (٤) صَوبُه مِدرار ، وعَلَمٌ عِلْمٍ منصوبٌ فى رأســه نار؛ صَحّح السحر وإن كان ظنّا ، وفضــح الدرّ إذ كان أبرعَ معنى ، وأَسنَى حُسنا، وأَدنَى مَجْنى، وأَغنَى مَغْنى ؛ فمــا ضره تأخيرُ زمانه، مع تقدُّمِ بيانه؛ ولا مَن سبقَه فى عصرِه، مع أنه قد سَبق فى شعرِه .

(١) الطمث : الافتضاض ، وبابه نصر وضرب .

(٢) اعتقد : أحرز وآقتنى .

(٣) يقرط الأسماع ، أى يحلى به الأسماع كما تحلى الآذان بالأقراط ، وهو جمع قرط بضم القاف ، وهو ما يعلق من الحلىّ فى شحمة الأذن . (ويقرط الألسن) من التقريط ، وهو التقطيع ؛ أو هو من تقريط الفرس ، وهو إلجامه ؛ والمراد أن ما فى هذا الكتاب من البلاغة يقطع الألسن عن معارضته ويلجم الأفواه عن مساجلته ؛ وفى الأصول : «يفرط» بالفاء الموحدة فى كلا اللفظين ؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى .

(٤) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجد من معانى هاتين الكلمتين ما يناسب سياق ما هنا ؛ ولعل صواب العبارة : «فكأنه قطر قطر» الخ فالأولى مصدر قطر الماء يقطر ، اذا سال . والثانية بمعنى المطر ، كما تدل على ذلك بقية الجملة .

ومن آخر : وقد هو من كتابٍ لمّا وقفتُ عليه الغُلّةُ شفاها ، ورأت ريّقة الكلّ ماءٍ غيره سَفاها[1] ، ووطّأ مضاجعَ أُنسِها بعد أن كان الشوقُ يُقلّب[2] الجنوبَ على سَفاها[3] ؛ فلا عدم ودّها الذى به عن كلّ مودّةٍ سُلوة ، ولا برحت كالئةً لقد تُعلّيها فى الثّرا وتُعلى قدرَها فى الذُّروه، ولا فقد ممّا ينعِم به أىّ نعمه، ولا ممّا يُغشيه أىّ نشوه .

ومن آخر : كتابٌ كريمٌ تبسّم إلىّ ضاحكا، وظُنّ مدادُه أنه قد جلا سَطرُه علىّ حالكا؛ فما هو إلّا سوادُ الحدقة منه انبعثت الأنوار، و هو إلا سُويداءُ[4] ليلة الوصلِ اشتملتْ على دجًى تحته نهار ، فقد هو من كتابٍ أسفر الدهرُ ذنبَ المشيب بسوادِه، واستدرك الزمانُ غلطَه بسدادِه .

ومن آخر : كتابٌ تقارعتِ الجوارحُ عليه فكادت تتساهم، فقالت اليدُ: أنا أولى به، شدَدتُ على مولاه ومولاى عَقدَ خِنصِرى، ورفعتُ اسمَه فوق منبرى؛ وقبضتُ عليه قبضتى، وبسطتُ فى بسطِ راحتِه وقت الدُّعاء راحتى؛ وقالت العين : أنا أولى به، أنا وعاءُ شخصِه ، والىّ يرجع القلبُ فى تمثيله ونصِّه[5]؛ وأنا سهرتُ بعد رحيلِه وحشَة، وأنا إذا ذُكر هجيرُ القلبِ عَلّتُه[6] رشّةً بعد رشّة ؛ فقال القلب : طمعتما فى حقّ لأنى غائب ، وهل أنتِ لى يا يدُ إلّا خادم ؟ وهل أنتِ لى

(١) السفاه بفتح السين المهملة : الجهل .

(٢) فى (أ) : « مقلت » ، وهو تصحيف .

(٣) السفا : الشوك؛ وفى كلا الاصلين : «شفاها» بالشين المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) سويداء : تصغير لسوداء، ولعله صغرها لوصفهم ليلة الوصل بالقصر عادة .

(٥) النص هنا : الإظهار .

(٦) فى كلا الأصلين : « عليه » ؛ وهو تحريف لا تستقيم به الجملة ، وعلله : من العلل بفتحتين وهو الشرب الثانى .

يا عينُ إلا حاجب ؟ أنا مستقرُّه ومستودَعُهُ ، ومَرتَعه ومَشْرَعُه، وأنا أذ كُرُه و به أذ كُرُكما ، وأُحضِرُه ولخدمتِـه أُحضِرُكما؛ فاليدُ أستخدمُها مَرّةً فى الكتابة إليه ، ومرّة فى شَدِّ الخِنصِر عليه؛ ومَرّةً فى الإشارة الى فضله ، ومَرّةً فى الدعاءِ بكلّ صالحٍ هو من أهلِه ؛ والعينُ آستخدمتها فى ملاحظةِ وجهه آئبا[1] ، وفى تَوقُّع لقائه غائبا[1] ؛ وفى السهدِ شوقا الى قربِه ، والمطالَعةِ لما يَخرُج أمرى بكَتْبِه من كُتُبِه ؛ فهنالك سَلّمتا وآستجرّتا[2] ، وألفتا وآستأخرتا ؛ وكدتُ أُرشِفُ قِسَّه[3] لِأنقلَه الى سُويدائه ، لولا أنّ سواد العين قال : أنا أحْوَجُ الى الآستمدادِ من هُداه .

ومن كلامه رحمه الله تعالى ما رُكّب نصف قرائنه على نصف بيت نحو قوله :

وَصَلَ كتابُ مولاى بعد ما * أصاتَ[4] المنادى للصلاة فأعتما[5]

فلما آستقرّ لدىّ ، «تجلّى الذى من جانب البدر أظلما» فقرأتُه ، «بعينٍ اذا استمطرتُها أمطرتْ دما» وسالتُه، «فساءلتُ مصروفا عن النطقِ أعجما» ولم يردّ جوابا، « وماذا عليه لو أجاب المتيّما » وردّدتُه قراءة ، «فعوجلتُ دون الحلمِ أن أتحلّما» وحفظتُه، «كما يحفظ الحرُّ الحديثَ المكتَّما» وكرّرتُه، «فمن حيثما واجهتَه قد تبسّما» وقبّلتُه ، « فقبّلتُ درّا فى العقود منظّما» وقمتُ له ، « فكنتُ بمفروض

(١) عبارة الأصول : « فى ملاحظة وجهه غائبا ، وفى توقع لقائه آيبا» ؛ وظاهر أن فى نهايتى هاتين الجملتين تقديما وتأخيرا ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٢) استجرتا : انقادتا ؛ يريد انهما وانقتاه على دعواه ؛ والذى فى كلا الاصلين : « استحرتا » بالحاء المهملة والنون ؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى .

(٣) فى كلا الأصلين : « قسه » بالقاء الموحدة ؛ وهو تحريف ؛ والقس بالكسر المداد .

(٤) فى كلا الأصلين : « أصاب » بالباء الموحدة ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وأصات : نادى ؛ وهو من الصوت .

(٥) هذه اللام ساقطة من (أ) ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما فى (ب) .

«الحِبَّة قيّما» وأحلصتُ لكاتبه، «وليس على حكم الحوادث محكما»(1) ولَم أُصدِّقه(2)،
«ولكنّه قد خالط اللحم والدما» وأرّختُ وُصولَه، «فكان لأيام المواسم موسما»
ودلويتُ عليلَ «حَشًا ضَرّما فيه من النار ضُرّما» وشفيتُ غليلَ «فؤادٍ أُمنّيه
وقد بلغ الظما» فأما تلك الأيام التي «حماها من اللوم(3) المُقامُ على الحمى» والليالي
العذابُ التي «ملأن نحور الليل بيضا(4) وأنجما» [فإنّي لأذكُرها(5)، «بصبرٍ كما قد صُرِّمتْ
قد تَصَرَّما»] وأُرسِل(6) الزفره «فلو صافحت(7) رَضوى لَرُضَّ(8) وهُدِّما» وأرسل العبره،
«كما أنشأ الأفُق(11) السحابَ المديّما» وأخطب السلوه(10)، «فأسأل معدوما وأقفِل معدما»

(1) كذا فى كلا الأصلين وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٨ وارتباط هذا الشطر بما قبله من النثر غير ظاهر؛ ولعله: «ولست» بزيادة تاء الضمير يقول: إنى لا أملك ردّ الحوادث التى تعوقنى عن أن أكتب إليه بما عندى له من الشوق. وإذن يكون الارتباط واضحا.

(2) ولم أصدفه، أى لم أعشه بالصدف بفتح الصاد والدال، كما يعشى الدر. والذى فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٨ «ولم أصدقه» بالقاف المثناة وهو تصحيف.

(3) كذا فى تذكرة الصفدى المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٠ أدب. والذى فى كلا الأصلين وصبح الأعشى. «حماها على اللوم» الخ. ولم نقف فى [illegible] اللغة على تعدية هذا الفعل بـ «على».

(٤) البيض: جمع أبيض، ومن معانيه الرجل النقىّ العرض؛ والظاهر أن ذلك هو المراد هنا، يريد وصف خلانه وجلسائه بنقاء أعراضهم من الدنس والعيوب؛ وأنهم كالنجوم فى علو الشرف وبعد المنزلة.

(٥) هذه التكملة ساقطة من كلا الأصلين وصبح الأعشى، وقد نقلناها عن تذكرة الصفدى، اذ لا يستقيم الكلام بدونها.

(٦) فى كلا الأصلين. «وأرسلت» بصيغة الماضى وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ليوافق ما بعده وما قبله.

(٧) فى (أ) «فما صافحت» وهو غير مستقيم؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا كما فى (ب) وتذكرة [illegible].

(٨) رض [illegible] من الرض، وهو الدق والكسر.

(٩) أنشأ الأفق السحاب، أى رفعه.

(١٠) [illegible] شديد [illegible] من ديم السحاب، أى دام مطره. [illegible] وهو الأصل [illegible]

(١١) أ[illegible] . [illegible] القفول، وهو الرجوع.

فأما الشكرُ فإنما « أفضّ به مسكا عليك مختّما » وأقوم منه بفرض « أرانى به دون البريّة أقْوَما » وأوَفّى واجبَ قرض، «وكيف تُوَفّى الأرض قَرْضا من السما» .

وقال أيضا : وصل كتّابُ الحضرة[1] بعد أن عددتُ الليالىَ لطلوع صَديعه[2] «وقد عشتُ دهرا لا أعُدّ اللياليا» ، وبعد أن انتظرتُ القيظَ والشتاءَ لفصلِ ربيعه « فما للنوى ترمِى بليلى المراميا» ! واستروحتُ إلى نسيم سَحَرِه، «إذا الصيفُ ألْقَى فى الديار المراسيا » ومددتُ يدى لاقتطاف ثَمَرِه ، « فلله ما أحلَى وأحْمَى المجانيا[3] ! » ووقفتُ على شكواه مِن زمانه ، «فبتُّ لشكواه من الدهر شاكيا» وعجبتُ لعمى الحظِّ عن مكانه « وقد جمع الرحمن فيه المعانيا » وتوقّعتُ له دولةً يعلو بها الفصل « إذا هزّ مِن تلك اليراع عَواليا » ورتبةً يرتَقِى صهوتَها بحكم العدل « فربّ مَراق يُعتدَدن مَهاويا» وإلى الله أرغب فى إطلاع سعودِه، «زواهرَ فى أفق المعالى زواهب ، وفى ،بهاض عَثَرات جدودِه، « فقد أعثرتْ بَعدَ النهوض المعاليا » .

وقال أيضا :

وصلَ من الحضره

كتابٌ به ماءُ الحياةِ وبعضُ الـ * ـحيا فكأنّى إذ ظفِرتُ به الخضِرْ

ووَقَفَ عبدُها منه على

عقودٍ هى الدرُّ الذى أنت بحرُه * ويا ... الا ... مثله البحرْ

(١) كذا فى (ب) ؛ ولم يرد من هذه الكلمة فى (أ) ... وهو ... .

(٢) الصديع : الصبح .

(٣) فى (أ) : « الحاميا » وفى (ب) «الحاميا» ، وهو ... أثبتنا الطرتذكره الصفدى وسح الأعشى ج ١ ص ٢٧٩ وأراد بقوله : «وأحمى ... » ... لصيانة ... ممنعة غير مبتذلة .

ورَتَعتُ منه فى

رياضِ [يدٍ](١) تُجنَى وعَينٍ وخاطِرٍ * تَسابقَ فيها النَّورُ والزهرُ والثُّمْــرُ(٢)

وكَرَعتُ منه فى حياضٍ

تَسُرُّ مجانيهـا اذا ما جنى الظما * وتُروِى مجاريها اذا بَخِـل القَطرُ

وما زلتُ منه أنشد

كأنّىَ سـارٍ فى سَريرة ليــلةٍ * فلمّـا بدا كبّرتُ إذ طلع الفجرُ

ووافَى على ماكنتُ أعهد

فخلتُ بأنّ العين من سُحْبِ كفّه * فمِن ذى ومن ذى [فيه](٣) يَنتثِر الدرُّ

وأسترجع فائتَ الدنيا من مَوردِه

وما كان عندى بعد ذنبِ فراقِه * بأنّى أرَى يوما به يَعِــد الدهرُ

ونفّس عن النفسِ بأبيض ثِمادِه(٤)، وعن العينِ بأسْوَدِ إثْمِدِه

به لهما سبحٌ طويلٌ فهــذه * على خاطرٍ بَردٌ وفى خَطَرٍ(٥) بدرُ

وجَدَّدَ اليه أشواقا جديدُها

يمرّ به ثوب الجديدين دائمـا * فيبلى ولا تَبلَى وإن بَلِىَ الدهرُ

وذَكّرَ أياما لا يزال يستعيدها

وهيهـات أن يأتى من الدهر فائتٌ * فدع عنك هذا الأمرَ قد قُضِىَ الأمرُ .

(١) هذه الكلمة ساقطة من (أ)؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدى وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٦ إذ بها يستقيم البيت .

(٢) الثمر بضم الثاء والميم جمع ثمار بالكسر كما فى المصباح؛ وهذا الجمع يجوز فيه إسكان عينه المضمومة كما هنا .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (أ)؛ واستقامة الوزن تقتضيها؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدى .

(٤) كذا فى كلا الأصلين . والذى وجدناه فيما لدينا من كتب اللغة أن الثماد بكسر أوله : الماء القليل كالثمد بالتحريك؛ فكأنه يريد تشبيه الكتاب بالماء فى أنه يشفى الظمأ وينقع الغلة .

(٥) أراد بالخطر هنا : الامر المخوف .

وكلامُ[1] القاضى الفاضل — رحمه الله — كثيرٌ بأيدى الناس منه عدّةُ مجلّدات، أخبرنى من أثق بقوله من القضاة الحكام الأعيان أنه يزيد على خمسين مجلّدا قد جُمعتْ، أما ما لم يجمعه الناس فكثير جدا؛ وقد نقل بعضُ مَن أرّخ، أنه وجد للقاضى الفاضل مسوّداتِ كتب صدرتْ عنه وأجوبةٍ تزيد اذا جُمعتْ على مائة مجلّد، ولا يحتمل الحال أن نورد له أكثرَ مما أوردناه، ورسائلُه المختارةُ كثيرةٌ قد يكون فيها أجودُ مما اخترناه ونحوه، وإنما أوردنا له ماحضر فى هذا الوقت، إذ لم يمكن البحث عن كلامه والاستقصاء، وإن كان كلُّ رسائله مختارةً رحمه الله

ذكر شيء من رسائل الشيخ الإمام الفاضل ضياء الدين

أبى العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العابد القدوة أبى عبد الله محمدِ بنِ عمرَ بنِ يوسفَ بنِ عمرَ[2] بنِ عبد المنعم الأنصاريّ القرطبيّ رحمه الله، — وكانت وفاته بقنا من أعمال قوص فى سنة اثنتين وسبعين وستمائة —

كتب إلى شيخنا الإمام العلّامةِ تقىّ الدين محمد ابنِ الشيخ الإمام الحَبْرِ مجدِ الدين أبى الحسن علىّ بنِ وهب بنِ مطيع القُشيرىّ المعروفِ بابن دقيق العيد رحمهم الله تعالى : تخدُم المجلس العالىَ صفاتٌ يقف الفضلُ عندَها، ويقفُو الشرفُ مجدَها، وتلتزِم المعالى حمدَها، وسِماتٌ يبتسم ثغرُ الرياسة منها، وتُروَى أحاديثُ السادة عنها؛ الصدرىّ الرئيسىّ المفيدىّ؛ معانٍ استحقّها بالتمييز، واستوجبها بالتبريز، وسبكته الإمامةُ لها فألفته خالصَ الإبريز؛ ومعالٍ أقرّته فى سويدائها، وأطلعته فى سمائها،

(١) كذا فى (ب) والذى فى (ا) «ومن كلام» وقوله : «من» زيادة من الناسخ .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ؛ وقد ورد هذا النسب فى بعض المصادر ساقطا منه هذا الجد الثالث وهو عمر انظر كتاب الطالع السعيد لكمال الدين الإدفوى ص ٥٤ طبع الجمالية فى ترجمة محيي الدين أحمد بن محمد ابن أحمد حفيد ضياء الدين أبى العباس ابن القرطبي .

وألبسته أفضـل صفاتها وأشرف أسمائها ؛ العلّامىّ الفاضلىّ التقوىّ ؛ نسبٌ آختص به آختصاص التشريف، لا تعريفا[(١)] له فالشمس تستغنى عن التعريف ؛ لا زالت إمامتُـه كافلةً بصـون الشرائع ، واردةً من دين الله وكفالة أئمة رسـول الله أشرف الموارد وأعذب الشرائع[(٢)] ، آخذةً بآفاق سمـاء الشرف فلها قمراها والنجومُ الطّوالع[(٣)] ، قاطعةً أطماع الآمال عن إدراك فضله وما زالت تُقطّع أعناقَ الرجال المطامع[(٤)] ، صارفةً عن جلاله مَكارهَ الأيام صرفا لا تَعتورُه القواطع ، ولا تعترضه الموانع ؛ ويُنهِى و رودَ عذرائه التى « لها الشمسُ خِدْنٌ[(٥)] والنجومُ ولائدُ » وحسنائه التى « لها الدرُّ لفظٌ والدّرارى[(٦)] قلائدُ » ومشرّفته التى « لها من براهين البيان شواهدُ » وكريمته التى « لها الفضلُ وِردٌ والمعالى موائدُ[(٧)] » ووديعتِه التى « لها بين أحشائى وقلبى مَعاهدُ »

وآيتِـه الكبرى التى دلّ فضلُها * على أنّ من لم يشهدِ الفضل جاحدُ
وأنك سيفٌ ســلّه الله للهـــدى * وليس لسيفٍ ســلّه الله غامـدُ

---

(١) فى (أ) : «لاتشريفا» وفى (ب) : «تشريفا» بسقوط « لا » ؛ وما أثبتناه هو المناسب لسياق الكلام .

(٢) الشرائع جمع شريعة ؛ وهى مورد الشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون ، والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء عدّا لا انقطاع له ، و يكون ظاهرا معينا لايسقى بالرشاء . ولا تكرار بين ما هنا وما سبق لاختلاف المعنى .

(٣) أشار بهذه العبارة إلى قول جرير :

أخذنا بآفاق السماء عليكمو * لنا قمراها والنجوم الطوالع

(٤) أشار بهذه العبارة إلى قول البعيث المجاشعى :

طمعت بليلى أن تريع وإنما * تقطع أعناق الرجال المطامع

(٥) فى (أ) : « حدث » وفى (ب) «هدب» ؛ وهو تحريف فى كلتا النسختين .

(٦) الدرارى : الكواكب العظام التى لا تعرف أسماؤها ، قاله الفراء .

(٧) فى كلا الأصلين وكتاب الطالع السعيد ص ٥٨ طبع الجمالية : «موارد» ؛ وهو تحريف لحصول التكرار به مع قوله : «ورد» .

فلمثلها يحسن صوغ السوار ، ولفضلها يقال : " أناةً أيها الفلكُ المُدار " وإنما في العِلم أصلُ فرعٍ نابت ، والأصل علةُ النشأة والقرار ، وفرعُ أصلٍ[1] ثابت ، والفرعُ فيه الورقُ والثمار ؛ هذه التي وَقفتْ قرائحُ الفضلاء على استحسانها ، وأوقفتني[2] على قدم التعبُّدِ لإحسانها ، وأيقنتُ أنّ مفترقَ الفضائل مُجتمعٌ في إنسانها ، وكنتُ أعلم عِلمَها بالأحكام الشرعية فاذا هي في النثر ابنُ مقفَّعها ، وفي القصائد أخو حسّانِها ؛ هـذه وأبيك أمُّ الرسائل المبتكَره ، وبنتُ الأفكار التي هذّبتها الآدابُ فهي في سهل الإيجاز البرزةُ[3] وفي صَونِ الإعجاز المخدَّره ، والمليئةُ بِبدائع البدائه ، فمتى تقاضاها متقاضٍ لم تقُل : " فَنَظِرَةٌ إلَى مَيْسَرَةٍ " ؛ والبديعةُ التي لم تُوجِّه اليها الآمالُ فكرَها لاستحالةِ غيرِ مسبوقٍ بالشعور ، ولم تسمُ اليها مقلُ الخواطر لعـدمِ الإحاطة بغيبِ الصدور قبلَ الصدور ، والبديهةُ التي فَصّل البيانُ كلماتها تفصيلَ الدرر بالشذور ؛ إنّ كَلِمَها لَيَميس في صدورها وأعجازِها ، ويختال في سطورها وإعجازِها ، وتنثال[4] عليها أغراض المعاني بين إسهابِها وإيجازِها ؛ فهي فرائدُ ائتلفتْ من أفكار الوائليِّ والإياديِّ ، وقلائدُ انتظمتْ انتظامَ الدراريِّ ، ولطائمُ[5] فُضّتْ عن العنبر الشِّحريِّ[6] والمسـكِ الداريِّ[6] ؛ لا جرم أن غوّاصِي الفضائل ظلوا في غمراتها خائضين ، وفُرسانَ

(١) كذا في (ب) ، والذي في (ا) « وأصل فرع » وهو مكرر مع ماقبله .

(٢) كذا في كلا الأصلين ؛ وأوقفه بالهمز لغة رديئة كما في اللسان ؛ وقد نقلها ابن السكيت عن الكسائي وقيل : وقفه وأوقفه سواء .

(٣) البرزة : البارزة المحاسن . وفي (ا) : « البررة » براءين مهملتين ؛ وهو تصحيف .

(٤) تنثال : تتابع .

(٥) اللطائم : أوعية المسك ، الواحد لطيمة .

(٦) الشحري : نسـبة الى الشحر ، وهو صقع بساحل بحر الهنـد من ناحية اليمن قال الأصمعي : هو بين عدن وعمان ، واليه ينسب العنبر الشحري « ياقوت » . والداري : نسبة الى دارين ، وهي فرضة بالبحرين فيها سوق كان يحمل اليها المسك من ناحية الهند « اللسان » مادة « دور » .

الكلام أضحَوا فى حَلَباتها راكِضين، وأبناءَ البيان تُلِيَتْ عليهم آياتُها "فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ" .

ما إنْ لها فى الفضل مِثْلٌ كائنٌ * وبيانُها أحلى البيانِ وأمثلُ

فالعجزُ عنها مَعْجِزٌ[1] متيقَّنٌ * ونبيُّها بالفضل فينا مرسَلُ

ما ذاك إلا أنّ ما يأتى به * وحىُ الكلام على البراعة ينزلُ

بزغَتْ شمسا لا ترضَى غيرَ صدرِه فَلَكا، وانقادت معانيها طاعةً لا تختار سواه مَلِكا، وانتبَذَتْ بالعراء فلا تخشى إدراكَ الإنكار ولا تخاف دَرَكا، ونَدَّت شواردُها فلا تقتنصها الخواطرُ ولو نصبَتْ هُدْبَ الجفون شَرَكا

فلِلأصائلِ[2] فى عليائها سَمَرٌ * إن الحديث عن العلياء أسمارُ[3]

وللبصائرِ هادٍ مِن فضائلِها * يهدى أُولى الفضلِ إن ضلّوا وإن حاروا

بادِى الإبانةِ لا يخفى على أحد * "كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ"

أَعْجِب بها من كَلِمٍ جاءت كغمامِ الظِّلالِ على سماء الأنهار! وسَرتْ كعليل النسيم عن أندية الأسحار، وجُلِيَتْ محاسنُها كلؤلؤ الطلّ على خدود الأزهار، وتجلّت بوجه الحسناء فى فَلَك الأزرار، وأهدت نفحةَ الروض متأوِّدَ الغصن بليلَ الإزار، فأحيتنا بذلك النفَسِ المِعطار، وحيّتنا بأحسنَ [من][4] كأسَىْ لَمًى وعُقار، وآسَىْ [illegible]

(١) المعجز بكسر الجيم وفتحها مصدر [illegible] بمعنى العجز .

(٢) الأصائل، جمع أصيل، وهو [illegible] الرأى . وفى كتاب الطالع السعيد ص ٩٥ [illegible] والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) الأسمار بفتح الهمزة جمع سمر [illegible] والميم، وهو معروف؛ ويجوز [illegible] «أسمار» بكسر الهمزة على احتمال أن أسمر فلان بالمسر[illegible] فى سمر كما فى اللسان عند قول عبيد بن الأبرص

فهى كنبراس النبيط أو الـ * فرض بكف اللاعب المسمر

(٤) كذا فى (ب) والطالع السعيد؛ ومكان هذه الكلمة فى (أ) باء موحدة بعدها [illegible] لها معنى .

ولؤلؤى حَبَبٍ وثغر، وعَقيقَىْ شفةٍ وخمر، وربيعَى زهرٍ ونهر، وبديعَى نظمٍ ونثر؛ ولم أَدْرِ ما هى أثغورٌ ولآلئ؟ أم شذورُ قلائد؛ أم توريدُ خدود، أم هيفُ قدود؛ أم نهودُ صدور، أم عقودُ نحور؛ أم بدورٌ ائتلقتْ فى أضوائها، أم شموسٌ أشرقت فى سمائها ؟

٥ جَمَعن شتيتَ الحسن مِن كلِّ وجهة * فحيّرن أفكارى وشيّبن مَفرِقى
وغازلها قلبى بودٍّ محقَّقٍ * وواصلها ذكرى بحمدٍ مصدَّقِ
وماكنتُ عشّاقا لِذات محاسنٍ * ولكن من يبصرْ جفونك يَعشَقِ
ولم أدر والألفاظُ منها شريفةٌ * الى البدر تسمو أم إلى الشمس ترتقى

إنما هى جملةُ إحسان يُلقى اللهُ الرُّوحَ مِن أمرِه على قلبها، أو روضةُ بيان «تُؤْتِى أُكُلَهَا
١٠ كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»؛ أو ذاتُ فضلٍ اشتملتْ على ذوات الفضائل ، وجنت ثمر العلوم فأَجْنَتْها بالضحى والأصائل؛ أو نفسٌ زكت فى صنيعها، ونَفَثَ رُوحُ القُدُس فى رُوعها؛ فسلكتْ سُبُلَ البيان ذُلُلا، وعدمَتْ مماثِلا فأضحت فى أبناء المعالى مَثَلا؛ وسَرتْ الى حَوْز الأمانى والأنامُ نيام، فوهب لها واهبُ النعم أشرفَ الأقسام؛ فجادت فى الإنفاق، ولم تُمسكْ خشيةَ إملاق، وقيّدتْ نفسها فى طَلَق[1] الطاعة فجاءها
١٥ توقيعُ التفضيل على الإطلاق

أَنَّى لىَ مَعْزاها أخا الفهم إنها * الى الفضل تُعزَى أم الى المجد تُنسَبُ
هى الشمسُ إلّا أنّ فكرَك مَشرِقٌ * لإبدائها عندى وصدرى مَغرِبُ
وقد أبدعَتْ فى فضلها وبديعها * فجاءت اليا وهى عنقاءُ مُغرِبُ[2]

(١) فى طلق الطاعة» اى فى قيدها؛ وأصل الطلق بالتحريك، القيد من جلود .
٢٠ (٢) شبه هذه الرسالة بالعنقاء المغرب، وهى التى أعرست فى البلاد ونأت ولم تحس ولم تر؛ والمراد أن هذه الرسالة غريبة فى بلاغتها وحسن بيانها، ولا عهد للكتّاب بأمثالها .

فأعرَب عن كلّ المعانى فصيحُها * بما عجزتْ عنـه نِزارٌ ويَعرُبُ

ومذ أشرقَتْ قبـل التناهى بأوجِها * عفا فى سناها بدرُ تمٍّ وكوكبُ

تنـاهت علاءً والشبـابُ رداؤها * فما ظنكم بالفضل والرأس أشهَبُ

لئن كان ثغرى بالفصاحة باسما * فثغرك بسّام الفصاحـة أشنبُ

وإن ناسبَتْنى بالمجاز بلاغةٌ * فأنت إليها بالحقيقـة أنسَبُ ٥

ومذ وردَتْ سمعى وقلبى فإنها * لتُوَكل حُسْنا بالضمير وتُشرَبُ

وإنى لَأشـدو فى الورى بثنائها * كما ناح فى الغصن الحمامُ المطـرّبُ

وتشهـد أبناء البيان إذا انتـدَوا * بأنىَ من قسّ الإيادىّ أخطَبُ

وإنّى لَتـدنينى الى المجـد عصبةٌ * كرامٌ حوتهـم[1] أوّلَ الدهر يثربُ

وأنّى إذا خان الزمان وفاءَه * وفىٌّ علـى الضراء حرٌّ مجـرّبُ ١٠

إباء أبت نفسى سـواه و[illegible] * قضى لى بها فى المجد أصلٌ مهذّبُ

ونفسٌ أبت الا اهـتزازا إلى العلا * كما اهـتزّ يومَ الرّوع رمحٌ ومِقضَبُ[2]

ولى نسبٌ فى الأكرمين تعـرّقَتْ * إليـه المعالى فهو ريّانُ[3] مخصِبُ[4]

نمتْـهُ أصول فى العـلاء أصيلةٌ * لها المجدُ خِدْنٌ والسيادةُ مَركَبُ

تلاقَى عليـه المطعمون تكرّما * اذا احـمرّ[5] أفقٌ بالمجرّة[5] مجـدبُ ١٥

من اليمنيّين الذين سما بهم * الى العزّ بيت فى المعالى مطنّبُ

(١) فى كلا الأصلين : « حوتهم » ، وهو تحريف .

(٢) المقضب : السيف القاطع .

(٣) فى بعض المصادر «عريان» ، وما أثبتناه هو المناسب [illegible]

(٤) المراد بوصف هذا النسب بالإخصاب [illegible] .

(٥) احمرار الأفق كناية عن الجدب [illegible] السنة [illegible] . والمجرة : البياض المعترض فى السماء ، [illegible] .

قَروا تُبَّعا بيضَ المواضى ضَحاءه[1] * وكُومَ[2] عِشارٍ بالعشيّات تُضْهَبُ[3]

فرحّلَه الجودُ العميم ومنصُلٌ[4] * له الغمدُ شرقٌ والذوائبُ مَغربُ

وهم[5] نَصَروا والدين عزّ نصيرُه * وآوَوا وقد كادت يدُ الدين تُقضَبُ

وخاضوا غمارَ الموت فى حومة الوغى * فعاد نهارا بالهدى وهو غيهبُ

٥ أولئك قومى حسبى الله مثنيا * عليهم وآىُ الله تُتلَى وتُكتَبُ

هذه اليتيمة أيدك الله مِلْحتُها الإحماض[6]، وتحليتُها[7] الألفاظُ فى أبعاض الاعتراض لِتَسرحَ مقلُ[8] الخواطر فى مختلفات الأنواع، ويتنوعَ[9] الواردُ على القلوب والأسماع، وإلا فلا تَماثُل فى الأدوات، وان وقع التماثُل فى الذوات، كالجمع بين النُّورِيّة فى

(١) ضحاءه، أى فى وقت ضحائه، والضحاء: إذا امتد النهار وكرب أن ينتصف. وفى كلا الأصلين.
١٠ «ضحاة» وهو تحريف.

(٢) الكوم: النياق العظيمة الأسنمة؛ واحده كوماء بفتح الكاف.

(٣) فى كلا الأصلين وغيرهما من المصادر: «تهصب» بتقديم الهاء على الضاد، ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق. «وتضهب» بالبناء للمجهول: من قولهم ضهبه بالنار كنعه، إذا لوحه وغيره، كما فى القاموس وشرحه، وهم يمدحون الشواء الذى لم يتم نضجه لما فى ذلك من التعجيل بقرى الأضياف أنشد الكلابىّ

١٥ خير الشواء الطيب الملهوج * قد هم بالنضج ولما ينضج

أو لعله من صهب اللحم بتشديد الهاء، أى قطعه، وإذن يكون صواب البيت: «بالعشىّ تصهب» بإفراد العشىّ ليستقيم الوزن.

(٤) المنصل: السيف.

(٥) فى كلا الأصلين: «بهم» بالباء؛ وهو تحريف.

٢٠ (٦) كأن الكاتب يريد تشبيه رسالته اذا سبقت الى رسالة ابن دقيق العيد بإحماض الابل بعد أن تسأم الحلو من النبات؛ كما يرشد الى ذلك سياق الكلام الآتى؛ والاحماض مصدر أحمضت الابل اذا أكلت الحمض وهو ما ملح وأمر من النبات؛ وهو كالفاكهة للابل تأكله عند سأمها من الخلة.

(٧) فى (أ) «تجليهم»، وفى (ب) «وتحكيم»، وهو تحريف فى كلتا النسختين.

(٨) كذا فى الطالع السعيد؛ والذى فى كلا الأصلين: «بنقل» الخ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى.

٢٥ (٩) فى كلا الأصلين: «وينوع»؛ وهو تصحيف.

السراج والشمس ، وآشتمالِ الإنسانيّةِ على القلامة والنفس(١)، والتواردِ الإدراكيّ بين كلّيٍّ بالعقل، وجزئيٍّ بالحسّ(٢)؛ وكالعناصر فى افتقار الذوات اليها، وان تميّزت الحرارة عليها؛ وكالمشاركة الحيوانيّـة فى البضعة اللسانيّـة ، واختصاص الناطقيّة بالذات الإنسانيّة؛ فسيّدنا ثمرُ الروض ونسيمُه، وسواه ثراه وهشيمُه، وزهرُه وأنداؤه، وغيرُه شوكُه وغُثاؤه؛ والبدرُ و إشراقُه، وســواه هلاليّتُه ومُحاقُه؛ اشـتراكٌ فى الأشخاص، وامتياز فى الخواصّ؛ ومشابهَة فى الأنواع والأجناس، ومغايرَة فى العقول والحواسّ؛ كالورد والشَّقيق ، والقَهرمانِ(٣) والعقيق ؛ تمـاثلَا فى الجواهر والأعراض ، وتغايرَا فى تميز الأغراض؛ فسيّدنا من كلِّ جنسٍ رئيسُه، ومن كلِّ جوهرٍ نفيسُه؛ وأما حسناءُ الملوك على مذهبهم فى تسمية القبيح بالحَسَنِ ،والحَسَنِ بالقبيح ،والضريرِ بالبصيرِ والأخرسِ بالفصيح ؛ فمـا صَدّت ولا صَدّت يمنى كاسِها(٤) . ولا شذّت فى مذهب ولائه عن آطّراد قياسها، ولا زَوَتْ عن وجه جلالتِه وجهَ إيناسِها، ولا جهلَتْ أنه فى العلوم الشرعيّة ابن أنَسِها، وفى المعانى الأدبيّة أبو نواسِها؛ ولا خفِيَ عنها أن سيّدنا مجرَى اليمين(٥) ، وفى وجه السيادة إنسانُ المقـلة وغرّةُ الجبين، والدرّةُ فى تاج الجلالة

(١) كذا فى الطالع السعيد؛ والذى فى كلا الأصلين : « ى » ؛ وهو غير مستقيم .

(٢) أشار بهذه العبارة الى ما هو معروف فى كتب المعقول من أن المـاهيات الكلية انما يدركها العقل دون غيره؛ وذلك لأنها ليس لهـا وجود فى الخـارج، وأما جزئيات هذه المـاهيات وأفرادها فإنها تدرك بالحس لوجودها الخارجىّ .

(٣) يقال فيه أيضا «الكهرمان» بالكاف ؛ والكهرم بجعفر . انظر تاج العروس مستدرك مادة « كهم» .

(٤) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

صددت الكأس عنـا أم عمرو * وكان الكأس مجـراها اليمينا

(٥) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم فى البيت السابق فى الحاشية رقم ٤ من هـذه الصفحة «وكان الكأس مجراها اليمينا» ؛ والمعنى أنه أولى من سواه بالتقديم .

والشَّذْرةُ فى العقد الثمين، وأنه الصدرُ الذى يأْرِزُ العِلمُ[١] إلى صدرِه، وتُقتَرحُ[٢] عقائلُ المعانى من فكرِه، وتأتمّ الهداةُ ببدرِه، وتَنتمِى[٣] الهدايةُ إلى سرِّه، وأنها فى الإيمان بمحمديّته أمُّ عمارة[٤] لا أمُّ عمرِه؛ وأنه غاية فخارِها؛ ونهايةُ إيثارِها، [وآيةُ نهارِها][٥] ومستوطَنُ إفادتها بين شموس فضائله وأقمارِها؛ فكيف تَصُدّ وفيه كلّيّةُ أغراضِها، ومنه عليّـةُ جملتِها وأبعاضِها، وفى محلّه قامت حقائقُ جواهرِها وأعراضِها؛ لكنّها توارت بالحجاب، ولاذت بالاحتجاب، وقُـرِبَ بالمجلس الكمالىّ ليكمّل ما بها من نقصِ كمالٍ وكمالِ عيب، وتجمعَ بين حقيقتَى إيمان الشهادة والغيب، وتُعرَضَ على الرأى التقوىّ سليمةَ الصدر نقيّةَ الجيب، وأشهَدُ أنها جاءت تمشى على استحياءٍ[٦] وليست كبنت شعيب؛ هـذا ولَمْ تشاهدْ وجهَ حسـنائه، ولا عاينَتْ سُكَينةَ[٧] حسينِه وهند[٧]

---

(١) يأرز . يأوى و يلجأ؛ وفى كلا الأصلين : «بارذ»؛ وفى الطالع السعيد : «يأزر» وهو تصحيف فى جميعها .

(٢) تقترح : تستنبط أو أنها تبتدع من غير سبق مثال؛ وفى الطالع السعيد «تمرّع» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٣) تنتمى : تنتسب؛ وفى الطالع السعيد : «و تنتهى» بالهاء؛ والمعنى يستقيم على كلا الوجهين .

(٤) أم عمارة : هى نسيبة بنت كعب إحدى نساء بنى مازن بن النجار؛ وكانت ممن شهدوا بيعة العقبة الثانية هى وأسماء بنت عمرو بن عدىّ أم منيع احدى نساء بنى سلمة؛ انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٥ طبع بولاق والمراد وصف هذا الإيمان بأنه ثابت لا يقبل الشك لأنه عن مشاهدة وعيان كإيمان أم عمارة .

(٥) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) وكتاب الطالع السعيد ص ٦٢ طبع الجمالية .

(٦) أشار بهـذه العبارة الى قوله تعـالى فى سورة القصص : «فجاءته إحداهما تمشى على استحياء» الآية انظر تفصيل هذه القصة فى كتب التفسير .

(٧) يريد السـيدة سكينة بنت الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم؛ وكان قد تزوجها مصعب بن الزبير ثم مات عنها، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام؛ وآخر من تزوجها زيد ابن عمرو بن عثمان بن عفان؛ وكانت وفاتها سنة سبع عشرة ومائة (وفيات الأعيان) . أما هند فهى بنت أسماء ابن خارجة وكان قد تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفىّ بعد بشر بن مروان؛ وكانت سكينة وهند من أجمل نساء العرب وأظرفهن .

أسمائه ، ولا قابلَتْ نيّرَ فضلِه وبدرَ سمائه؛ أقسم لقد كان يصرفها الوجل، ويقيّدها الخجل؛ عالمةً أنّ البحر لا يُساجَل، والشمسَ لا تُماثَل؛ والسيفَ لا يُخاشَن، والبدرَ لا يحاسَن؛ والأسدَ لا يُكْعَم(1)، والطّودَ لا يُزْحَم؛ والسحابَ لا يبارَى، والسيلَ لا يُجارَى؛ وأنّى تبلُغُ الفلَكَ هامةُ المتطاوِل، "وأين الثريّا من يدِ المتناوِل"؛ تلك عوارفُ آستولت على المعالى آستيلاءَها على المعالم، وشهِدَتْ لها الفضائل بالسيادة شهادةَ النبوّة بسيادة قيس بن عاصم(2)؛ ولا خفاءَ بواضح هذا الصواب، عند مقابلة البداية بالجواب؛

فالشمسُ أوضحُ مِن ضياء الأنجمِ * ما البَيِّنُ الأعلَى كداجٍ مظـلِمِ

يا مُـثرِيا مِن كلّ عـلمٍ نافعٍ * أيقاس مـثرٍ فى العلوم بمعـدمِ

أَوْكَفْتَ(3) فضلَك فى رذاذ غمائمى * ما للرذاذ يدٌ بنَـوْءِ المُرزِمِ(4)

وانصبّ بحرُك فى ربيع(5) خواطرى * ما للربيـع وفيضَ بحـرٍ أعظمِ

وسَللتَ سيفَ العلم أبيضَ مِخْذَما * كالبرق يلمع فى غمامٍ مُثْجِمِ(6)

فلّتَ حدَّىْ معضَدٍ(7) فى راحتى * ما للكهام وحدِّ أبيضَ مِخْذَمِ(8)

---

(1) يكعم : يشد على فيه ، وهو من كعم البعير أى شدفاه عند هياجه لئلا يعض أو يأكل . أو هو من كعمه الخوف : اذا أمسك بفيه ، وهو على المثل .

(2) أشار بهذه العبارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم فى قيس بن عاصم المنقرى : "هذا سيد أهل الوبر" (الأغانى) ج ١٢ ص ١٥١ طبع بولاق .

(3) كذا ورد هذا الفعل فى كلا الأصلين بالألف ؛ والذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أنه يتعدى بنفسه لا بالهمز، يقال : وكفت العين الدمع أى أسالته قاله اللحيانى . أما أوكف بالألف فلم نقف عليه إلا لازما يقال : أوكف البيت والسطح بالمطر، أى هطل وقطر .

(4) المرزم : من أرزم الرعد إذا اشتدّ صوته .

(5) الربيع : النهر الصغير .

(6) المثجم : السريع المطر؛ وفى (ا) : «متجم» بتاء مثناة بعدها جاء فوقية؛ وهو تصحيف .

(7) المعضد : السيف الذى يمتهن فى قطع الشجر .

(8) المخذم بكسر أوله من السيوف : القاطع .

يا سابقا جُهــدى مصــلِّ عفوِه * ما للسُّكيت[1] يدٌ بعفــو مطهِّم[2][3]

بذّ الســوابقَ فى العـلوم وحازها * بالكسب منـه والـتراث الأعظمِ

العــلم علمُ محمــد وكفى به * وعلىٌّ البــابُ المبلِّـغ فاعــلَمِ

ماكنتُ أوّلَ مُحجِمٍ عن موردٍ * عذُبتْ مــوارده لقَــرْنٍ مُجحِمِ[4]

٥ سابقتُ سُبّاقا شأَوتُ[5] بيانَهــم * ببــديع نثرٍ أو بليــغ منظَّــمِ

وسـقيتُ بالكأس الكبـيرة منهما * لمـا سـقوا بالأصــغر المتثــلِّمِ

حتى اذا سابقتُــه وهو[6] ابنُ بحــر أو أبو بحــرٍ إليــه ينتمِى

طــارت فضــائله إلى عليائهــا * بجنــاح فتخاءٍ[7] ونســرٍ قَشْعَمِ

وسمــا به العــلم الأجلُّ محــلّه * حتى توقَّــل[8] فى المحــلّ الأعظمِ

١٠ ومشى حضــارا[9] فانثنيتُ مقصّرا * أتجول خيــلى فى مقَــرّ الهَيثمِ[10]

(١) فى (أ) : « عهدى » بالعين المهملة ؛ وهو تحريف . والمصلى من الخيل ، الذى يجىء بعد السابق ؛ سمى بذلك لأن رأسه يلى صلا المتقدم . والصلا : منحدر الوركين .

(٢) السكيت : العاشر من خيل السباق .

(٣) المطهم : الحسن التام كل شىء منه على حدته ، فهو بارع الجمال .

١٥ (٤) القرن من القوم : سيدهم . والمجحم اسم فاعل من الإجحام وهو التقدم ؛ ويستعمل فى التأخر أيضا فهو من الأضداد ؛ ومثله الاجحام بتقديم الحاء فانه يستعمل فى المعنيين أيضا . مستدرك التاج مادة (جحم) .

(٥) فى كلا الأصلين : «شادت» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به البيت ؛ وشأوت : غلبت .

(٦) فى كلا الأصلين : «فهو» بالفاء . والسياق يقتضى الواو ، فان الجملة بعدها فى موضع الحال .

(٧) الفتخاء العقاب اللينة الجناح لأنها اذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتهما وذلك لا يكون إلا من

٢٠ اللين .

(٨) توقل ، أى صعد بتشديد العين ؛ وأصله من التوقل فى الجبل وهو التصعيد فيه .

(٩) الحضار : مصدر حاضرة ، أى سابقة فى العدو ، وهو هنا على الاستعارة يريد المسابقة فى التفضل والذى فى (أ) « حطارا » وهو تحريف ؛ وفى (ب) « مطارا » ؛ وهو وان صح حمله على أنه مصدر ميمى بمعنى الطيران الا أنه غير ملائم لقوله قبل : « ومشى » .

٢٥ (١٠) الهيثم : فرخ النسر .

لا عار إن عضلت بدائهُ فكرتى * بابن المقفّع أو بنجل الأهتم [1]

يا أعلمَ الفضلاء لستُ مقاوِلا * فُصْحَى بناتِك [2] باللسان الأعجمِ

لو حاولَتْ فِكرى مساواةً لها * يوما لجاءت بالغراب الأعصمِ [3]

أقتصرُ فللبيان في بحر فضائله سَبْحٌ طويل، وللسعي في غاياته مُعرَّسٌ ومَقيل، ولِلحامد بُثَينة محاسنه صَبابةُ جميل، وإنّى وإن كنتُ كثيّرَ عزّةِ ودِّه، إلا أنّى في حلبة الفضل لستُ من فُرسان ذلك الرَّعيل؛ لا سيّما وقد وردتُ مَشرَع ألفاظه التي راقت معانيها، ورقّت حواشيها، وأدنَتْ ثمرات الفضل من يمين جانيها؛ فجاءت كالنسيم العليل، والشذا من نفحة الأصيل، والشرابِ الباردِ والظلّ الظليل

طبعٌ تدفّق رقّةً وسلاسةً * كالماء عن متن الصفاة يسيلُ

كالمقلة الحسناءِ زان جفونَها * كَحَلٌ وأخرى زانها التكحيلُ

والروضة الغناء يَحسُن عَرْفُها * وتزاد حُسنا والنسيمُ عليلُ

والخاطرُ التقوِيُّ كَمَّلَ ذاته * عِلما وليس لكامل تكميلُ

والله تعالى يبقيه جامعا للعلوم جمع الراحة بنانَها، رافعا له رفع القناة سنانَها، حافظا له حفظ العقائد أديانَها، والقلوبِ إيمانَها

---

(١) نجل الأهتم، هو عمرو بن سنان بن سمىّ بن سنان بن خالد بن منقر؛ والأهتم هذا لقب لقب به أبوه لأن قيس بن عاصم المنقرى ضرب بقوسه فهتم فاه وقد وفد عمرو بن الأهتم هو والزبرقان بن بدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان من البيان لسحرا» وبنو الأهتم: أهل بيت بلاغة فى الجاهلية والإسلام، وكان يقال: «الخطابة فى آل عمرو (زهر الآداب ج ١ ص ٥ و ٦ طبع الرحمانية.

(٢) أراد بناته، رسائله؛ وفى كلا الأصلين: «بيانك»؛ وهو غير مطابق لما قبله من الوصف.

(٣) الغراب الأعصم: الذى فى جناحيه ريشة بيضاء ويقال هذا للشىء الذى يعز وجوده.

لِيُضحِى نديما للمعالى كأنه * نديما صفاءٍ مالكٌ وعَقِيلُ[1]
ويصبح ظلُّ الفضل من فَيْءِ ظلِّه * على كَنَف الإسلام وهو ظليلُ
وينشأ أبناءُ العلوم وكلُّهم * بحسنائه فى العاشقين جميلُ
دَلالته فى الفضل من ذات نفسه * وليس على شمس النهار دليلُ

٥ وكتب — رحمه الله تعالى — رسالةً الى الصاحب شرف الدين الفائزى[2] عند ما ورد عليه كتابٌ يذكر أن رسول الخليفة وصَل يلتمس إجابةَ المَلِك المعزّ[3] أوّلِ ملوك الترك إلى صلح المَلِك الناصرِ صلاح الدين يوسف[4] — وقد كان الناس يذكرون أن الملك الناصر يريد أن يَهجُم بعساكره على الديار المصرية، وأنه لا يجيب إلى الصلح، [فلما][5] جاء الرسول بذلك ظهر للناس خلافُ ما ظنّوه — :

١٠ (١) مالك وعقيل، هما نديما جذيمة الأبرش، وكان يضرب بهما المثل فى طول الاجتماع؛ وهما اللذان عناهما متمم بن نويرة بقوله فى رثاء أخيه مالك :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

زهر الآداب (ج ٣ ص ١٦٠) طبع الرحمانية .

(٢) شرف الدين الفائزى، هو هبة الله بن صاعد وزير الملك المعز، ووزير ابنه الملك المنصور ١٥ بعده؛ والفائزى نسبة الى الملك الفائز ابراهيم بن العادل لأنه كان فى خدمه أولا، وكان فى صباه نصرانيا ثم أسلم؛ مسالك الأبصار ج ٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ وذكر ابن إياس فى كتابه ج ١ ص ٩٣ أن الأمير سيف الدين قطز المعزى نائب السلطنة بالديار المصرية فى عهد الملك المنصور ابن الملك المعز قد قبض على الشيخ شرف الدين هذا وصادر أمواله وصلبه على باب القلعة وولى مكانه فى الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير .

٢٠ (٣) هو عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى، تولى السلطنة بالديار المصرية فى سنة ثمان وأربعين وستمائة، ولقب بالمعز؛ وقتل فى سنة خمس وخمسين وستمائة انظر تاريخ أبى الفدا (ج ٣ ص ١٩١ و ٢٠٠) طبع الأستانة .

(٤) هو الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ وقد قتله هولاكو ملك التتر فى سنة تسع وخمسين وستمائة، ٢٥ انظر تفصيل ذلك فى تاريخ أبى الفدا (ج ٣ ص ٢٢٠، ٢٢١) طبع القسطنطينية .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من (أ)؛ والسياق يقتضى إثباتها

(١٣٣)

لِأمرِك أمرُ الله بالنجح عاضـدُ * فَصُلْ آمِرا فالدهر سيفٌ وساعدُ
وقُلْ ما اقتضت عليـاك فالعزّ قائمٌ * بأمرِك والمجـد المؤثّل[1] قاعدُ
وتَمْ وادعا فالجَـدُّ يقظـانُ حارس * لمجـدك والعـادى لبأسـك راقدُ
فما تُسبِرِم الأيّامُ ما الله ناقض * ولا تنقض الأيّامُ ما الله عاقـدُ
وقد برزتْ بكر المكارم والعـلا * وفى جيدها من راحتيك قلائدُ
فحَفَّت بها الأملاكُ وهى مواهب * وسارت بهـا الرّكبان وهى محـامدُ
وزُفّتْ لهـا النعماءُ وهى مصادر * رفعنـا لهـا الأمداح[2] وهى مواردُ
فنـثّرها الإحسانُ وهى لآلئ * ونظّمها الإفضالُ وهى فوائـدُ
فلا زلتَ محروس العلا ياابن صاعدٍ * وجَـدُّك فى أفق السيادة صاعدُ
تُسَـرّ بك الدنيـا ويَبتهجُ الورى * وتُستوكَفُ النُّعمى وتُحوَى المقاصدُ

وَرَد كتابٌ كريم ، ونبأٌ عظيم؛ لم تُجرِ بَنبوعَه جياد الأقلام ، ولم تجُدْ بنوئه عهاد الأيام ، ولم تَظفَر بمثله أعياد الإسـلام ؛ فتُلِيَ على عذبات[3] المنـابر، وجُلِيَ على آماق الأبصار وأحداق البصائر، وكانت بشراه البِكرَ العَوانَ[4] ، لِمـا ابتَدأتْ[5] به من البشارة

(١) فى (أ) : «المؤشك» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا فى كلا الأصلين . ولم نقف على هذا الجمع للدح فيا بين أيدينا من كتب اللغة ؛ كما أن الذى يستفاد من كتب الصرف عند الكلام على «أفعال» أن هـذه الصيغة لا تطرد جمعا «لفعل» بفتح أوله وسكون ثانيه اذا كان صحيح الفاء والعين .

(٣) المراد بعذبات المنابر، أعاليها ؛ والعذبة بفتح العين والذال من كل شىء : طرفه .

(٤) العوان : النصف فى سنها من النساء وغيرهن ؛ وفى كلا الأصلين : «القران» وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٥) فى كلا الأصلين : «ابتدلت» وهو تحريف . أراد بهذه العبارة أنها بكر لانها لم تسبق بمثلها ؛ وعوان ، لانها تلد البشائر .

ولِما تَلِدُه من البشائر، وطليعةَ المَسارِّ التى واجهَت الآمالَ ووجهُ السعد سافر، ومقدّمةَ الأمن التى لا يُسَرّبها إلا مؤمن ولا يساء بها إلّا كافر، وتحيةَ ٱلله التى أحيت قلوب العباد، ومنّةَ(1) الله التى سكنتْ لهـا السيوفُ فى الأغماد، ونعمةَ الله التى عَمّتْ كلّ حاضر وباد، ورحمةَ ٱلله التى رحم بها هـذه الأمّةَ وما زال بالمؤمنين رحيما، وفضلَ الله على هـذه الملّة(2) وكان فضل الله عليها عظيما، وسعادةً سارت بها الأيام الى المقام المعزّىّ بين الخَبَب والتقريب، ومَركَبَ عزّ قدّمتْه عناية ٱلله تقدمةَ الجَنيب، وكتابا عنايتُه(3) هـذا عطاء الله، وعُنوانُه « نَصْرٌ مِنَ ٱللهِ وفَتحٌ قَرِيبٌ »، وسِلْمٌ(4) جلّل وجه الإسـلام بُرْدَ لباسه القشيب، وسـلامةً جنَتْ يمين الإيمان ثمرَ غصنها الرطيب، وعزّ ألبس المُلكَ خِلَعَ شبابه بعد ما خَلَع غبارُ الوقائع [عليه](5) رداءَ المَشيب، وشمسُ سعادةٍ منذ طلعَتْ فى أفقها لم تَجنح للغيب، ولطفٌ خفىّ قعد له كلُّ حمدٍ وقام به كلُّ خطيب، ومَملكةٍ تُسـمِعُها الأيّامُ: قِفا نَضحكْ بمَسارِّ الإنعام لا قِفا نَبـكِ من ذكرى حبيب، وغنيمة باردة حازتها يدُ المُلك ولسانُ السنان غيرُ ناطق وكفُّ السيف غيرُ خضيب

بتسديد(6) رأيٍ لو رأته أميّـةٌ * لمـا آختلفَتْ(7) يوما بقتلِ شَبيبِ(8)

(1) فى كلا الأصلين: «ورأمية»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(2) كذا فى (ب)؛ والذى فى (أ) «الأمة» وهو وإن صح به المعنى إلا أن فيه تكرارا مع ما سبق فى الجملة التى قبلها. (3) عنايته: أى مقصده. (4) سلم بالرفع معطوف على قوله: «نصر».

(5) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضى إثباتها.

(6) فى كلا الأصلين: «بنشيد»؛ ولم نقف فيا لدينا من كتب اللغة على معنى له يناسب السياق؛ ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الوزن والمعنى.

(7) فى كلا الأصلين: «اختلفت»؛ وهو تحريف.

(8) شبيب: هو أبو الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى الخارجىّ؛ وكان خروجه فى زمن الحجاج مع صالح بن مسرح من بنى امرئ القيس؛ وقد بايعته الخوارج بعد قتل صالح؛ وكان يلقب بأمير المؤمنين وكان موته غرقا فى نهر دجيل، وهو دجيل الأهواز لا دجيل بغداد فى سنة ٧٧ أو ٧٨ على اختلاف فى الرواية؛ وكانت ولادته فى سنة ٢٥ أو ٢٦ انظر كتاب ملخص تاريخ الخوارج وغيره من كتب التاريخ.

الى غير ذلك من فكرةٍ صاحيةٍ شَرَفيّةٍ سَكَن المُلْكُ تحت ظلالها ونام ، وقعد بأمرها وقام؛ وتحرّكَتْ لها العزائم، وسكنَتْ لهـا الصوارم، وآستُنزِلت العُصْم وذُعِرَتْ العواصم، وهمم إذا سمَتْ سامت آلسماء واذا هَمَّتْ أهمت آلغمائم، وعزٌّ تحت ظلّ ظلاله الشرفُ مقيم وفى خدمته المجدُ قائم، وعزمٍ آستيقظ له جفن النصر والسيفُ فى جفنه نائم، وسيفِ حزم على عاتق المُلك منه نِجادٌ وفى يد جبّار السموات منه قائم؛ وآراءٍ آستفتح عقائلها فأَنجبتْ[1] ، ورَمَى غرض إصابتها فأَكثبَتْ ، (أى أصابت)[2] وأَعمَل رائدَها فاستيقظت له آلهمم والأنام نيام، وجلس فى صدور رياستها والعالمون قيام، وتدبير أُحكِم بإبرام النقض ونقض الإبرام، وذُعِر به رابضُ الأُسد وأُنِّس به نافرُ الآرام؛ وأجال به خيله فى مَسارِى الأرقم، ومَقَرِّ الهَيْثم، وأمضاه فى مَضايق خطْبِـه فأغناه عن سنّ السِّنان وشفة اللَّهذم؛ هذا ولمـا[3] صَدقتْ عزائمُ المملكة التى نظم الله قلادةَ مُلكِها فليس لهـا انتثار، ولمعَتْ كواكب أَسَـلها[4] فى ليـل الرَّهَج وسمـاءِ الغبار ، وبنَتْ حوافر خيلِها سورا من متراكم النَّقع المُثار، وحصَّنَتْها يد الله بمـا أظهرتْه مِن

---

(١) فى كلا الأصلين : «فأنجبت» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السجع الذى التزمه الكاتب فى جميع رسائله .

(٢) الذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغــة أن الإكثاب هو المقاربة والمداناة، وهو من الكثب بالتحريك بمعنى القرب فلعل تفسيره هنا بالإصابة منظور فيه الى مراد الكاتب .

(٣) لم يرد فى هذه الرسالة كلها ما يصح جعله جوابا (لمّا) هذه، والظاهر أن بعض عباراتها قد سقط من الأصل ؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من المظان .

(٤) الأســل : الرماح؛ وانمـا سميت الرماح أســلا تشبيها لها بالأسل ، وهو نبات من الأعلاث يخرج قضبانا دقاقا ليس لها ورق ولا شوك الا أن أطرافها محدّدة وليس لهـا شعب ولا خشب ؛ وشبهت الرماح به فى طوله واعتداله واستوائه ودقة أطرافه .

(١٣٤)

كامنِ الغيب وأخفتْه[1] من طلائع الأقدار، وحضنتْها[2] رعاية الله وله مِن القدر أعوانٌ ومِن الملائكة أنصار

فعمّت عمومَ اللّيلِ واللّيــلُ مظلمٌ * وجاءت مجيءَ الصبحِ والصبحُ مُشرِقُ

ومَدّت غمــاما من سنابك خيلها * بسَــلِّ المَواضى المَشرَفيّات يبرُقُ

٥ فى كتائبَ إذا سارت ســوابقُها ملأَتْ عَرْضَ الغــبراء ، واذا نُشِرَتْ خوافقها سترَتْ وجهَ الخضراء، وكادت تُذْعَر الآسادُ بمَواضى حتوفها ، وتسكن المنايا تحت ظلال ســيوفها، لاسيما إذا أنجمَتْ[3] أنجُمُ عواليها ، ولمعَتْ بروقُ مَواضيهــا ؛ وجاءت خيلُها كالصخرِ الأصمِّ والطود الأشمِّ أعجازُها وهَواديها ؛ من كلِّ كُمَيْتٍ[4] حلوٍ فى الإزار، بين الشُّقرة والأحمرار، كأنه وَرْدِيّةُ العُقار

١٠ يُحِسّ وقــعَ الرزايا وهى نازلةٌ * فيُنهِبُ الجرىَ نَفْسَ الحادثِ المَكِرِ[5]

وكلِّ أشقرَ[6] كأنمــا قُدَّ أديمُهُ مِن لهبِ النار ، مُعارٍ رداءَ الحُسن، وأحَقُّ الخيلِ

---

(١) فى (أ) «وألحقه»؛ وهو تحريف .

(٢) فى كلا الأصلين : «وحصنه» بالصاد؛ وهو مكرر مع ما قبله فى أول الجملة السابقة . وحضنتها بالضاد المعجمة : أى حفظتها وكفلتها وهو مستعار من حضانة المرأة للصبي، أى تربيته وحفظه .

١٥ (٣) أنجمت : ظهرت .

(٤) قال ابن الأعرابي : الكمتة كمتتان : كمتة صفرة ، وكمتة حمرة ؛ والكميت من الخيل يستوى فيه المذكر والمؤنث، ولونه الكمتة ، وهى حمرة يدخلها قنوء . وقال سيبويه : سألت الخليل عن كميت، فقال : هو بمنزلة جميل (بضم الجيم)؛ وقال : إنما هى حمرة يخالطها سواد ولم تخلص ، وإنمــا حقروها لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما فيقال : أسود أو أحمر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب .

٢٠ (٥) البيت لأبي العلاء المعرى انظر سقط الزند .

(٦) الأشــقر من الدواب : الأحمر فى مغرة حمرة صافية يحمّر منها السبيب والمعرفة والناصية . وأما فى الإنسان : فهى الحمرة تعلو بياضا .

بالركض المُعار[1]، لا تَعلَق به المَذاكى[2] يوم رِهان ولا تَشُقّ له الحوادثُ وجهَ غبار كأنما لبس ثوبا من خالص النُّضار

عِتاق لو جرت والريحَ شأوا * لفاتتـــه وأَوثَقَـــه[3] إسارُ

غَدت ولهـا حُجول من لُجَينٍ * وراحت وهى من عَلَقٍ نُضارُ

وكلّ أدهمَ كريم النِّجار، غَذِىّ اللِّبانِ[4] الغِزار، كأنما فُصّلت ثيابه من سواد الليل وصِيغت حُجولُه من بياض النهار

بأغرّ يبتسم الصباح بوجهه * حُسنا ويَسفِر عن مُحيًّا مُسفِرِ

خَلَع الظلامُ عليه فضلَ ردائه * وثَنَى من التحجيل ثوبَ مقصِّرِ

وكلّ أشهبَ أُفرِغ فى قالَب الكمال، وَجِيهِىّ[5] الأب أعوَجِىّ[5] الخال، إن مشى ضاق بزَهْوِه فَسيحُ المجال، وإن سعى رأيتَ البرقَ ملجَما بالثريّا مسرَجا بالهلال، كأنما انتَعَل خدَّ الجنوب واشتَمَل بثوب[6] الشَّمال

(١) المعار: «المسمن» بتشديد الميم المفتوحة، يقال: أعرت الفرس: أى أسمنته. أشار بهذه العبارة الى قول الشاعر:

أعيروا خيلكم ثم اركضوها * أحق الخيـل بالركض المعار

(٢) المذاكى من الخيل: التى تم سنها وكملت قوتها.

(٣) أراد بالريح هنا معنى الهواء فأعاد عليها ضمير المذكر مع أن التأنيث هو الأكثر فيها؛ وانما آثر التذكير دفعا للالتباس، فانه لو أنث الهاء لم يعلم مرجعها أهو العتاق، أم الريح.

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى كلا الأصلين؛ والذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أن جمع اللبن ألبان، كسبب وأسباب؛ فلعل المراد باللبان هنا: ذوات اللبن، وواحده لبون (اللسان نقلا عن المحكم).

(٥) الوجيهى: نسبة الى الوجيه، وهو اسم فرس من خيل العرب نجيب تنسب اليه كرام الخيل وكان لغنى بن أعصر. والأعوجى: نسبة الى أعوج، وهو اسم فرس سابق ركب صغيرا فاعوجت قوائمه، واليه تنسب كرام الخيل أيضا فيقال: الأعوجيات وبنات أعوج؛ وكان هذا الفرس لهلال بن عامر.

(٦) هذه الباء ساقطة من كلا الأصلين؛ واللغة تقتضى إثباتها.

مِن الجياد التى لَم تَبْــدُ فى رَهَجٍ * إلّا أَرَتْكَ بياضَ الصبح فى غَسَقِ
ولا جَرَين مع النَّكْباء (١) فى طَـلَقٍ (١) * إلّا ٱحتَقَرتَ ٱلتماعَ البرق فى الأفقِ

وكلّ مطهّم إن رَكض قَلِق السماطُ لِرَكضِه ، وخِلت بعضَه منفصلا عن بعضِه وإن مشى رأيتَ الطودَ فى سمائه والرياحَ فى أرضه ؛ وإن خطا ظننتَه يَرْتَع فى روض
٥ المَجَـرّة ويَكرَع فى حوض الغمام ، وخلتَه ٱلأشمَّ مِن ٱبنَىْ شَمام (٢) ، همُّه جهـة الأمام وصوتُه حركةُ اللجام ، كأنه قطعةٌ من سماءٍ أو ظُلّةٌ من غمام

جرى (٣) والريحَ فى طَلَقَىْ رِهانٍ * فقـامت دونه ومضى أَماما
وَمدّ من السـنابكِ ثوبَ غَيمٍ * ولَم أرَ قَبلهـا ثوبا غمـاما

عليها كُلُّ كمىٍّ لابَسَ الحربَ ولابسَتْه (٤) ، ومارسها ومارسَتْه ؛ وكَتبَتْ عليـه المواضى
١٠ فى صدره كتابا أعجمَتْه أطرافُ الأَسَل ، وجَنَى ثَمرِ الحديدِ أحلى عنـده من العسل وسار إلى مهج الأبطال كسيف القضاء وحثِّ (٥) الأجل ؛ له حُنكَةُ الأَشيَب ونجـدةُ الغلام ، وصنعةُ الضرب الفَـذِّ والطعنِ التُّؤام ، والفتكاتُ التى تُطلِـع صبحَ الصوارم

---

(١) النكباء : ريح انحرفت ووقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال . والطلق بفتحتين : الشوط الواحد فى جرى الخيل .

١٥ (٢) شمام : اسم جبل لباهلة ، كما فى ياقوت . وقال ابن برى : هو جبل بالعالية ، وهـذا الجبل له رأسان ، يقال لهما : ابنا شمام قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما * على الأحداث إلا ٱبنى شمام

(٣) فى كلا الأصلين : « فجرى » ؛ والفاء زيادة من الناسخ .

(٤) الى هنا انتهت النسخة المشار اليها بحرف (ب) .

٢٠ (٥) الحث : الإعجال ، وإضافته إلى الأجل من إضافة المصدر الى مفعوله . أو لعله : « وحتم » بفتح الحاء وسكون التاء .

فى ليـل القَتام ، والفَعَلاتُ التى لهـا فَتَكاتُ الأَورق[1] فى النَّقَـد وصَولاتُ الأسد فى السَّوام

يمشى الى الموت عالى الكعب معتقِلا * أَظمَى الكعوب كمشى الكاعبِ الفُضُلِ[2][3]

يُحِسنُ[4] فى بحار الدروع سَبْحَ الفوارس ، بين بدور اليَلَب[5] ونجومِ القَوانس[6] ؛ من كلّ سابغة لا تصل إليها ألسنةُ الحداد ، كأنها أثواب الأراقم خِيطت بأعين الجراد ؛ كفيلة بحماية الأنفُس وصيانةِ المُهج ، تُنير مسالكَ لابِسِها فى دياجى الرَّهَج ، إنما هى البحر ولا حرج[7]

اذا ما مشَوا فى السابغات حسِبتَهم * سيولا وقـد سالت بهنّ الأباطحُ

وكلّ أبيضَ هندىّ تألّقتْ من المِلح أبعاضُه ، البَردُ جسمُه والبرقُ إيماضُهُ ؛ المَفارقُ مغاربُه والأجفانُ مَطالعُه ، والأنفُس مواردُه والمنايا متابعُــه ؛ لو أُثمرَ لأنبت رءوسا ولو تفجّر لسال نفوسا ، ولو تكشّف صافى حديده لرأيتَ فيه عُبوسا

(١) فى الأصل : «الأوراق» ؛ والألف زيادة من الناسخ . والمراد بالأورق هنا : الذئب ، فان لونه الورقة ، و يقال للذئبة : الورقاء ؛ قال فى اللسان مادة (ورق) مانصه : وكذلك شبهت العرب لون الذئب بلون دخان الرمث ؛ لأن الذئب أورق قال رؤبة :

فلا تكونى يا ابنة الأشم * ورقاء دمّى ذئبها المدمّى

اهـ والنقد بفتحتين : صغار الغنم ، واحدته نقدة .

(٢) الأظمى من الرماح : الأسمر ؛ وهو من المعتل اللام ، وليس من المهموز .

(٣) الفضل بضمتين : المختالة التى تفضل من ذيلها ، كما فى اللسان مادة (فضل) .

(٤) فى الأصل : «تحت» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) اليلب محركة : الترسة ، أو هى جلود يخرز بعضها الى بعض تلبس على الرءوس خاصة .

(٦) القوانس : جمع قونس ، وهى أعلى بيضة الحديد .

(٧) أشار بهذه العبارة الى قولهم : "حدث عن البحر ولا حرج" والمراد أنه لا لوم على من يطيل فى وصف هذه الدروع مهما توسع فى ذلك ، لشبهها بالبحر فى بريقها واطراد متنها .

سَلِيلُ النار دَقّ ورَقّ حتى * كأنّ أباه أوْرَثه السُّلالا (١)
ودَبَّت فوقه حمرُ المنايا * ولكن بعد ما مُسِخَتْ نِمالا

وكل أَسمرَ اذا انتحى فهو صاحٍ واذا انثنى فهو نشوان ، واذا ورد دمَ القلبِ فهو ظمآنُ القناةِ ريّانُ السنان؛ اذا خطب النواصيَ وخَط (٢) ، واذا كَتبت المواضى نَقَط ؛ واذا قَصُرت يدُ القِرْنِ طال، واذا صَلِيَتْ نارَ الحرب العوالى صال

تَوَهّم كلَّ سابغةٍ غديرا * فرَنّق (٣) يشرب الحَلَقَ الدِّخالا (٤)

وكلّ صفراءَ رَقشاءِ الأديم (٥) ، كأنها أَرقمُ الصَّريم (٦) ؛ لها فَلَكٌ بالرزيّة دائر، وسهمٌ بالمنيّة طائر، إن رَكِب فهو مقيم وإن نزل فهو سائر ؛ مع عزائمَ بَنَتْ على الدولة (٧) سورا، وجَعلَتْ بينها وبين الذين لا يؤمنون بالدولة المعزّية حجابا مستورا ؛ على أنها غنيمةٌ لم تحتج إلى الإيجاف والإيضاع (٨) ،وطَلِبَةٌ ألفاها على طرف الثمام (٨) وحبلِ الذراع ؛ وعنايةٌ جاءت على اختيار المراد ومرادِ الاختيار ، ونعمةٌ كَرّتْ هي والتوفيق فى قَرَنٍ

(١) "سليل النار" يريد أن هذا السيف قد ولدته النار لأنه أخرج بها من معدنه ؛ وطبع سيفا بواسطتها والشعر لأبي العلاء المعرى انظر شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٧ ، ٢٨ طبع بولاق .

(٢) وخط : طعن طعنا نافذا ؛ وبابه وعد .

(٣) قال فى شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٩ طبع بولاق فى تفسير هذه الكلمة : رنق الطائر. اذا حام حول الماء ليشرب اهـ والبيت لأبي العلاء المعرى .

(٤) الدخال : المتداخل بعضه فى بعض انظر شرح التنوير على سقط الزند . والذى فى الأصل «الخلق الدجالا» ؛ وهو تصحيف .

(٥) الرقشاء : المنقوشة ؛ يريد القوس .

(٦) الصريم : القطعة من معظم الرمل .

(٧) فى الأصل : «عليها» ؛ والسياق يقتضى حذف الهاء .

(٨) يقال : هوله على طرف الثمام : إذا كان هين المتناول ، كما يقال : هو على حبل الذراع : إذا كان ممكنا مستطاعا .

وبجرتْ والسعادةَ فى مضمار، ومنحةٌ رَكَضتْ بها الى المقام المعزّىّ سوابقُ الأقـدار ومعنًى خفىٌّ من نعم الله لم تَلِجه عقائل الأفكار ؛ واذا سبقت عناية الله فليس لأمر حتمه الله رافع ، واذا لحظَتْ السـعادة آمرأ وقفَتْ دونه آمال المطالب وتقطّعَتْ خلفه أعناق المطامع ، وآستولت يمينه على آفاق سمـاء(1) الشرف فلها قمراها والنجوم الطوالع، وهذه مواهبُ لا تدركها دقائقُ الأَسْطُرْلاب(2) ولا دَرَج الشمس ولا رَصَدُ الطـــوالع

لعمرك ماتدرى الضّواربُ بالحصا * ولا زاجراتُ الطـيرِ ما الله صـانعُ.

ويُنهِى(3) أنّ حاملها مَن عَقَدَتْ عليـه الملوك خناصرَها، وآختَصّ منها بالصحبة ناصرَها؛ وله فضـلٌ لا يذاد عن مَنهل العلم سَوامُه، ولا تُجهَل فى مسالك الشرف

(١) فى الاصل : «يمين» ؛ وهوغير مستقيم ؛ والصواب ماأثبتنا ، فانه يشير بهذه العبارة الى قول جرير :

أخذنا بآفاق السماء عليكمو * لنا قمراها والنجوم الطوالع

(٢) الأسطرلاب بفتح الهمزة وضم الطاء : ميزان الشمس ، وبه يعرف مقـدار الساعات وأخذ الأرصاد ومطالع الكواكب .

(٣) الظاهر أن هـذا الكلام من قوله : «وينهى» الى قوله فيما سـيأتى : «من أفقها صبحا» ، ليس من تمـة الرسالة السابقة ؛ وانمـا هو بعض رسالة أخرى سقط أولها من الأصل الذى بين أيدينا ؛ ويدل على ذلك أمران : أحدهما ، أن المكتوب اليه بالرسالة السابقة هو الصاحب شرف الدين الفائزى وزير الملك المعز كما تقدم ، أما هذه الرسالة ففيها ما يدل على أن المكتوب اليه غير الصاحب شرف الدين ، فانه يقول فيها : «وقد صـير الجناب الزينىّ لمـا يحاوله» الخ ولم يقـل : الجناب الصاحبىّ أو الشرفىّ أو الفائزى نسبة الى أحد ألقاب شرف الدين ؛ والظاهر ان الزينىّ نسبة الى زين الدين يعقوب بن الزبير وزير الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز أيبك التركمانى ؛ وزين الدين هذا قد تولى الوزارة للملك المنصور بعد الصاحب شرف الدين الفائزىّ كما تقـدّم بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٦٣ من هذا الجزء نقلا عن ابن إياس . الأمر الثانى ، اختلاف الغرض فى كلتا الرسالتين فانه فى الرسالة الأولى يهنىء الصاحب شرف الدين بالصلح بين الملك الناصر والملك المعز ، وفى الرسالة الثانية يوصى بخير لإنسان .

أعلامُه؛ وله نفسٌ سَمَت حتى أَخذَتْ سماء السيادة بيمينها، وهمّةٌ اذا رأيتَ ذاتها الكريمة تَوسّمتَ الرِّياسةَ فى جبينها، وأبوّةٌ لا تتّجر من المعالى إلّا فى ثمينها؛ وقد أكلَتْه السنة بل السنوات، وترادفت عليه الملمّات بل المؤلمات؛ وقد صيَّر الجناب الزينىّ لما يحاوله ذَريعه، ووَرَد المنهَلَ الرَّحْبَ وإنه لعذبُ الشريعه، وقد أصاب به

٥ مولانا طريقَ المَصنع فألبَسه ثياب الصنيعه؛ ومولانا أولى مَن أولاه شرفَ جلاله ونظر اليه بعينٍ كريمةٍ يقابِل بها ما يقابِله من كرم خلاله؛ فالإبريزُ قد يَشتبِه إلّا على نُقّادِه، والغيثُ قد يُخْلِف(١) إلا على رُوّادِه، والماء قد يأجُن إلا على وُرّاده؛ وسيّدنا مصعبىُّ الهمِ وهذا ابن قيس رقيّاته(٢)، ومهلبىُّ الشّيم وهذا حبيب أبنائه(٣)، وواثقىُّ الإحسان وهذا فى الجلالة ابنُ [أبى](٤) دُواده وفى الأدب ابنُ زيّاته(٥)؛ فليضعْه حيث

١٠ (١) كذا فى الأصل؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أنهم عدوا الإخلاف مرادا به الإمحال وقلة المطر بهذا الحرف؛ ولعله ضمن قوله: «يخلف» معنى «يبخل» فسوغ له هذا التضمين ذكر «على».

(٢) يريد عبيد الله بن قيس الرقيات، وهو شاعر من بنى عامر بن لؤى؛ وذكر ابن سلام فى كتاب طبقات الشعراء (ص ١٣٧ طبع ليدن) أنه نسب الى الرقيات لأن جدات له توالين يسمين رقية. وفى الأغانى (ج ٤ ص ١٥٥ طبع مطبعة بولاق): أنه لقب بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جميعا رقية: منهن

١٥ رقية بنت عبد الواحد، وابنة عم لها يقال لها: رقية، وامرأة من بنى أمية يقال لها: رقية. وكان عبيد الله منقطعا الى آل الزبير، فمدح مصعبا، وهجا عبد الملك؛ وهو القائل:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

(٣) فى الأصل: «أبياته»؛ وهو تصحيف، فان الذى وقفنا عليه فى كتب التراجم أن حبيبا هذا من أبناء المهلب لا من شعرائه الذين مدحوه.

٢٠ (٤) ابن أبى دواد: هو القاضى أبو عبدالله أحمد بن أبى دواد الإيادى؛ وكان أصله من قرية بقنسرين واتجر أبوه الى الشام، وأخرجه معه وهو حدث، فنشأ أحمد فى طلب العلم، وخاصة الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ؛ قال أبو العيناء: ما رأيت رئيسا قط أفصح ولا أنطق من ابن أبى دواد؛ وتولى القضاء فى زمن المعتصم والواثق الى أن أصيب بالفالج فى زمن المتوكل؛ وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين اه ملخصا من وفيات الأعيان.

(٥) ابن الزيات: هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات؛ وكان من

٢٥ أهل الأدب والفضل، عالما بالنحو واللغة كاتبا شاعرا؛ وقد استوزره المعتصم ثامن خلفاء بنى العباس، وأقره ابنه الواثق هارون على ما كان عليه فى أيام أبيه المعتصم بعد أن كان متسخطا عليه؛ ولما قام المتوكل بالأمر قبض على ابن الزيات، واستصفى أمواله، وحبسه فى التنور حتى مات فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين اه ملخصا من وفيات الأعيان. والذى فى الأصل: «ابن زياده» بالدال؛ وهو تحريف.

وضعته السيادة صدرا، وليُطلعه كما أطلعته الفضائل بدرا؛ وليَصرف اليه عنايةً تَعلق بها الحمدُ عَلاقةَ غَيلانَ[1] بميّه، والحَكَمِ[2] بأميّه؛ وهو يعلم — أدام الله أيامه — أن المناصبَ عرائس، والصنائع قلائدُها، والولاياتِ مآدب، والمكارم موائدُها، والليالى — كما علمت — حَبالى، والسيئات والحسنات ولائدُها؛ وخيرُ مَن لَبِس ثوبَ نعمة كأهلُ هذا الإمام، وإن الحسنة اليه لأشرفُ مواهب الأيام، فاغتنمْها فإنّها غاية الاغتنام؛ وأعيذ مولانا بالله أن يَجعل نظرَه إليه لمحا، أو يَضرب عنه الذكر صفحا، أو يكون مولانا روضةً ثم لا يجدُ هذا الصدرُ منها نفحا، ومَطلَعَ آفاق الشرف ثم لا يَستَوضِح هذا الملتمِسُ من أفقها صبحا .

ومثل صدر هذه الرسالة لبعض الكتّاب المتقدّمين[3] :

الحمد لله مقلّب القلوب، وعالِمِ الغيوب؛ الجاعلِ بعد عسرٍ يسرا، وبعد عداوةٍ ودّا، وبعد تحاربٍ اجتماعا، وبعد تباينٍ اقترابا؛ رأفةً منه بعباده ولطفا، وتحنّنا عليهم وعطفا؛ لئلا يَستتِمّهم التابُع[4]، فى التدابر والتقاطُع؛ وليكونوا بَررةً إخوانا، وعلى الحقّ أعوانا؛ لا يتنكّبون منهجا، ولا يركبون من الشبهة ثَبَجا؛ بغير دليلٍ يهديهم

(١) غيلان : هو أبو الحارث غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة، وهو المعروف بذى الرمة؛ وكان من فحول الشعراء، وهو أحد عشاق العرب المشهورين، وصاحبته مية بنت مقاتل ابن طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى، وكان كثير التشبيب بها فى شعره، وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة اهـ ملخصا من وفيات الأعيان ترجمة ذى الرمة .

(٢) يريد الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو والد مروان ثالث خلفاء بنى أمية .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل؛ ولم يرد فيما سبق صدر رسالة تصح المماثلة بينه وبين ما أورده هنا لبعض الكتّاب المتقدمين . ولعله قد سقط من الأصل الذى بين أيدينا .

(٤) فى الأصل : «يستتم بهم» والباء زيادة من الناسخ اذ لم نجدها لدينا من كتب اللغة أن هذا الفعل متعدى بالحرف والتابع بالياء المثناة : التهافت؛ أو هو اللجاجة . ويريد بقوله : «لئلا يستتمهم» الخ أن اللجاجة فى الخصومة تستأصلهم بتمامهم ولا تبقى على أحد منهم .

قصد المسالك، ولا مرشد يذودهم عن دَرْك المهالك؛ أحمده على نعمه التى لايحصى الواصفون إحصاءها، ومننه التى لاتحمل الخلائق أعباءها؛ حمدا يتجدّد على ممرّ الأزمان والدهور، ويزيد على فناء الأحقاب والعصور؛ وإنّ أحقّ ما استعمله العاملون ولَحِق به التالون، وآثره المؤمنون، وتعاطى بينهم المسلمون؛ فيما ساء وسرّ، ونفع وضرّ؛ ما أصبح به الشَّمْل ملتئما، والأمرُ منتظما، والفتقُ مرتتقا؛ والسيفُ مغمودا ورواقُ الأمن ممدودا؛ فحُقِنَتْ به الدماء، وسكنَتْ معه الدهماء، واْنقمع[1] به الأعداء؛ واتصل به السرور، وأُمِنَتْ معه الشرور؛ وليس بذلك أَولى، والى إحراز الثواب به أدنى من الصلح الذى أمر الله تبارك وتعالى به، وخَصّ وعمّ ورغّب[2] .

ولنعد الى كلام الشيخ ضياء الدين بن القرطبى

فمن ذلك ما كتب به أيضا الى الصاحب شرف الدين الفائزىّ جوابا عن كتاب شفاعة يوصى على أخيه نجم الدين، فأجابه الشيخ: يخدُم الجنابَ الشرفىّ — رفع الله قدره بين أوليائه؛ وأطاب ذكره فى مقام عليائه؛ وأطال عمره مقترنا بعزّه، وأقرّه فى كنف سلامته وكهف حرزه — وردَتْ الأوامر المطاعه، المقابَلَةُ بالسمع والطاعه؛ فى حق أخى المملوك مولانا نجمِ الدين، فتَلقّى راية طاعتها بيمينه، وأقرّها من تعظيمه فى أسرّة جبينه، وأحلّها من شرف الأمتثال فى مستودَع دينه؛ وقابل حاملَها بأوفر ترحيبه، وأقربِ تقريبه؛ وواجهه بإجلال[3] الأخوّه، وخلال البنوّه؛ وأحلّه كنفَ قلبه، وأودعه بين شَغاف[4] القلب وخِلْبِه[4]، وأعاده الى معهود ولائه وحَسَبه؛ وقرّبه له

(١) فى الأصل: «له» باللام؛ وهو تحريف .

(٢) الظاهر أن لهذا الكلام بقية قد سقطت من الأصل الذى بين أيدينا؛ ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان .

(٣) فى الأصل: «وجلال» بالجيم؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله: «البنوّة» .

(٤) الشغاف: غشاء القلب وغلافه؛ وهو جلدة ألبسها . والخلب: حجاب الكبد .

فى كلّ شهر عشرة دنانير وهى نهـاية قدرتِه، وأعلَمَه أنّهـا أعْوَد نفعا من ولايتـه وأقربُ عونًا مِن إمرَته؛ وعاهد اللهَ ألا يتعرّض لجنديّةٍ أبدا، ولا يَمدَّ لطلب ولايةٍ يدا؛ ولا يَقِفَ بين يدَى الأمراء بعدَها، ولا يتجاوزَ بجلالة أبوَيه حدَّها، ولا يهمل شرف نسبته التى لَم تُصاعِرْ[1] [لهـا][2] الأيّامُ خدَّها ؛ وأخذ عليـه عهود الله والمملوك فى الوفاء مهما عهِدَها ؛ وقد توَجَّه الى المَشارع الصاحبيّـة التى اسـتَعذَب وِرْدَها والمكارمِ الشرفيّة التى أَلِف حَمْدَها، والصنائعِ الإحسانيّة التى وَجد فى مرارة الفقـر حلوَهـا وفى حرارةِ الغـربة بَرْدَهَا ؛ وعاودَ عُشَّ الفضل الذى منـه دَرَج ، وبيتَ الكرم الذى اليه دَخَل[3] ومنـه خَرَج[3] ، وسماءَ الإحسان التى أطلعَتْ نجمَ إمامتِه فعرَّج عليها وإليها عَرَج ، وبحرَ المعروف الذى اذا أطنب لسانُ ثنـائه قالت شـواهد بيانه : « حدِّثْ عن البحر ولا حَرَج » ؛ ومولانا يضعُه تحت كَنَفِه، ويرفعُـه لله ولسـلَفِه ، ويقابله الجنابُ الشرفيُّ بمـا عَرَفه من شرَفِه؛ ويُعِينُـه على جارِيه الذى هو مادّةُ رفقِـه ، وأوّلُ ما أجراه الله على يد مولانا من رزقِه؛ بكتاب يُجـزِل له العزَمات ويُنمِيها[4]، ويُسكن رُوحَ الحياة فى جسد فاقته ويُبقيها ؛ فهو ذو ضرّاءَ لاتسدّها إلا القناعه، وذو فاقةٍ لاترفعها إلا السَّعةُ التى تمدّ باعَه ؛ والله يجعل مولانا وقايةً لمن لجأ إليه، وإعانةً لمن اعتمد عليه؛ إن شاء الله تعالى .

---

(١) صاعر خدّه وصعره بتشديد العين المهملة : أماله كبرا ؛ وقرئ : (ولا تصاعر خدك للناس) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسّياق يقتضيها . والضمير عائد الموصول وفى قوله : «خدّها» يعود الى «الأيام» .

(٣) عبارة الأصل : «الذى منه دخل واليه خرج» والصواب العكس كما أثبتنا .

(٤) فى الأصل : «ويبيتها» ؛ وهو تحريف .

(١٣٧) وكتب إليه أيضا شفاعةً فى بعض الأعيان فقال :

ويُنهِى أنّ الله تعالى متولّى سرائرِ عباده، ومُجازيهم على مخالفةِ أمره وإن كان على وَفْق مراده؛ أعدّ دارَىْ ثوابه وعقابه، وحذّر أُولى العقوبة من أليم عذابه؛ ثم عمّت رحمته فشَفَّع فى العصاه، وعفا عن الجناه؛ فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ ﴾ ثم بُذِلتْ عوارفُ الإحسان، وعواطفُ الحَنان ؛ حتى شَفَعَ الى خَلقه، فى العفو عن حقّهم وحقّه؛ صفة كَرَم رحمانيّه، وصِلة عفوِ إحسانيّه ، وصنائع ألطاف ربانيّه ، فشفع إلى الصدّيق فى مِسْطَح ، فقال : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا أُولِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا ﴾ فقدّم مُوجباتِ العطف بما قدّم من القرابة والمسكنة والمهاجَرة ، ثم تلقّاها مِن أجرِ الآخرة بكرم المُجازاة وربح المعاملة، وحُسنِ جزاء المنعم ، تعريفا بمواقع الإحسان ، وتكريما لنوع الإنسان ؛ ومملوكُ مولانا فلان الذى أنزل حاجتَه بعبدك[1] ، وقَصَده قَبل قصدك ؛ وأسكَنَ حريمَه مجاورا لحريمه وتشفّع به إلى صدر الزمن وكريمه ،واستوهَبه الذنب وإن كان معترفا بعظيمه ؛والصنعُ الجميل ثمرةُ الأيام، والفضلُ أثبتَته ألسن الأقلام ؛ ولله لحظاتٌ تلحظ عبادَه ويرحم الراحمين، ويجزى المتصدّقين، ولا يضيع أجر المحسنين ؛ وإن مولانا عِقالُ[2] الشرف وذو الفضل الأُنُف[3]، والعارفُ فى صنائع الإحسان كيف تُؤكَل الكَتِف؛ وقد أحلّته

(١) فى الأصل : «لعبدك» باللام ؛ والسياق يقتضى الباء كما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : «عقائل» ؛ وهو غير مستقيم ؛ والمراد بقوله : «عقال الشرف» أن الشرف محتبس عليه لا يفارقه ؛ وهو مستعار من عقال البعير : وهو الحبل الذى يعقل به عن النهوض .

(٣) الفضل الأنف : أى الذى لم يسبق اليه ؛ وهو استعارة من قولهم : « روضة أنف » أى أنها لم ترع ، «وكأس أنف» أى أنها لم يشرب بها قبل ذلك .

على مَلاءةِ[1] أياديك، وألبستَه مُلاءَةَ معاليك، وأحلتَه بضمان الله كَنَفَ ناديك؛ وأنت الكريم أخلاقا ونسبا، والطَّيِّبُ أعراقا وأبا، والصَّدرُ الذى إذا سامته الأيّام خُطَّةَ ضيم ابى، واذا أوطأتْه مَهانةً[2] وخسفا نَبا؛ وأحقُّ مَن قَبِل هـذه الشفاعةَ كرمُك[3] وأولى من رعاها شيمُك، والمعـالى جنودُ الشرف وأحقُّ عَلَمٍ رُفِـع[4] عليها عَلَمُك؛ والله تعـالى يبقيه للأنام ملاذا، وللأمل مَعاذا، ويهَب عزمَه مَضاء وقلمَـه نفاذا؛ إن شاء الله تعالى .

وكتب الى[5] قاضى القضاة تاج الدين بن خلف :

يخدُم الجنابَ التاجىَّ — أدام الله شرف الملّة ببقائه، وأعلى كلمةَ الأئمة بعـلائه وأجرَى ألسنةَ الأقلام بثنائه، ورفَع ألويةَ أوليائه بولائه — ويُنهِى ورودَ مشرَّفته الّتى تجلّت فى سمـاء السيادة حُسنا، وسهلَتْ لفظا وجَزُلَتْ معنى، وغدا لسان الإحسان عليها يُثنِى، وعِنانُ الفضائل اليها يُثنَى؛ وقدأخذَتْ برقاب المعانى، وأطربَتْ إطراب المثانى، وبعثَتْ روحَ الحياة الى روح الأمانى، وثنت إلى فضلها الأوّلِ عِنانَ الثـانى

فحَىَّ هَلا[6] بالمكـرُمات وبالعـلا * وحَىَّ هَلا بالفضل والسُّؤدُد المحض

---

(١) الملاءة بفتح الميم: القدرة والغنى، وهو مصدر ملؤ الرجل فهو ملىء: أى صار ثقة غنيا .

(٢) فى الأصل : «بها»؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «لومك» بلام بعدها واو؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : «وقع»؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «اليه»؛ وهو غير مستقيم .

(٦) يقال : حىّ هلا بكذا بلا تنوين : أى عليك به؛ ويقال فيه أيضا : حىّ هلا بالتنوين وحى هل بفتح الجزأين كخمسة عشر؛ وكلها يراد به الحث .

لا جَرَم أنّ المملوك سجد لله ثم لجلالة[(١)] ذلك الاستغفار، وقبولِ كلماتِ الاعتـذار؛ وعَلِم أنّ مولانا لبس حلّةَ التواضع لتمـام شرف الاصطناع، وليحُوزَ أقسام السيادة بالصدرِ الرَّحبِ والخُلُقِ الوَساع[(٢)]

سجيّـــة[(٣)] نفسٍ شَرّفَ اللهُ مجدَها * بما شاء من فضل لديها ومن حلمِ

وسُـؤدُدِ آباء وكسبِ سيادة * تَضُمّ إلى عزّ العـلا شرفَ العلمِ

هـذا مع إساءتنا التى تُسوِّد وجوهَ الأمل، ويقتضِى كفرُها — لولا إيمان مولانا بإحباط العمل، على أنها مُلازَمةُ المعلولات للعلل

(١٣٨)

وما كنتُ جانِى فتنـةٍ غيرَ أنّهـا * إذا وقعَتْ أردَتْ مسيئاً ومحسنا

ولو رشـقَتْنى مُصْمِياتُ سهامِها * لألْفَتْ لهـا حُكما من الله بيِّنـا

وإن جلال الله يشهد انّنى * بَذلتُ من الوُسع الذى كان ممكنا

وحَذِرتُ حتى لم أجد متحرِّزا[(٤)] * وأسمَعتُ لكن لم أجد ثَمّ أُذَّنا[(٥)]

وكانت صعابٌ[(٦)] تقتضيها مشـيئةٌ * وهل لقضـاء الله ردٌّ إذا دنا

وأما إشارة مولانا إلى الحـاجب الذى هو لمولانا أشرفُ مِن حاجب بنِ زُراره بمـا[(٧)] أوْدَعه أثناءَ تلك الكلِم من لطيف الإشارة وشريف العباره؛ فجزاءُ مولانا على الله فى جبره لقلب المملوك المنصدع، وصِلةِ أمله المنقطع .

---

(١) لعله : «لإجابة» كما يدل عليه قوله بعد : «وقبول» الخ .

(٢) الوساع بفتح الواو : الواسع .

(٣) فى الأصل : «تحية» بالتاء المثناة والحاء المهملة؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) فى الأصل : «محذرا»؛ وهو تحريف إذ لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة .

(٥) الأذن بضم الهمزة وتشـديد الدال : جمع آذن، وهو المستمع؛ يقال : اذنت اليه وله : اذا استمعت اليه معجبا بما يقول .

(٦) فى الأصل : «طاعا»؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى؛ والفعل قبلها تام لا يحتاج الى منصوب إذ معنى الكون هنا : الوقوع والحصول .

(٧) هذه الباء سـ[illegible] الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وكتب إلى الصاحب قاضى القضاة بدر الدين السنجارى —

وهو يوم ذلك متولى الحكم والوزارة بالديار المصرية :

لا زال الإسلام يستضىء ببدره، والإيمانُ يأرِز[1] إلى صدره، والشرفُ يتضاءل عند قدر جلالته وجلالةِ قدره، والآمالُ والآجالُ مصرَّفةً بين بسطةِ نعمته وسطوةِ قهره، هذه على ذكره وهذه على شكره، والمكارمُ والمحامدُ تتعلّق وتتألّق هذه بنشْره وهذه ببِشْره، والعزمُ والرأىُ إذا فُلّ[2] أو فالَ آستغاث وآستضاء هذا بنصره وهذا بفكرِه

ولا غرو أن تَثنِي الوزارة جيدَها * إلى ناظمٍ فى جيدها عِقدَ فخره

الى أَحوذىّ[3] الرأى إن ناب معضِلٌ * أراكَ جلىَّ الأمرِ إيحاءُ سرِّه

إذا آستغزَرَ الذهنَ[4] الذكىَّ تضاءلت * له فكرتا قيسِ[5] آلذكاءِ وعَمرِه[5]

(١) فى الأصل : «بارز» ؛ وهو تحريف . و يأرز : يأوى ويلجأ .

(٢) فال الرأى يفيل كيبيع : ضعف وأخطأ . والذى فى الأصــل : « اذا قل أو قال » بالقاف فى كلتيهما ؛ وهو تصحيف .

(٣) الأحوذىّ : هو الذى يسوق الأمور أحسن مساق لعلمه بها .

(٤) فى الأصل : «الدهر» ؛ وهو تحريف .

(٥) يريد : قيس بن زهير بن جذيمة العبسىّ صاحب الحروب بين عبس وذبيــان بسبب الفرسين : داحس والغبراء؛ وكان فارسا شاعرا داهية ، يضرب به المثــل فيقال : "أدهى من قيس" اهـ ملخصا من سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون . وعمرو: هو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ؛ و يكنى أبا عبد الله ؛ أسلم بأرض الحبشة عند النجاشى ، ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وســلم مهاجرا ؛ واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة ذات السلاسل ؛ و بعثه أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى الشام فتولى ما تولى من فتحها ؛ وولاه عمر رضى الله تعالى عنه فلسطين ، ثم كتب اليه أن يسير الى مصر فسار اليها وفتحها ، وولاه عمر إياها ؛ وقد شهد صفين مع معاوية بن أبى سفيان ؛ وقد ولاه معاوية
ـا فلم يزل بها واليا الى أن مات بها يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين ، ودفن بالمقطم مقبرة أهل مصر ؛
ــعد فى القسم الثانى من الجزء السابع ص ١٨٨ طبع ليــدن . وكان عمرو بن العاص
ـ فى السياسة والدهاء .

فيُطلِع رأيا واضحا من سداده * كما آنشقّ بُردُ الليل عن ضوء فجره
إلى سؤدُد أجرَتْ معاليه خيلَه * سوابقَ غُرًّا(١) فى بهيات دهره
وكم سابقٍ أجرى إلى غاية العلا * ولكن طوى سبْقا مُلاءةَ حُضْره
بحلم تجلّى فى أسرّة وجهه * وجودٍ تجلّى من طلاقة بشره
٥ يمينا لقد أضحت جلالةُ قدرها * على شرف المقدار من دون قدره

سطّرها الملوك بعد ما لبست الوِزارةُ حلّةَ فخرِها، وسحبتْ ذيل آفتخارِها، وبدا معصم شرفها فى حلية سِوارِها، وتجلت معانيها بين شموس فضلها وأقمارِها، وجَنينا الغضّ من زهرِها، والطيّب من ثمرِها، وحَمِدنا جميل تأثيرها وحميدَ آثارِها

وحيّتْ على بعد المدى نفَثاتُها * بأطيَبَ من رَنْد(٢) الرُّبا وعَرارِها(٢)

١٠ وآجتلَى الملوك حسناء إحسانها فما ضارعتْها البدورُ مذ فارقتْ سَرارَها، ولا الأنجمُ ولو نظم الفَلَكُ أنوارَها، ولا الروضةُ وقد عقدت الغمائمُ إزارَها(٣)، ولا أطلالُ ميّةَ وقد دبّجت يدُ الأنواء(٤) أزهارَها، ولا أرْدانُ عزّة وقد أوقدتْ بالمَنْدَل(٥) الرطب

(١) فى الأصل: «عز»؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه قوله بعد: «فى بهيات».
(٢) الرند: الآس؛ أو هو العود الذى يتبخر به؛ وقيل: إنه شجر من أشجار البادية طيب الرائحة
١٥ يستاك به، وليس بالكبير، وله حب يسمى الغار. والعرار: النرجس البرى.
(٣) يريد تشبيه النبت والأزهار حول الروضة بإزار عقدته الغمائم عليها، كما يدل عليه قول أبى تمام:
حتى تعمّم صلع هامات الربا * من نوره وتأزّر الأهضام
والذى فى الأصل: «أزرارها» والراء الأولى زيادة من الناسخ.
(٤) عبارة الأصل: «ذبحت يد النوار»؛ وهو تحريف.
٢٠ (٥) المندل والمندلى: العود الذى يتبخر به. قال الأزهرى: وهو عندى رباعى لأن الميم أصلية وقد أشار بهذه العبارة الى قول كثير:
بأطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
والروى فى هذا الشعر مرفوع، وقوله: «أوقدت» مبنى للمجهول، ويدل على ذلك قوله قبل هذا البيت:
فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها
٢٥ الأغانى ج ١٤ ص ٥٩ طبع بولاق وإنما خالف الكاتب هنا حركة الروى فى شعر كثير لاقتضاء السجع نصب الراء.

نارَها" ؛ صلة جاءت كبُرد الشباب[1]، و برد الشراب ؛ اقتضاها قبل السؤال، وابتداء الآمال ؛ والملوكُ يحضر عقبيها ليجتلىَ وجه المنعم قريبا، ويجتنىَ غصنَ النِّعَم رطيبا

ومتى لم أَقُم بشكرك للنا * س خطيبا فلا وُقيتُ الخطوبا

(١٣٩) وكتب الى الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين[2] على بن محمد المعروف بابن حِنّاء[3]:

رفع الله قــدر الجناب الصــاحبيّ التاجىّ فى شرف الأقــدار، وأَجْرَى بإرادته وسعادته ســوابقَ الأقدار، وألبَسَه حليــة الشرف التى هى على رأس رياســته تاجٌ وفى مِعصم سيادته سِــوار، وحلّةَ النعم التى ينكمش[4] لأجلها رُدْنُ المساءة وينسحب بمثلها ذيل المسَار، وأمضَى عزائم آرائه التى اذا سَـطت يوم البأس نفــذتْ نفوذ

(١) فى الأصل : «الشتاء» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا فى الأصل ؛ والذى وجدناه فى المصادر التى بين أيدينا أن الصاحب بهاء الدين جد الصاحب تاج الدين ؛ وأما أبوه فهو فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين . فقد ورد فى كتاب المنهل الصافى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ فى ترجمة الصاحب تاج الدين هذا : أنه محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم الصاحب تاج الدين أبو عبد الله بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حناء المصرى وزير الديار المصرية ؛ وكان مولده فى سنة أربعين وستمائة ؛ وتفقه وبرع ونظم ونثر ؛ وحدث بمصر ودمشق ؛ وانتهت اليه الرياسة فى عصره بالقاهرة ؛ وتوفى فى سنة سبع وسبعمائة . وفى كتاب أعيان العصر وأعوان النصر المأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ : ان الصاحب تاج الدين هذا قد تولى الوزارة بالديار المصرية مرتين ؛ ورأى من العز والوجاهة ما لم يره جده الصاحب بهاء الدين . وانظر (مستدرك التاج) مادة « سلم » فقد نص فيه على ان تاج الدين حفيد الصاحب بهاء الدين .

(٣) كذا ورد هذا الاسم بالهمز فى مستدرك التاج مادة (سلم) .

(٤) الانكماش : التقلص .

السهم ومضت مضاء الغِرار[1]، واذا سرت فى ليل الخطب هدت هداية النجم ووضحت وضوح النهار، وأرضى همّته التى اذا همّت أغنت عن الأبيض المرهف والأسمر الخطّار، واذا أمّت شأت[2] ناصيةَ الحنَفاء[3] وبذّت قاصيةَ[4] الخطّار[3]؛ وأرهف أقلامه التى اذا أجراها أثبتتْ خال النِّقس، فى وجنة الطرس، وطرّزتْ بالظلماء أرديةَ الشمس؛ واذا هزّها أنستْ هزّ العوامل، وأصابت من الأمر الكُلَى والمفاصل، وإذا أمضاها لنعمة أو لنقمة فالجانى لعابُ الأفاعى القواتل، والعافى أَرْىُ[5] الجَنَى اشتارته أيدٍ عواسل؛ ولا زال ربعه مَربعا للجلال ومَصيفا، ومَرتعا لسَوام الآمال وخريفا، ومَشرَعا وارد الظلال وَرِيفا؛ وحرما آمنا تُجبَى اليه ثمرات الحمد وتُجنَى منه ثمرات الرِّفد، وتقف المعالى عليه "وقوف مطايا الشوق بالعَلَم[6] الفرد"؛ فإنه الربع الذى وقفتْ به الآمال وقوفَ غَيلانَ[7] بدارميّه، وعكفتْ [عليه][8] المحامد[9]

(١) الغرار بالكسر: حد السيف والرمح.

(٢) فى الأصل: «شابت»؛ وهو تحريف. وشأت: سبقت؛ والمضارع يشأو كيدعو.

(٣) الحنفاء والخطار بتشديد الطاء المهملة: اسما فرسين لحذيفة بن بدر الفزارى؛ وفى الأصل: «الحيفا» بالياء المثناة؛ وهو تحريف.

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل؛ ولعله يريد بقاصية الخطار: الغاية التى ينتهى اليها فى جريه.

(٥) فى الأصل: «أرق» بقاف مثناة بعدها ياء؛ وهو تحريف. والأرى: عسل النحل. يشير بهذه العبارة الى قول أبى تمام فى صفة القلم:

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

واشتارته: جنته واستخرجته من الوقبة.

(٦) العلم: الجبل، والمراد بالعلم الفرد هنا: جبل فرد شرقى الحاجر يقال له: أبان، فيه عيون ونخيل ومياه.

(٧) غيلان: اسم ذى الرمة الشاعر. وفى الأصل: «عيلان»؛ وهو تحريف. وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا الجزء.

(٨) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٩) فى الأصل: "التجافل"؛ وهو تحريف لا معنى له.

عكوف توبةَ على حبّ الأخيَليّه[1]؛ والجنابُ [الذى][2] فاءت ظلالُه وفاضت مواهبُـه وجاءت مَذانبُـه[3]، وجادت سحائبُـه، وجلّت شيمـه وتجلّت غياهبُـه؛ فى روض المعـالى الذى فاحت نسـائمُه، وناحت حـمائمُه، ومَنشإ المجـد حيث شـاب فأُرخيَتْ ذوائبُـه وشبّ فقُطِّعت تمـائمُه، وبيتِ الرياسـة الذى اذا دنوتَ حباكَ بإكرامـه واذا نأيت حيّتك مكارمُه، وصـدر السيادة الذى خضعت له الأعنـاق هيبة " لأبلجَ لا تيجانَ إلّا عمائمُه "

ولا زال بدرا فى سمـاء سـيادة * يشـار إليـــه فى الورى بالأناملِ

بسيط مساعى المجد يركب بجـدّه * من الشرف الأعلى وبذلِ الفواضلِ

إذا سـيل[4] أغنى السامعِين جوابُه * وإن قال لم يترك مقـالا لقـائلِ

محـمّد أيّام الحيـاة فكلُّها * لطـالبِ علم أو لقاصـدِ نائلِ

ويُنهِى ولاء مخبوءا بسـويداء قلبِه، موضوعا بين شَـغافه وحِلْبِه؛ وثنـاءً مسموعا فى محافل الأنام، معلَنا[5] فى صحائف الحمد بألسنة الأقلام، جديدا على ذهاب الليالى واختـلاف الأيام؛ ودعاءً سابقَ أراعيلَ[6] الرياح، ووَضَحَتْ أنوار إجابتـه وضوح

(١) الأخيلية: هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال وقيل: ابن الرحالة بن شدّاد بن كعب بن معاوية، وهو الأخيل؛ وهى من النساء المتقدّمات فى الشعر من شـعراء الإسلام؛ وكان يهواها توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمـرو بن عقيـل الأغانى ج ١٠ ص ٦٧ طبع مطبعة بولاق. وقد أوردلها أبو الفرج أخبارا كثيرة فانظره.

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل.

(٣) المذانب: مسايل الماء الى الأرض. أو هى الجداول تسـيل عن الروضة بمائها الى غيرها، واحده مذنب بكسر الميم وفتح النون.

(٤) فى الأصل: «سال» بالألف؛ وهو تحريف.

(٥) فى الأصل: «مقلبا» بالقاف والباء الموحدة؛ وهو تصحيف.

(٦) أراعيل الرياح: أوائلها

الصباح، وطار الى ملإ القبول بقادمة كقادمة الجناح؛ وتحية اذا واجهتْ وجه الجهام أمطر، واذا هزّتْ أعطاف الكَهام[1] أثّر؛ أرقّ من النسيم السَّحَرى، وأعطر من العنبر الشِّحرىّ؛ وأصفَى من ماء المَناقع[2]، وأحلى من "جنَى النحل ممزوجا بماء الوقائع[3]" يرى ذلك فى شرع المروءة واضحا واجبا .. [4]، تحيّة من أُولىَ النعمة فشكرَها وعرف العارفةَ وما أنكرَها، وآمن بيده البيضاء من غير سوء ومد آمن بها ما كفرها؛ كيف لا وقد آمتزج بحبها لحُمه ودمُه، وسبّح بحمدها قلمُه وفمُه،وجرت شِيَمُ حمده على أعرَق جيادها والخيرُ من سبقتْ به إلى شكر المنعم شِيَمُه؛ لا سيّما وقد جنى الطيِّبَ من ثمارِها، ووَرد العذب من أنهارِها[5]؛ فلا أعدم الله مولانا صنائعَ الإحسان الذى آنعقدتْ عليه كلمةُ الإجماع، وأنشَده لسانُ الحامد عن شرف الآصطناع

فلو صوّرتَ نفسك لم تزدها[6] * على ما فيك مِن كرم الطباع

ولا زال اللطف صدَى صوته إذا دعا، والنجحُ قرينَ مساعيه أنَّى سعى، وحاكمُ الفضل يصدِّق دعواه حَوْزَ كلِّ فضيلة كيف آدّعى؛ حضر المملوك مهنّئا نفسَه بهنائه، ساعيا فى خدمته سعى الأَجْدل[7] فى هوائه، والنجمِ فى سمائه؛ من ملازمة

(١) الكهام من السيوف : الكليل الحدّ .

(٢) المناقع : مجامع الماء . وفى الأصل : «القانع» وهو تحريف إذلم نجد من معانيه ما يناسب السياق .

(٣) الوقائع جمع وقيعة وهى مكان صلب يمسك الماء، وكذلك النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء وماؤها يضرب به المثل فى الصفاء فيقال : «أصفى من ماء الوقائع» ؛ وقوله : «جنى النحل» الخ عجز بيت لذى الرمّة ، وصدره : وما سقاطا من حديث كأنه * الخ كما فى كتاب نهاية الأرب ج ٢ ص ٧٠ .

(٤) الظاهر أن هنا جملة ساقطة من الأصل بها يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته هذه وغيرها من رسائله وإن كان المعنى يستقيم بدونها . ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان .

(٥) فى الأصل : "شهادها" وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته .   (٦) البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى .   (٧) الأجدل : الصقر .

وجهه الذى ألقى ٱللهُ عليه محبّةً منــه فٱستنار ، وٱكتَسَى حلّة الحيـاء فألبسته حلّة الوقار؛ وٱجتلته المقل فرأت رونق الخفر عليه باديا، وٱئتمّتْ به الهـداة فألفته نجما فى سماء السيادة هاديا؛ وقالت الأمانى فى ظلّه فأنشأ جودُه قائلا :

نزلتُ على آل ٱلمهلّب شاتيا[1] *

ورأيتُه والناس مومئون من ليث عليــه مهابة[2] فكانوا الكِرْوانَ[3] أبصَرن بازيا[4]؛ أبّهة الجلاله، وجلالةُ الأصاله ، وأَصالة الشرف، وشرفُ الفضــل الأنف، ورِياســةٌ ورّثها خيرُ سلفٍ لخير خلف، وشيمٌ علّمته فى المعالى كيف تؤكَل الكتف؛ فصادف ركابَه العالىَ قد ٱستقلّ، وحلّ من دارة العزّ حيث حلّ؛ فأقام رجاءَ أن يعاين أسرّةَ جبينِه ، ويقبّلَه كتقبيل الندى فى يمينِه ؛ وحين جنحت الشمس الى مستقرّ الأنوار وطوى الفَلَكُ بيدِ القدرة رداء النهار؛ وأشرَقَ اليومُ من خشية طيّه[5] على شفا جُرُف هار؛ وثوّب[6] داعى العصر وحيّعــل ، وعاين نيّرَ الفلك فى وجه السماء كمين الأقبل[7]؛

---

(١) تمام البيت : «غريبا عن الأوطان فى زمن المحـــل» الأمالى لأبى على القالى ج ١ ص ٤١ طبع دار الكتب المصرية . ولم يعين أبو على قائل هذا الشعر .

(٢) كذا فى الأصل ؛ والظاهر أن صواب العبارة : «من كثب اليه مهابة» ؛ كما يرشد اليه قوله . «من» ولم يقل : «الى» . والكثب بفتحتين : القرب ؛ وإذن فقوله : «مهابة» يقرأ بالنصب أى : «من مهابة» .

(٣) الكروان بكسر الكاف وسكون الراء : جمع كروان بفتحهما : وهو طائر طويل الرجلين أغبر دون الدجاجة فى الخلق، وله صــوت حسن؛ يكون بمصر، وهو من طيور الريف والقرى ولا يكون فى البادية .

(٤) يشير بهــذه العبارة الى قول ذى الرمــة فى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى [illegible] :

من آل أبى موسى ترى الناس حوله * كأنهــم الكروان [illegible]

والبازى : ضرب من الصقور .

(٥) عبارة الأصل : «من [illegible] طيفه» ؛ وهو تحريف .

(٦) التثويب : ترديد الدعاء

(٧) الأقبل ، من القبل بفتحتين ؛ وهو فى العين : إقبال سوادها على الأنف ، [illegible] وهو من الحول .

ثَنَى عِنانَه إلى مَثْـوَى قرارِه ، وأنثنى يسابق أدهمَ ليـلِه بأشهب نهارِه ؛ وعلى الرغم أَخفق مسعاه ، ولم يَقْلِ[1] قلبُـه الشوقَ الذى دعاه ؛ لكن سار وأقام خالصُ ولائه وعاد بعد ما أُودع الحَفَظةَ مرفوعَ دعائه ؛ فعرّف اللهُ مولانا بركاتِ هذا الشهر الذى سارت به إلى إحسانه مطايا أيامِه ، وجعلَه مثبِتا لحسناته ممحِّيا[2] لآثامه ، وحلّاه بالمقبول[3] من صيامه والمشهورِ من قيامِه ؛ وأراه صـدرَ بِرّه أثلَج ، ووجهَ بدرِه أبلَج ، وثغـرَ آبتسامِه عن رضوان القبول أفلَج ؛ ورقّاه درجَ تَضاعُفِ حسناتِه ، ولقّاه من كرم الله مذخورَ إحسانه وموعودَ هباتِه ؛ وأراه الأملَ فى بَنِيه ، وأرانا فيهم ما رأينا فيه ؛ فهو غابُ[4] العلم وهم أغصانه وشجرُه ، ومُطَهَّمُ السابقين وهم حُجولُه وغُررُه ؛ وانى لألمح[5] من مَخايل شرفهم وشرف مَخايلِهم ، وشمائلِ شيمِهم وشيم شمائلِهم ؛ نجابةً[6] تضعُهم من الرِّياسة فى أنفِها ، ومن السيادة بمكان شَنفِها ؛ فهم جذوة فضـلٍ مُبرِقه ، ودوحةُ عِلمٍ مُورِقه ونَبعـةُ سيادةٍ مُعرِقه ، وشموس معالٍ فى أفق كلّ شرف مُشرِقه ؛ سمت بهـم أصالة النسب ، وفضيلةُ الأدب المكتسَب ، وجمعوا بين شرف العمومة والخؤولة فى كرم المنتسَب ؛ فللعلا ألسنٌ تثنى محامدها على الحميد من فعلهم وشيمهم ، وللندى مواهبُ عُزِيَتْ[7] مذاهبها الى العلِيّين من كرمهم وهممِهم ؛ لا زالت محاسنهم قلائدَ الأجيـاد وأيامُهم مواسمَ الأعياد ، وحرمهم المخصب بالمكارم سواء العاكفُ فيه والبـاد ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) فى الأصل : « يقبل » ؛ والباء زيادة من الناسخ . (٢) ممحيا بتشديد الحاء المهملة ؛ من محاه تمحية : أى بالغ فى محوه . (٣) عبارة الأصـل : « بالتقبل فى » الخ ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه قوله بعد : « والمشهور من » الخ . (٤) فى الأصل : «باع» ؛ وهو تحريف قلب لا يظهر به المعنى . والغاب : الآجام ؛ وهو من الياء ، وقد جعلت جماعة الشجر غابة لأنه مأخوذ من الغيابة . (٥) فى الأصل : « لأتلمح » ؛ ولم نقف على هذا الفعل فيما لدينا من كتب اللغـة . (٦) عبارة الأصل : « نحابة بعصهم » ؛ وهو تحريف فى كلا اللفظين لا يظهر له معنى . (٧) عبارة الأصـل : « عذبت مواهبا على » ؛ وهو تحريف فى الكلمات الثلاث ؛ والصواب ما أثبتنا .

وكتب الى القاضى شمس الدين الأصفهانى الحاكم — وكان بالأعمال القوصيّة — رحمهما الله تعالى — :

أوضح الله صنائعَ المجلس فى بهيم الآمال غررا ، ونظم أياديَه فى أجياد الأيّام دررا ، وصفّى مشارعَ أمانيّــه إن كان مَشرَعُ الأمانىّ كدرا ، ولا زال الإســلام يشــدو بحمده مفتخرا ، والأيّامُ تتلو مجدَه سُــوَرا ، والشرعُ المحمدىّ يكون بعضائه فى ذات الله منتصرا

فقــد نشرت يمنــاك أرديةَ العـــلا * تُحـــلّى بلادَ الله بالدين[(1)] والعـــلمِ

وأمضيتَ أمر الله فى شرع أحمـــد * وقيّدتَ شــكر الله فى مطلق الحُكمِ

وتُرضِى كلا الخصمين فى السّخْط والرضا * كأنك تُعطِى الخصم ما كان للخصيم

الى غير ذلك من محاسنَ وضحت وضوح النجم فى الليـل البهيم ، وسرت الى الحمـد سُرى المجـدِّ الى الشرف الصميم ، وحدّثتْ عن مساعيه فجاءت بالنثر البـديع والدرّ النظيم ، وأثنتْ عليه ثناءَ وارفِ الروض على واكــفِ الوَبل بألسنة النسيم

وهزّت جناحَى فضــــله وجلاله * الى دَرَكِ العلياء من غاية المجـــدِ

وقالت معاليـــه لىَ المجـــد كلّه * فما آبنةُ ذى البردين[(2)] والفرس الوَردِ

(1) فى الأصل : « فى الدين » ؛ وهو تحريف .

(2) ذو البردين : عامر بن أحيمر بن بهـدلة بن عوف ؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعت عنـد عمرو بن المنذر بن ماء السماء فأخرج بردين وقال : ليقم أعز العرب فليلبسهما ، فقام عامر ، فقال له : أنت أعز العرب؟ قال : نعم ، لأن العز كله فى معد، ثم نزار، ثم مضر، ثم تميم ، ثم سعد ، ثم كعب ، فمن أنكر ذلك فليناظر؛ فسكتوا ؛ فقال : هذه قبيلتك ، فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك؟ فقال : أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ؛ فأخذ البردين وانصرف (سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباتة) وقد أشار بهـذا الشطر إلى قول قيس بن عاصم المنقرىّ لزوجتـه منفوسة بنت زيد الفوارس الضبىّ — وكانت قد أتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام ، فقال : أين أكيلى؟ فلم تفهم ما يريد فأنشأ يقول :

أيا آبنــة عبد الله وآبنــة مالك * ويا آبنــة ذى البردين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسى لنا * أكيلا فإنى لست آكله وحـــدى

الأغانى ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق .

فلا عدمه الإسلام إماما فاضلا، وحَكَمًا فاصلا ، وساعيا الى غايات الفضائل واصلا ، وفاعلَ حسناتٍ صيرَّ الحاصل من شأنه باقيا والباقىَ من عمله الصالح حاصلا؛ المجلس — أدام الله أيامه — يعلم أن الأيام مسّتنى بحدّ شَباتها، ورمتنى عن قوس أذاتها، وجنتنى الحنظلَ من شَجَراتها، والمرّ من ثمراتها، وأضرمتْ من نار ألمى ٥ مالم تُطفئْه مقلتى بفيض عبراتها

كأنى لم أَطلُع بأفق سمائها * ولم أتقلّب فى ثياب سماتها
ولم أكُ منها فى سويداء قلبها * مَخايلَ من هدى العلا وهداتها

— أستغفر الله — فإنها آسترجعتْ ما لم يكن مستَحَقّا، وأبقت إن شاء الله لمجلسه السامى ما كان حقّا، وأسكنته(1) — أدام الله نعمته — وفلَكَ السعادة شرقا ١٠ ومَطلَع الشمس أفقا، وأحلّته(2) من كَنَف السيادة قلبا ومن رأس الرِّياسة فَرْقا

وتُطلِعه الآمال خيرَ غمامة * فتُلمِعُه بَرقا وتُوكِفُه ودْقا
وتبقيه للدين الحنيفىّ عصمةً * وللهَدْيِ والإضلال إن أبهما فَرْقا
وتُبرزُه فى صدر كلّ فضيلة * كما بَذّ شأوَ الفاضلين بها سَبْقا

حضر مملوكُ مولانا الولَدُ [وقد](3) رَفع من المحامد الشمسيّة لواء ، والتزم العبوديّة ١٥ والإخلاصَ وَلاء ، وعَمَر الأفنيَةَ ودادا والأنديةَ ثناء؛ وقال : أحسن مولانا حين أساءت الأيام، وأَولى نعمةً حاتميّةً وإنها أشرفُ الإنعام

---

(1) فى الأصل : « وسقته » ؛ وهو تحريف .

(2) فى الأصل : «ومحله» ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(3) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها لأن ذلك هو الأكثر فى كلامهم ؛ فان فى جملة ٢٠ الماضى المثبت الواقعة حالا أربع صور مرتبة فى الكثرة ، وهى : جاء زيد وقد قام أبوه ، ثم جاء زيد قد قام أبوه ، ثم جاء زيد وقام أبوه ، ثم جاء زيد قام أبوه وهذا خلاف مذهب البصريين ، فإن مذهبهم لزوم « قد » لهذه الحالة مطلقا ظاهرة أو مقدرة انظر شرح الأشمونى ح ٢ ص ١٦٩ طبع بولاق .

ومالىَ لا أُثنى عليــه بصــالح * وأشكره والشكرُ بعضُ حقوقِه
وأملأُ من حسن الثنا كلَّ مَسمَع * وإنّى لأخشى بَعــدُ إثمَ عقوقِه

ثم سار وقلبى يتبَعُــه ، ودمعى يشيّعُه ، ولسانى يستحفظه اللهَ ويسـتودِعُه ؛ وعليه من الديون ما أحاط به إحاطة الجفون بمقلِها ، والأغمادِ بمُنصُلِها[1] ؛ لتَوالِى هــذه المغارم التى طَمّ جُداها[2] ، والمظالِم التى عَمّ رداها ، والمحنةِ التى ملّكتْنى يداها ؛ من خراج طَمى بحرُ ظلمِه ، وزاد على حدّ الجور رسمُه[3] وخُصِصتُ من بين هذا العالم بوَسمِــه[4] ؛ للزومِ قام بوصفِى فتبعه لازمُه ، ومعنًى وجب لذاتى فاستحال عدَمُه ؛ وقد كان المملوك وولدُه فيما سلف يجودان بمــا يَجِــدان لقانع ومُعتَرّ ، وغنىّ ومضطرّ ؛ صيانةً للأعراض مِن أعراضِ اللّوم ، ورغبــةً فى صِلة حمدِ الأمس بفائد[5] اليوم ؛ وسجيّةَ نفس تأنف من علَاقة الذم ؛ وإن كان هــذا فيما لا يجب فالقياسُ فيما يجب انبعاثُ النفس اليــه مِن حَتْم المروءة أَمضَى[6] ، والدّينُ بأداء الواجب أقضَى ؛ لانه

(١) المنصل بضم الصاد وفتحها : السيف .

(٢) عبارة الأصل : «ضم حيداها» ؛ وفى كلا اللفظين تحريف لايستقيم به المعنى . والجداء بضم الجيم والمدّ : مبلغ حساب الضرب ، كقولك : ثلاثة فى ثلاثة جداؤها تسعة ؛ يريد بقوله : «طم جداها» أنه قد زاد مبلغ حساب هذه المغارم .

(٣) فى الأصل : «جدل» ؛ وفيه تصحيف وزيادة لام .

(٤) يريد أن هذا الخراج قد لزمه لزوم الوسم للوسوم ؛ والوسم : أثر الكىّ . والذى فى الأصل : «برسمه» بالراء ؛ وهو مكرر مع ما قبله .

(٥) الفائد : المستفاد ؛ يقال : فادت لفلان فائدة ، أى حصلت .

(٦) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : «فالقياس انبعاث النفس اليه فيما يجب أمضى من حاتم المروءة والدين أمضى بأداء الواجب» الخ وفيها تقديم وتأخير لا يظهر بهما المعنى ؛ واستقامة الكلام تقتضى اثباتها على هذا الوجه . وقوله : «انبعاث» فاعل «ليجب» ؛ وقوله : «من حتم» بيان لـ«ما» ؛ وقوله : «أمضى» خبر المبتدإ فى أول الجملة .

مؤيّد بإبرام الشرع، وقد صحّ هـذا القياس بجامعيّة الأصل والفرع؛ لكن ضاقت[1] يد القـدرة عن نفاذِها، واعتاضت من وابل الثروة برذاذِها؛ واذا توافرت القرائن أفادت فوق ما تفيد غلباتُ الظنون من مَدار الشرعيّات عليها، وانتهاءِ غالب الأحكام إليها؛ وقد كان الملوك حرّك عزائم سيّدنا قاضى القضاة — شرّف الله قدرَه، وأدام على الإسلام أمرَه — إلى تحرّيها[2] العلومَ الكريمةَ بما هى عالمه، وحُكمها بما هى حاكمه؛ ليكون[3] له مستنَد يدفع أقوال المتعرِضين، ويصرف اعتراضَ المعترِضين؛ ولئلّا يقفَ له واقف فيجرِىَ قلمه الشريف بأمرٍ جازمٍ يجب الوقوفُ على مثالِه، والمسارعَةُ إلى امتثالِه؛ فيعزّ استدراكُ الأمر بعد إحكامِه، ويكون السعىُ فى معارضته كالنقض لأحكامِه؛ فكتَبَ بما[4] يقف مولانا عليـه، وتشـير مروءتُه وديانتُه اليه؛ ويقرّر مع نائبه ما يقف عنده، ولا يتجاوز حدَّه؛ غيرَ ذاكرٍ عن مولانا منْعا ينفّر عنه الرُّواه[5]، ولا مشنّع[6] بكتّاب سـيّدنا قاضى القضاه؛ بل يكون كالشافع، اذا صمّم الخصمُ اعتذر بما هو لهـذه المصالح كالجامع؛ ليكون المُلّك[7] فى إرضائه بحسب الإمكان ويرَى الخصمُ ما أخذه بعد اليأس نوعا من الإحسان؛ فالنفوس اذا مُنعتْ كلَّ المنع طَلَبتْ كلَّ الطلب، وتعلّقتْ فى دَرَك أغراضها بكل سبب؛ وإذا أُخذتْ بالكلام

(١) فى الأصل: «صابت» بالصاد المهملة والباء الموحدة؛ وهو تحريف.

(٢) فى الأصل: «تحريك» بالكاف؛ وهو تحريف.

(٣) «ليكون» أى ليحصل و يثبت؛ فالفعل هنا تام لا يحتاج إلى منصوب؛ ويحتمل جعله ناقصا، واسمه ضمير يعود الى «تحرّيها»، وخبره قوله: «مستندا» بالنصب.

(٤) فى الأصل: «بما» والباء زيادة من الناسخ؛ إذ لم نقف فيما لدينا من كتب اللغـة على أن «قرّر» يتعدّى بالباء.

(٥) فى الأصل: «الذوات» بالذال المعجمة؛ وهو تحريف.

(٦) فى الأصل: «مشيع» بالياء المثناة؛ وهو تصحيف.

(٧) عبارة الأصل: «المماليك فى إرضائهم»؛ وهو غير مستقيم؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

البين[1]، وعوملتْ بالسهل اللين[2]؛ بعد درء سورتها[3] بالمنع، ودمع شهوتها بالدفع؛ اتّسق حُكم الأشياء وانتظم، وانشعب صدعُ هذا الجرح والتأم؛ وجرى الأمرُ على سداد بحفظ النظام وحفظ الحرمة والحفظ للشارع، ولذلك قال: "أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم" لا سيما مع شهادات ضروراتهم؛ بسط الله يمين سيدنا فى المعالى كما بسط لسانه فى المعالم، وقيّد عليه لسان الحامد كما أطلق يده[4] بالمكارم؛ وعليه تحية الله التى تُوالى عليه نفحاتها، وتُهدى إلى آماله العالى [من][5] مقترحاتها.

وكتب إلى شهاب الدين محمود متولى سمهود[6] من عمل قوص — وكان بينهما مودّة، فاستدعاه للسلام عليه — فكتب:

إلينا فإنا قد حللنا بأرضكم * على فرط شوق لابن عثمان دائم
وزرناك محمودا كما زار أحنف[7] * لنيل الأمانى ربع قيس بن عاصم[8]

(١) فى الأصل: «اللين» باللام، وهو تحريف لتكرره مع ما يأتى بعده فى الجملة الآتية.
(٢) فى الأصل: «بالمنهل»؛ وهو تحريف. (٣) السورة: الحدّة. (٤) عبارة الأصل: «يد المكارم» بسقوط الهاء والباء؛ والسياق يقتضى إثباتهما. (٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها. والهاء فى قوله: «مقترحاتها» تعود إلى «آماله».
(٦) سمهود، ويقال سمهوط: قرية كبيرة على شاطئ غربى النيل بالصعيد دون فرشوط (ياقوت) وقال فى تاج العروس: المشهور فى هذه القرية أنها بفتح السين وبالدال فى آخرها.
(٧) الأحنف: هو الضحاك، وقيل: صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة، ينتهى نسبه الى سعد ابن زيد مناة بن تميم؛ ويكنى أبا بحر؛ وهو الذى يضرب به المثل فى الحلم، وكان من سادات التابعين؛ وأدرك عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه؛ وروى عن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، وروى عنه الحسن البصرى وأهل البصرة؛ وشهد مع على رضى الله تعالى عنه وقعة صفين؛ وخرج مع مصعب بن الزبير الى الكوفة، فمات بها سنة سبع وستين وقيل سنة إحدى وسبعين (وفيات الأعيان) ترجمة الأحنف بن قيس.
(٨) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد، ينتهى نسبه الى سعد بن زيد مناة ابن تميم؛ ويكنى أبا على؛ وكان شاعرا فارسا كثير الغارات مظفرا فى غزواته حليما؛ أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما؛ وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية؛ وأسلم وحسن إسلامه، وأتى النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه فى حياته، وعمر بعده زمانا، وروى عنه عدّة أحاديث، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا سيد أهل الوبر" (الأغانى ج ١٢ ص ١٤٩ طبع بولاق) أخبار قيس بن عاصم.

ولسنا بغاةً للنـــدى والتماســـه * وان كنتَ معروفَ الندى والمكارمِ
ولكن وفاءً بالإخاء لمن وفَى * وقد خان حتى حدُّ سيفى وقائمى
وجدتك ذخرى والزمانُ محاربى * كما كنت عَونى والزمانُ مسالمى
فلا غرو أن أُثنِى اليـــك أعنّتى * كما قد ثَنت يمناى خِنصَرَ خاتَمِى

٥ يُهـدى الى المجلس السامى الشرفىّ تحيّـةَ الله التى تحملها أنفاس النسيم معطّرةً بعَرْف الرياض ، مكلّلةً بأندية الكرم الفيّاض ، تغـاديه فى السحر والمَقِيـل ، وتُراوحه فى الطَّفَل والأصيل ، وتشاهد محاسنَه(1) المقل أَحسَنَ من محاسن بثينة فى وجه جميل ؛ وأثنيتَــه(2) التى تنتظم فى الأجياد آنتظامَ القـلائد ، وتَرِد على الأسماع ورود الهِيم(3) على عِذاب المَوارد ؛ ويوليه(4) من حبّــه مزيّةَ الآختصاص ، ومن مُوالاته السوابغَ التى ١٠ لا تمتد إليها يد الآقتناص ؛ فهو نسيم الأنس ، ومسرّةُ النفس ،وذخرُ اليوم والأمس ؛ مصعبىُّ الهمم ، مهلّبىُّ الشّـيم(5) ، حاتمىُّ الكرم ؛ فاق أخلاقا ، وراق أعراقا ، وسما نفسا ، وطلع فى سماء الشرف شمسا

وأَلفيتُــه فى نفسِـــه وولائه * وحسنِ معانيـــه كما آنتظم الدر
وضاع شـذا أنفاســه فانتشـقتُه * على النأى منـه مثلما آبتسم الزهرُ
١٥ ولاحت معاليـــه بآفاق مجـدِه * كما لاح فى ليـــل التّمام لنا بدرُ

(١) فى الأصل : «مجاشمه» ؛ وهو تصحيف .
(٢) الظاهر أن هذه الجملة والتى بعدها مقدّمتان من تأخير ؛ واستقامة الكلام تقتضى تأخيرهما عن الجملتين اللتين بعدهما ، أى بعد قوله فيما سيأتى : (يد الاقتناص) . والأثنية : جمع ثناء .
(٣) الهيم : الإبل العطاش . وفى الأصل : «الهم» بسقوط الياء .
٢٠ (٤) عبارة الأصـل : «وله لأولى» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى ؛ وسـياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .
(٥) فى الأصل : «النسيم» ؛ وهو تحريف .

لا جَرِم إتياني[١] اليه، وإيثارَ تسليمى عليه؛ مع أنى كنت أعهد له خلوةً حلوةً مع الله ووقفةً على بابه، والتجاءه فى جنح الليـل إلى جنابه، ودمعةً يرسلها إذا آسترسـل فى محرابه؛ وضراعةً يتابعها خشوعُه، وزفرةً يشتمل عليها قلبه وتفرّق عنها ضلوعُه

فياليت شـعرى هل أقامت بثينة * على عهـدها أم قد ثنتها الشواغلُ
وهـل ذلك الودّ الذى كان بيننا * بوادى الخزامى مثـلُ ما كان أوّلُ[٢]

٥

(١٤٣) وكتب اليه — رحمهما الله — يستدعى منه ثلاثة أسهم ومليّات[٣] — وقد أوردنا بعض هـذه الرسالة فى الفن الأوّل فى السواق، ونُوردها فى هـذا الموضع بجملتها لتكون متتابعة يتلو بعضُها بعضا — :

والسيفُ يُندَب فى الوغى فيهزّه * نَدْبُ الكمىّ الى مضاء غِرارِه
والحرُّ أولى بانتـداب خلالِه * لمؤمّـل فيـه قضـا أوطارِه

١٠

فلذلك حرّكتُ العزائمَ العاليـةَ المولويّةَ الشرفيّـةَ — أدام الله علاها ، ورفع لواها وأودع أسماعَ الأنام ثناها؛ ولا زالت مرفّهةَ السرائر، منوّرةَ الضمائر، سائرةً فى قطب المعالى سير الفَلَك الدائر، آخذةً بحظها من شرف المفاخر، جامعةً بين دَرَك إحسان

(١) عبارة الأصل : «لا جرم إتياى» ؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين .

(٢) لم يلتزم هنا ألف التأسيس وهى التى يكون بينها وبين الروىّ حرف متحرك ، ويجب على الشاعر التزامها اتفاقا . انظر الحاشية الكبرى للدمنهورى على متن الكافى ص ١١٧ طبع بولاق .

١٥

(٣) كذا فى الأصل والسفر الأوّل من هذا الكتاب ص٢٨٩ طبع دار الكتب المصرية ، وضبط فيه بفتح الميم وتشديد الياء ، ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على لفظ «المليات» بالمعنى الذى يريده الكاتب فى هذه الرسالة ؛ فإنه يريد بالمليات : أوان من خزف يستخرج بها الماء من السواق كما يفهم من وصفها الآتى وتسمى هذه الأوانى بالقواديس ؛ كما فى مستدرك التاج مادة «قدس» .

٢٠

الله فى اليـوم الأوّل واليوم الآخر — تحريكَ الطَّسْمية[1] عزائمَ الأسوَد بن عفّار[2] وبعثَها إلى إنالة الأمل انبعاثَ الهمم العربيّـة يومَ ذى قار[3]، واستجشتُ عزائمها استجاشةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عزائمَ الأنصار، واستنجدتُها استنجادَ العثمانيّة بالهاشميّة يوم الدار[4]، واستحثثتُها سرعةَ الإجابة استحثاثَ أدهمِ الليل أشهبَ النهار، فإنها

(١) كذا فى الأصل ؛ ولعله : «الجديسية» نسبة الى جديس ؛ فان الذى حرّك الأسود بن عفار للذود عن شرفه وشرف قومه ، هى عفيرة أخته ، وهما من جديس لا من طسم ؛ وقد بينا ذلك فى الحاشـية التى تليهـا .

(٢) كذا فى الأصل ومستدرك التاج والكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٤ طبع ليدن) بالعين المهملة والذى فى تاريخ الطبرى القسم الأول (ص ٧٧١ طبع أوربا) : «ابن غفار» بالغين المعجمة . وأشار بهذه العبارة الى ما كان بين طسم وجديس — وهما قبيلتان من العرب البائدة — وذلك أن ملك طسم كان قد سام جديس أنواع الذل ، وأمر ألا تزف فتاة من جديس الى زوجها حتى يفتض هو بكارتها ، فزفت فتاة من جديس الى زوجها ، وقبل زفافها أتى بها الى ملك طسم ، فافتضها ، وكانت اسمها عفيرة ، وهى الشموس أخت الأسود بن عفار هذا ، فخرجت على قومها فى حالة تثير الحمية فى نفوسهم وتحرضهم على أن يقوموا فى وجه هذا الظالم ليحفظوا شرفهم وأعراضهم ؛ فخطب الأسود بن عفار فى قومه وائتمروا بطسم وملكهم ليفنوهم عن آخرهم ويخلصوا من ظلمهم ، فصنعوا طعاما ، ودعوا اليه ملك طسم وقومه ودفنوا سيوفهم فى الرمل فلما حضروا وجلسوا الى الطعام أخذتهم سيوف جديس فلم تبق منهم أحدا . انظر تفصيل هذه القصـة فى الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ طبع ليدن) وغيره من كتب التاريخ .

(٣) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها و بين واسط ؛ و به كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس ، وهو أول يوم انتصف فيه العرب من العجم ؛ وهذه الوقعة من مفاخر بكر بن وائل (ياقوت) فى الكلام على ذى قار وانظر تفصيل هذه القصة فى كتب التاريخ .

(٤) يريد دار عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه التى حوصر فيها وقتله الثوار بها فى الثامن عشر من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين . انظر ذلك مفصلا فى كتب التاريخ . ويشير بقوله : «استنجاد العثمانية بالهاشمية» الى كتاب قيل : ان عثمان بعث به الى على رضى الله تعالى عنهما يستنجده على من حاصره جاء منه : أما بعد فقد بلغ السيل الزبى ، وتجاوز الحزام الطبيين ، وطمع فىّ من لا يدفع عن نفسه ؛ الى أن قال : فأقبل الىّ على أى أمريك أحببت

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركنى ولما أمزق

"تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون للصفدى" .

لَلَّتِى ثَنَيْتُ عليها خِنصَرَ الاعتماد ، وصرفتُ اليها عَقِيدةَ الاعتداد(١) ، وجعلتُها من القلب فى سويدائه ومن المقلة فى السواد ، واعتمدتُ عليها اعتمادَ بكرٍ على الحارث بن عُبَاد(٢) ؛ لا جرم أنها والحمد لله تعالى ساعيةٌ لآمالى متى استَسعيتُها ، وصدَى صوتى متى دعوتُها وفاتحةُ كتاب الحامد متى تلوتُها ؛ وأعيذها بالله أن تَنكُبَ عن قضائها(٣) ، أو تقفَ دون غاية انقضائها ؛ وإنها لأَوْرَقُ(٤) فرعا من أفنان السَّلَمِه(٥) ، وأعرقُ أصلا فى الوفاء من أصل السَّلِمه(٦) ، وأرشَقُ سهما فى كنانة سَلِمه(٧) ، وأوثَقُ فى حفاظ المودّة من ابن شُبرمه(٨) ؛ يقينٌ

(١) فى الأصل : «الاعتذار» بالذال المعجمة والراء ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا ضبطه العلامة الشنقيطى بضم العين فى إحدى نسخ القاموس مادة "نعم" وهـذه النسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩ لغة ش . وضبط كذلك بالقلم فى شرح التبريزى على ديوان أبى تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥ أدب ش عند قول ابى تمـام :
كم وقعة لك فى الهوى مشهورة * ما كنت فيها الحارث بن عباد . والحارث بن عباد : هو أحد فرسان بنى بكر بن وائل و رؤسائهم ؛ وكان قد اعتزل الحروب التى وقعت بينهم و بين بنى تغلب ، وهى المسماة بحرب البسوس . ثم شهدها بعد ذلك لمـا قتل مهلهل بن ربيعة ابن أخيه بجيرا ، وقال مهلهل حين قتله : "بؤ بشسع نعل كليب" فغضب عندذلك الحارث بن عباد وقال :

قـربا مربط النعـامة منى * لقحت حرب وائل عن حيال

الأبيات — والنعامة : فرسه — فأتوه بها ، فركبها وولى أمر بكر وشهد حربهم ، وكان أوّل يوم شهده يوم قضة ، وهو يوم تحلاق اللم ، وإنمـا قيل له : تحلاق اللم ، لأن بنى بكر حلقوا رءوسهم ليعرف بعضهم بعضا ، وقاتل يومئذ الحارث بن عباد قتالا شديدا ، فقتل فى تغلب مقتلة عظيمة ، وفى هذا اليوم أسر الحارث ابن عباد مهلهل بن ربيعة ثم أطلقه اهـ ملخصا من تاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ طبع ليدن) .

(٣) عبارة الأصل : « أن تكم عن نصابها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا إذ هو مقتضى السياق .

(٤) هو من ورق الشجر يرق كوعد يعد والأكثر فى هذا الفعل «أورق» بالألف ، قاله الأصمعى .

(٥) السلمة : شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها وورقها يسمى القرظ ، ولها زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح تؤكل فى الشتاء وتخضر فى الصيف . وقال أبو حنيفة : السلم سلب العيدان طولا شبه القضبان وليس له خشب وإن عظم وله شوك دقاق طوال حادّ . والكلام هنا على الاستعارة .

(٦) السلمة بكسر اللام : الصخرة ؛ يريد أنه ثابت العهد على الأيام ثبوت الصخر . (٧) سلمة بكسر اللام : بطن من الأنصار . (٨) لعل المراد بابن شبرمة : سعيد بن النصر بن شبرمة الحارثى الكوفى ، من المحدّثين انظر مستدرك التاج . وفى الأصل : «ابن أبى شبرمة» ؛ وقوله : «أبى» زيادة من الناسخ .

أُحطتُ بأنبائه، إحاطةَ رسـول ابن داود(١) يوم إنبائه؛ فلا أشكّ(٢) فى شرف نفسها وسموِّ نجمها ووضوح شمسها، وزيادةِ يومها فى الوفاء على أمسها(٣)، كما لا تشكّ الإياديّة فى فصاحة قُسّها، ولا العامريّةُ فى علاقة قيسها؛ وقد توجّه اليه حاملُها لحمل السهام التى أسهمتْ له من الموالاة(٤) أوفرَ أقسامها، ونشرتْ رداءَ ذِكرِه على أفئدة قلوبها وألسنة أقلامها؛ عند اشتداد الحاجة إليها، وجَرِّ ثقل السواقى عليها؛ وحركة الحرّ التى حلّت شمسُه بُرجَ حَمَلِها(٥)، وتوالت جيوشُ جنوده بين صدور ظُباها وأطرافِ أَسَلِها؛ تجفّف أنداءَ الثرى، وتُعيد عنبرَ الأرض عِثْيَراً(٦)، وتُشيب مَفارِقَ نَباتها، وتُذيق المماتَ أكبادَ حَبّاتها(٧)؛ فاستنصر العزائمَ العاليةَ المولويّةَ الشرفيّةَ فى إطفاء لَهَبه واقتضينا إعانته قبل انتضاء قُضُبِه(٨)، وبعثْنا لمحلّ الهمة الشرفيّة قبل سطوته على قَضْبه(٩) وقَصَبه؛ لتجرىَ جداولُها على صفحة الثرى مستفيضه، وتُجْنَى ثمراتُ رياضها من

(١) أراد برسول ابن داود: الهدهد؛ وقصته مع نبي الله سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم مشهورة.

(٢) فى الأصل: «ان فى شرف» وقوله: «ان» زيادة من الناسخ.

(٣) فى الأصل: «أمنها»؛ وهو تحريف.

(٤) الموالاة، من والى فلان فلانا: اذا أحبه وصادقه.

(٥) الحمل من بروج السماء: أوّل البروج، وأوّل هذا البرج الشرطان — وهما قرنا الحمل — ثم البطين ثلاثة كواكب، ثم الثريا، وهى ألية الحمل؛ هذه النجوم على هذه الصفة تسمى حملا. قال فى اللسان: وهذه المنازل والبروج قد انتقلت؛ والحمل فى عصرنا هذا أوّله من أثناء الفرغ المؤخر اه كلامه؛ والحمل من البروج الربيعية.

(٦) عبارة الأصل: «عبير الأرض عنبرا»؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين لا يستقيم به المعنى؛ والعثير: الغبار.

(٧) فى الأصل: «صمات» بالصاد؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى.

(٨) فى الأصل: «انقصاء» بالقاف؛ وهو تحريف.

(٩) القضب كل نبات يقتضب فيؤكل طريا غضا.

أنداء همّته أريضه[1]، وتغازل مقلُ النفوس لحظاتِ أزهارها، وتفتن أفنانُ[2] فنونها بنَوح بلبلها وهَزارِها، ويبوح شذا الروض عن[3] سرِّها وآثارِها[4]؛ هذا مع أنّها خَطبتْ حُسنَ إحسانه، وتقلّدتْ جميلَ برّه وجزيلَ امتنانه؛ والربيع منمْنَم العـدار، مُوشّى الإزار، قد لبس رداء شـبابه، وماسَ فى خَصِر ترابه وخَضِل ربابه[5]؛ يهزّ أعطاف سنائه[6]، ويَخطِر فى بُرد هوائه وبَرد مائه، فكلّل وجنـاتِ نَوْره ببَرَد أندائه؛ والثرى عنبرىُّ الأديم، سَحَرىُّ النسيم، رَنْدىُّ الشميم؛ موشّحٌ بقلائد غدرانه، مغازِلٌ بعيون نرجسِه بسّام بثغر أُقحُوانه؛ لا يغرّد ذبابُه ولا يطربُ[7]، ولا يصِر بصُرْصُراته الجُنْدُب[8]؛ تطلُع شمسه محتجبةً فى ضبابِها[9]، مقنّعةً مِن سحابِها؛ جاريةً فى أثناء حُبُكِها[10]، حائلةً فى أدنى فَلَكِها؛ تسعى فتُسرِع، وتكاد أن تغرب حين تَطلُع؛ والجوّ معقود الأزرار، فاختىٌّ[11]

(١) الأريضة: المعجبة للعين.

(٢) الأفنان: الأغصان؛ واحده فن، كسبب. ويريد بالفنون: ضروب النبات، واحده فن.

(٣) كذا فى الأصل؛ ولم نقف فيما بين أيدينا من كتب اللغة على تعدية «باح» بهذا الحرف؛ ولعله ضمن يبوح: معنى يكشف فسوّغ له هذا التضمين ذكر «عن».

(٤) فى الأصل: «وأسرارها»؛ وهو تحريف لتكرره مع ما قبله.

(٥) فى الأصل: «ذبابه» بالذال المعجمة؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى. والرباب: السحاب.

(٦) فى الأصل: «شبابه»؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه آخر الجملة الآتية. إذ به يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته.

(٧) فى الأصل: «ولا يطر» وفيه تصحيف ونقص.

(٨) فى الأصل: «ولا يصر بشحراته»؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين. والصرير والصرصرة: صوت الجندب.

(٩) فى الأصل: «ضيائها»؛ وهو تحريف.

(١٠) حبك الشمس: طرائقها، الواحد حبيكة.

(١١) الفاختىّ، نسبة الى الفاختة، وهى ضرب من الحمام المطوّق لأن لونها يشبه الفحت: وهو ضوء القمر.

(١٤٤)

الإزار، غيمُه منسكب، ونُورُه منسحب؛ وليلُه يضمّ أطراف نهاره، ويلفّ وجهه في حاشية إزارِه؛ يَنفِي القذاةَ[1] عن مائه، ويجمع الحواسّ على جَلْوائه[2]، ويُعشِي المقل من ضوء سَنائه

فلو أن ليلى زارنى طيفُ أنسها * وماءُ شبابى قاطرٌ فى ذوائبى

٥ ضَممتُ عليها البرد ضمّةَ آلفٍ * وألصقتُ أحشائى بها وترائبى

ولكن أتتنى بعد ما شاب مَفرِقى * وودّعتُ أحبابى له وحبائبى

والحاجةُ داعيةٌ إلى ثلاثة أسهم، كأنها هَقْعةُ[3] الأنجُم؛ ممتدّة امتداد الرمح، مقوّمة تقويمَ القِدْح؛ غير مُشعَّثةِ الأطراف، ولا معقّدةِ الأعطاف، ولا مسوّسةِ الأجواف؛ تُحاسِن الغصون بقوامِها، والقدودَ بتَمامها؛ وتُخالِف هيفَها بامتلاء خصورها، ١٠ وتُساوِى [بين][4] هَواديها وصدورِها؛ معتدلة القدود، ناعمة الخدود؛ مع مليات[5] أخذت النار فيها مأخذَها فاسودّتْ، وتطاولت عليها مدّةُ الجفاف فاشتدّتْ؛ وترامت بها مدّة القِدَم، كأنها فى حيّز العدم؛ صِلاب المَكاسر، غِلاظ المآزر؛ تشبه أخلاقه فى هيجاء السِّلْم، وتَحكِى[6] صلابةَ آرائه فى نفاذ الرأى ومَضاء العزم؛ تكظِم على الماء بقَبضِها[7]، فتجود على الأرض بفَيضِها؛ تمدّ يدَ أيدِها[8] فى اقتضاء إرادتها، وتَطلُع

---

١٥ (١) فى الأصل : «يسعر الدوات»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه سياق الكلام .

(٢) فى الأصل : «ملوايه»؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٣) الهقعة : ثلاثة كواكب فوق منكبى الجوزاء كالأثافى إذا طلعت مع الفجر اشتدّ حر الصيف .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن السفر الأول من هذا الكتاب ص ٢٨٩ الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية .

٢٠ (٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٩٤ من هذا الجزء .

(٦) فى الأصل : «وتحلى»؛ وهو تحريف .

(٧) فى الأصل : «لعيطها» وفى السفر الأول من هذا الكتاب : «بعيطها»؛ وهو تصحيف فى كليهما .

(٨) الأيد : القوّة .

طلوعَ الأنجم فى فلَكِ إدارتِها ؛ وتُعانِق أخواتها معانقَةَ التشييع ، فآخرُ التســليم أولُ التوديع ؛ على أنها تؤذِن بحقائق الأعتبار، وتجرِى جَرْىَ الفَلَك المُدار فى فَناء الأعمار

تَمــرّ كأنفاس الفتى فى حيــاته * وتسعى كسعى المرء أثنــاء عمرِه
يفارق خلٌّ خلَّه وهو ســائرٌ * على مِثل حال الخلّ فى إثر سيرِه
ويُعلِمه التَّدوارُ لو يعقل الفتى * بأن مرور العمر فيه كمَرِّه
فمن أَدركتْ أفكارُه سرَّ أمرِها * فقد أَدركت أفكارُه سرَّ أمرِه
ومن فاته الإدراكُ أدركه الردى * إذا جُرِّعتْ أنفاسه كأسَ مُرِّه

هــذه آخر خَطَوات القلم، ومنتهى خَطَرات الكَلِم ؛ فقُم فى سرعة وصولِهـا وتعجيلِ رسولِها

بعزمٍ [غدا] يُنسِى لمروانَ عَزْمَه * براهِطَ(1) إذ جاشت عليــه القبائلُ

غيرَ معتمد عليه، ولا مفوِّض أمرا اليه؛ فلم أعتمد عليه اعتماد الصُّوفه(2)، وإنمــا هو العِماد عند أهل الكوفة(3)؛ وإنمــا هو حمار سَير، وذَنَب طَير؛ يَحمِل ورقة مطويّةً عن

(1) راهط : موضع فى الغوطة من دمشق . (ياقوت) ومنعه من الصرف باعتبار أنه علم على البقعة . وأشار بهذا الى وقعة مرج راهط المشهورة وكانت بين عساكر مروان بن الحكم أحد خلفاء بنى أمية وأتباع عبد الله بن الزبير، وهم القيسية، وكان النصر فيها لجنود مروان .

(2) كذا فى الأصــل ؛ ولم نجد من معانى هــذه الكلمة ما يناسب السياق ؛ ولعل صواب العبارة : " اعتماد آل صوفة "، وآل صوفة : قوم كانوا يخدمون الكعبة و يتنسكون ؛ قال فى الأساس : ولعل الصوفية نسبوا اليهم تشبيها بهم فى النسك والتعبد اهـ ؛ يريد الكاتب بهذه العبارة : أنه لم يعتمد على هذا الرسول اعتماد المفوض اليه فى كل أمر، كاعتماد أهل التنسك والعبادة على خالقهم وتسليمهم اليه فى جميع الأمور .

(3) العماد عند أهــل الكوفة : هو المسمى بضمير الفصل عند البصريين مثل « هو » فى قولك : « زيد هو القائم » ؛ وتسميته عمادا لأنه يحفظ مابعده حتى لايسقط عن الخبرية كالعماد فى البيت الحافظ للسقف من السقوط كما نص على ذلك فى كتب القواعد ؛ وكأن الكاتب يقول : إن هذا الرسول لا يصلح إلا لأن يحمل ما يكلف بحمله ، ولا يصلح لأن يفوض اليه أمر آخر يحتاج الى فطنة ودقة نظر ، فهو كضمير العماد الذى ليس له فائدة فى الجملة لا كونه عمادا لمــا يليه .

عِلمِه، مزويةً عن فهمِه؛ "كما يحمِل الزَّندُ الشرارَ إلى العَظْم" والله تعالى يُحلّه من السعادة أشرفَ آفاقِها، ويحرسه فى طَفَل الشمس وإشراقِها

ويُجْـريه من ألطافه نحو غاية * تُبلّغـه الألطافُ حلوَ مَذاقِهـا
ويُلبِسـه فخرَ السـيادة والعلا * كما لبسَتْ أسمـاءُ[1] فخـرَ نطاقِها

إن شاء الله تعالى .

ذكر شىء من إنشاء المولى [القاضى[2] الفاضل البارع الأصيل] الأجل محيي الدين عبد الله [بن عبد[2] الظاهر] رحمه الله تعالى

كان رحمـه الله من أجلّ كتّاب العصر، وفضلاءِ المصر، وأكابرِ أعيان الدُّوَل والذى افتخر بوجوده أبنـاء عصره على الأُوَل؛ له من النظم الفائق ما راق صناعةً وحُسنا، ومن النثرِ الرائق ما فاق بلاغةً ومعنى؛ فقصائدُه مدوَّنةٌ[3] مشهوره، ورسائلُه بأيدى الفضلاء ودفاترهم مسطوره؛ وكلامُه كاد يكون[4] لأهل هـذه الصناعة وعليهم

---

(١) أسمـاء : هى بنت أبي بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنهما ؛ وكانت تلقب بذات النطاقين ، وأصح الأقوال فى تعليل ذلك اللقب أنه كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل فى الآخر الزاد الى رسول الله صـلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه وهما فى الغار . وقيل لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأخرى عصاما لقربته ؛ وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم لمـا خرج مع أبى بكر مهاجرين صنعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت أسماء من نطاقها وأوكت به الجراب فلذلك كانت تسمى ذات النطاقين (تاج العروس) وتوفيت أسماء بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال، وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمـادى الأولى سنة ثلاث وسبعين كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٨ ص ١٨٦ طبع ليدن .

(٢) هاتان العبارتان لم تردا فى (أ) وقد أثبتناهما عن (ج) .

(٣) فى (أ) : "مبينة" .

(٤) كذا فى (ج) والذى فى (أ) «كاد أن يكون» بزيادة «أن» والذى اخترناه هو الأكثر فى خبر « كاد » فإن اقتران خبرها « بأن » قليل ؛ بل نص بعضهم على أن ذلك مخصوص بالشعر ؛ ومنه قول الشاعر :

* كادت النفس أن تفيض عليه * الخ البيت .

حجّه ، وطريقُه فى البــلاغة أسهل طريق وفى الفصاحة أوضحُ مَحَجّه ؛ وهو رحمه الله ممن عاصرتُه[(1)] ولســوء الحظ لم أشاهدْ محيّاه الوسيم ، ولم أَفُز بالنظر إلى طلاقة وجهه الكريم ؛ والذى أُورده من كلامه هو ممّــا نقلتُــه من خطّه ، وتلقّيتُه ممّن سمعه مِن لفظِه ؛ فمن كلامه — رحمة الله عليه — ما كتبه عن السلطان الملكِ الظاهرِ ركنِ الدين بيبرس الصالحىّ — رحمه الله — إلى ملك الغرب ، كتب : ٥

تحيّاتُ الله التى تَتابَع وفودها وتَتوالَى ، وتشرق نجومُها وتَتلالا ، وتنفق إسرافا ولا تخاف من ذى العرش إقلالا ؛ تخصّ ٱلحضرةَ السنيّةَ السّريّه ، العاليَةَ العادليّــةَ المستنصريّه ؛ ذخيرةَ أمــيرِ المؤمنين ، وعصمة ٱلدنيــا والدين ، وعُدّة الموحّدين ؛ لا زالت سماؤها بالعــدل مُغدِقةَ الأنواء مُشرِقةَ الأنوار ، ورياضُها بالفضــل مُورِقةَ الأغصان مُونقةَ الثّمار ؛ ولا برحتْ ضَوالُّ الأمانى فى أبوابها تُنشَد ، وقصائدُ القُصود[(2)] فى اتصافها تُنشَد ؛ وسُرى الآمال عند صباح أمرها يُحمد ، وأحاديثُ الكرم عن جودها تُرسَل وإلى وجودها تُسنَد ؛ وسلامُه الذى يكاثِر نسيمَ الروض الأنيق ، ويفاخر جديدُه عتيقَ[(3)] ٱلمسك وأين الجديد من العتيق ؛ يغادِيان تلك الأندِاءَ[(4)] المباركةَ مُغاداةَ الغوادى ١٠

---

(1) فى (أ) : «عاجزته» بالجيم والزاى ؛ وهو تحريف .

(2) القصود : جمع قصد ؛ وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وإنما جمع القصد مع أنه مصدر — والمصــدر لا يثنى ولا يجمع — نظرا لاختلاف أنواعه ، ويدل كلامهم على أن جمع المصدر موقوف على السماع ، فإن سمع الجمع عللوا باختلاف الأنواع ، وإن لم يسمع عللوا بأنه مصدر أى باق على مصــدريته وعلى هذا فجمع القصد موقوف على السماع اهـ ملخصا من المصباح . ١٥

(3) عتيق المسك : قديمه ؛ وفى كلا الأصلين : «فتيق» بالفاء ، وهو وإن كان صحيح المعنى إلا أن مقابلته فى العبارة بالجديد مرتين يرجح ما أثبتنا . وفتيق المسك بالفاء : فعيل بمعنى مفعول ، وهو من فتق المسك بغيره : إذا أخرج رائحته بشىء يدخله عليه . ٢٠

(4) الأنداء : جمع النادى ، وهو القوم المجتمعون ؛ وفى حديث أبى سعيد : "كنا أنداء فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم" .

من وابل[1] المطر، ويراوحانها مُراوحةَ الرّقة للأُصُل والبُكَر؛ حيث العزّة القعساءُ يمتدّ رواقُها، والنعمةُ الغرّاءُ تُخصَف[2] أوراقُها، والدّيمةُ الوَطْفاءُ[3] يتوالى إغداقُها، ويتتالى إغراقُها؛ وحيث العدل منشور الجناح، والحقُّ مشهور السلاح، والإنصافُ مبرورُ الأقسام لطالبه باقٍ لا يزاح؛ سجيّةٌ نتوارث تَوارُثَ الفخار، ومزيّةٌ تَستأثِر بالهداية آستئثارَ النجوم بالأنوار، وشِيَمٌ تُستصحَب آستصحابَ الأهلّة للإبدار؛ فلذلك يَتلفّت الأمل اليها تَلفُّتَ السارى الى تبلُّج الصباح، ويرتاح الى تلقّى إحسانها آرتياحَ الظامئ إلى ارتشاف الماء القَراح؛ ويَحتمِى بها فى المطالب آحتماءَ الليث بالغابه، ويَستمِدّ إسعافَها آستمدادَ الحديقة من السحابه؛ ويهزّ عَدلها كما هزّ الكَمىُّ المُرْهَف، وينبّه فضلَها تنبيهَ النسيم جفنَ الزهر الأَوْطَف[4]؛ فيناجى بالجُؤور[5]، ويلتمس لها حسنَ الصنع الذى لا يزال مبتسمَ الثغور؛ فمما قَصّ عليه من مناجاته، وطوَى عليه طَوِيّةَ مفاوضاته؛ أنّ القاضىَ زينَ الدين بنَ حَباسةَ من بيتٍ أسلَف سلفُه جميلا، وغدا هو على مكارمه دليلا؛ وكان له غلام قد سيّر معه جملةً[6]... والآحتفالُ الحفىُّ[7] مسئولٌ

(١) لعله : «بوابل» فإن السياق يقتضى الباء .

(٢) تخصف أوراقها : أى تتصل أجزاؤها اتصالا لا انقطاع فيه، وخصف الورق : هو أن يوصل بعضه ببعض للاستتار به .

(٣) الوطفاء من السحب : المسترخية لكثرة مائها ؛ أو هى الدائمة السح الحثيثة .

(٤) الأوطف : المسترخى . والمصدر الوطف بالتحريك ؛ يريد تشبيه الزهر فى سكونه بالجفن الذى غشيته سنة من الكرى فاسترخى .

(٥) فى كلتا النسختين : « بالأجور » بتقديم الهمزة ؛ وهو تحريف لايستقيم به المعنى . والجؤور : جمع (جأر) بسكون الهمزة مصدر جأر يجأر : اذا دعا وتضرع ؛ وانما جمع المصدر هنا نظرا لاختلاف أنواعه ؛ وقد سبق الكلام فى جمع المصدر فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٢ من هذا السفر

(٦) كذا وردت هذه العبارة فى كلا الأصلين ؛ وهى غير واضحة المعنى . والظاهر أن لها بقية تتم معناها سقطت من الأصول التى بين أيدينا ؛ ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان .

(٧) الحفىّ بتشديد الياء : المبالغ فى البر والإكرام . وفى (ج) «الخفى» بالخاء المعجمة ؛ وهو تصحيف .

فى تقدّمٍ يجيب النجاحُ داعِيَه ، و يغدو الفلاحُ مُراوِحَه ومُغاديَه ؛ وآعتناءٍ يستخلص حقَّه ممن عليه آعتَدَى ، و يَرَى مِن قبِســه نورا يجد به هدى ؛ فببارقةٍ يضىء لديه الحالك ، و بلمحةٍ يهتدِى "بحيث آهتــدت أمُّ النجوم الشوابكُ"[1] ؛ وما هو إلا رسمٌ يرسم به وقد قرب البعيد ، وآبَ الشريد ، وخاف الخائف ، وكَفَّ الجانف[2] ، وجُمعت الضَّوالّ ، وضاف على آلمختزِل[3] واسعُ المَجال ؛ مَهابة قد سكنت القلوب ، وسياسة قَوِىَ الطالبُ بها وضعف المطلوب ، وعِزّة لا يزال الرجاء يُنيب إليهــا فيما ينوب ؛ وأىُّ مطلب تُناجِى فيه الآلاءُ المباركةُ فلا يُصحِب قيادُه ، ويُستسـقَ له مُزْنٌ ولا تُعاهَد عِهادُه[4] ؛ وأىُّ ذاهبٍ لا يُسترجَع به ولو أنه عشيّاتُ الحمى[5] ، وأىُّ فائتٍ لا يُرَدّ ولو أنه زمن الشبيبة المعسولُ اللَّمى ؛ وحسبُ العانى أن يحطّ برحابها رحالَه ، أو أن يوفد إلى أبوابها آمالَه ؛ وقد تبادرتْ إليه المَناجحُ متسابقه ، وآنتظمتْ لديه آلمصالح متناسقه ؛ فحينئــذ يُنعَم إِباءُ تأميلِه ، ويَستوعِب الإحسان لجملة[6] قصده وتفصيـلِه ؛ ويناديه

(١) الشوابك : من شبكت النجوم اذا دخل بعضها فى بعض واختلطت ، وكذلك اشتبكت وتشابكت . وأم النجوم : المجرّة وهذا عجز بيت لتأبط شرا ، وصدره : «يرى الوحشة الأنس الأنيس و يهتدى» بحيث اهتدت الخ انظر ديوان الحماسة . ومعنى الشطر الثانى من هذا البيت أنه يستغنى عن الدليل فى أسفاره كما تستغنى المجرّة ؛ والعرب تقول : هو أهدى من النجم .

(٢) الجانف ، من الجنف بفتح الجيم والنون : وهو الميل والجور .

(٣) المختزل : الخائن ، يقال : اختزل الوديعة : إذا خان فيها . والاختزال فى الأصل : الاقتطاع .

(٤) تعاهد بالبناء للجهول ، من المعاهدة : وهى المعاقدة والمحالفــة . والعهاد ، جمع عهد : وهو المطر بعد المطر ، أو هو أول مطر الوسمىّ .

(٥) يشير بهذه العبارة الى قول الصمة بن عبد الله بن طفيل القشيرى :

وليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا

ديوان الحماسة (باب النسيب) .

(٦) هذه اللام ساقطة من كلا الأصلين ، وقد أثبتناها ليصح الإعراب بالكسر فى قوله : «وتفصيله» ؛ كما هو مقتضى السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته .

السعد من تلك البقعة المباركه ، فيوافيه التوفيقُ بصحائف القبول تحملُها الملائكه ؛ أمتع الله ببركاتها التى آمتدّ رواقُها ، وأنار الحالكَ إشراقُها ؛ ولا زالت يراوحها تسليمٌ عَطِرُ النفحه ، وتصافحها تحيّاتٌ جميلة الصفحه ؛ بمنّه وكرمه .

وكتب رسالة صَيديّة عن[1] السلطان الملكِ الظاهرِ إلى الأمير عز الدين الحلّى[2] نائبِ السلطنة بالقلعة :

هذه المكاتَبة إلى المجلس لا توارت شُموسُ أنسِه ، ولا أُذبِلتْ ثمارُ غرسِه ولا برح غدُه فى السعد مُرْبيا على يومه ويومُه على أمسِه ؛ تتضمّن إعلامَه بأنا خرجنا إلى الصيد المبارك بجنود تملأ السهل والجبل ، وتستحيى الشمس منها فتستتر فى سحابها من كثرة الخجل ؛ تَسير على الأرض منها جبال ، وتأوِى الرمال منها الى أورَف ظلال ؛ وتوجّهنا إلى جهة الطّرّانة[3] وإذا بحشود[4] الوحوش قد توافدتْ ، وعلى مناهل المناهج قد تواردتْ ؛ والأجلُ يسوقُهم ، والبِيدُ تعقّهم[5] ، والمنايا تعُوقُهم ؛

---

(١) فى (أ) : «إلى» ؛ وهو غير مستقيم .

(٢) هو عز الدين أيدمر بن عبد الله الحلى الصالحى النجمى ؛ كان من أكابر الأمراء وأعظمهم عند الملوك ، ثم عند الملك الظاهر بيبرس ، وكان يستنيبه فى غيبته ؛ وكانت وفاته فى سنة سبع وستين وستمائة تاريخ العينى المسمى بعقد الجمان المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ والنجوم الزاهرة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

(٣) الطرّانة مشدّدة الراء . اسم لوادى هبيب ، وهى كورة من حوف رمسيس ، وتعرف بقرية شهاب ، وبرية الأسقط ، وميراث القنوب ، وبها قبر أبى معاذ الكبير (مستدرك التاج) .

(٤) الحشود الجموع ، وهو جمع حشد بفتح الحاء وسكون الشين .

(٥) تعقهم أى تشوقهم ، أى تعوقهم

ولم تزل أيدى الخيل تجمعهم فى صعيد، وتَطوى بهم سطورا فى طروس البِيد، حتى أحاطت بهم إحاطةَ الفَلَك بالنجوم الزواهر، والأجفانِ بالعيون النواظر، وجُرِّدَتْ السيوف فظنّتها غُدُرا، ورُميتْ النبال فحسِبَتْها شَرَرا، وعُزِلَتْ[1] الرماحُ بالسهام وحيّتها السِّلام[2] بالسَّلام، وسَكنتْ نهارا من العَجاج فى ظلام، وضاقت عليها الأرض بما رَحُبتْ، وأدركتْ المنيّةُ منها ما طَلبتْ، وراسلتْها المنايا، وأهدت اليها رياحينَ تحايا، فمن صريعٍ وصديعٍ وطريحٍ وطريد، وجريحٍ ومقبِلٍ وشريد، وقائمٍ وحصيد، ولم تَسلم فى هذا اليوم غيرُ غزالة السماء فإنها استترت بالغيوم، وخافت أن يكون الهلال قد نُصِب فخًا لصيدها وصيد غيرها من النجوم، والموتُ[3] أَسَرَ كلَّ مَهاةٍ مَهابَه، ونال الحتف من كل طَلًا[4] طِلابَه، وفتكت الظُّبا بالظِّبى، وقالت السهام لأجيادها: مَرحبا، وثَنَينا الأعنّة والشفار قد أُنهِلتْ، والظهورُ قد أُثقِلتْ، والكُنُسُ[5] خاوية على عروشها، والبِيدُ قد أَوحشتْ من وحوشها، وما نشتمل عليه من محبّة المجلس وإيثارِه، ونجِده من الوحشة له مع دنوِّ دارِه، وسرورُه بما عساه لنا يتجدّد، وحبورُه بما يَرِد من جهتنا وهذا لا نشكّ فيه ولا نتردّد، أَوجب أن نخصّه به ونُتحِفَه، ونصِفَه له على جليّته إذ كنّا بالتخصيص به لن ننصفَه، وقد بعثنا إليه منه قِسما، ولم نَنسَ عند ذكرِنا أنفسَنا له آسما.

---

(١) لعله: «وعززت» بالبناء للمجهول من التعزيز: وهو التقوية والإعانة. أو لعل المراد بقوله: «وعزلت الرماح» الخ: أن العمل فى الصيد كان بالسهام دون الرماح فشبه ترك العمل بها بالعزل.

(٢) السلام: الحجارة، واحده سلمة بكسر اللام.

(٣) فى كلا الأصلين: «وللوقت»؛ وهو تحريف.

(٤) الطلا بالفتح: من أولاد الوحش من حين يولد الى أن يتشدد.

(٥) الكنس: جمع كاس بكسر الكاف، وهو مولج الوحش من الظباء والبقر تكتنّ فيه من الحر. وفى كلا الأصلين: «والكاس» بصيغة المفرد؛ وما أثبتناه هو مقتضى السياق.

* * *

وكتب عن السلطان الملكِ المنصورِ سيفِ الدين قلاوون إلى صاحب اليمن جوابَ كتابٍ عزّى فيه السلطانَ عن ولدِه الملكِ الصالح علاءِ الدّين علىّ[1] — وكانَ الكتابُ الذى ورد فى ورق أزرق، وسيّره فى كيس اطلسَ أزرق، والعادةُ أن يكون فى كيس أطلسَ أصفر — :

أعزّ الله نُصرتَه وأحسن بتسليته الصبرَ على كل فادح، والأجرَ على كلّ مصاب قَرَحِ القرائح، وجرحِ الجوارح، وأوفَد مِن تعازيه كلَّ مسكّنٍ طاحت[2] به من تلقاءِ صنعاء اليمن الطوائح، وكتب له جزاءَ المصبرّ عن جارٍ من دمعٍ طالح[3]، على جارٍ لسويداء القلب صالح؛ المملوك يخدُم خدمة لا يذُود المواصَلةَ بها حادث، ولا يؤخّرها عن وقتها أمرٌ كارث، ولا تَنقُصها عن تحسينها[4] وترتيبها بواعثُ الاختلاف ولا اختلافُ البواعث؛ ويُطلِع العِلمَ الكريمَ على ورود مثالٍ كريم لولا زرقةُ طرسه، وزرقةُ لبسه، لقال : "وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ"؛ يتضمّن ما كان حدث من رزءٍ تلافاه الله بتَناسيه، وتَوافَق هو والصبر فتولّى التسليمُ تبيينَ عاسيه[5]

---

(١) كذا فى كلا الأصلين وتاريخ العينى المعروف بعقد الجمان؛ والذى فى ابن إياس (ج ١ ص ١١٧) (نور الدين) مكان (علاء الدين) فلعله لقب آخر له. وكانت وفاة الملك الصالح هذا فى سنة سبع وثمانين وستمائة بعد أن مرض بالدوسنطارية الكبدية؛ وكان أبوه قد عهد اليه فى الأمر من بعده، وخطب له معه على المنابر فلما مات جعل أبوه الولاية من بعده الى ابنه الملك الأشرف خليل. انظر تاريخ العينى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ.

(٢) طاحت به : أى أسرعت به، وهو مستعار من قولهم : « طاح به فرسه» اذا أسرع به كالسهم.

(٣) كذا فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٧. وفى كلا الأصلين : «صالح»؛ وهو تحريف.

(٤) فى كلا الأصلين : «تحيتها»؛ وهو تحريف لا يظهر به المعنى.

(٥) العاسى : الشديد الظلمة، يقال : عسا الليل : اذا اشتدّت ظلمته؛ قال فى شرح القاموس : « والعين أعرف ».

وتمرينَ قاسِيه؛ فشكرنا الله على ما أعطى وحمِدناه على ما أَخذ، وما قلنا : هذا جَزعٌ قد آنتبَه إلا وقلنا : هـذا تثبُّتٌ قد آنتبذ[١]، ولا توهمنا أن فِلْذة كبِد قد آختُطِفتْ إلّا وشاهَدْنا حولنا مِن ذرّيّتنا ـــ والحمد لله ـــ فِلَذ؛ وأحسنّا الآحتساب، ودخلت الملائكة علينا مِن كلّ باب، ووفّانا الله أجر الصابرين بغير حساب؛ ولنا ـــ والشكرُ لله ـــ صبرٌ جميلٌ لا نأسف معه على فائت ولا نأسَى على مفقود، وإذا علم الله حُسنَ الآستنامة إلى قضائه والآستكانة إلى عطائه عوّض كلّ يوم ما يقـول المبشِّر به : هـذا مولًى مولود؛ وليست الإبل بأَغلظَ أكبادا ممن له قلبٌ لا يبالى بالصدمات كثرتْ أو قلّتْ، ولا بالتباريح حَقُـرتْ أو جلّتْ، ولا بالأَزَمات إن هى توالت أو تولّتْ، ولا بالجفون إن ألقت ما فيها من الدّموع والهجوع وتخلّتْ؛ ويَخاف من الدهر من لم يَحلُب أشطُرَه، ويأسف على الفائت من لا تنتابه الخطوب الخطِرَه؛ على أن الفادح بموت الولدِ الملكِ الصـالح ـــ رضى الله عنـه ـــ وإن كان مُنْكِيا[٢] والناعىَ بشجوه وإن كان مُبكيا، والنائجَ[٣] بذلك الأسف وإن كان لنار الأسى مُذكيا؛ فإن وراء ذلك من تثبيت الله ما ينسفه نسفا، ومن إلهـامه الصبرَ ما يجدّد لتمزيق القلوب أحسن ما به يُرفا؛ وبكتاب الله وبسنة نبيّه صلّى الله عليه وسلم عندنا حُسنُ اقتداءٍ نَضرب به عن كلّ رثاءٍ صفحا، وما كنّا مع الله ـــ والمنّة لله ـــ نُعطِى لمن يؤنِّب ويؤبِّن[٤] أذنا ولا نُعيرها لمن يَلحَى؛ إذ الولد الذاهب مَرّ فى رضوان الله تعالى سالكا

(١) انتبذ : أى ترك الحزن والجزع؛ من النبذ وهو الطرح والرمى .

(٢) كذا فى كلا الأصلين؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أنه يقال : «أنكاه» من «نكأ» المهموز ولا «أنكاه» من «نكى» المعتل اللام؛ والظاهر أن الكاتب أراد المجانسة بين قوله : «مبكيا» وقوله بعده : «منكيا» . ونكأ الجرح بالظفر : أى قرفه وقشره . وهو هنا على الاستعارة .

(٣) النائج بالجيم : الصائح؛ يقال : نأج ينأج : إذا صاح .

(٤) أبنه : أثنى عليه بعد موته .

طريقا لا عِوَجَ فيها ولا أَمْتا[١]، وآنتقل سارّا بارّا صالحا وما هكذا كلُّ الموتى نعيا لا نعتا؛ وان كان نَفَعنا[٢] فى الدنيا فها نحن بالصدقات والترحّم عليه نفعُه، وان كان الولدُ عملَ أبيه — وقد رَفَع الله روحَ ولدنا فى أعلى علّيّين تحقّق أنه العملُ الصالح «وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»؛ وفيما نحن بصدده من آشتغال بالحروب، [ما][٣] يهوّن ما يهول

٥ من الكروب؛ وفيما نحن عاكفون عليه من مكافحات الأعداء [ما][٣] بين المرء وبين قلبه يَحُول، ومُلْهٍ عن تخيّلِ أسف فى الخاطر يجُول

اذا آعتاد الفتى خَوضَ المنايا * فأَهْونُ ما يمرّ به الوُحولُ[٤]

ولنا بحمد الله ذرّيّةٌ دَرّيّه[٥]، وعقودٌ والشكر لله كلُّها دُرّيّه

اذا سيّدٌ منهم خلا قام سيّدٌ * قَؤولٌ لما قال الكرام فعولُ[٦]

١٠ (١) الأمت : ما ارتفع من الأرض؛ وقوله : « لا عوج فيها ولا أمتا » أى لا انخفاض فيها ولا ارتفاع (اللسان) .

(٢) كذا فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٨ . والذى فى كلا الأصلين : « نفعه » بالهاء .

(٣) هاتان الكلمتان لم تردا فى كلا الأصلين؛ وقد أثبتناهما عن صبح الأعشى اذ لا يستقيم الكلام بدونهما .

١٥ (٤) الوحول بالحاء المهملة : جمع وحل بسكون الحاء : كفلس وفلوس؛ وأما بالتحريك فجمعه أوحال كما فى المصباح؛ والوحل بالتسكين لغة رديئة كما ذكره الجوهرى والصاغانى، واقتصرا على ذكر الوحل بالتحريك (التاج) وفى (ح) "الوحول" بالجيم، وهو تصحيف؛ والبيت لأبى الطيّب المتنبى .

(٥) درية بفتح الدال وتشديد الراء : نسبة الى الدر، وهو اللبن . والمراد بهذه الكلمة ما يلزمها من معنى الانتساب ومشابهة الذرية لأبيها وأمها فى الأخلاق والصفات .

٢٠ (٦) البيت للسموءل بن عادياء من قصيدته المشهورة؛ وفى بيت السموءل : «منا» فغيرها الكاتب بقوله : « منهم » تبعا لسياق الكلام .

ما منهم الا من نظر سعده ومن سعده ينتظر، ومن يحسن أن يكون المبتدا وأن تسدّ حالُه بكماليه وكفايته مسدّ[1] الخبر « والشمسُ طالعةٌ إن غُيِّبَ القمر » لا سيّما مَن الدينُ به إذ هو صلاحُه أعرف ، ومَن إذا قيل لبناء ملك هذا عليه قد وهى قيل : هذا خيرٌ منه مِن أعلى بناءِ سعدٍ أشرف[2] ؛ وعلى كلّ حال لا عُدِم إحسانُ المولى الذى يتنوّع فى بِرّه، ويعاجل قضاءَ الحقوق فتساعف مَرسومَه فى توصيله طاعةُ بحرِه وبرّه ؛ وله الشكرُ على مساهمة المولى فى الفرح والترح ، ومشاركتِه فى الهناء إذا سَنَح ، وفى الدمع اذا سَفَح ؛ وما مِثلُ مكارم المولى من يَعزُب مِثلُ ذلك عن علمِها ، ولا يُعزَى الى غير حُكمها وحلمِها ؛ وهو — أعزه الله — ذو التجارب التى تَمَخّضتْ له من هذه وهذه الزُّبده، وعَرَضتْ عليه منهما الهَضْبةَ والوَهده؛ والرغبةُ الى الله تعالى فى أن يجعل تلك المصيبة للرزايا خاتمه وكما لم يجعلها للظهور قاصمة فلا يجعلها لعرا الشكر فاصمه[3] ، وأن يجعلها بعد حَمل هذا الهمّ وفِصالِه على عليّه فاطمه؛ وأن يحبّب الينا كلَّ ما يلهى عن الأموال والأولاد من غزوٍ وجهاد ، وأن يجعلنا ليس يُجِدّ لدينا على مفقود تأدّبا مع الله غيرُ السيوف فإنها تُعرَف بالحِداد، وألّا تُقصَف رماحُنا إلا فى فَودٍ أو فى فؤاد، ولا تُحَوَّل

---

(١) يشير بهذه العبارة الى ما ذكره النحاة من وجوب حذف الخبر وسدّ الحال مسدّه ، وذلك اذا كان المبتدا مصدرا بعده حال لا تصلح ان تكون خبرا كقولك : ضربى العبد مسيئا ؛ انظر تفصيل ذلك فى كتب القواعد والمعنى أن معاينة صفاته الكريمة تغنى عن الإخبار بها .

(٢) أشرف على الشىء : أى أطل عليه. وقوله : «من أعلى» متعلق به ، وفى هذا اللفظ تورية عن الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وكان أبوه قد عهد اليه بالملك بعد وفاة أخيه الملك الصالح علىّ المتقدّم ذكره ؛ وجلس على سرير الملك يوم الأحد سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة بعد وفاة أبيه قلاوون ؛ والملك الأشرف هو الثامن من ملوك الترك على الديار المصرية (تاريخ ابن إياس) ج ١ ص ١١٩ ، ١٢١ .

(٣) فى (أ) : «فاصمه» ؛ وهو تحريف .

سروجُ خيلنا مِن ظهر جوادٍ فى السَّرايا إلّا إلى ظهر جواد ، وألا تُشَقَّ لدينا إلا أكباد أكاد(1) ، ولا تُجَزَّ(2) غيرُ شعور ملوك التتار تُتوَّج(3) بها رءوسُ الرماح ويُصعَد بها على قِمِم الصِّعاد(4)؛ والله يشكر للمولى سعىَ مَراثيه التى لولا لطف الله بما صبَّرنا(5) به لأقامت الجنائز، وآستخفّت(6) النحائز، ولَوَتْ بالنفوس فى آستعمال الجائز من الأسف وغيرِ الجائز ،ولا شغل الله لبَّ المولى [بفادحه]، ولا خاطِرَه بسانحة من الحزن ولا بارحه ولا أَسمَعه بغير المَسرّات من هواتف الإبهاج صادحه؛ بمنّه وكرمه .

٥

*

ومن إنشائه رحمه الله تقليدُ السلطان الملكِ الأشرفِ صلاح الدين خليل بولاية عهد السلطنة من أبيه السلطان الملكِ المنصور — سقى الله عهدهما صوب الرحمة — وهو :

١٠

الحمد لله الذى لم يزل له السمعُ(7) والطاعةُ فيما أمر ، والرضا والشكرُ فيما هَدَم من الأعمار وما عَمَر ، والتفويضُ فى العويِص(8) إن غابت الشمس وبقى القمر

(1) أراد بالأكاد : الجاحدين ؛ ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة ، كما انا لم نجد فى كتب القواعد مايسوّغه ؛ فإن صيغة أفعال مطردة فى جمع الأسماء الثلاثية دون الصفات ، وأما غير ذلك سماعى . ولعل الكاتب أراد المجانسة بين «أكباد» و «أكاد» .

١٥

(2) فى كلا الأصلين : «تجر» بالراء المهملة؛ وهو تصحيف .

(3) فى إحدى النسختين : (تنوح) وفى الأخرى : «تنوح» وهو تصحيف فى كلتيهما .

(4) الصعاد : جمع صعدة، وهى القناة التى تنبت مستوية فلا تحتاج الى تثقيف .

(5) كذا فى (ج) وصبح الأعشى؛ والذى فى (ا) "بها ميزنا" ؛وهوتحريف لا يتضح به المعنى .

(6) فى كلتا النسختين : «واستخفت» ؛ وهو تصحيف . والنحائز: جمع نحيزة وهى الطبيعة، يريد هنا : طبيعة الصبر والاحتمال .

٢٠

(7) كذا فى (ج) وصبح الأعشى ج ١٠ ص١٦٦ ؛ والذى فى (ا) : «الحمد» مكان «السمع» .

(8) فى كلتا النسختين : «فى التعويص» بالتاء؛ وهو تحريف .

نحمده على أن جعل سلطاننا ثابتَ الاركان ، نابتَ الأغصان ، كلّ روضة من رياضه ذات أفنان ، لا تُزعزعه ريحٌ عقيم[١] ، ولا يُخرجه رزءٌ عظيم عن الرضا والتسليم ، ولا يُغتبط[٢] من جملته كريم إلا ويُغتبَط من أُسرته بكريم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزيد قائلَها لله تفويضا ، وتُجزِل له تعويضا وتُحسِن له على[٣] الصبر الجميل فى كل خطبٍ جليلٍ تحريضا ؛ ونشهد أن محمدا عبدُه الذى أنزل فى التسلية به : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » والنبيُّ الذى أوضح الله به المناهج وبيّن السُّبُل ؛ صلى الله عليه وعلى آله ما تجاوبت المحابرُ والمنابرُ فى[٤] البُكَر والأُصُل ، وما بُدِّدتْ عقود ونُظِّمتْ ، ونُسِختْ آياتٌ وأُحكمتْ ونُقِضتْ أمور وأُبرِمتْ ، وما عَزَمتْ[٥] آراءُ فتوكّلتْ وتوكلت فعزَمتَ ؛ ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من كان للخليفة نعم الخليفة ، ومنهم من لم يُدرِك أحدٌ فى تسويد النفس الحَصِيفة[٦] ولا فى تبييض الصحيفة مُدَّه ولا نَصِيفَه[٧] ، ومنهم من يسرّه الله

(١) الريح العقيم : هى غير اللاقح ، أى لا تأتى بمطر إنما هى ريح الإهلاك ، كما قاله أبو إسحاق الزجاج . وقيل : لا تلقح الشجر ولا تنشئ سحابا ، بل هى بضدها وهو قولهم : ريح لاقح : أى أنها تلقح الشجر وتنشئ السحاب .

(٢) اغتبط الموت فلانا : أخذه شابا صحيحا من غير علة ، كأغبطه .

(٣) فى إحدى النسختين : «عن» ؛ وفى الأخرى : «عز» ، وهو تحريف فى كلتيهما .

(٤) فى كلتا النسختين : «والبكر» بالواو مكان «فى» ، وهو تحريف .

(٥) يقال : عزم الرأى بالبناء للفاعل : أى عزم عليه ، وهو من وجوه المبالغة ، كما يقال : هلك الرجل ، وربما هو أُهلك بالبناء للمجهول ؛ ويدل على أن الفعل هنا مبنى للفاعل قوله : «فتوكلت» بالبناء للفاعل أيضا وفى قوله «توكلت» إسناد مجازى وهو المسمى بالمجاز العقلى .

(٦) يقال : حصف الرجل وزان كرم حصافة فهو حصيف إذا كان جيد الرأى محكم العقل .

(٧) أشار [illegible] صلى الله عليه وسلم "لا [illegible] أحدكم لو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

قال [illegible]

لتجهيز جيش العُسْرة[1] فعرف اللهُ ورسولُه معروفَه، ومنهم من عمل صالحا أرضى ربه فأصلح فى ذريّته الشريفه؛ وبعد، فإن من الطاف الله بعباده، وآكتناف عواطفه ببلاده[2]، أن جعلنا كلّما وَهَى للملك ركنٌ شديدٌ شيّدنا ركنا عوضَه، وكلّما آعترَضت للقادير جملةٌ بدّلنا آيةً مكانَ آيةٍ وتناسَينا تجلُّدا تلك الجملةَ المعترِضه؛ فلَم نُحوِج اليومَ لأمسه وإن كان حميدا، ولا الغارسَ لغرسِه وإن كان ثمره يانعا وظلُّه مديدا؛ فأطلعْنا فى أفق السلطنة كوكبَ سعدٍ[3] كان لحُسن الآستخلاف مُعَدّا، ومَن لِقبيل المسلمين خيرٌ ثوابا وخيرٌ مَرَدّا، ومَن يبشّر الله به الأولياءَ المتقين ويُنذر به من الأعداء قوما لُدّا، ومن لَم يَبقَ [إلّا به][4] أنِسْنا بَعدَ ذهاب الذين نحبّهم [وبقِيَ][5] كالسيف

(١) جيش العسرة . هو الجيش الذى سار به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك . قال ابن عرفة : سمى بذلك لأنهم ندبوا اليها فى حمارّة القيظ فعسر ذلك عليهم وغلظ ، وكان إبان إيناع الثمرة الخ (تاج العروس) وكان عدد ذلك الجيش ثلاثين ألفا ؛ وكان ممن جهز هذا الجيش عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فانه أنفق عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، وخمسين فرسا . وجاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه بكل ماله ، وغيرهما من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ وكانت هذه الغزوة آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجد بتبوك جيش الروم الذى أراد قتاله . انظر تفصيل ذلك فى كتب السيرة ؛ وتبوك : موضع بين وادى القرى والشام .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة تعدية « اكتنف » بالباء ؛ والذى وقفنا عليه انه يقال « اكتنفه » بلا واسطة حرف ؛ ولعله ضمنه معنى الإحاطة ، فسوّغ له هذا التضمين تعديته بهذا الحرف ؛ أو لعله : « لبلاده » باللام .

(٣) إلى هنا انتهى ما وجد من النسخة المشار اليها بـ (ح) .

(٤) هذه العبارة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن صبح الأعشى (ج ١٠ ص ١٦٧) إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصبح الأعشى ، واستقامة العبارة تقتضى إثباتها ؛ فإنه يشير بها الى قول عمرو بن معديكرب الزبيدىّ :

ذهب الذين نحبهم * وبقيت مثل السيف فردا

كما فى ديوان الحماسة ؛ وفاعل « بقى » ضمير يعود على (من) .

قَرْداً، والذى ما أَمضَى حَدَّه [فى](١) ضَريبـة إلا قَدَ البَيْضَ(٢) والأبدانَ قَدًا، ولا جهز(٣) رايةَ كَتيبةٍ إلا

أَغْنَى(٤) غَنـاءَ الذاهبين وعُدَّ(٥) للأعداء عَدّا

ولا بعَثه جزَعٌ فقال : « كم من أخٍ لى صالحٍ »(٦) إلا لقِيَـه وَرعٌ فقال : « وخُلقْتُ يوم خُلِقْتُ جَلْدا »(٦) ؛ وهو الذى بقواعد السلطنة الأَدرَى وقوانينها الأعرَف، وعلى الأولياء الأعطَفُ و بالرعايا الأرأف ، والذى ما قيل لبناءِ مُلكٍ : هذا عليه قد وَهَى إلا وقيل : هذا بناءٌ مِثلُه منه أسمى مُلكًا وأشرف، والذى ما برح النصرُ يُتَنسم مِن مَهابّ

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصبح الاعشى؛ والسياق يقتضى إثباتها . والضريبة : ما ضربته بالسيف ، و إنما دخلته التاء وان كان بمعنى مفعول لأنه صار فى عداد الأسماء .

(٢) البيض بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى من الحديد ما يلبس على الرأس فى الحرب ، وقيل لهـا البيضة تشبيها لهـا ببيضة النعام . قاله أبو عبيدة فى كتاب الدروع ، وقال : البيضة اسم جامع لمـا فيها من الأسماء والصفات التى من غير لفظها ، ولها قبائل وصفائح كقبائل الرأس تجمع أطراف بعضها الى بعض بمسامير يشد بها طرفى كل قبيلتين ؛ قال : وربما لم تكن من قبائل وكانت مصمتة مسبوكة من صفيحة واحدة فيقال لها : صماء .

(٣) فى الأصل : « جهر » بالراء ؛ وهو تصحيف .

(٤) البيت لعمرو بن معديكرب من القصيدة التى سبقت الإشارة اليها فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١١٣ من هـذا السفر وروايته فى ديوان الحماسة : « أغنى » بضم الهمزة وكسر النون مسندا الى ضمير المتكلم ، وانمـا أسند هنا الى ضمير الغائب تبعا لسياق الكلام .

(٥) روايته فى الحماسة : « أعد » بضم الهمزة والدال المشددة وفتح العين مسندا الى ضمير المتكلم وأسنده الكاتب هنا الى ضمير الغائب لمـا قدمنا فى الحاشية التى قبل هذه . ويريد بقوله : « وعد للأعداء » الخ أن الأعداء يقولون فيه : خذوا فلانا فإنه يعدّ بألف انظر شرح التبريزى على ديوان الحماسة (ج ١ ص ٩٣) طبع بولاق عند شرحه لهذا البيت .

(٦) هذان الشطران من القصيدة التى سبقت الاشارة اليها فى الحاشيتين رقم ٤ ، ٥ من هذه الصفحة لعمرو بن معد يكرب ، أولها صدر بيت ، والثانى عجز بيت آخر ؛ والبيتان هما :

كم من أخ لى صالح * بوّأته بيـــدىّ لحـــدا

ألبستـــه أثـــوابـه * وخلقت يوم خلقت جلدا

تأميله والفلاح ، ويتبسّم ثغره فتتوسّم الثغور من تبسّمه النجاح ، وينقسم نُورُه على البسيطة فلا مصرَ من الأمصار إلا وهو يَشرَئبّ الى ملاحظة جبينِ عهده الوضّاح ويتّفق آشتقاقُ النعوتِ فيقول التسلّي للتملّي سواءٌ الصالح والصلاح ؛ والذى مابَرِح لِشعار السلطنة الى توقّله[1] وتنقّله أتمّ حنين ، وكأنّما كوشفت الإمامةُ العبّاسيةُ بشرف مسمّاه فيما تقدّم مِن زمن مَن سَلَف مِن حِين[2] ، فسمّتْ ووَسَمَتْ بآسمه أكابرَ الملوك [وأخايرَ السلاطين][3] فخوطب كلٌّ منهم مجازا لا كهذه الحقيقة بـ«خليل» أميرالمؤمنين ؛ والذى كم جلا بهاءُ جبينه مِن بهيم ، وكم غدا المُلْكُ بحُسن رأيه[4] ويمنِ آرائه يهيم وكم أبرأ مَورِدُه العذبُ هيمَ عِطاش.ولا يُنكَر الخليل اذا قيل عنه : إنه إبراهيم[5] ؛ ومن تَشخص الأبصارُ لِكماله يوم ركوبه حَسِيره ، وتُلقي البنانُ سلاحَها ذَهْلا وهى لا تَدرِى لكثرة الإيماء إلى جلاله إذا يبدو مَسِيرَه ؛ والذى ألهم الله الأمّة بجودِه ووجودِه صبرا جميلا ، وآتاهم من نَفاسة كرمه وحراسةِ سيفه وقلمه تأمينا وتأميلا ، وعَظُم فى القلوب والعيون ، بما مِن برِّه سيكون ، فسمّته الأُبوّة الشريفة ولدا[6] وسمّاه الله : خليلا ؛ ولمّا تحتّم من تفويض أمرِ المُلْكِ اليه ما كان الى

(١) توقل فلان فى مصاعد الشرف : اذا صعد فيها ، وهو مستعار من التوقل فى الجبل : أى التصعيد فيه .

(٢) عبارة صبح الأعشى : « من زمن سلف ومن حين » ؛ والمعنى يستقيم بها أيضا .

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ؛ وأخاير : جمع أخير ، وهذه لغة بنى عامر ؛ يقولون : هذا أخير من هذا وأشر منه بالألف فيهما ؛ وسائر العرب تسقطها منهما فتقول : هذا خير من هذا وشر منه (المصباح) .

(٤) الرأى هنا بمعنى المرآى والمنظر ؛ فلا تكرار بينه وبين قوله بعد : «آرائه» ، والذى فى صبح الأعشى : « روائه » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ والرواء : حسن المنظر .

(٥) إبراهيم : أى إبراء هيم ؛ والإبراء من البرء : وهو الشفاء . والهيم بكسر الهاء : العطاش ؛ ولا يخفى ما فى قوله : « إبراهيم » من التورية .

(٦) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨ ؛ والذى فى الأصل : « أبا » ؛ وهو غير مستقيم .

وقته المعلوم قد تأخر، وتُحيّن[1] حينه فكَمَل بزيادة[2] كزيادة الهلال حين بادر تمامه فأبدر، اقتضى حُسنُ المناسبة لنصائح الجمهور، والمُراقبـةِ لمصالح الأمور، والمُصاقبـةِ[3] لمَناجح البلاد والثغور، والمقاربة[4] من فواتح كل أمرٍ ميسور، أن نفوّض اليـه ولاية العهد الشريف بالسـلطنة الشريفة المعظّمه، المكرّمة المفخّمة المنظّمه، وأن تُبسَـط يدُه المنيفـةُ لمصالحتهـا بالعهود، وتحكيمها فى العساكر والجنود، وفى البحور والثغور ٥ وفى التّهائم والنجود، وأن يُعقَدَ بسيفها وقلمها كلُّ قطع ووصْل، وكلُّ فرعٍ وأصل وكلُّ نصر ونصْـل، وكلُّ ما يَحى سرحا، ويَهمِى مَنحا، وفى المُثيرات فى الإعداء[5] على الأعداء نَقْعا وفى المُغيرات صـبحا، وفى المنع والإطلاق، وفى الإرفاد والإرفاق[6] وفى الخميس إذا ساق[7]، وفى الخُمُس[8] اذا ٱنساق، وفى السيوف "إذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِى وَقِيلَ: مَنْ رَاقٍ"، وفى الرماح إذا ٱلتفّت ٱلساقُ منهـا بالساق، وفى المعاهَدات والهُـدَن ١٠

---

(١) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨؛ والتحين: الانتظار والطلب؛ والذى فى الأصل: «وتحرر»؛ وهو تحريف إذلم نجد هذه الصيغة فيما راجعناه من كتب اللغة بالمعنى المناسب لسياق ما هنا.

(٢) عبارة صبح الأعشى: «فكمل زيادة» بدون باء.

(٣) المصاقبة: المقاربة والمواجهة.

(٤) فى الأصل: «والمقارنة» بالنون؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بقرينة ذكر «من» بعده. ١٥

(٥) الإعداء بكسر الهمز: مصدر أعداه اذا حمله على العدو بتخفيف الواو، وهو الجرى.

(٦) الإرفاد بكسر الهمزة: الإعطاء، والاسم الرفد بكسر الراء. والإرفاق بالكسر أيضا: النفع، يقال: أرفق فلان فلانا ورفقه: أى نفعه.

(٧) اذا ساق: أى اذا ساقه، فالمفعول محذوف. وهو ضمير يعود الى «الخميس».

(٨) أراد بالخمس: خمس ما يغنمه الجيش فى الحرب، وهو المذكور فى قوله تعالى فى سورة الأنفال: ٢٠ (واعلموا أنمـا غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول).

وفى الفـداء بمـا عُرِض من عَرَض وبالبَدَن للبَدَن[1] ، وفيما ظهـر من أمور المُلك وما بَطن، وفى جميع ما تستدعيه بواعثُه فى السرِّ والعلَن ، وتسترعيه[2] نوافثُه من كَبْتٍ وكَتْبٍ متفرِّقين أو فى قَرَن ؛ عهدا مباركةً عوذُه[3] وتمائمُه، وفواتحُه وخواتمُه، ومناسمُه[4] ومَواسمُه، وشروطُه ولوازمُه

[على عاتق المَلْك الأغرِّ نجادُه ✱ وفى يد جبّار السموات قائمُه][5]

لارادّ لحكمِه ، ولا ناقضَ لبرمِه[6]، ولا داحضَ لمـا أثبتَته الأقلام من مكنون علمه .

ويزيده[7] مَرُّ الليالى جِـدّةً ✱ وتقادمُ الأيام حُسنَ شبابِ

(١) « وبالبدن للبدن » أى أنه متحكم فى الفداء بالأسير لأسير مثله ، كما كانت تلك عادتهم فى تبادل الأسرى ؛ والذى فى الأصل وصبح الأعشى : «بالبدن» بالباء مكان اللام ؛ وهو غير ظاهر ، اذ ليس فيما سبق ما يصح تعليقه به .

(٢) تسترعيه : تستحفظه ، والمراد بالنوافث هنا : الحوافظ ، والنوافث فى الأصل : الرواقى جمع نافثة من نفث الراقى فى العقدة نفثا وهو دون التفل . والكبت : مصدر كبت عدوّه يكبته : أى ردّه بغيظه وأذله ؛ والظاهر ان المراد بالكبت والكتب فى هذه العبارة : الحرب والكتابة ، إذ هما من أسباب حفظ الملك .

(٣) العوذ بضم العين وفتح الواو ، جمع عوذة بضم العين : وهى الرقية يرقى بها الانسان من فزع أو جنون لأنه يعاذ بها وهى التى تكتب وتعلق على الإنسان من العين ونحوها ، وأصلها : الرقية مما فيه «أعوذ» ثم عمت .

(٤) المناسم جمع منسم بكسر السين ، وهو هنا بمعنى الأثر والعلامة ، يريد أن هذا العهد مباركة آثاره .

(٥) لم يرد هذا البيت فى الأصل ؛ وقد أثبتناه عن صبح الأعشى ومسالك الأبصار قسم ٢ ج ٨ من النسخة المأخوذة بالصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ ؛ وهو من قصيدة لأبى الطيب المتنبى يمدح بها سيف الدولة عند منصرفه من حصن برذويه .

(٦) برم الأمر و إبرامه : إحكامه .

(٧) البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق و يستعطفه على قومه ، ورواية البيت : « و يزيدها » بضمير المؤنث ، مرادا به القصيدة .

وتَلزَم السـنون والأحقاب ، اِسـتيداعَه حتى الذّرارىّ[1] والأعقاب ؛ فلا سـلطانَ ذا قَدْرٍ وقدره ، وذا أمرٍ و إمْرَه ؛ ولا نائبَ فى مملكة قربَتْ أو بعدَتْ ، ولا مقدّم جيوشٍ أتهمَتْ أو أنجدتْ ؛ ولا راعىَ ولا رعيّه ، ولا ذا حكمٍ فى الأمور الشرعيّه ؛ ولا قلمَ إنشاءٍ ولا قلمَ حساب ، ولا ذوى أنسـابٍ ولا ذوى أسـباب ؛ إلا وكلٌّ داخلٌ[2] فى قبـول عَقْد هذا العهـد الميمون ، ومتمسّك بمحكَم آيات كتابه المكنون والتسليمِ لنصّه الذى شهدتْه من الملائكةِ الكرامُ الكاتبون ؛ وأمست بَيعتُه بالرضوان محفوفه ، والأعداءُ يدْعُونهـا تضرّعا وخِيفه ، فليشكروا الصنعَ الذى بعـد أن كانت الخلفاء تُسلطِن الملوكَ قد صار سـلطانُهم يقيم لهم من وُلاة العهد خليفةً بعد خليفه ؛ وأمّا الوصـايا فأنت يا ولَدَنا المـلكَ الأشرفَ — أعزّك الله — بهـا الدّرِب ولِسماعِ شدوِها وحدوِها الطَّرِب ، الذى لِلّعولا يضطرب ؛ فعليـك بتقوى الله فإنها مَلاكُ سـدادِك ، وهَلاكُ أضدادِك ؛ وبها يُراش جناحُ نجاحك ، ويَحسُن آقتـداءُ اقتـداحِك ؛ فاجعلها دفينَ جوانح تأمّلك ووعيِك ، ونُصْبَ عَينَىْ أمرِك ونهيِـك ؛ والشرع الشريف فهو قانون الحقّ المتّبع ، وناموسُ[3] الأمر المستَمَع ؛ وعليـه مَدارُ إيعـاءِ[4] كلِّ إيعاز ، وبه يَتمسّك من أشار وآمتاز[5] ، وهو جَنّة والباطلُ نار ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ

(١) كذا فى الأصـل . والذى فى صبح الاعشى : « للدرارى » باللام مكان « حتى » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٩ ؛ وفى الأصـل : « واحد » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٣) الناموس : الوحى .

(٤) فى الأصل : « إيعار » بالراء ؛ وهو تصحيف . والإيعاء مصدر أوعز اليـه فى الشىء : أى تقدّم اليه فيه وأشار به .

(٥) فى الأصل : « امتار وامتار » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين ؛ والتصويب عن صبح الأعشى .

عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ ؛ فلا تخرج فى كلّ حال عن لوازمه وشروطه
ولا تَنْكُب عن معلّقه ومَنُوطه ؛ والعدل ، فهو مُثْمِّر غروس الأموال ، ومُعمر بيوت
الرجاء والرجال ، و به تزكو الأعمار والأعمال ؛ فاجعله جامعَ أطرافِ مَراسمك ، وأفضلَ
أيّام مواسمِك ؛ وسِمْ به فعلَك ، وسَمِّ به فرضَك ونفلَك ؛ ولا تُفرِد به فلانا دون فلان
٥ ولا مكانا دون مكان ، وٱقرُنه[1] بالفضل ، ﴿ إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ ﴾ ؛ وأَحسِن
التخويل ، وأَجمِل[2] التنويل ، وكثِّر لمن حولك التموينَ والتمويل ؛ وضاعِف ٱلخير
فى كلِّ مُضافٍ لمَقامك ، ومستضيف[3] بإنعامك ، حتى لا تَعدَم فى كلّ مكان وكلّ
زمان من النعماء ضيافةَ الخليل[4] ؛ والثغور ، فهى للمالك مباسمُها فاجعل نواجذَها تفترّ
عن أحسن ثنايا الصَّون ، ومَراشفَها شَنِبَةَ[5] الشِّفاه[6] بحُسن العَون ؛ ومُنْها بما يحمى
١٠ السَّرْحَ منها ، وأَعِنها بما يدفع المَكارهَ عنها ؛ فإنها للنصر مَقاعد ، وبها حفظ البلاد
من كلِّ مارٍّ من الأعداء مارد ؛ وأمراء الجيوش ، فهـم السُّور الواقى بين يدَىْ كلِّ

(١) كذا ضبط هذا الفعل فى اللسان بكسر الراء وضمها . وفى الأصل : «وأقرضه» بالصاد ؛ وهو تحريف .

(٢) يقال : أجمل الصيعة ، أى حسنها وكثرها .

١٥ (٣) المستضيف : المستغيث .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قصة سيدنا ابراهيم الخليل — صلوات الله عليه — مع ضيوفه من الملائكة ؛ وقد ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم فى غير موضع ، فقال تعالى فى سورة الذاريات : (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) الآيات .

(٥) الشنبة بفتح فكسر من الشنب محتحتين : وهو برد الأسنان كما قاله التبريزى فى شرح ديوان
٢٠ أبى تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٠ أدب ش) عند قول أبى تمام فى قصيدته فى فتح عمورية :

كم نيل تحت سناها من سنا قمر * وتحت عارضها من عارض شنب

والكلام هنا على الاستعارة والتمثيل .

(٦) فى الأصل : «السقاه» بالسين والقاف ؛ وهو تصحيف .

سور ، وما منهـم إلّا بطلٌ بالنصر مشهورٌ كما سـيفه مشهور ؛ وهم ذخائر الملوك
وجواهرُ السلوك ، وأَخايرُ الأكابر الذين خَلَصوا من الشكوك ؛ وما منهم إلا من له
حُرُماتٌ[1] سلفتْ ، وحقوقٌ عُرِفتْ ، ومَواتٌ على آستلزام الرعاية للعهود وُقفَتْ[2] ؛ فكن
لجنودِهم[3] متحبِّبا ، ولمَرابعِهــم مُخْصِبا ، ولمصالِحهم مرتِّبــا ، ولآرائهــم مستصوِبا
وللاعتضادِ بهــم مستصحِبا ، وفى حمدِهم مُطنِبا ، وفى شكرِهم مُسهِبا ؛ والأوليــاءِ
المنصوريِّين الذين هم كالأولاد ، ولهم سوابقُ أَمَتُّ[4] من سوابق الإيجاد ؛ وهم مَن علمتَ
آستكانةً[5] من[6] قربِنا ، ومكانةً من قلبِنا ، وهم المساهِمون فيما ناب ، وما برحوا للدولة الظفرَ
والناب ؛ فأَسهِم لكلٍّ منهم من آحترامك نصيبا ، وأَدِمْ[7] لهم آرتياحَك ، وأَلِنْ[7] جمــاحَك
وقوِّ بهــم سلاحَك ، تجِدْ منهم ضُروبا ، وتَرَ كُلًّا منهــم فى أعدائك ضَروبا ؛ وكما أنّا
نوصيك بجيوش الإســلام ، كذلك نوصيك بالجيش الذى له المنشَآتُ فى البحــر
كالأعلام ؛ فهو جيشُ الأمْواه والأمواج ، المضافُ الى الأفواج من جيش الفِجاج ؛
وهو الجيش السُّليمانىُّ فى إسراع السَّير ، وما سُمِّيَتْ شَوانيه[8] غِربانا إلا ليُجمَع بها لنا

(١) فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٠ : «حدمات» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٢٣ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل : «لحوهم» ؛ وهو تحريف .

(٤) المراد بالإيجاد : الولادة .

(٥) يريد بالأستكانة هنا : السكون والاطمئنان ؛ وأصل الفعل «استكن» على افتعل من السكون ، فزيدت الألف بعد الكاف فقيل «استكان» وفى المصباح مادة سكن نقلا عن ابن القطاع : أن ذلك كثير فى كلام العرب ؛ وقال ابن سيده : وأكثر ما جاء إشباع حركة العين فى الشعر ، كقوله : «ينباع من دفرى غضوب» الخ أى ينبع ، مدت فتحة الباء بألف كما نقل عنه فى اللسان مادة «سكن» .

(٦) لعله «إلى» كما تقتضيه تعدية «استكان» .

(٧) عبارة الأصل : «وألن هم ارتياحاتك وأدم جماحك» ؛ وسياق الكلام يقتضى [illegible]

(٨) الشوانى جمع شونة [illegible] وهى مركب معد للجهاد فى البحر [illegible]

ما ٱجتمع لسليمان صلى الله عليه وسلم من تسخير الريح والطير، وهى من ٱلديار المصرية على ثَبَج البحر الأسوار، فإن قَذفَتْ قَذفَت الرعبَ فى قلوب الأعداء و إن أقلعتْ[1] قَلعتْ منهم الآثار؛ فلا تُخلِه من تجهيز جيشِه، وسكّن طيشَ البحر بطيشِه؛ فيُصبح لك جيشان كلٌّ منهما ذو كرٍّ وفرٍ، هذا فى بَرٍّ بحرٌ وهذا بحرٍ برٌ؛ وبيوتِ العبادات فهى التى الى مصلًّى سميِّك خليلِ الله تنتهى محاريبُها، وبها لنا ولك وللمسلمين سُرَى الدعوات وتأويبُها[2]؛ فوفِّها نصيبَها المفروضَ غيرَ منقوص، ومُرْ برفعها وذكرِ ٱسم الله فيها حسب الأمرِ المنصوص؛ وأخواتِها من بيوت الأموال الواجداتِ[3] الواجبات من حيث أنها كلّها بيوتٌ لله هذه للصّلاة وهذه للصلات؛ وهذه كهذه فى رفع المنار، وجَمْع المبارّ، واذا كانت تلك مما أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ، فهذه تُرفَع ويُذكَرُ فيها ٱسمه حتى على الدرهم والدينار؛ فاصرف اليها ٱجتهادَك فيما يعود [عليها] بالتثمير، كما يعود على تلك بالتنوير؛ وعلى هذه بإشحانها[4] بأنواع الصروف، كإشحان[5] تلك باستواء الصفوف؛ فإنها إذا ٱصبحت مصونَه، احتَملَتْ بحمد الله المعونَه

(١) أقلعت : أى سارت الى الأعداء؛ والذى يستفاد من كتب اللغة أن تفسير الإقلاع بالسير تفسير مجازى، فقد ذكر ابن برى أنه ليس فى قولهم «مقلعة» مايدل على السير من جهة اللفظ، إنما يفهم ذلك من فحوى الكلام، لأنه قد أحاط العلم بأن السفينة متى رفع قلعها فإنها سائرة، فهذا شىء حصل من جهة المعنى لا من جهة أن اللفظ يقتضى ذلك الخ (اللسان) وأيضا فإسناد الإقلاع الى السفن إسناد مجازى، وهو المسمى بالمجاز العقلى، فقد ذكر ابن برى أيضا أن الإقلاع ليس فعلها، وانما هو فعل أصحابها يقال أقلع القوم سفنهم : اذا رفعوا قلعها عند المسير .

(٢) التأويب : السير بالنهار؛ وعكسه الإسآد والسرى : وهما السير عامة الليل .

(٣) الواجدات : الغنيات، وهو من قولهم : وجد المال يجده وجدا بتثليث الواو : اذا صار غنيا .

(٤) الإشحان بالهمز : الملء، كالشحن؛ وفى القاموس وشرحه أنه يقال : أشحن المدينة بالخيل : أى ملأها .

(٥) فى الأصل : «كامتحان»، وهو تحريف .

وكَفَلَتْ بالمؤونة وبالزيادة على المؤونه ، فتكفّل هــذه لكلّ ولىّ دنياه كما كفّلت تلك لكل ولىّ دِينَه ؛ وحدود الله، فلا يتعدّاها أحد، ولا يَرأَف فيها ولدٌ بوالد ولا والدٌ بولد؛ فأَقِمْها وقُم فى أمرها حتى تنضبط أتم الضبط، ولا تجعـل يد القتل مغلولةً إلى عنقها ولا تبسُطها كلَّ البســط ، فلكلٍّ من الجنايات والقصاص شرطٌ شرطه الله وحدٌّ حدَّه فلا يتجاوز أحدٌ ذلك الحــدَّ ولا يخرج عن ذلك الشرط ؛ والجهاد فهو الدَّيْدَنُ المألوفُ من حين نشأتنا ونشأتك فى بطون الأرض وعلى ظهور الخيــل فمِلْ على الأعداء كل المَيْل، وصبِّحهم من فَتَكاتك بالويل بعــد الويل ، وارمِهــم بكلّ شَمَّرِىٍّ[1] قــد شمّر من يده عن الساعد ومن رمحــه عن الســاق ومن جوادِه الذَّيل[2]؛ واذهب بهم فى ذلك كلَّ مذهب، وأْبِنْ[3] بنجوم الخِرْصان[4] كلّ غمٍّ وغَيهب وتَكثَّر[5] فى غزوهم من الليل بكلِّ أدهمَ ومن الشَّفَق بكلِّ أحمرَ وأشقرَ [ومن الأَصيل بكلِّ أصــفرَ][6] ومن الصــبح بكلِّ أَشهب، وانتهِبْ[7] أعمارهم واجعلها آخرَ ما يُسلَب

---

(١) الشمرى بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة؛ ويقال أيضا بكسر الشين والميم المشدّدة كذلك : الرجل الماضى فى الأمور .

(٢) كذا فى صبح الأعشى ح ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصار قسم ٢ ج ٨ من النسخة المأخوذة بالصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ . والذى فى الأصل : « على الذيل» وقوله : «على» زيادة من الناسخ وليست محرفة عن لفظ : (عن) كما يتوهم فان التشمير لا يكون عن الذيل وإنما يكون للذيل عما تحته؛ ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة انه يقال : «شمر عن ذيله» والذى وقفنا عليه قولهم : « شمر ذيلا وادّرع ليــلا» بدون « عن » ، والكلام هنا على طريق التمثيل والمراد المضاء والجد فى السير .

(٣) فى صبح الأعشى ومسالك الأبصار : « وأنر » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) الخرصان بكسر الخاء : أسنة الرماح، واحده خرص بكسر فسكون، ويضم أوّله أيضا .

(٥) التكثر : طلب الكثرة، كما يفهم من أساس البلاغة فقد ورد فيه : «تقلل من العلم لتحفظ وتكثر منه لتفهم» .

(٦) لم ترد هــذه العبارة فى الأصل؛ وقــد أثبتناها من صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصــار . (٧) فى الأصل وصبح الأعشى : «واستنهب» ؛ ولم نجده فيما لدينا من كتب اللغة .

وأوّلَ ما يُنهَب؛ ونرجوا أن يكون الله قـد خبأ لك من الفتوحات ما يستنجزها لك صادقُ وعدِه، وأن ينصر بك جيوش الإسلام فى كلّ إنجاد وإتهام وما النصر إلا من عندِه؛ وبيت الله المحجوج من كلّ فَجّ، المقصود من كل نَهْج؛ يَسِّرْ سبيلَه، ووَسِّع الخيرِ وأَحسِن تسبيلَه(١)، وأَوصِل من بِرِّك لكلٍّ من الحرَمين ماهُو(٢) له، لتصبح ربوعُه بذلك مأهولَة؛ وآحمِه ممّن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلم، وطَهِّرْه من كلِّ مَكْسٍ(٣) وغرم؛ ليعود نفعُك على البادى والعاكف، ويصبحَ واديه وناديه مستغنيَين بذلك عن السحاب الواكف؛ والرَّعايا، فهم للعدل زُروع، وللاستثمار(٤) فروع، ولاستلزام العمارة شُروع(٥)؛ فمتى جادهم غيثُ أَعْجَب الزُّرّاعَ نَباتُهم، ونَمَتْ بالصلاح أقواتُهم، وصَلَحتْ بالنَّماء أوقاتُهم، وكثرت للجنود مستغَلّاتُهم، وتوافرتْ زكَواتُهم، وتنوّرتْ مشكاتُهم "وَٱللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ"؛ هـذا عهدُنا للسيّدِ الأجلِّ الولدِ الملكِ الأشرفِ صلاحِ الدنيا والدِّين، فخرِ الملوك والسلاطين، خليلِ أميرِ المؤمنين — أعزّنا الله ببقائه — فليكن

---

(١) التسبيل: أن تجعل الشيء فى سبيل الخير.

(٢) هو بسكون الواو لغة فى هو بفتحها؛ وقد حكى هذه اللغة الكسائى عن بنى أسد وتميم وقيس، كما أن بعضهم يحذف الواو إذا كان قبل «هو» ألف ساكنة فيقول: حتاه فعل ذلك.

(٣) المكس: ما يأخذه أعوان السلطان ظلما عند البيع والشراء، قال الشاعر:

وفى كل أسواق العـراق إتاوة * وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم

(٤) كذا فى الأصل وصبح الأعشى بالسين والتاء؛ ولم نجد هذه الصيغة فيما راجعناه من كتب اللغة غير أن فى شرح الأشمونى وحاشيته عند قول ابن مالك فى باب التصريف:

والتاء للتأنيث والمضارعة * وتاء الاستفعال والمطاوعة

ما يفيد أن هذه الزيادة مطردة، حيث قال: وأما زيادتها حشوا فلا تطرد إلا فى الاستفعال والافتعال وفروعهما الخ والذى فى مسالك الأبصار: «ولاستثمار»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٥) الشروع: مصدر شرع فى الأمر إذا أخذ فيه، وقد وصف الرعايا به على طريق المبالغة.

بعروته متمسّكا، وبنفحتــه متمسّكا[1] ، وليتقلّدْ سيفَ هــذا التقليد ، ويفتح مُغْلَقَ كلِّ فتحٍ منه بخيرِ إقليد[2]، وها نحن قد كثّرْنا لديه جواهرَه فدونه ما يشاء تحليتَــه : من تتويجِ مَفرِقٍ وتختيمِ أناملَ وتسويرِ زَندٍ وتطويقِ جِيد ، ففى كلّ ذلك تبجيــلٌ وتمجيــد، والله تعــالى يجعــل آستخلافه للتقين إماما ، وللدين قواما ، وللجاهدين آعتصاما ، وللعتــدين آنقصاما ، ويطفئ بمياه ســيوفه نارَ كلِّ خطب حتى تُصبحَ كما أصبحَتْ نارُ سميِّه صلّى الله عليه وســلّم بردا وسلاما ، إن شاء الله تعالى .

وكلامه رحمه الله كثير ورسائله مشهورة ، وبيدِ الناس من إنشائه ما لوآستقصيناه لطال وانبســط ، وقد قدّمنا فى كتابنا هــذا من كلامه فى باب التهانى بالفتوح ما تجده فى موضعه

ونختم كلامه بشىء من أدعية الملوك، وهى :

ومَكّن الله له فى الأرض، وجعل طاعتَه واجبــةً وجوبَ الفرض، وأيّد آراءه بالملائكة فى الحَلّ والعَقد والإبرامِ والنقض .

آخر : وأَنجَزَ له من النصر صادقَ وعدِه، وجعل الملوكَ من عبيــده والملائكةَ من جندِه، ومتّعه بمــا وهبه من المُلك الذى لا ينبغى لأحد من بَعدِه .

آخر : وحَفِظه بمعقّبات من أمرِه ، وحَمى حِمى الدين بقِصارِ بِيضِــه وطوالِ سُمْرِه ، وجعــل قدرَ مملكتــه فى الدهر كليالى قدرِه ، وأَلبَس أولياءه من طاعتــه ما يجرّون أذيالَ فخرِه .

(١) المتمسك : المتطيب بالمسك .

(٢) الإقليد : المفتاح؛ وهى لغة يمــانية، وقيل معرّب .

آخر : ولا زالت الدنيا بعدله مخضرّةَ الوهاد والرُّبا ، والامالُ بفضله قائلا لها النجحُ : مرحبا ، والأقدارُ لنصره مسدّدةَ السهام مرهفةَ الظُّبا ، والأيّامُ لا تَعدَم من جميل أثره وجليلِ تأثيره فعلا مطربا ، ووصفا مطيّبا . وجَعلتْ مُلكَه موصولا بحبل لا يُحلّ عَقدُه ، وحَرَمَه محروسا بسيف التوفيق لا يُفلّ حدُّه . ولا زالت راياته ألسنةً تنذر أعداءه بالفرار ، وتُبشِّر أولياءه بالقرار ، وآراؤه أعلاما عاليةَ المَنار واضحةَ الأنوار . وأنجز له عِداتِه فى عُداتِه ، وجعل النصر والتوفيق مصاحبَين لآرائه ورايَاتِه . وأناله النصرَ الذى يغنيه عن الحيلة والحول ، وعَقَد السعدَ بعُرا[1] ما يُمضيه من الفعل والقول ، وبوّأ أولياءه جُنّةً من النصر ما فيها غائلة وجَنّةً من العزّ ما فيها غَول . وقصم بمهابته كلَّ جبّار عنيد ، وعصم كلَّ من يَأوِى من رجائه إلى ركن شديد . وآتاه من التأييد سلطانا نصيرا ، وجعل جيشه أكثرَ قوّى وأقوى نفيرا . ولا زالت الآمال بسحابه مخضرّةَ الرُّبا والوهاد ، والتأييدُ بتمكينه مناديا فى كلّ ناد ، والدنيا بمُلكه مسرورةَ الأسرار[2] حاليةَ الأجياد ، والأقدارُ لأمره متكفّلةً بالنفاد[3] . وطرّز بأيامه ملابس السِّيَر ، وأحلّ أمره أعلى هَضَباتِ النصر والظَّفَر ، وحلّى أجياد الممالك من عدلِه وبذلِه بأشرف الدُّرَر ، ولا برح القدر يوافق قُصُوده[4] فيقول للقدر :

(١) فى الأصل : « يعرى بما » ؛ وهو تحريف .

(٢) المراد بالأسرار هنا : خطوط الوجه والجبهة ؛ الواحد سر بكسر السين وضمها ؛ وإنما أسند السرور اليها لظهور أماراته فيها . يقال : برقت أسارير وجهه اذا تهلل من الفرح .

(٣) كذا فى الأصل بالدال المهملة ؛ والذى يستفاد من كتب اللغة أن هذه الكلمة تأتى بمعنى النفاذ بالدال المعجمة : أى الجواز والمضى ؛ فقد جاء فى اللسان مادة « نفد » بالمهملة فى تفسير حديث ابن مسعود : « إنكم مجموعون فى صعيد واحد ينفدكم البصر » ما نصه : يقال : نفدنى بصره اذا بلغنى وجاوزنى . ثم قال : وأنفدت القوم اذا خرقتهم ومشيت فى وسطهم ، فان جزتهم حتى تخلّفهم قلت : نفدتهم بلا ألف ا هـ ثم ذكر هذا الكلام نفسه بالدال المعجمة فى مادة « نفذ » .

(٤) القصود : جمع قصد ، وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وقد أوضحنا ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٢ من هذا الجزء فانظره .

«لَقَدْ جِئْتَ عَلَى قَدَر» . وأَتَمَّ نعمته عليه كما أَتَمَّها[1]، وعَمَر بعدله الآفاقَ وعَمَّها، وأَوضح مَناهجَ كرمه لمن قَصَدها وأَمَّها، وأنجز عِداته فى عُداته فأصماها وأَصَمَّها. وأَتَمَّ نعمتَه عليه كما أتمها على أبو يه مِن قَبله، وحَمى حِمى الدين بنصره وفضله، وكسا الدنيا بمُلكه حلّةَ فخار مُعلَمَةً بإحسانه وعدلِه، وجعل أقاليمَ الأرض معمورةً بسلطانه مغمورةً بعطائه و بذلِه .

ذكر شيء من إنشاء المولى الماجد السالك من طريقَ الفضل والفضائل أَوضحَ الطرق وأَنهجَ المَسالك، المفصِح بلسان براعته والمُوضِح بأنوار بلاغته ما أَبهَم وآستبهم من ليل العِيِّ الحالك، المتصرِّف بقلمِه وكَلِمه لوثوق[2] ملوك الإسلام بديانتِه وأمانتِه وأصالتِه ونزاهتِه فى الأقاليم والثغور والحصون والممالك، العامرِ بفضله وفضائله والغامرِ بجوده ونائله باطنَ وظاهرَ من أمّله وأَمَّ له من زائرٍ وقاطنٍ ومارٍّ وسالك ؛ فينفصل هذا عن بابه وهو بجوده مغمور، وهذا عن مجلسه وقلبُه بوَلائه لِما أَولاه من إحسانه معمور؛ وهذا وهو يُنفق الجمَلَ من ماله ، وذاك وهو يجود على المُعدم مِن فضلِ نوالِه؛ والآخرُ وقد امتلأ صدره سرورا ، وأشرق وجهُه بهجةً ونورا؛ وآنطلق لسانُه من عِقاله بعد تقييدِه، وآنبسط أملُه لطلب الفضائل لمّا ظفر بمعدنها بعد تعقيدِه[3]؛ فتَجده وقد آعتَلَق[4] منه جملا وآعتَنَق جمالا، وأنفق الدرر بعد ضنّه بالأصداف فهو لا يخشى عُدْما ولا يخاف إقلالا ؛ والمولى المعنىُّ

(١) متعلق هذا الفعل محذوف للعلم به وهو قوله : «على أبو يه من قبل» أخذا من الآية الكريمة ، وإنما حذفه ليتم السجع الذى التزم فى هذه الأدعية ، وليست هذه العبارة مكررة مع ما يأتى ، لأنه دعاء آخر .

(٢) فى الأصل : «لوقوق» بقافين؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «تقييده» ؛ وهو تحريف لتكرره مع ما قبله فى آخر الجملة السابقة .

(٤) كذا فى الأصل ؛ ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة أنه يقال : «اعتلقه» بمعنى علقه بتشديد اللام أى حفظه ، كما هو المراد هنا ؛ والذى وقفنا عليه أنه يقال : « اعتلقه » أى أحبه ؛ ولعل المؤلف قصد المجانسة بين هذا اللفظ وقوله بعده : «واعتنق» .

بهـذه المعالى التى ٱبتسمت ثغورُها ، وتحلّت نحورُها ؛ والمكارمِ التى جادت سحائبُها وٱمتـدّت مَذانبُها[١]، وترادفتْ مواهبُها، واتّسعَتْ مذاهبُها؛ والفضائلِ التى لجنـابه الكريم تُعزَى ولفضلِه العميمِ تَنتسب، والسـيادةِ التى شادها لنفسه لاستغنائه عمّـا مهدته له آباؤه النُّجُب، والمرادُ بهذه الأوصاف التى

٥ خُلِّيَتْ والحُسنَ تأخذه * تَنتقِى منــه وتَنتخبُ[٢]

هو لسانُ الدولة ويمينُها ، وسـفيرِ المملكة وأمينُها ؛ وجامعُ أشتات الفضائل ، وناظمُ أخبارِ الأواخر وسِيَرِ الأوائل ؛ وسيّدُ الرؤساء وجليسُ الملوك ، ومؤلِّفُ كتاب نظمِ السلوك ؛ المولى المـالكُ علاءُ الدين علىّ ابن المولى المرحوم فتح الدين محمد ابن المولى المرحوم محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، ذو الفضائل والمآثر ، والنسبِ العريق والأصلِ

١٠ الطاهر ، والسببِ الوثيقِ والفضل الباهر ؛ فهذه نبذة من أوصافه أثبتناها ، ولُمعة من محاسنه أوردناها ، أسامٍ لم تَزده معرفةً وإنمـا لذّةً ذكرناها ؛ وله — أعزّه الله وأوفر نعمه لديه ، وأتَمّ نعمته عليه كما أتمها على أبويه ؛ وأرانا فى نجله الكريمِ ما رأيناه فى سلفه وفيه ، وأنطَق الواصفَ لمحاسنهم بملءِ فيه — من الرسائل البليغه ، والتقاليدِ البديعـه ؛ والعهودِ التى عاهدَتْها البـلاغةُ ألا تتعدّاها فوفت بعهـدِها ، وأقسمت

١٥ معانيها أنها لم تَقصِدْ سواه من قَبل لعلمِها أنّ غيرَه لا يوفّيها حقّ قصدِها ؛ وسنورد إن شاء الله من كلامه ما هو بالنسبة الى مجموعه نبذةٌ يسيره ، ونرصّع فى كتابنا هذا من فضائله لُمعةً خطيره ؛ ونرفع بما نضعه فيه من كلامه قدرَ هذا التصنيف ، ونطرّز به

(١) المذانب : مسايل الماء ، واحده مذنب بكسر الميم وفتح النون . وفى الأصل : «مذاهبها» ، وهو تحريف لتكرره مع ما يأتى بعده .

٢٠ (٢) البيت لأبى نواس .

أَرْدانَ هــذا التأليف ، ولا نحتاج إلى التعريف بمكانه وتمكُّنه من هــذه الصناعة فالشمس تستغنى عن التعريف؛ ونحن الآن نعتذر من التقصير فى الأنتهاء إلى وصف محاسنِه، ونعترف بالعجز عن إدراك كنه مناقبــه الشريفة وميامنِه ؛ ونأخذُ فى ذكر كلامه لنمحوَ ذنبَ التقصير بحسن الإخبار(١) ونسأل الصــفح عن آختصارنا واجبَ حقّه ونرجوا قبول كلماتِ الأعتذار

فمن إنشائه ما كتبه عن الخليفة المستكفى بالله أبى الربيع سليمان — جمّل الله به الدين ، وأيّد ببقائه الإســلامَ والمسلمين — للســلطان الملكِ المظفّر ركن الدين بيبرس المنصورى فى شوّال سنة ثمان وسبعمائة، ابتدأه بأن قال :

هذا عَقدٌ شريف آنتظمتْ به عقودُ مصالح الممـالك، وآبتسمتْ ثغورُ الثغور ببيعته التى شهِدَتْ بصحّتها الكرامُ الملائك ؛ وتمسّكت النفوسُ بمحكَمِ عَقده(٢) النَّضيد ومبرَم عهدِه النظيم، ووثقت الآمالُ ببركة ميثاقه فتقرأه الألسنة مستفتِحةً فيه بقول الله الكريم : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ الحمد لله الذى جعــل الملّة الإسلاميّةَ تأوِى من سلطانها الى ركنٍ شــديد، وتحوِى من مبايعة(٣) مظفَّرِها كلَّ ما كانت ترومه من تأبيــد التأبيد ، وترِوى أحاديثَ النصر عن مَلِكٍ لا يَمــلّ من نُصرة الدّين الحنيفىّ وإن مَلّ الحديدُ من الحديد ؛ مُؤْتى مُلكَه من يشاء من عبادِه ومُلْقِى مقاليــدِه للولىّ المَلِىِّ(٤) بقَمْع أهــل عناده ؛ ومانِحه من لم يزل بعزائمه ومكارمه

(١) لعله يريد « بالإخبار » : أن ذكر شىء من كلامه إخبار عن فضله وتمكنه من ناصية البلاغة . أو لعل صوابه «الاختيار» .

(٢) فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩ : «عقده» بكسر العين .

(٣) فى صبح الأعشى : «من متابعة» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) يقال : هو ملىء بهذا الأمر : أى مضطلع به « الأساس » .

مرهوبا مرغوبا، ومُوليه [ومولّيه](1) من غدا محبوّا من الأنام بواجب الطاعة محبوبا
و باسط أيدى الرغبات لمن حكّم له كمالُ وصفه ووصفُ كماله بأن يكون مسئولا مخطوبا
ومفوّض(2) أمره ونهيه إلى من طالما صرف خطّيّه عن حمى الدين أخطارا وخطوبا؛
والحمد لله مُجرى الأقدار برفع الأقدار، ومُظهِر سرّ الملك فيمن أضحى عند الإمامة
٥ العباسيّة بحُسن الاختيار من المصطفَين الأخيار، جامع أشتات الفخار، ورافع لواء
الاستظهار(3)، ودافع لأواء(4) الأضرار، بجميل الالتجاء الى ركنٍ أمسى بقوّة الله تعالى عالى
المَنار وافى المَبار، بادىَ الآثار الجميلة فى الإيثار(5)؛ والحمد لله على أن قلّد أمورَ السلطنة
الشريفة لكافلها وكافيها، وأسند عقدها وحلّها لمن يدرك بكريم فطنته وسليم فطرته
عواقبَ الأمور من مباديها، وأيّد الكتائبَ الإيمانيّةَ بمن لم تزل عواليه تبلّغها من ذُرا
١٠ الأمانىّ معاليها؛ يحمده أمير المؤمنين على إعلاء كلمة الإيمان بأعيان أعوانها، وإعزاز
نصرها بأركانِ تشييدها وتشييدِ أركانها؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة [لا] تبرح الألسنُ ترويها، والقلوبُ تنويها، والمواهبُ تُجزِل لقائلها تنويلا
وتنويها؛ ويشهد أنّ محمدا عبده ورسوله أكملُ نبىٍّ وأفضلُ مبعوث، وأشرفُ مُورِّث
لأجلّ موروث، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تنمو بركاتُها وتنمّ(6)، وتخصّ حسناتُها
١٥ وتعمّ؛ ورضى الله عن عمّه العباس بن عبد المطلب جدّ أمير المؤمنين، وعن أبنائه
الأئمة المهديّين، الذين ورِثوا الخلافة كابرا عن كابر، وسمتْ ووُسمتْ بأسمائهم ونعوتهم

(1) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩
(2) فى الأصل : «ومعرض» بالعين والراء؛ وهو تحريف .
(3) الاستظهار : العلوّ والغلبة .
٢٠ (٤) اللأواء : الشدّة والمحنة .
(5) فى صبح الأعشى : « والإيثار » بالواو مكان « فى » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .
(6) يقال : نمّ المسك اذا سطعت رائحته؛ وهو هنا مستعار للانتشار والظهور .

ذُرا المنابر؛ أما بعـد، فإن الله تعالى لـمّا عَدَق[1] لمولانا أميرِ المؤمنين مصالحَ الجمهـور وعقَد له البَيعةَ فى أعناق أهل الإيمان فزادتهم نورا على نور؛ وأورثه عن أسلافه الطاهرِين إمامةَ خيرِ أمّه، وكَشَف بمُصابرته من بأس العدا عمامَ كلِّ غُمَّه؛ وأنزَل عليه السكينةَ فى مواطن النصر والفتح المبين، وثبّته عند تَزلزل الأقدام وثبَّت به قلوب المؤمنين؛ وأفاض عليه من مَهابة الخلافة ومواهبِها ما هو من أهلِه ، وأتمّ نعمتَه عليه كما أتمّها على أبويه مِن قبلِه ؛ بايع ٱللّهَ تعالى على أن يختار للتمليك على البرايا، والتحكيم فى الممالك والرّعايا؛ من أسّس بنيانَه على التقوى، وتمسّكَ من خشية الله سبحانه بالسبب الأقوى؛ ووَقَف عند أوامر الشرع الشريف فى قضائه وحُكمه، ونهض لأداء فرضِ الجهاد بمعالى عزمِه وحزمِه؛ وكان المقامُ الأشرفُ العالى المَوْلوىُّ السلطانىُّ المَلَكىُّ المظفَّرىُّ الركنىّ ، سلطانُ الإسلام والمسلمين ، سيّدُ الملوك والسلاطين؛ ناصرُ الملّة المحمّديّة، محيى الدولة العباسيّة (أبو الفتح بيبرس) قسيمُ أميرِ المؤمنين — أعزّ الله تعالى ببقائه حمى الخلافة وقد فعَل، وبلغ فى دوام دولته الأمل — هو المَلِكَ الذى ٱنعقد الإجماعُ على تفضيلِه ، وشهدتْ مناقبُه الطاهرةُ باستحقاقه لتحويل المُلْك [اليه][2] وتخويلِه ؛ وحكَمَ التوفيقُ والاتفاقُ بترَقّيه إلى كرسىِّ السلطنة وصعودِه ، وقضت الأقدار بأن يُلقِيَ اليه أميرُ المؤمنين أزمّة عهودِه ؛ والذى كم خَفَقت قلوبُ الأعادى عند رؤية رايات نصره ، ونطقت ألسنةُ الأقدار بأن سيكون مليكَ عصره وعزيزَ مصره ؛ وٱهتزّتْ أعطاف المنابر شوقا للافتخار بٱسمِه، واعتزّتْ الممالك بمن زاده الله بسطةً فى عِلمِه وجسمِه؛ وهو الذى ما برح

(١) عدق : أى جمع .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٠

مد نشأ يجاهد فى الله حقّ جهاده، ويساعِد فى كل معركة بمرهَفات سيوفه ومتلِفاتِ صِعاده، ويُبدى فى الهيجاء صفحتَه للصِّفاح فيَقيه ٱللهُ ويبقيه ليجعله ظلَّه فى الأرض على عبـاده وبلادِه ، فيُردِى الأعداءَ فى مواقف تأييـده فكم عفّـر من خدٍّ لملوك الكفر تحت سنابك جيادِه، ويشفى بصدور سيوفه صدورَ قوم مؤمنين، ويسـقى طِماءَ أسنّته فيَروِيها من مَورد وُرود[1] المشركين؛ ويُطلِـع فى[2] سماء الملك من غُرَرِ رأيه نيّراتٍ لا تأفُل ولا تَغُور، ويُظهِرُ من مواهبه ومَهابته ما تُحسَّن به الممالكُ وتُحصَّن به الثغور؛ فما من حصنٍ أغلقه[3] الكفرُ إلا وسيفُه مفتاحُه ، ولا ليل خطبٍ دَجا إلا وغرّتُه الميمونةُ صباحُه، ولا عزّ أملٌ لأهل الإسلام إلّا وكان فى رأيه المسدَّدِ نجاحُه، ولا حصل خللٌ فى قطرٍ[4] من الممالك إلّا وكان بمشيئة الله تعالى و بسَداد تدبيره صلاحُه؛ ولا ٱتّفق مشهدُ غزوٍ إلا وٱلملائكةُ بمضافرته فيه أعدلُ شهود، ولا تَجدّد فتوحٌ للإسلام إلا جاد فيه بنفسه وأجاد، "والجُودُ بالنفس أقصى غايةِ الجود" كم أَسلف فى غزو الأعداء من يومٍ أَغرَّ محجَّل ، وأنفق مالَه ٱبتغاءَ مرضات الله فحـاز النصرَ المعجَّل والأجرَ.

---

(١) الورود جمع وريد: وهو عرق فى العنق، ويقال له : حبل الوريد، وهما وريدان؛ والظاهر أنه أراد بالورود هنا : العروق التى فيها الدم لا جمع وريد بالمعنى المعروف، فان كلام أهل اللغة يدل على أن الوريد من العروق ما جرى فيه النفس ولم يجر فيـه الدم . قال أبو الهيثم : الوريدان تحت الودجين ، والودجان : عرقان غليظان عن يمين ثغرة النحر ويسارها؛ والوريدان ينبضان أبدا من الانسان؛ والوريد من العروق : ما جرى فيه النفس ولم يجر فيه الدم الخ قال الأزهرى : والقول فى الوريدين ما قاله أبو الهيثم وفى المصباح نقلا عن الفراء : الوريد : عرق بين الحلقوم والعلباوين ، وهو ينبض أبدا ؛ فهو من الأوردة التى فيها الحياة ولا يجرى فيها دم ، بل هى مجارى النفس بالحركات .

(٢) فى الأصل : « من فى سماء » ؛ وقوله : « من » زيادة من الناسخ .

(٣) فى الأصـل وصبح الأعشى : « استغلقه » ؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة انه يقال : استغلقت الباب بمعنى أغلقته .

(٤) كذا فى الأصل ؛ والذى فى صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٧١) : « طرف » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

المؤجّل؛ وأحيا من معالم العلوم ودوارِس المدارس كلّ داثر، وحثّه إيمانُه على عمارة بيوت الله تعالى الجامعةِ لكلّ تالٍ وذاكر، "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ"؛ وهو الذى ما زالت الأولياء تتخيّل مخايلَ السلطنة فى أعطافه معنًى وصوره، والأعداءُ يرومون إطفاءَ ما أفاضه الله عليه من أشعّة أنواره "وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ"؛ طالما تطاولتْ إليه أعناقُ الممالك فأعرض عنها جانبا، وتطفّلتْ[1] عليه فغدا لها رعايةً لذمّة الوفاء مجانبا؛ حتى أَذِن الله سبحانه لكلمة سلطانه أن تُرفَع[2] وحكم له بالصعود فى دَرَج المُلك الى المحلّ الأعلى والمكانِ الأرفع، وأَدّى له من المواهب ما هو على اسمه فى ذخائر الغيوب مستودَع؛ فعند ذلك استخار اللهَ تعالى سيدُنا ومولانا أميرُ المؤمنين (المستكفى بالله) — جعل الله الخلافةَ [كلمة][3] باقيةً فى عَقِبه، وأَمتع الإسلامَ والمسلمين بشريفَىْ حسبِه ونسبِه — وعَهِد إلى المقام العالى السلطانىّ بكلّ ما وراء سرير خلافتِه، وقلّده جميعَ ما هو متقلَّدُه من أحكام إمامتِه؛ وبَسَط يدَه فى السلطنة المعظّمه، وجعل أوامرَه هى النافذةَ وأحكامَه [هى][3] المحكّمه؛ وذلك بالدّيار المصريّة والممالكِ الشاميّه، والفراتيّة والحلبيّـة[4] والساحليّه، والقلاع والثغور المحروسةِ والبلاد الحجازيّة واليمانيّه؛ وكلِّ ما هو من الممالك الإسلاميّة الى خلافة أمير المؤمنين منسوب، وفى أقطار إمامتِه محسوب؛ وألقَى إلى أوامره أزمّةَ البسط والقبض

(١) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٢؛ والذى فى الأصل: «وتطلعت»؛ وهو وإن كان كان صحيح المعنى إلا أن قوله بعد: (عليه) يقتضى ما أثبتنا.

(٢) فى صبح الأعشى: «على قربه»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى.

(٤) فى صبح الأعشى: «والجبلية»؛ وهو أظهر، فإن الحلبية داخلة فى الممالك الشامية التى سبق ذكرها.

والإبرام والنقض، والرفع والخفض، وما جعله الله فى يده من حُكم الأرض، ومن إقامة سنّة وفرض، وفى كلّ هبة وتمليك، وتصرّف فى ولاية أمير المؤمنين[1] من غير شريك، وفى تولية القضاة والحكام، وفصل القضايا والأحكام، وفى سائر التحكّم فى الوجود، وعقد الألوية والبنود، وتجنيد الكتائب والجنود، وتجهيز الجيوش الإسلامية فى التأييد لكلّ مقام محمود، وفى قهر الأعداء الذين نرجوا بقوّة الله تعالى أن يمكّنه من نواصيهم، ويحكّم قواضبه فى آستنزالهم من صَياصيهم، واستئصال شأفة عاصيهم، حتى يمحوَ الله بمصابيح سيوفه سوادَ خطوب الشّرك المدلهمّة، وتغدو سَراياه فى آقتلاع قلاع الكفر مستهِمّة[2]، وترهبهم خيلُ بعوثه وخيالُها فى آليقظة والمنام، ويدخل فى أيامه أهلُ الإسلام مدينةَ السلام بسلام؛ تفويضا تامّا عامّا منضّدا منظّما، مُحكَمًا مُحكَّما، أقامه مولانا أميرُ المؤمنين فى ذلك مُقامَ نفسه الشريفة، وآستشهد الكرامَ الكاتبين فى ثبوت هذه البيعة المنيفة؛ فليتقلّد المقامُ الأشرفُ السلطانىُّ — أعزّ الله نصرَه — عقدَ هذا العهد الذى لا تطمح لمثله الآمال، وليستمسكْ منه بالعروة الوثقى التى لا آنفصامَ لها ولا آنفصال؛ فقد عوّل أميرُ المؤمنين على يمن آرائك[3] التى ما برحت الأمّةُ بها فى المعضلات تستشفى، وآستكفى بكفايتك وكفالتك فى حياطة المُلك فأضحى وهو بذلك (المستكفى)؛ وهو يقصّ عليك من أنباء الوصايا أحسنَ القَصص، وينصّ لديك ما أتى آحدٌ منه بالعزائم إذا أُخذ

(١) عبارة صبح الأعشى: « أمور الإسلام ».

(٢) مستهِمّة بتشديد الميم: أى مهتمة، قال فى الأساس: همّته يقولون: استهمّ لى فى كذا؛ ويجوز أن يقرأ: (مستهِمة) بتخفيف الميم؛ أى مقتسمة، من الآستهام.

(٣) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل وصبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٣ بضمير الخطاب، ولا يخفى ما فيه من الالتفات لاختلاف الضمائر بين ما هنا وبين ما سبق، وكأن النكتة فى ذلك تأكيد اختصاصه بهذا العهد المذكور فى الجملة السابقة.

غيرُك فيه بالرُّخص ، فإن نُبِّهتَ على التقوى فطالما تمسّكتَ منها بأوثقِ عروه ، وإن هُديتَ الى سبيل الرشاد فما زلتَ ترقى منه أشرفَ ذُروه ، وإن آسترهفْنا[1] عزمَك الماضيَ الغِرار ، وآستدعينا حزمَك الذى أضاء به دهرُك وأنار وآستنار[2] ، فى إقامة مَنار الشرع الشريف ، والوقوفِ عنـد أمرِه ونهيِه فى كل حكمٍ وتصريف ، فما زِلتَ — خلّد الله سـلطانَك — قائمـا بسننِه وفرضِه ، دائبـا فى رضى الله تعـالى بإصلاحِ عقائدِ عبادِه فى أرضِـه ، وما برِح سيفُك المظفَّرُ للأحكام الشرعيّة خادما ، ولموادِّ الباطل حاسما ، ولأُنوفِ ذوى الزَّيغ والبِدَع مُرغِما ، وكلُّ ما نوصيك به من الخير فقد جُبلتْ عليه طباعُك ، ولم يزل مشتدًا فيه ساعدُك ممتدًا إليـه باعُك ، غيرَ أننا نُورد لمعةً اقتضاها أمرُ الله تعالى فى الاقتداء بالتذكرة فى كتابه المبين ، وأوجبَها نصُّ قوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِين﴾ ، ويندرج تحت أصولهـا فروعٌ يَستغنِي بدقيق ذهنه الشريفِ عن نصِّها ، وبفكره الثاقبِ عن قصِّها ، فأعظمُها للِّة نفعا ، وأكثرُها للباطل دفعا ، الشرعُ الشريف ، فليكن — أعزّ الله نصرَه — عاملا على تشييد قواعد أحكامِه ، وتنفيذِ أوامر حكّامِه ، فالسـعيدُ من قرن أمرَه بأمرِه ، ورضِى فيه بحلو الحق ومُرِّه ، والعدلُ ، فلينشرْ لواءه حتى يأوىَ اليه الخائف وينكفّ بردْعه حَيفُ كلِّ حائف ، ويَتسـاوى فى ظلِّه الغنىُّ والفقير ، والمأمورُ والأمير ، ويمسىَ الظلمُ فى أيامك وقد خَمدتْ نارُه ، وعفَتْ آثارُه ، وأهمُّ ما آحتَفلتْ به العزائم ، وآشتملتْ عليه هممُ[3] الملوك العظائم ، وأُشرِعتْ له الأسـنّةُ وأُرهِفتْ من أجله الصوارم ، أمرُ الجهاد الذى جعله الله سبحانه حصنا للإسلام وجُنّه ، وآشترى

(١) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل وصبح الأعشى بالسين والتاء ، ولم نجده بهذه الصيغة فيما لدينا من كتب اللغة ، والذى وقفنا عليه أنه يقال : رهفه وأرهفه ، أى رققه وأحده

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى صبح الأعشى .

(٣) العظائم صفة للهمم .

فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة؛ فجنّد له الجنودَ وجمّع له الكتائب واقض فى مواقفه على الأعداء من بأسك بالقواضى القواضب؛ واغزُهم فى عقر الدار، وأرهف سيفك البتّار، لتأخذ منهم للمسلمين بالثار؛ والثغور والحصون، فهى سرّ المُلك المصون، وهى معاقلُ النفوس" اذا دارت رحى الحرب الزّبون"(١)؛ فلتقلّد أمرها لكفاتها، وتحصّن حماها بحُماتها، وتضاعف لمن بها أسبابَ قوتها ومادّةَ أقواتها؛ وأمراء الإسلام، وجنود الإيمان، فهم أولياء نصرك، وحفظةُ شامك ومصرك؛ وحزبك الغالب، وفريقُك الذى تفْرَق منه قلوبُ العدوّ فى المشارق والمغارب؛ فليكن المقام العالى السلطانىّ — نصره الله تعالى — لأحوالهم متفقّدا وببسط وجهه لهم متودّدا؛ حتى تتأكّدَ لمقامه العالى طاعتُهم، وتتجدّدَ لسلطانه العزيز ضراعتُهم؛ وأما غير ذلك من المصالح فما برح تدبيرُه الجميلُ لها ينفّذ ورأيه الأصيلُ بها يشير، ولايحتاج مع علمه بغوامضها الى إيضاحها «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» واللهُ تعالى يخصّ دولتَه من العدل والإحسان بأوفر نصيب، ويمنح سلطانَه مايرجوه من النصر المعجّل والفتح القريب؛ بمنّه وكرمه .

وكتب تقليدا مظفّريّا للأمير سيف الدين سَلّار المنصورىّ بنيابة السلطنة الشريفة فى سنة ثمان وسبعمائة، وهو :

الحمد لله الذى شيّد ركنَ الإسلام بسيفه المنتضَى، وجدّد للمُلك مزيدَ التأييد بكافله الذى مابرح وفاؤه للملوك الأواخر والأوائل مرتضًى، وأنجزَ من وعوده الاتفاقُ والتوفيقُ ما كان من ذمّة الدهر مُقتضًى، جامع شملِ الأوامر والنواهى بتفويضها

---

(١) الزبون، من الزبن بفتح فسكون : وهو الدفع ومنه قيل : حرب زبون، لأنها تدفع الأبطال عن الإقدام خوف الموت .

الى مَن تبيت العدا مِن مهابته على جمر الغَضَى، ومُنيل المنى بمواهبه التى تحوز موادَّ الأختيار وتجوز أمَدَ الرضا، ومُلقِى مقاليد التدبير الى من أضحى جميلَ التأثير اذا تصرّف فى الرفع والخفض حكمُ القضا، ومصرِّف أزمّة الأمور فى يد من غدا ثابتَ العزَمات فى الأزَمات، فما أظلَمَ خطبٌ إلا آنجلى بمصابيح آرائه وأضا؛ نحمده على أن عضَد دولتَنا بالكافل الكافى الّذى اختاره الله لنا على عِلم، ومنح أيّامَنا موالاةَ الولىّ الّذى جُمعت فيه خَلّتان يحبّهما اللهُ ورسولُه : وهما الأناةُ والحِلم؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مشرقةَ الأنوار، مصدقةً سحبُها بأنواء المَنِن الغزار؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه الله لإقامة شعائر الإيمان، وخصّ ملّته فى الدنيا والآخرة باليمن والأمان؛ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الّذين منهم من أضحى بفضل السَّبْق للإيمان به صِدّيقَه وصَديقَه، وأسى لفرط الأُلفة أنيسَه فى الغار ورفيقَه؛ ومنهم من ضافَرَه فى إظهار النبوّة ووازره[1]، وظاهَرَه على إقامة منارها بإطفاء كل ثائرة وإخمادِ كلّ نائرة[2]؛ ومنهم من ساعد وساعف فى تجهيز جيش العُسْره[3]، وأَحسَن وحسّن مع إخوانه المؤمنين الصحبةَ والعشره؛ ومنهم من كان سيفَه الماضىَ الحدّ، ومهنّدَه الذى كم فَلّ بين يديه الجموع مما اعترض إلا قطّ[4] ولا آعتلى إلا قدّ؛ وسلّمَ تسليما كثيرا، أما بعد، فان الله تعالى لما هنّأ لنا مواهبَ الظّفَر، وهيّأ لنا من الملك مَوادَّ إدراكِ المنى وبلوغِ الوَطَر، وأيدنا من أنصارنا بكلّ ذى فعلٍ أَبَرّ ووجهٍ أَغَرّ؛ وشدّ أزرَنا بمضافرة سيف يُزهَى المُلكُ بتقليده، وأمدّنا بمؤازرٍ نتصرّف المنى وآلمنونُ

(١) وازره : أعانه وقوّاه، والأصل آزره بالهمز، وفى القاموس وشرحه مادة «أز ر» أن المؤازرة بالهمز أفصح، وبالواو شاذ؛ وقال الفراء : إنه عامىّ .

(٢) النائرة : اسم فاعل من نارت الفتنة تنور، إذا وقعت وانتشرت .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١١٣ من هذا السفر .

(٤) القط : القطع .

بين وعده ووعيده ؛ وجب علينا أن نحوط دولتنا بمن لم تزل حقوقُ مودّته بحسن
الثناء حقيقَه، وعهودُ محبّته فى ذمام الوفاء متمكّنةً وثيقَه، وطريقتُه المثلى فى المحاسن
والإحسان مشهورةً ولا نرى مثـلا لتلك الطريقه؛ وتقلّد كفالةَ ممالكنا للولىّ الذى
مابرح يتلقّ أمورَنا بفسيح صدره، و يتوَقّى حدوثَ كلّ مانكرهه فينهض فى دفعه بصائب
٥ رأيه وثاقبِ فكره ؛ وكان الجنابُ الكريمُ العالى الأميرىُّ الكبيرىُّ العالمىُّ العادلىُّ
الكافلىُّ المؤيّدىُّ الزعيمىُّ الغيـاثىُّ[1] المُسندىُّ المهدّىُّ المتاغرىُّ المظفّرىُّ المنصورىُّ
السّيفىُّ، معزُّ الإسلام والمسلمين، سيّدُ أمراء العالمين، سندُ الممالك، مدبّرُ الدّوَل،
مقدّمُ العساكر، أميرُ الجيوش، كهفُ الله، حصنُ الأمّة، نُصرةُ الملوك والسلاطين،
(سَلّارُ المنصورىُّ) نائبُ السلطنة المعظّمة ، وكافلُ الممالك الاسلامية، — أعز الله
١٠ نصره — هو واسـطةَ عِقد الأوليـاء ، وسـيفَ الدولة الفاتكَ بالأعداء ، والذى
أسلف فى نُصرة الإسـلام حقوقا غدت مرقومةً فى صحف الفخار، واسـتأنف
فى مصالح الأمّة المحمديّة تدبيراتٍ أظهَر بها أسباب التأييد على الأعداء والآستظهار؛
كم أصلح بيمن سياسته ذاتَ البَين، وكم أبهج ببركة تأتّيـه[2] وتأنّيه كلَّ قلب وأقرّ كلّ
عين؛ وكم ساس من مُلك فأضحى ثابتَ الأساس، وجعـل شعارَه دفعا للباس ونفعا
١٥ للنـاس؛ما عوهـد إلا وأَوفَى، ولا عوند إلا وعَفّ وعفا، ولا آستُشفِيَ فى طبّ
معضلة إلا وشَفَى، ولا آستدرَك تدبيُره فارطَ[3] أمرٍ كان على شفا؛ فما يومُه فى الفضل
بواحد، ولا أحد لمثل محاسـنه الجميلة بواحد؛ لعزماته فى مواقف الجهاد السوابقُ

---

(١) فى الأصل : «الغياثى» بالهاء والنون؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٢) التأتّى للأمر : الترفق له والتلطف فيه .

٢٠ (٣) الفـارط : الفائت ؛ يريد بهـذه العبارة وصفه بالحزم وأنه لا يترك الأمور يفقد الخلل إليها
ثم يستدركها بعد فواتها، بل إنه يتوقى الخلل فيها بتدبيره قبل حصوله .

الفرّ المحجّله، ولتدبيراته فى مصالح العباد والبلاد المنافعُ المعجّلةُ والمؤجّله ؛ وهو الذى خافت مَهابتَه الكتائب، وأمّلت مواهبُه الرغائب[1]، ولعبتْ[2] سطَواتُه للعــدا خيالا فى المراقِد وخيلا فى المَراقب، وآمتَــطَى من الشهامة كاهلَها فأحجم عنه لـمّا أقدم كلُّ محُارِب، وصـدق مَن نعَتَه بالسيف ، فلولم يُنعَت به لقيـل : هذا سيف يفتُك بالضّريبة ولا تُفَلّ له مَضارب؛ وكم لقِىَ بصدره الألوفَ من التتار — خذلهم الله — والمنايا قد بلغتْ من النفوس المنى، وأمضَى سـيفَه فى الحروب وما شكا الضنى ؛ وحمل حملة فرّق بها كلّ شَمْلٍ للكفّار آجتمع، وقطع أعناق العداق رضى الله تعالى ولا يُنكَر السيفُ لهذا قطع؛ ووصل من العلياء إلى غايةٍ تُزاحِم الكواكبَ بالمناكب، وتَفرَّد بأمر الجيــوش فأضحى بدرَ الكتائب وصــدرَ المواكب ؛ إذا جاش الجيشُ ثبت عنــد مشتجرِ الرماح ، وإذا أظلم ليـلُ النّقعِ وضحت أساريرُ جبينِه وضــوحَ الصباح ، وإذا أقدم فى كتيبة "رأيتَ البرَّ بحرا من سلاح" وإذا رُفعت راياتُه يوم الوغى كبَّرتْ بالظَّفَرِ على ألسنة الرماح، وإذا كان فى جحفلٍ كانت عزائمُه للقلب قلبا وصوارمُه جناحا للجناح ، وإذا قَدَر فى السِلم عفا لكنه فى الحرب قليلُ الصفح بينَ الصِّفاح؛ وهو الذى ما برحت أيدى آنتقامه تهدم من أهل الشرك العامرَ والأعمار، وبروقُ سيوفه تَذهَب بالنفوس لا بالأبصار ، ويمنُ يمينه وصبحُ جبينه هذا يَستهِلّ بالأنواء وذا بالأنوار ؛ اقتضَى حسنُ الرأى الشريف أن نوفىَ حقــوقَ مودّته التى أسلفها لنا فى كل نُعمى وبُوسى ، وأن نضاعفَ علوَّ مكانه من أخوّتنا ليكون منا كهرون

(١) الرغائب : النفائس المرغوب فيها ، واحده رغيبة .

(٢) كذا ورد هــذا اللفظ فى الأصل ؛ يريد أن سطواته فى تشكلها للأعداء فى النوم بالخيال وفى اليقظة بالخيل تشـبه فعل اللاعب حين يتشكل للناظر بأشـكال مختلفة . أو لعله : « ولقبت » بالبناء للمجهول أى سميت وعلى الأول فقوله : « خيالا » حال من سطوات وعلى الوجه الآخر فهو مفعول ثان ، وإنما لم يتعدّ اليه بالباء كما هو مقتضى اللغة لتضمنه معنى التسمية .

من موسى؛ فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ المظفّرىّ الركنى — لا برح يوفى بعهود الأولياء و يفى، و يمنح من أخلص النيّة فى ولائه البرّ الخفىّ والفضل الحَفِى — أن تكون كلمةُ الجناب الكريم العالى الأميرىّ السيفىّ المشار إليه — أعزّ الله نصره — نافذةً فى كفالة الممالك الإسلاميّة، متحكّمةً فى نيابة السلطنة المعظّمة، وأوامرُه المطاعةَ فى إمرة الجيوش وحياطة الثغور التى غدت بدوام كفالته متبسّمة؛ على أجمل عوائده[1]، وأكمل قواعده؛ نيابةً ثابتةَ الأساس، ناميةَ الغراس؛ لا يضاهَى فيها ولا يشارَك، ولا يخرُج شيءٌ من أحوالها عن رأيه المبارك ؛ فليبسُط نهيَه وأمرَه فى التدبير والإحكام، وليَضبِط الممالكَ حتى لا تسامَى ولا تُسام؛ وليُطلع من آرائه فى سماء الملك نجوما بها فى المصالح يُهتدَى، وليَرفع من قواعده ما يخفض به قدرَ العدا ؛ وليُضاعِف ما أَلِفته الأمّةُ من عدله ، وليَجرِ على أكرم عاداته من نشرِ إنصافه وشمولِ فصلِه ، وليعضِّد جانب الشرع المطهَّر فى عَقدِه وحَلّه ، وتحريمه وحِلّه ؛ ولينفذ كلمتَه على ما هو من ديانته مألوف، وليَستكثِر من الاقتداء بأحكامه فى النهى عن المنكر والأمرِ بالمعروف؛ وأمراء الإسلام وجنوده، فهم ودائعُ سرّه، وصنائعُ شكره ، وطلائعُ نصره، وما منهم إلا من غُذِىَ بلبان[2] درّه[3]، وغدا [من][4] ثناء عصره متقلدا لعقود دُرّه؛ فليستدم حُنوّه عليهم و إشفاقه، وليوال إليهم برّه و إرفادَه و إرفاقه؛ والوصايا كثيرةٌ لكنها منه تُستملَى ، والتنبيهاتُ على المصالح منه تستفاد نقلا وعقلا، وما زلنا نستضئ فى المهمّات بيمن آرائه التى جَمعتْ للصالح شملا؛ فمثلُه لا يُدَلّ على صواب وهو المتفرِّد بالسداد، والخبيرُ بتفريج كُرَب الخطوب والسيوفُ

(١) كذا فى الأصل، وهو جمع عادة كما فى المصباح، ولم نجده فى غيره من كتب اللغة التى بين أيدينا .

(٢) اللبان بالكسر : الرضاع، يقال : هو أخوه بلبان أمه ، ولا يقال : بلبن أمه .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل والسياق يقتضى اثباتها

(٤) فى الأصل : «دساه» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

غامضةُ الجفونَ فى الأغماد ؛ والله تعالى يمتعنا من بركة كفالته بالخـلِّ المُوافِى[1] والأخ المواسِى، ويشدّ أزرَ سلطاننا من مضافرته بمن أمسى جبل الحُلُوم[2] الرواسى؛ إن شاء الله تعالى .

(١٣) ومن انشائه أيضا أعزه الله تعالى مقامة عملها فى سنة اثنتين وسبعمائة، على لسان من التمسها منه، فقال :

حَكَى أليفُ الغرام ، وحليفُ السَّقام، وقتيلُ العيون، وصريعُ الجفون ؛ وفريسةُ الأسود، والمصابُ بنبال الحَدَق السود؛ عن قصّته فى هواه، وقضيّته التى كان فى أوّلهـا غِناه ، وفى آخرها عَناه[3]؛ قال : لم أزل فى مدّة العمر أترقّب حبيبا أتلذّذ بحبّه، وأتنعّم بقربِه ، وأحيا بانعطافِه، وأسكرمن ريقه بسلافِه؛ وأستعذب العذابَ فيه ، وأرشُف خمر الرضاب مِن فيــه ، وأقتِطف ورد السرور من وجنتيه وأجتنيه ؛ وأكتسِى به لطفا، وأكتسِب بمصاحبته ظَرْفا ؛ حتى ظَفِرتْ يداى بمن رَقّ وراق، ولطُفَتْ حدائقُ معانيه حتى كادت تَخفى عن الأحداق

لطُفَتْ معانيه فهبّ مع الصَّبا * ورقيبُــه بهبوبه لا يعــرِفُ

قد جمع أوصاف المحاسن والمعانى ، وفاق كلَّ مليح فليس له فى الحسن ثانى ؛ أما قوامُه ، فقــد ملك الفؤاد فأضحى مَلِكا عادلا ، وآستباح النفوسَ من آعتــداله فلا غرو إن أضحى لهـا قاتلا

---

(١) الموافى ، من وافى يوافى : وهو بمعنى وفى ، يقــال : وفى له بالعهد يفِى ووافى يوافى كلاهما بمعنى واحد انظر اللسان .

(٢) فى الأصل : «الحلقوم» والقاف زيادة من الناسخ . والحلوم ، جمع حلم بالكسر : وهو الأناة وعدم الخفة . والرواسى : صفة لحلوم .

(٣) فى الأصل : «عناه» بالغين؛ وهو تصحيف .

عَجَبًا لقــدّك ما ترنّح مائلا * إلا وقد سلب الغصونَ شمائلا

وأما لحاظُه فقد غَنِيتْ عن الكُحْل بالكَحَل، وأذابت حبّاتِ القلوبِ فى حُبّ تلك المقَــل

وإذا رأيتَ الطرف يعمل فى الحشا * عمــلَ الأسنّة فالقــوامُ مثقَّفُ

٥ إلى غير ذلك من وجه كالبدر فى تمامِه، يعلوه مِن شعرِه مايصير به كالبدر تحت غمامِه

قمر تبلّج وجهُــه فى حندسٍ * من شعره فأضاء منه الحندسُ

ومقبَلٍ أشهى من الراح، وأعطَرَ من زهرِ الربا تفتّحت أكمامُه عند الصباح

ومقبَّل عذب كأنّ * رضابَه بَرَدٌ وراح

وخدٍّ أمسى شقيقَ الشَّقيقِ[(١)]، ومَبسِمٍ يُرشَف مِن شفاهِه العقيقِ الرحيق

١٠ شــفة كحمرة العقيـ * ـق ومَبسِم مِثلُ الأقاح[(٢)]

وصُدْغٍ سال على خدّه القانى، وامتدّ كدمع محبّه الأسيرِ العانى

صبّ له دمعٌ كصُدغك سائلٌ * فعساك يا مُثْرِى الجمال تُواسِى

وخصرٍ لَطُف ودَقّ، وعلاه كَثيبُ ردفٍ فأثقله حتى ضَنِيَ ورَقّ

يا ردفَه رفقا على خصرِه * بينكما حرمــةُ جيرانِ

١٥ الى غير ذلك من أنواع حسنٍ قصر عن وصفها قلمى، وعجز عن حصرها كَلِمى؛ وأشفقتُ من شرحها خوفا أن آثَمَ عليــه، أو أذكر ما تفرّد به من الحسن فأكون

---

(١) يريد بالشقيق : شقائق النعمان، وهو زهر أحمر، وإنما أضيف الى النعمان لأن النعمان بن المنذر حمى أرضا فكثر فيها هذا النبت؛ وقيل : النعمان اسم للدم، وشقائقه : قطعه، فشبهت حمرة هذه الزهرة بحمرة الدم .

٢٠ (٢) الأقاحى بتخفيف الياء وتشديدها : جمع أقحوان، وهو من نبات الربيع، دقيق العيدان، له نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن؛ وهو المسمى بالبابونج والبابونك عند الفرس .

قد أشرتُ اليه ؛ وأنا قد تدرّعتُ ثوبَ الكتمان، وتستّرتُ حتى غاض منى الدمعُ وأغضى الطرفُ وسكت اللسان

يقولون من هذا الذى مُتَّ فى الهوى * به كَلَفـا يا ربِّ لا علموا الذى

غيرَ أنّى قد منعت بذكر ملاحته فؤادى، ولا بدّ أن أُوردَها مجمَلةً لأُكْبِد[1] بلفظها[2] المُعـادى

حكاه من الغصن الرطيبِ وَريقُه * وما الخمرُ إلاّ وجنتـاه وريقُــه

هـــلالٌ ولكن أفْقُ قلبى محـــلُّه * غزالٌ ولكن سفحُ عينى عقيقُه

بديعُ التثنّى راح قلبى أسـيرَه * على أن دمعى فى الغرام طليقُــه

أقَرَّ له من كل حسنٍ جليـــلُه * ووافقـه من كل معنًى دقيقُـه

من التُّركِ لا يصبيه وجدٌ إلى الحِمى * ولا ذكرُ بانات الغُوَيْرِ[3] يشُــوقُه

ولا حلَّ فى حىٍّ تلوح قبـابُه * ولا ساق فى ركبٍ يساق وسيقُه[4]

ولا بات صبّا للفُرَيق[5] وأهـــله * ولكن إلى خاقان يُعزَى فريقُــه

يهدِّد منه الطرفُ من ليس خصمه * ويُسكر منـه الريقُ من لا يذوقُـه

على خدّه جمر من الحسن مضرَمٌ * يشبّ ولكن فى فؤادى حريقُـه

له مَبسِمٌ يُنسِى المـــدامَ بريقـــه * ويُخجِل نُوّارَ الأقاحى بَرِيقُـــه

(١) فى الأصل : « لا كمد » ، وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٢) بلفظها : أى بذكرها ، فالمراد من اللفظ المصدر ، أى التلفظ .

(٣) الغوير : ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام ؛ وقال أبو عبيد السكونىّ : إنه ماء بين العقبة والقاع فى طريق مكة .

(٤) كذا فى الأصل ؛ ولعل المراد بالوسيق : الموسوق ، فعيل بمعنى مفعول أى الذى حمل عليه الوسق بفتح الواو وهو الحمل .

(٥) فريق بالتصغير : اسم موضع بتهامة ، كما فى معجم البلدان والقاموس ، وهو فيهما غير معرّف بأداة التعريف .

قال الراوى : فأعلمتُه ما خامر قلبى من هواه ، و بذلتُ نفسى ٱبتغاءً لرضاه

بَثَثتُ له سرّى ونحن بروضــةٍ * فمــالت لتُصغِى للحديث غصونُ

فتلقّى ضراعتى بالرُّحْب والإقبال، وسَفَرَ عن وجه الرضا فبشّرتُ نفسى ببلوغ الآمال، وقلتُ[1] :

٥ تدلّلتُ فى الشكوى إليه ورقّ لى * حُنوّا لدمعى فى الهــوى وتذلُّلى

عزالٌ لبستُ السُّقمَ خلعةَ جفنه * على أننى فيــه خلعتُ تجمُّلى

تَعَلّلَ بالأعذار حتى خدعتُــه * بسِحر الرُّقَى أهديه مِن متعلّلِ

وراقَبَ إغفاءَ الرقيب وهَجعــةَ الـ * ـسّـمير وراعَى حينَ غفــلةِ عُذّلى

ووافى أخا الأشواق حلفَ صبابةٍ * أسـيرَ هوًى مِن وجدِه فى تَمَلْمُلِ

١٠ فلم أر روضا كان أحسنَ بهجةً * ـ لعمرِ الهوى ـ من وجهه المتهلّلِ

فأعظمتُ مَسراه وقبّلتُ خاضعا * ثرى خَطوِهِ شكرا لفضل التطوّلِ

وٱنعطف علىّ ٱنعطافَ الغصن الرطيب ، وتمازجتْ قلوبُنــا حتى أشــكل علىّ أينا الحبيب[2] ؛ وفزتُ منه ببديع جمــال تلذّ به النفوس، ورَشَفتُ من رضابِه أحلى ما تَرشُفه الأفواهُ من شفاهِ الكؤوس

١٥ تَعلّقتُــه صائدا للقــلوب * بألحاظــه سالبــا للنُّهى

بديعَ الجمــال إذا ما بــدا * ترى فيه للعين مستترَها[3]

فكم فيــه للعين من روضةٍ * وكم فيه للنفس من مشتهَى

(١) فى الأصل : « وقال » ؛ وما يأتى بعده من الشعر يقتضى ما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « أنيا » ؛ وهو تصحيف .

٢٠ (٣) قال المطرزى فى المغرب : الأستراه بمعنى النزه غير مذكور إلا فى الأحاديث اهـ .

يا حسنَه لمّا أتى بوعد وعلى غير وعد ، ويا لذاذةَ قربه ويا حرارةَ ما ذقناه بعدها من هجرٍ بوصــدٍّ؛ فلم نزل على ذلك مدّةً أغفَى الدهرُ عنّا فيهــا، أُقضِّى حياةً طابت تلذذا وترفيها

رعى الله محبوبا نعمتُ بوصلِه * وقد بعدتْ عنّا الغــداةَ عيونُ

حتى شعُر بنــا الدهرُ الخؤون ، ورمانى بسهم فرقةٍ أبعدت ٱلمنى وجلبت ٱلمنون ؛ وعلم بمــا كتمناه الرقيب ، وعَجَز عن داء قلبى ٱلطبيب

لو كان للعشاق حظٌّ فى الهوى * ما كان يُخلَق فى الزمان فــراقُ

فتجرّعتُ بعد الشُّهد علقما ، ولَم أستطع أفتحُ[1] من الحزن فما ؛ وهمتُ فى ساحة الشوق والٱلتياح[2]، وفضحتْنى الأدمعُ التى طال بها على المحبِّين الٱفتضاح

لا جرى اللهُ دمعَ عيـنىّ خيرا * وجرى اللهُ كلَّ خيرٍ لسانى

نمّ دمـــعى فليس يكتم شيئا * ووجدتُ اللســانَ ذا كتمانِ

كنتُ مِثلَ الكتاب أخفاه طىٌّ * فٱســـتدَلُّوا عليه بالعُنـــوانِ

فاذا هو مُرُّ المَذاقِ، وأمنع الدمعَ فيقول : وهل خبأتَنى لأعظمَ من يوم الفراق

أَبى الوجدُ أن يُخفيه قلبُ متيّمٍ * يكابده والدمعُ يُبديه والضّنى

---

(١) يريد : أن أفتح ؛ فأن فى هذه العبارة محذوفة ، وقد أجاز الأخفش حذفها مع رفع الفعل بعدها وجعل منه قوله تعالى . (أفغير الله تأمرونى أعبد) الآية ، « وتسمع بالمعيدىّ خير من أن تراه » برفع «أعبد » و «تسمع » وظاهر شرح التسهيل موافقته حيث قال فى قوله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق) : أنّ «يريكم» صلة أن حذفت وبقى الفعل مرفوعا ، وهذا هو القياس ، لأن الحرف عامل ضعيف فحذفه يبطل عمله اهـ . وأما حذف أن مع نصب الفعل بعدها فهو شاذّ عنــد البصريين فى غير المواضع المنصوص عليها فى كتب القواعد .

(٢) فى الأصل : « الآرتياح » بالراء ، وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق . والالتياح فى الأصل : شدة العطش من اللوح بفتح اللام ، والمراد هنا الهيام والعشق لشبههما بالعطش فى شدة الغليل .

وكم ذاب القلبُ حسره، وتفتّتت ٱلكبدُ فى تلك الفتره؛ على خَلوة أبثّ فيها حَزَنى، وأفسح فيها المجالَ الذى صاق به عَطَنى ؛ فلم أظفر بخَلوة فى لمحة بصر ، ولا فزتُ بذكر كلمة أفرج بها ما عرض من حَصَر

تعرّضتُ من شوق إليه فأَعرضا ✽ ولولا الهوى لم أمنح ٱلحبَّ مُبغضا

ونُحتُ إليه أنّ عنــدى رياضةً[1] ✽ عليه وما تلك الرِّياضــةُ عن رضا

قَضى حبُّه أنّى إذا عزّ فى الهوى ✽ أذِلّ وإنى قد رضِيتُ بمــا قضَى

لقلبيَ من عينيه سُــقْمٌ وصحّةٌ ✽ فكم مرّة فى الحبّ داوَى وأمرَضا

مضى لى به عيشٌ بكَيتُ لفقــده ✽ وهيهات أن يرتدّ عيشٌ إذا مضى

وبُليتُ[2] برقيب قد سلب ٱلله من قلبه الإيمــان ، وسلّطه علىّ بغلظ الطباع وفظاظة اللسان؛ كأنه شيطان لا بل هو بعينه ، لكنّه أرْبى عليه فى بهتانه ومَينه ؛ يُحاقّ[3] على الكلمة الواحده، ولا يسمح بأن طرفى يمتدّ إلى تلك ٱلمحاسن التى غدت القلوبُ بها واجده ؛ يودّ لو غُطّىَ على بصرى ، ويبدلنى مَغيبى من مَحضَرى ؛ لا يَفتُر عن اللّوم والعَــذل ، ولا يرى أن يقضىَ ساعاتِه إلّا فى بذل الحِيَل؛ يرغب فى شــتات شملى، وانقطاع وصلى؛ وليس لى فى دفعه حيــله ، ولا فى الأنتقام منه وسـيله ؛ وما زال حتى أحال الحبيبَ عن ودادِه، وكدر ما صفا من حُسن ظنّه وٱعتقادِه؛ وأنا أُروض نفسا كادت تذوب، وأتسلّى بأيّام وصاله وأقول : لعلها ترجع وتؤوب

لئن ذقتُ مرَّ الصبر أو ملحَ أدمعى ✽ لقــد أعذبتْ تلك المَذاقاتُ مَنهلى

(١) يريد بالرياضة هنا : ملازمة هواه والاعراض عن كل ما ســواه ، أخذا من الرياضة عند العباد وأهل التصوّف .

(٢) فى الاصل : « وتلمت » ، وهو تحريف .

(٣) يحاق ، من المحاقة بتشديد القاف . وهى المخاصمة والمنازعة لاظهار الحق ؛ وفى الأصــل : « يحاقق » بقافين؛ وهو مما يجب فيه الإدغام .

فلم يقنع ٱلدهرُ لى بذلك ، ولا رضى بالصـدّ والعذل والهجْر الذى هـو أعظمُ المهالك ؛ حتى قضى بالفرقة والبِعاد، ورمتنى النوى بسهم فلم يخطئ ٱلفؤاد، وكنتُ أتعلّل بالنظر، وأقول : مشاهدةُ هـذا الوجه القمرىّ عنـدى أكبرُ وطر ؛ حتى مُنعتُ الوصالَ والمشاهده، ونَدَبتُ قلبى القريحَ بأدمع عينى ٱلجامده (١٥)

أحبابَ قلبى لقد قاسَيتُ بَعدكمُ ٭ نوائبـا صيرَتْنى فى الهوى مَثلا

وقد تعجّبتُ أنّى بعـد فرقتكم ٭ أحيا وأيسرُ ما لاقيتُ[1] ما قَتَلا

وٱنقطعتْ عنّى الرسائل، وذهبت لذاذةُ ما ٱعتدتُه من تلك الوسائل

هل مُخْـبِرٌ عنكم يعيش بقربِه ٭ ميتُ الرجا والصبرِ بعـد إياسِ

أحبابَنـا قسما بساعة وصلنا ٭ لَمَ أَكتحِل من بَعدكم بنعاس

غبتم فعنـــدى بالفراق مآتمٌ ٭ فمتى تعـود بعَودكم أعراسى

وذَوَى غصنُ السرور بعـد أن كان رطيبا ، وفقدت لنـداء ألمى مجيبا ؛ وأغلقتُ بابَ الدّعه ، وأسبلتُ هواطلَ أدمعى قائلا للأجفان : لا تخشَىْ فأنت منفقة من سَعه ؛ ولولا التعلُّلُ بالذكرى ، والتأمّلُ[2] فى حسنه[3] الذى تَشكّل فى مرآة القلب فسَرَّ سِرّا ؛ لقلت :

كأنّك قـد خَتمتَ على ضميرى ٭ فغـيرُك لا يمر على لسـانى

ولى عينٌ تراك وأنت نَـآى ٭ كما ترنو إليـك وأنت دانى

وأقربُ ما يكون هـواك منّى ٭ إذا ما غاب شخصُك عن عِيانى

(١) فى ديوان أبى الطيب المتنبى (ما قاسيت) والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ وهذا صدر بيت له من قصيدة يمدح بها سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابى المنبجى ؛ وتمام البيت :

٭ والبين جار على ضعفى وما عدلا ٭

(٢) فى الأصل : « والتأمن » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : « بحسنه » بالباء ، وهو تحريف .

شَغلتَ عن الورى بصرى وسمعى * كأنهما بحبِّك مفرَدان

فهأنا لا أعاين ما بدا لى * سواك ولا أُصيخ لمن دعانى

ثم إنّى فارقتُ الحياه، و بذلتُها راغبا فى هواه ؛ ولم أزل كذلك الى أن ظهرت آثار قربه ، وسَرَى النسيمُ عِطرا فعلمتُ قربَ ركبِه

٥ وأذكرنى ذاك الصَّبا[1] زمنَ الصِّبا * وما السوقُ إلا ما تَجدَّدَ بالذكرِ

فكاد قلبى يطير للقائه ، ولولا تسترهُ حُجب الفؤاد لخرج من قوة برَحائه ؛ وتذكرتُ كيف يكون اللقاءُ والاجتماع ، والرقباءُ قد أزمعوا على المنع والدِّفاع ، وقلتُ : فارقَنى على غير رضا ، وجفانى من غير ذنب ، ونآى عنّى من غير وداع ؛ وهأنا فى غيابه وحضوره ، وسخطه وسروره ، لا أحُول عن ودّه ، ولا أرَى

١٠ إلا الوفاء بعهده

هيهات ما وحدى عليك بزائل * والام يطيب فى الملامه عادلى

ناشدتك العهدَ القديمَ ويومَا * بِلوى الصَّريم وبابه المتمايِلِ[2]

هل تعلمنّ سوى هواك وسيلةً * تدنى رضاك وقد جهلتُ وسائلى

أدنَيتَنى حتى إذا تمتّنى * بمحاسنٍ ومعاطفٍ[3] وشمائلِ

١٥ وبحسنِ وجهٍ لو تجلَّى فى الدجى * سجد الصباحُ لضوئه المتكاملِ

وبواطرٍ سحّارةٍ بجفونها * فضلُ الصاعة[4] لا لساكنِ بابلِ[5]

(١) الصبا بالفتح : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش ، قاله ابن الاعرابى ، وتثنيتها صبوان وصبيان ؛ وهى مؤنثة ، وإنما أراد هنا النسيم فأورده بالتذكير .

(٢) عبارة الاصل : « وبانة المتمائى » وهو تحريف .

٢٠ (٣) أراد بالمعاطف : مواضع الانثناء من البدن كالخاصرتين والجيد جمع معطف بفتح الميم وكسر الطاء كما هو قياس اشتقاق اسم المكان من الفعل المكسور العين فى المضارع .

(٤) يريد : ساعة السحر .

(٥) بابل : اسم ناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر .

وقعتَ من قلبي بودٍّ قد جرى (١) * مَجرَى دمى بجوانحى ومفاصلى
قاطعتنى وسمعتَ قول حواسدى * وصرمتَ من بعد الوصال حبائلى (٢)
ولرب ليــل بتُّ فيــه مسهّدا * فردا أسامر لوعتى وبلابلى
أطوى على حرّ الغرام أضالعا * يُطوَين فيـــه (٣) على قداح (٤) النابل (٥)

وها أنا أترقّب وصلَه ، وأتوقّع عدلَه .

أتراه من جَور الصبابة ينصفُ * ويرقّ للعــانى عليه ويَعطفُ
صبٌّ يرى السُّلوانَ عنه محرَّما * فــله إليـــه تولُّهٌ وتلهُّفُ
يا أهـــل كاظمةٍ (٦) وحقِّ هواكمُ * قسما بكم وبغـــيركم لا يُحلَفُ
مشتاقُكم ألِفَ الصــبابة فيكمُ * فكــأنه لســواكمُ لا يَعرفُ
فعـــدوه منكم بالوصـــال تَعلّةً * ولكُمْ بأن تعِدوا الوصال ولا تفوا
وحياتَكم (٧) برعاكــمُ فى بُعــدكم (٨) * ولقربِكم فى بُعـــدكم يَتشوّفُ

(١) فى الأصل : « حوى » ؛ وهو تحريف .

(٢) الحبائل : الأسباب والعهود واحده حبال جمع حبل ، فحبائل جمع الجمع اللسان .

(٣) لعله « منه » أى من الغرام .

(٤) المراد بالقداح هنا السهام على طريق التجوّز فى استعمال اللفظ ، فان القــداح فى الأصل : هى السهام قبل أن تراش وتركّب فيها النصال ، واحده قدح بكسر القاف وسكون الدال ، فاستعمالها فى السهام ذات النصال مجاز مرسل باعتبار شأنها الأول .

(٥) النابل : الرامى بالنبل ؛ والذى فى الأصل : «البابل» بالباء فى أوله ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق .

(٦) كاظمة : جوّ على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

(٧) نصب هذا اللفظ على الظرفية ؛ أى أنه يرعاكم ويتشوف لقربكم ما حييتم ؛ ولا يجوز الإعراب بالكسر على القسم لأن الفعل بعده لا يصلح أن يجعل جوابا له لعدم تأكيده باللام والنون .

(٨) عبارة الأصل : « ولبعدكم فى قربكم » وفيها تقديم وتأخير مفسدان للمعنى .

وليس لى ما أمتّ به إلا صِدقُ الغرام، والإقدامُ فى حبه[1] على ارتكاب[2] الحِمام

حذّذ عهودَ تواصُـــلٍ وتَلاقِ * وٱستبقِ لى رمقا فليس بباقِ

وٱشفَع إلى مارقّ من ترف الصّبا * من وجنتيك برقّــة الأخلاقِ

ما حقُّ ذى قلبٍ صفا لك ودُّه * تقطيعـــه بقطيعـــةٍ وفراقِ

٥ مع ذا وذا كيف استهنتَ فكن أنا ال * موثوقُ[3] بى مولاى فى الميثاقِ

قال الراوى : فسمع شكواى وما أشكى[4]، وقابل رقّتى بجفوه بها القلبَ أنكى[5] والطرفَ أبكى؛ ولفق أعذارا، وأقسمتُ عليه أن يزور فلم يرلقسمى إبرارا

هــذا ما ٱتّفق إيرادُه من كلامه — أدام الله علوّه — فى هــذا الموضع ، وسنورد إن شــاء الله من كلامه أيضا ماتقف عليــه فى آخر فن الحيوان فى السفر

١٠ الذى يليه إن شاء الله تعالى .

ذكر شىء من إنشاء ٱلمولى الفاضل
الصدرِ الكبيرِ الكامل، البارع الأصيل، الأوحدِ النبيل،
تاجِ الدين عبد الباقى بنِ عبد المجيد اليمانى

هو الذى أتقن صــناعة الأدب فى غرّة شــبابِه ، وبرزّ على من ٱكتهــل فى طلبها

١٥ وشابَ فى الترقّى الى رتبها، فما ظنُّك بأترابِه، وجارى[6] ذوى الفضل فى[7] الأقطار اليمنيّة

(١) فى الأصل : « فى حنة » بالجيم والنون ؛ وهو تصحيف .

(٢) يقال : ركبه وارتكبه ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) كذا فى الأصل . وقوله : « أنا الموثوق بى» خبر لقوله : « كن» واسمها ضمير مستتر، أى كن أنت، والعائد مقدّر فى جملة الخبر، أى أنا الموثوق بى منك .

٢٠ (٤) يقال : أشكى فلان فلانا ، إذا أزال شكواه، فالهمزة للسلب .

(٥) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل بالألف فى أوّله ، والذى وقفنا عليه أنه يقال : نكأ القرحة بدون الألف فى أوّله إذا قشرها بعد البرء وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٨ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : « وجاذى» بالذال؛ وهو تحريف .

(٧) عبارة الأصل : « بل فى الأقطار » ؛ وقوله : بل زيادة من الناسخ .

فطلع مُجَلِّیَ[1] الحَلْبة ، وبارَى نجباءَ الأفاضل بالمملكة التَّعِزِّيّة[2] وكان المؤمَّلُ[3] منهم بالنسبة إليه أرفعَهم رتبـه؛ وسما إلى سماء البـلاغة فكان نجمَها الزاهر، وآرتَقى إلى أفلاك البراعة فكان نيِّرَها الباهر، ورام مَن سواه الآرتقاءَ إلى محلّه والمنـاوأةَ[4] لفضله فغدا وهو فى ذيول حَيرته عاثر؛ فعنـد ذلك علمـوا عجزَهم عن إدراك غاياته ، واعترفوا بالتقصير عن مجاراته ومباراته؛ وحين لم يجد لفضله مُجاريا، ولاعاين لفضائله مُباريا؛ صار بها كالغريب وإن كان فى أهله ووطنِه ، والفريد[5] مع كثرة أبنائه وإخوان زمنه؛ فسمتْ[6] به نفسُه إلى طلب العـلوم من مَظانِّها، والآحتواء عليها فى إبّانها ؛ وآللَّحاق بأعيان أهلها، والآختلاطِ بمن آرتدى بأردية فضلِها ؛ ورؤيةِ من توشَّح بقلائدها ، وترشَّح لبذلِ فوائدِها ونظمِ فرائدِها؛ ففارق الأقطارَ اليمنيةَ وهى تسأله التأنّى،وتبذُل لرضاه الرغبـةَ والتمنّى؛ وهو لا يجيب مناديَها ولا يعرِّج على ناديها ، ولا يميـل الى حاضرها ولا ينظر الى باديها؛ وصَرف وجهَه عنها، ونفض يدَه منها؛ وآلتحق[7] بالديار

(١) المجلى من الخيل : السـابق فى الحلبة .

(٢) فى الأصل : « الثغرية » بثاء مثلثة بعدها غين معجمة وراء ؛ وهو تصحيف إذ لم نجـد وجها لتخصيص اليمن بهذه النسبة . والتعزية : نسبة إلى تعز بفتح التاء وكسر العين وتشديد الزاى وهى قاعدة اليمن كما فى القاموس ؛ وقال فى التاج : انها مدينـة عظيمة ذات اسوار وقصور ، كانت دار ملك بنى أيوب ثم بنى رسول من بعدهم اهـ . وقال أيضا فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٨ نقلا عن كتاب تقويم البـلدان : إنهـا مقرّ ملوك اليمن يعنى من أولاد رسـول . ثم قال : وهى حصن فى الجبال مطـل على التهائم وأراضى زبيد الخ .

(٣) المؤمل بتشديد الميم المفتوحة : الثامن من خيل الحلبة .

(٤) المناوأة بالهمز والنواء بكسر النون : المفاخرة والمعارضة .

(٥) فى الأصل : « والقرير » ؛ وهو تحريف .

(٦) فى الأصل : « فنمت » بالنون؛ وهو تحريف .

(٧) قولهم . التحق به بمعنى لحق كلمة مولدة ؛ قال الصاغانى : لم أجده فيا دوّن من كتب اللغة فليجتنب ذلك انظر تاج العروس مادة «لحق» .

المصريّه، وآنبتّ (١) فى طلب العلوم بأجمل سريرةٍ وأحسنِ سيرةٍ وأخلصِ نيّه؛ فبلغ فيها (٢) مناه، وأدرك بها ما تمنّاه؛ وغدا وثغرُ فصاحته بالعلوم أشنَب، وبُرُدُ بلاغته بالآداب مُذْهَب

تنــاهى علاءً والشــبابُ رداؤه * فما ظنُّكم بالفضل والرأسُ أشيَبُ

٥ ولمـا عاينه أعيانُ أهلِ هــذا الوادى ، وشاهدوه يُبكّر فى طلب العــلوم ويُغادى ؛ تلقَّوه بالإكرام والترحيب، وقابلوه بالتبجيل والتقريب، وأنزلوه بالمحلّ الأرفعِ والفِناءِ الخصيب؛ وعاملوه بمحض الوداد ، وساواه شــبابُهم بالإخْوةِ ومشايخُهم بالأولاد ؛ وخلطوه بالنفس والمــال، وظهر له فى آبتداء أمرِه بقرائن الأحوال حسنُ المآل ؛ فأصبح من عُدول المصر، وأمسى وهو من أعيان العصر؛ فشكر عاقبــةَ مَسيرِه وحَمِد ١٠ صباحَ سُراه ، وأجابه لسانُ الفضائل بالتّلبيةِ لمّـا دعاه؛ ثم آرتحل الى الشأم فجعــل دِمَشقَ مَقرَّ وطنِه، وموطنَ سَكنِه ، ومحلَّ آستفادته و إفادته، ونهايةَ رحلته وغايةَ إرادته ؛ فعامله أهلُها بفوق (٣) ما فى نفســه، فحمد يومَه بها على أمسِه؛ وغدا لأهل المصرَين شاكرا، ولمناقبِهم تاليا ولمحاسنِهم ذاكرا؛ وله من النظم ما رقّت حواشــيه، وراقت معانيــه؛ ومن النثر ما عَذُب وصَفا، وكَلَّ بلاغةً ولطفا؛ وحسُن إعجازا، ١٥ وتناسَب صدورا وأعجازا ؛ وقد قدّمنا من كلامه فى هذا الكتاب ما بآسمه ترجمناه، ولفضائلِه نسبناه ؛ ممـا تقف عليه فى مواضعِه، وتغتذى بلِبان مَراضعِه؛ فلنورد له

---

(١) انبت : انقطع، أى انقطع عن الشواغل فى طلب العلوم .

(٢) فى الأصل : «بها» ، وهو مكرر مع ما بعده فى الجملة الآتية .

(٣) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل مجرورا بالباء والذى فى كتب القواعد أن «فوق» و «تحت» ٢٠ من الظروف غير المتصرفة فجرهما بالباء كما هنا غير سائغ ، وأجاز بعض النحويين تصرفهما فى نحو فوقك رأسك وتحتك رجلاك برفع فوق وتحت على الابتداء ، والذى حكاه الأخفش عن العرب فى هذا المثال هو نصبهما .

فى هــذا الباب غيرَ ما تقدَّم إيرادُه وما تأخّر، ونأخذ لتصنيفنا من بلاغته بالنصيب الأَوْفَى والحظِّ الأَوْفَر .

(١٧) فمن إنشائه كتاب عن الخليفة المستكفى بالله أميرِ المؤمنين أبى الربيع سليمان لِلَمَلِكِ[1] اليمن — عمِلَه تجربةً لخاطره عند ما رُسم بمكاتبته، ابتداءه بأن قال : ٥

أما بعد حمد الله مانِح القلوبِ السليمةِ هداها، ومرشِد العقولِ إلى أمرِ معادها ومبتداها، وموفِّقِ من آختاره الى مَحَجّة صوابٍ لا يضِــلّ سالكُها ، ولا تُظلم عند اختــلاف الأمور العظام مسالكُها، وملهِمِ من آصطفاه آقتفاءَ آثارِ السنن النبويّة، والعملَ بموجب القواعد الشرعيّة، والانتظامَ فى سلك من طوّقته الخلافةُ عقودَها، وأفاضت على سُدّته الجليــلةِ بُرودَها، وملّكته أقاصىَ البــلاد، وناطت بأحكامه ١٠ السديدةِ أمورَ العباد، وسارت تحت خوافق أعلامه أعلامُ الملوك الأكاسره، وسرِتْ[2] بأحكامه النيّرةِ مناجحُ الدنيا ومصالحُ الآخره، وتَجتَرّ[3] كلُّ منبر من ذكره فى ثوبٍ من السيادة مُعْلَم، وتهلّلت من ألقابه الشريفةِ أساريرُ كلِّ دينار ودرهم، يحمده أميرُ المؤمنين على أن جعل أمورَ الخلافة ببنى العباس مَنُوطه، وجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِه الى يوم

(١) فى صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٢ أن المكتوب اليه بهــذه الرسالة هو الملك المؤيد هزبر الدين ١٥ داود ابن الملك المظفر صلاح الدين يوسف بن رسول، وان هذه الرسالة كتبت فى دولة الملك الناصر محمد ابن قلاوون فى سنة سبع وسبعمائة، وذلك حين منع صاحب اليمن الهدية التى جرت العادة بارسالها الى الأبواب الشريفة بالديار المصرية .

(٢) فى الأصــل : «وسدّت» بالدال؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه وصف الأحكام ٢٠ بالنيرة؛ وعبارة صــبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٢ : «وشيدت بأحكامه مناجح» الخ؛ وا، كلمة «النيرة» والمعنى يستقيم عليها أيضا .

(٣) كذا فى صبح الأعشى : وقد وردت هــذه الكلمة فى الأصل مهملة من النقط .

القيامة مَحُوطه؛ ويصلّى على آبن عمه محمدٍ الذى أخمد الله ببعثه ما ثار من الفتن، وأطفأ برسالته ما آضطرم من نار الإحَن؛ صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حَموا حِمى الخلافة فذادوا عن مواردِها، وتجهّزوا[1] لتشييد المعالم الدينيّة فأقاموها على قواعدِها؛ صلاةً دائمةَ الغدوّ والرواح، متصلا أوّلُها بطرّة الليل وآخرُها بجبين الصباح؛ هذا وإن الدين الذى فرض الله على الكافّة الأنضمامَ الى شعبِه، وأطلع فيه شموسَ هداية تشرق من مشرقه ولا تغرُب فى غربِه؛ جعل الله حُكمَه بأمرنا منُوطا، وفى سلك أحكامنا مخروطا[2]؛ وقلّدنا من أمر الخلافة سيفا طال نجادُه، وكثُرَ أعوانُه وأنجادُه[3]؛ وفوّض إلينا أمرَ الممالك الإسلاميّة فإلى حرمِنا تُجْبَى ثمراتُها، ويُرفَع الى ديواننا العزيز نفيُها وإثباتُها؛ يخلُف الأسدُ إن مضى فى غابه شبلَه، ويُلْقى فى الخُبْر والخِبرِ مثلَه؛ ولما أفاض الله علينا حلّةَ الخلافة، وجعل حرمَنا الشريفَ محلّ الرحمة والرأفه؛ وأقعدَنا على سُدّة خلافة طالما أشرقَتْ بالخلائف من آبائنا، وآبتهجتْ بالسادة الغطاريف[4] من أسلافِنا؛ وألبسَنا خلعةً هى من سواد السؤدُد مصبوغه، ومن

---

(١) كذا فى الأصل؛ والذى فى صبح الأعشى: «وعمدوا»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين والتجهز للأمر: التهيؤ له.

(٢) قال فى مستدرك (التاج) مادة «خرط» نقلا عن شيخه ما نصه: استعمل الناس كثيرا الانخراط بمعنى الانتظام والدخول، كانخرط فى السلك اذا انتظم فيه وقد وقع فى كلام الفصحاء الثقات من علماء اللسان كالسكاكىّ والزمخشرى وأضرابهما، ولا يكاد يوجد فى كلام العرب ونصوص أهل اللغة ما يؤيده ثم رأيت الشهاب وقع له مثل هذا، ولكنه رحمه الله وقع فى جامع اللغة لابن عباد على قولهم: خرطت الجواهر، جمعتها فى الخريطة؛ قال: فعلمت أنهم تجوّزوا به عن جعلها فى العقد الخ.

(٣) الأنجاد: الشجعان الماضون فيما يعجز غيرهم، واحده: «نجد» بفتح النون مع كسر الجيم وضمها وزان كتف ورجل.

(٤) فى الأصل: «العصاريف» بالعين والصاد؛ وهو تصحيف؛ والغطاريف من الناس: أشرافهم وسراتهم.

سوادِ العيون وسُوَيداواتِ القلوب مَصُوغه؛ وأمضَينا على سُدّتنا أمورَ الخاصّ والعامّ، وقلّدنا أربابَ الكفاية كلَّ إقليم من عملنا ممن تَصلُح سياستُه على الدوام؛ وٱستكفَينا بالكُفاة من عمّالنا على أعمالنا، واتخذنا مصرَ دارَ مُقامنا، وبها سُدّة مقامنا لما كانت فى هذا العصر قبّةَ الإسلام، وفَيئةَ الإمام[1]، وثانيةَ دارِ السلام؛ تَعيّن علينا أن نتصفّح جرائد عمّالنا، ونتأمّل نظامَ أعمالِنا؛ مكانا فكانا، وزمانا فزمانا؛ فتصفّحناها فوجدنا[2] قطرَ اليمن، خاليا من ولايتنا فى هذا الزمن، والعادةُ مستمرّةٌ بأن لم تزل نوابُنا فى بلاد اليمن؛ عَرّفَنا[3] هذا الأمرَ من ٱتخذناه للممالك الإسلاميّة عينا وقلبا، وصدرا ولبّا؛ وفوّضنا اليه أمرَ الممالك الاسلامية فقام فيها قياما أقعد الأضداد، وأحسَن فى ترتيب ممالكنا نهايةَ الإصدار وغايةَ الإيراد؛ وهو السلطان الأجلّ السيّدُ الملكُ الناصر، لا زالت أسبابُ المصالح على يديه جاريه، وسحائبُ الإحسان من أُفق راحتــه ساريه؛ فلم يُعِــدَّ جوابا لمــا رسمناه، ولا عذرا عمــا ذكرناه؛ إلا تجهيزَ شِرذِمَةٍ من جحافله المنصوره، وتعيينَ أناس من فوارسه المذكوره؛ يقتحمون الأهوال، ولا يَعبأون

(١) وفيئــة الامام: أى محل فيئته؛ والفيئة: الرجوع كالفىء من فاء يفىء اذا رجع؛ يريد أن مصر هى التى رجعت اليها الامامة العباسية؛ وكان ذلك بعد سقوط بغداد فى يد هولاكو ملك التتار فى ســنة ست وخمسين وستمائة كما فى تاريخ أبى الفداء ج ٣ ص ٢٠٢ طبع القسطنطينية؛ وكان رجوع الامامة العباسية ثانيا فى ســنة تسع وخمسين وستمائة على يد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس — وهو الرابع من ملوك الترك بالديار المصرية — وكان أوّل خليفة بايعه الملك الظاهر هو الامام أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله، ولقب بالمستنصر بالله؛ ولم يقم بمصر، والذى أقام بها هو الخليفة الحاكم بأمر الله أحمــد بن على بن أبى بكر ابن الخليفة المسترشد بايعه الملك الظاهر أيضا فى سنة ستين وستمائة وأسكنه فى مناظر الكبش التى أنشأها الأمير أحمــد بن طولون؛ والحاكم بأمر الله هــذا هو جدّ الخلفاء الذين تولوا الخلافة بمصر انظر بدائع الزهور لابن إياس فى حوادث سنتى تسع وخمسين وستمائة وستين وستمائة.

(٢) فى الأصل: «فوجدناها»؛ والهاء زيادة من الناسخ.

(٣) لم ترد هذه الجملة فى صبح الأعشى.

بتغيّرات الأحوال؛ يَرون الموتَ مغنما إن صادفوه، وشَبا المُرهَف مكسبا إن صافحوه؛ لا يشربون سوى الدماء مدامَه، ولا يلبسون غيرَ الترائك[1] عمامه؛ ولا يَعرفون طربا إلا ما أَصدَره[2] صَليلُ الحسام من غِنا، ولا يتزلون قفرا إلا وأَنبَت ساعةَ نزولهم عن صَهوات خيلهم قَنا؛ ولما وثقنا منه بإنفاذهم راجعْنا رأينا الشريف فاقتَضى أن نكاتب مَن بَسَط يدَه فى ممالِكها، وملَّك جميعَ مسالِكها، واتخذ أهلَها خَوَلا، وأَبدَى فى خلال ديارها مِن عدم سياسته خَلَلا؛ فبرز مرسومُنا الشريفُ النبوىُّ أن نكاتب من قعد على تخت مملكتها، وتصرَّف فى جميع أمور دولتها؛ فطُولع بأنه ولدُ السلطان الملكِ المظفَّرِ يوسفَ بنِ عمر الذى له شُبهةُ[3] تمسُّكٍ بأذيال المواقف المستعصميّة[4]، وهو مستصحِبُ الحالِ على زعمِه، أو ما علم الفرقَ بين الأحياء والأموات؟ أو ما تَحقَّق الحالَ بين النفى والإثبات؟ أصدرناها إلى الرِّحاب التَّعِزِّيّه[5]، والمعالِم اليمنيّه؛ تُشعِر من تَولَّى فيها فاستبدّ، وتَولَّى كِبرَه فلم يعرِّج على أحد؛ أنّ أمرَ اليمن ما برحتْ حكّامُنا ونوّابُنا تحكم فيه بالولاية الصحيحه، والتفويضاتِ التى هى غيرُ جريحه[6]؛ وما زالت تَحمِل إلى بيت المال المعمورِ ما تمشى به الجِمالُ وئيدا[7]، وتَقذِفه بطونُ الجوارى[8] الى ظهور

(1) الترائك جمع تريكة، وهى بيضة الحديد التى تلبس على الرأس فى الحرب.

(2) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل وصبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٤.

(3) كذا فى صبح الأعشى؛ والذى فى الأصل: «سبه» بسين مهملة وهاءين؛ وهو تحريف لا معنى له.

(4) المستعصمية: نسبة إلى المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ببغداد، وهو الذى قتله هولاكو ملك التتار فى سنة ست وخمسين وستمائة.

(5) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر.

(6) فى الأصل: «صريحة» وهو تحريف يفسد المعنى؛ والتصويب عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٤

(7) مشى مشيا وئيدا، أى على تؤدة وتأن؛ يريد أن ثقل ما تحمله هذه الجمال قلل من خطوها.

(8) أراد بالجوارى: السفن.

اليَعْمَلات(١) وليــدا(٢) ؛ وتُطالِعُنا بأمرِ مصالحه ومفاسِده ، وبمجال معاهده ومقاصِده ؛ ولك أُسوةٌ بوالدك السلطان الملكِ المظفَّر ، هلّا ٱقتفَيتَ ما ســنّه من آثاره ، ونقلتَ ما دوّنتْه أيدى الزمن من أخبــارِه ؛ واتصل بمواقفنا الشريفة أمورٌ صدرت منك : منهـــا(٣) — وهى العظمى التى تَرَتَّب عليها ما تَرتَّب — قطعُ الميره عن البيت الحرام ، وقد علمتَ أنه وادٍ غيرُ ذى زرع ، ولا يحـلّ لأحدٍ أن يتطرّق إليه بمنع ؛ وكفتك الآيةُ(٤) دليلا على ما صنعت ، وبرهانا على ما فعلت ، ومنها ٱنصبابُك(٥) على تفريغ مال بيت المــال فى شراءِ لهوِ الحديث(٦) ، ونقضُ العهود القديمة بما تبديه من حديث ؛ ومنها تعطيلُ أجيــاد المدارس عقود ٱسمِنا ، وخلوُّ تلك الأماكن من أمرٍ عقَــدنا وحَلِّنا ، ولو أوضحنا لك ما ٱتصل بنــا من أمرك لطال ، ولا ٱتسعتْ فيــه [دائرة](٧) المقال ، رسمنا بهــا والسيفُ يَوَدّ لو سبق القلمَ حدُّه ، والعَلَمُ المنصور يحب لو فات القلمَ وٱهتزّ بتلك الروابى قدُّه ؛ والكتائبُ المنصورةُ تَختار لو بَدَرتْ(٨) عُنوانَ الكتاب و [أهــلُ](٩) العزم والحــزم يَوَدّون اليك إعمــالَ الرِّكاب ؛ والجــوارى المنشَآتُ قد

(١) اليعملات جمع يعملة ، وهى الناقة النجيبــة المعتملة المطبوعة على العمل ؛ ولا يوصف به ، وإنمــا هو اسم ، والياء فيه زائدة .

(٢) عبارة صبح الأعشى : « وبمجال دياره ومعاهده » .

(٣) فى الأصل : «بها» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٤) يريد بالآية قوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله تعالى عليه : (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع) الخ الآية .

(٥) يقال : انصب البازى على الصيد اذا انقض عليه ، وما هنا مستعار منه .

(٦) فى الاصل : «فى سرى» ؛ وهو تحريف .

(٧) لم ترد هذه الكلمة فى الاصل ، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٥ .

(٨) « لو بدرت عنوان » الخ أى لو سبقته إلى حربك ؛ يقال : بدرت فلانا إلى الأمر وبادرته ، اذا سابقته اليه .

(٩) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى اذ بها يستقيم الكلام .

تكون من ليل ونهار، وبرزت كصور الفيلة[1] لكنها على وجه الماء كالأطيار،
وما عمدنا[2] الى مكاتبتك إلا للإنذار، وما جنحنا لمخاطبتك الا للإعذار. فأقلع عما
أنت بصدده من الخيلاء والإعجاب، وانتظم فى سلك من استخلفناه على أعمالنا
فأخذ بيمينه ما أعطى من كتاب، وخص بالطاعة نفوس من زعمت أنهم مقيمون
٥ تحت لواء علمك، ومنتظمون فى سلك أوامر كلمك، وداخلون تحت طاعة قلمك،
فلسنا نشن الغارات على من نطق بالشهادتين لسانه وقلبه، وامتثل أوامر الله
المطاعة عقله ولبه، ودان الله[3] بما يحب من الديانه، وتقلد عقود الصلاح والتحف
بمطارف[4] الأمانه؛ ولسنا ممن يأمر بتجريد سيف الا على من علمنا أنه خرج عن
طاعتنا، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا؛ [فأصدرنا][5] مرسومنا هذا اليه
١٠ يقص عليه من أنباء حلمنا ما أطال مدة دولته، وشيد قواعد صولته؛ ويستدعى
منه رسولا إلى مواقفنا الشريفه، ورحاب ممالكنا المنيفه؛ لينوب عنه فى قبول
الولاية مناب نفسه، وليجنى بعد ذلك ثمار شفقتنا إن غرس شجر طاعتنا ومن
سعادة المرء أن يجنى ثمار غرسه، بعد أن يصحبه من ذخائر الأموال ما كثر
قيمة وخف حملا، وتعالى[6] فى القيمة رتبة[7] وحسن مثلا؛ واشترط على نفسك فى كل

---

١٥ (١) فى الأصل وصبح الأعشى. «الايلة»، ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة، وأنكره ابن السكيت.

(٢) فى الأصل: «عهدنا» بالهاء؛ وهو تحريف.

(٣) دان الله. أى أطاعه، يقال. دنته ودنت له. وهو من الدين بمعنى الطاعة (انظر اللسان).
وقال فى الأساس: دانوه، أى انقادوا له.

٢٠ (٤) هذه الباء ساقطة من الأصل وصبح الأعشى، واللغة تقتضى إثباتها.

(٥) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٥ اذ بها يستقيم الكلام.

(٦) تعالى: ارتفع وفى المحكم: كل ما ارتفع فقد علا وتعالى انظر تاج العروس. والذى فى صبح الأعشى:
«وتغالى» بالغين المهملة؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٧) عبارة صبح الأعشى: «وتغالى رتبة» الخ بدون قوله: «فى القيمة» والمعنى يستقيم عليه أيضا.

ســنة قطيعةً[1] ترفعها الى بيت المـال، وإيّاك ثم إيّاك أن تكون عن هذا الأمر ممن مال؛ ورتّب جيشا مقيما تحت لواء علم السـلطان الأجلّ الملكِ الناصرِ للقاء العدوّ المخذول التتار، ألحق الله أوّلهم بالهلاك وآخرهم بالبوار؛ وقد علمتَ تفاصيل أحوالهم المشهوره، وتواريخَ سِـيَرهم المذكوره؛ واحترِصْ[2] على أن يخصك من هذا المشرب السائغ أوفى نصيب، و[أن تكون][3] ممن جهّز جيشا فى سبيل الله فرَمَى بسهم فله أجرٌ كان مصيبا أو غيرَ مصيب؛ ليعود رسـولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملا أهـلّةَ أعلامنا المنصوره، شاكرا برّ مواقفنا المبروره؛ وإن أبى حالُك[4] إلا أن استمررتَ على غيِّك، واستمرأتَ مرعى بَغيِك؛ فقد مَعنَاك التصرّف فى البلاد، والنظرَ فى أحكام العبـاد؛ حتى نطأَ خيلنا العتاقُ مشمخرّاتِ حصـونِك، وتعجّل حينئذ ساعة منونك؛ وتُمسِى لهَوادى قِلاعِك عقودا، ولعرائسِ حصونك نهودا؛ وما علّمناك غير ما علمه قلبُك، ولا فهّمناك غير ما حَدَسَه[5] لُبُّك؛ فلا تكن كالصغير تزيده كثرةُ التحريك نوما، ولا ممن غرّه الإمهالُ يوما فيوما؛ وقد أعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه، موفّقا إن شاء الله تعالى؛ والحمد لله وحده .

(١) القطيعة : الضريبة والوظيفة .

(٢) يقال : احترص واحرص، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) التكملة عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٦ .

(٤) المشهور فى كتب اللغـة أن الحـال تذكر كما هنا وتؤنث، فيقال : حال حسن، وحال حسنة (المصباح) .

(٥) حدس : ظن ظنا مؤكدا، «المصباح» والمراد بالحدس هنا : اليقين. كما يستعمل الظن فى معنى اليقين أيضا كقوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) الآية .

(١٩)

ومن إنشائه تقليد السلطان الملك الناصر لما ترك الديار المصرية وأقام بالكَرَك[١] — وكُتِب له بذلك من ديوان الإنشاء عن الملك المظفَّر ركنِ الدين، فلم يمكن الكاتب الإطناب، ولا وَسِعه غيرُ[٢] الاختصار، فلم يُرضه الكتّاب، وعَمِلَ جماعةٌ منهم فى ذلك تجربةً لخواطرهم ولم يُكتَب بشىء منها فعمِلَ هو — :

٥ الحمد لله مدبّرِ الأمر على ما يشاء فى عبادِه، ومنقّلِ الحالِ على حكم اختياره ووَفقِ مرادِه، ومُجرِى أسبابِ الممالك على يد من اختاره من عباده لإصدارِ الأمر وإيرادِه، ومجيبِ من أصبح قاصدا بابَه الشريفَ والزهادةُ فيما حوله مِن اعتقادِه، ومعزِّ من أضحى له من حِقوِنا[٣] ركنٌ استَنَد إليه الدهرُ فى استنادِه، يلبّى دعوةَ مرامه حيث كان من بلادِه، ويجيب داعىَ نِداه و إن بعد فيكون أقربَ من سرِّه الى فؤادِه؛

١٠ يَذُبّ عن حَوزة نسائه ببِيض مرهَفاته وسمرِ صِعاده، ويحمى بيضة جاهه بالغُلْب من أشياعِه والجُرْد من جيادِه؛ نحمده على أن جعل مُوالاتَنا لهذا البيت الشريف المنصوريّ تستديم عهودَه، وتَلتحف من المحافظة على مَراضيه الشريفة فى كلّ حالٍ بُرودَه، وتَرِد من القيام بواجب حقّه أعذبَ منهل شَرَعه الصفاءُ وسنّه، وأكّد مُوالاتَه الوفاءُ وحسنُ الوفاء من شعار أهل السُّنّة؛ ونشهد أن لا اله الا الله

١٥ وحده لا شريك له شهادة تَرفع أعلامَ الهدى بكلّها، وتُخمِد نارَ الشرك بنور هداية

---

(١) الكرك بفتح الكاف والراء كما ذكره ياقوت: اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم والبيت المقدّس، وهى على سن جبل عال، تحيط بها أودية إلا من جهة الربض.

(٢) فى الأصل: «عن»؛ وهو تحريف.

٢٠ (٣) فى الأصل: «بجعونا» بالجيم؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا. والمراد بالحقو هنا: الجانب الذى يستجار به ويلتجأ اليه، وهو مجاز، والعرب تقول: عذت بحقوه اذا عذت به ليمنعك قال الشاعر:

سماع الله والعلماء أنى * أعوذ بحقو خالك يابن عمرو

عِلْمها وعَلَمِها ، وتُطهِّر أديمَ البسيطة من أرجاس الكفرة بالحدَّين من غَرْبَى(١) صَمصامها وقلمها ، وتُروى كلَّ قُطر أصبح ماحلًا من قطرَىْ عدلها وسيبها؛ ونشهد أن محمدا عبده ورســوله الذى كانت الزهادة مَلاكَ أمره و [الملوكُ(٢)] تحت وطأة أقدامه ، والملائكةُ يحفُّونه من حوله ومن أمامه(٣)، ومعادنُ الذهب تُعرَض عليــه فيساوى لديه لزهادته بين نُضاره ورَغامه ؛ صلّى الله عليــه وعلى آله وصحبه صــلاة تُحاكى أرجَ الصَّــبا وقد سرَى عن حِرامه(٤)، وتُضاهى فَتيقَ(٥) المســك وقد تنفّس عن ختامه، مشــموعةً إلى يوم القيامة برضوانه وســلامه؛ وبعد، فإنه لمــا كان المقامُ العالى الملكىُّ الفلانىُّ هو الذى ربّته الممالكُ فى حجرها وليدا ، وخوّلتْه السلطنةُ الشريفــةُ من نفائس ذخائرها طارفا وتليــدا ؛ وبوّأتْه من مراتب العز أقصى غاية لا ترام ، وأبادت بمرهفه التتار جمعَ التتار الطَّغام؛ واستخدمتْ لطاعتــه جيشَين : جيشَ نهارٍ تكرّ فيه مواليه على أعدائه بسابق خيــله ومرهَف حسامه ، وجيشَ ليلٍ تبسُــط أولياءُ دولته أكُفَّهــم للدعاء ببقائه فى جنح ظلامه ؛ طالمــا هزّت المنابرُ أعطافَها طربا عنــد ذكر اسمه ، وازدادت وسامةُ الدِّينارِ حُســنا لمــا شرّفها بحسن

(١) فى الأصل . «عزى» ؛ وهو تصحيف .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها .

(٣) لعله : «من خلفه» كما تدل عليه مقابلته بالأمام .

(٤) يريد بالحرام : الخزامى ، وإنما أسقط الألف لضرورة السجع الذى التزمه فى هــذا التقليد ؛ أو لعــل الخزام بدون الألف لغة فى «الخزامى» ، ولم نجده فيما بين أيدينا من كتب اللغة غير كتاب أقرب الموارد؛ والخزامى . خيرىّ البرّ وهى عشبة طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، حمراء الزهرة ، طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج ؛ قال أبو حنيفة : ولم نجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى ؛ وواحد الخزامى خزاماة .

(٥) الفتيق — فعيل بمعنى مفعول ، من فتقت المسك بغيره : إذا استخرجت رائحته بشىء آخر تدخله عليه .

وشِيَمه ورِشَمِه ؛ وتلت أوصافَ بأسه ألسنةُ خرصانه[1] ، ورجعتْ سوابقُ الهمم عن التطاوُل للطاوَلة فى مَيدانه ، وقالت فوارس الحروب لمّا رأت كَرّه : هـذا سِباق لسا من رهانِه ؛ كم فرّق بجيشه اللُّهامِ[2] جيشا أرمَدَ جفنَ الشمس بقتامِه ، ونصرَ الأحرارَ يوم الكريهة بالعاديات من خيله والمرسَلاتِ من سهامِه ، فالدهرُ يشكر مواقفَ إقدامِه ، والعدلُ ينشر منشور فضله وسديد أحكامِه ، والممالكُ تُثني على عليائه بالسَّداد ، والمسالكُ تُهدى لسالكها ما خصّها به مِن أمنها المعتاد ؛ والناسُ فى ظلّ عدلٍ لياليه [حُلِقَتْ[3]] كما شاءوا أسحارا ، والوحشُ والغنمُ كلٌّ منهما قد جعل صاحبَه جارا ؛ ومواطنُ العلوم أمست تطرز محاسن أوصافِه ، وحُكّام الشرع الجليل أضحت تَميس فى حلل عدله وإنصافِه ؛ والأماكنُ التى تُشَدّ لها الرحالُ يفترّ ثغرها عن عدلِه ، والمشاعرُ المعظّمةُ قد حمى حَوزتَها بالسهم من نصلِه والشهمِ من رَجْلِه[4] ؛ تنقّل فى مراتب الملك صغيرا الى أن آشتدّ بالعزم القوىّ كاهلُه ، وآستوطن ربعَ العزّ مذ كان يجتلى بدورَه وتجتليه عقائلُه ؛ فلم تبقَ له مأرُبةٌ إلا قضاها ، ولا حالةٌ إلا ابتلاها ، ولا غمّةٌ إلا جلاها ، ولا آيةُ شكر إلا تلاها ؛ الى أن قمع بجدّ

---

(١) الخرصان : جمع خرص بكسر الخاء وضمها ، وهو سنان الرمح .

(٢) اللهام : الجيش الكثير ، كأنه يلتهم كل شىء .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل والسياق يقتضيها إذ بها يستقيم الإعراب بالنصب فى قوله «أسحارا» ، وبعضه يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى هذا التقليد ؛ وقد استنسبنا زيادة هذا اللفظ دون غيره لوروده فى بعض رسائل القاضى الفاضل إذ قال : والليالى التى طابت فكأنما حلقت جميعها أسحارا انظر صفحة ٢٠ سطر ٧ من هذا الجزء .

(٤) الرجل : اسم جمع عند سيبويه للراجل ، وهو ضد الراكب .

سيفه كلَّ مُجترى، وقال للسحابة كما قيل : ٱمطُرى؛[١] رأى[٢] أن المواردَ الدنيويّة لا بدّ لهـا من مصادر، وأن أوائلَ الأمور تَستدعِى الأواخر، وأن للزهادة فى الدنيا وإن عظُم قدرُها الشأنَ الكبير، وأن الانقطاعَ الى الله تعالى مَنهلُ صفو لا يَقبل شوائبَ التكدير؛ وقوىَ عزمُهُ فى الرّحلة عن مَقرّ ملكه الى أعزّ حصونه المنيعه، بل الى أجلّ معاقله الشامخة الرفيعه؛ قاصدا بها ٱلانفراد، عالمـا بأن الله يطلع على خفيّات الفؤاد؛ فرحل ركابُه العـالى ونظامُ المملكة من حُسن الهيئة قائم على ساق، وقلوب كفّال الممـالك الشريفةِ متّفقةٌ على الاتفاق؛ واثقا بأن للمُلك من أولياء بيته الشريف كلَّ ولىٍّ عهـدٍ لا تُخفَر لديه الذمم، وكلَّ سلطانِ أُفُقٍ[٣] تَضؤل دون عزمـه الهمم؛ يَحمِى بيضةَ حدره من كلِّ متطاولٍ إليها، ويقصِّر أسبابَ الحرص من كلّ شانٍّ[٤] عليها؛ وٱختار الانفراد، وتيقّن أنّا لا نعدل عمّا أراد؛ ونصَبَ عُمُدَ خيامه الشريفةِ على سفح روضِ الكَرَك النَّضِر، وحلَّ منه رأسَ شاهقةٍ نبتُها خَضِر؛ ورغب فى الزهادة وشعارِها، وٱستوت[٥] عنده الدنيا فى حالتَىْ إقبالها وإدبارِها؛ فاقتَضَى ٱعتناؤنا الشريفُ أن نبلّغه من مآربه الشريفـة أقصى المرام، وأن نساعده فى كلّ أمرٍ يعرف منـه الموافقـة منّا على الدوام؛ وأن ننظِم الأمرَ فى سلك الإرادة على مُرادِه، وأن نبادر إلى راحة سرّه الشريف وفؤادِه؛ ولسوف نعامل مقامَه العالىَ بكلّ ٱحترامٍ يصـل

---

(١) يشير بهذه العبارة الى ما روى عن بعض الخلفاء أنه رأى سحابة تسير فى الأفق ملأى بالمطر فقال : امطرى حيث شئت فإن ما تنتجيه سيجبى الينا. يريد بهذا أن مملكته واسعة الأطراف فلن تجاوزها السحابة مهما أبعدت فى المسير.

(٢) رأى : جواب لمـا السابقة فى قوله : «لمـا كان المقام العالى» الخ.

(٣) المراد بالأفق هنا : الناحية من الأرض، وتضؤل تذوى وتسكن.

(٤) الشانّ بتشديد النون : اسم فاعل من شنّ الغارة على القوم اذا صبها عليهم من كل وجه.

(٥) فى الأصل : «واستهوت»؛ والهاء زيادة من الناسخ.

إليه تفصيلا و إجمالا ، ونراعى معه أدبَ أسلافه الكرامِ حالا فحالا ، و إنّا لا نخليه من تجهيز مثالٍ يتضمّن من محاسنه سِيَرا وأمثالا ، ولولا عرفُ السلطنة ونظامُ المملكة يقتضيان ذلك ما جهّزنا إلى بابه الشريف مثالا ، فلذلك خرج الأمرُ الشريفُ بكذا وكذا .

٥ هذا ما آتفق إيرادُه فى هذا الفصل من رسائل الكتّاب ، وكتّابُ العصر — أعزّهم الله تعالى — كثير ، وكلامُهم مشهور ، ومدوّنٌ بأيدى الناس ومحفوظٌ فى صدورهم ، ولَم نشترِطْ أن نورد لجميعهم فنلتزم الشرط ، ولو فعلنا ذلك لطال الكتابُ وخرج عن شرطه ، وإنما خصصنا هؤلاء بالذكر لتعلّقنا بهم ، وآتصال سببنا فى الوداد بسببهم .

---

١٠ ## ذكر شىء من الأبيات الداخلة فى هذا الباب(١)

فمن ذلك قول بعض الشعراء :

إنّى لِعُظْمِ تشوُّقى * وشديدِ وجدى واكتئابى

أصبحتُ أحسُد من يفو * ز بقربكم حتى كتابى

وقال آخر :

١٥ وما تأخُّرُ كُتْبى عنك من مللٍ * طُوبى(٢) لوُدّك يابن السادة النُّجُبِ

لكن حسدتُ كتابى أن يراك وما * أراك فاخترتُ إمساكى عن الكتُبِ

---

(١) المراد بالباب هنا : باب الرسائل الإخوانية فقد سبق أن ترجم لها فى السفر السابع من هذا الكتاب ص ٢١٣ إذ قال : « وأما الرسائل الإخوانية وما يتجدد من الأمور و يطرأ من الحوادث » .

(٢) طوبى وزان فعلى ، من الطيب ، كأن أصله طيبى بضم الطاء فقلبوا الياء واوا للضمة قبلها

[وقال آخر] (١) :

عفتُ الرسائل طامعا أن نلتقى * فأبَى الزمانُ يُتيح لى ما أطلبُ
وتأخّرتْ كُتْبى فقلتُ أعاتبٌ * فى ذاك أنت علىّ أم متعتّبُ (٢)
فإذا وجدتك فى الضمير ممثّـلا * أبدا تناجينى إلى مَن أكتبُ (٣)

وقال آخر :

الكُتْبُ تُكتَب للبعيـ * ـد وأنت من قلبى قـريب
فإذا وجـدتك فى الفـؤا * دِ فمَن أكاتِب أو أجيب

وقال آخر :

لو أنّ كُتْبى بقدر الشوق واصلةٌ * كانت إليك مع الأنفاس تتّصلُ
لكنّنى والذى يبقيك لى أبدا * على جميل اعتقادى فيك أتّكلُ

وقال آخر :

وفى الكُتْب نجوى من يَعِزّ لقاؤه * وتقريبُ من لم يدنُ منه مَزارُ
فلِمْ تُخلِنى (٤) منها وتعلمُ أنّها (٥) * لعيـنى وقلبى قُـرّةٌ وقَـرارُ

وقال آخر :

سألتك عوِّذْنى بكُتْبك إنّ لى * شياطينَ شوقٍ لا تفارِق مَضْجَعى
إذا استرَقتْ أسرارَ فكرى تمرّدا * بعثتُ إليها فى الدجى شُهْبَ أدمعى

---

(١) لم ترد هذه العبارة فى الأصل .

(٢) التعتّب : التجنّى ، يقال : تعتب عليه وتجنى عليه ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) ورد هذا البيت فى صفحة ٣٢ من هذا السفر أيضا وروايته ثم : « مهما وجدتك » الخ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل بحذف الياء ، ولا نرى مقتضيا لجزمه غير ضرورة الوزن ، أولعله : « فلا تخلنى » وإذن فهو مجزوم بلا الناهية .

(٥) فى الأصل : « أنى » ؛ والسياق يقتضى الهاء كما أثبتنا .

وقال آخر :

أتبخل بالقرطاس والخط عن أخٍ * وكفّاك أندى بالعطايا من المزنِ
لعمرى لقد قوّى جفاؤك ظنّتى * وأوهن تأميلى وما كان ذا وهنِ

وقال آخر :

٥ أظنّ القراطيسَ فى مصركم * تخوّنها ريبُ دهرٍ خؤون
فلو أنها صفحاتُ الخدو * د يُكتب فيها بماء الجفون
لما أعوزتك ولكن جفوت * فألقيتَ شأنى خلالَ الشؤون

(٢١)

وقال المتنّبى فى جواب كتاب وَرَدَ عليه :

بكُتْب الأنام كتابٌ[1] ورد * فدتْ يدَ كاتبِه كلُّ يد
١٠ يعبّر عما له عندنا * ويذكر من شوقه ما نجِدْ

وقال أبو الفتح البُسْتىّ :

لمّا أتانى كتاب منك مبتسمٌ * عن كل فضلٍ وبرٍّ غيرِ محدودِ
حَكَتْ معانيه فى أثناء أسطره * آثارَك البيضَ فى أحوالىَ السودِ

وقال آخر :

١٥ طلع الفجر من كتابك عندى * فمتى باللقاء يبدو الصباحُ

وقال آخر :

ولمّا أتانى بعد هجرٍ كتابُكم * وفيه شفاءُ الوالهِ الدنِف المُضْنَى
سُررتُ به حتى توهّمتُ أنه * كتابى وقد أُعطيتُه بيدى اليمنَى

---

(١) قوله : « كتاب » بالرفع على الابتداء، أى كتاب ورد مفدىّ بكتب الخ ويجوز أن يقرأ
٢٠ بالنصب على المفعولية، أى أفدى بكتب الأنام كتابا، وقد جوّز العكبرىّ الوجهين عند شرحه لقول المتنبى
أيضا : * بأبى الشموس الجانحات غواربا *
انظر شرحه لديوان المتنبى ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

وقال آخر :

نفسى الفداءُ لغائب عن ناظرى * ومحــلُّه فى القلب دون حجابه
لولا تمتُّــع مقلتى بلقــائه * لوهبتُها لمبشِّرى بكــتابه

وقال آخر :

ورد الكتابُ مبشِّرا * نفسى بأوقات[1] السرور
وفضَضْـــتُه فوجــدتُه * ليـــلا عــلى صَفَحات نور
مثــلَ السوالفِ والخدو * د[2] البيضِ زينَتْ بالشــعور
أنزلتُـــــه مـــنِّى بمـ * ـنزلة القــلوبِ من الصدور

وقال آخر فى كتاب عُدِم فلم يصل إليه :

نُبِّئتُ أنّ كتابا * أرسلتَه مع رســولِ
ملأتَه منــك طِيبا * فضاع قبل الوصولِ

ومما يتصل بهذا الباب ويلتحق[3] به، ويحتاج الكاتبُ إلى معـرفته والاطلاع عليه الحجّةُ البالغةُ والأجوبةُ الدامغة .

فمن ذلك فى التنزيل قولُه عزّ وجل : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ .

وقولُه تعــالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ .

(١) فى الأصل : « بأوراد » ؛ وهو تحريف .
(٢) فى الأصل : « والحدوق » بالحاء المهملة والقاف ؛ وهو تحريف .
(٣) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر .

وقولُه تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ .

وقولُه تعـالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَـــبِيلًا ﴾ .

وقولُه تعـالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَـا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

وقولُه تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

وقولُه تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾.

وقال تعـالى فى الدّلالة على إثبات نبوّة رسول الله صـلّى الله عليـه وسـلّم : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ ، فإنه صلّى الله عليه وسلّم كان يُعرَف فى قريش بالصادق الأمين

وقولُه تعـالى : ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

ولمّـا بُعث رسولُ الله صـلّى الله عليه وسـلّم قال : " يا معشر قريش لو قلتُ لكم إنّ خيـلا تَطلُع عليكم من هـذا الجبل كنتم تصدّقونى (1) ؟ قالوا : نعم ؛ قال :

(١) روايته فى صحيح البخارى من طريق يوسف بن موسى : أن خيلا تخرج من سفح هـذا الجبل أكنتم مصدقىّ؟ الخ وفى رواية أخرى من طريق محمد بن سلّام : أن العدوّ مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدّقونى ؟ الخ وحذفت نون الرفع من قوله : تصـدقونى تخفيفا ؛ ويروى تصدّقوننى بإثباتها انظر ارشاد السارى ج ٩ ص ٢٩٥ طبع الآستانة .

«فإنّى نذيرٌ لكم بين يدَىْ عذابٍ شديد» فلمّا أقرّوا بصدقه خاطبهم بالإنذار، ودعاهم إلى الإسلام . فهذه حججٌ من الكتاب والسنّة لا جواب عنها

ولـمّـا انتهى إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومَ السَّقيفة أنّ الأنصارَ قالت : منّا أميرٌ ومنكم أمير ؛ قال علىّ : فهلاّ احتججتم عليهم بأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أوصى بأنْ يُحْسَن إلى محسنهم، ويُتجاوَزَ عن مسيئهم ؛ قالوا : وما فى هذا من الحجة عليهم ؟ قال : لو كانت الإمارةُ فيهم لم تكن الوصيّةُ بهم .

ولـمّـا قال الحُبـابُ بنُ المنـذر فى يوم السَّقيفة أيضـا : أنا جُذَيْلُها[(١)] المُحكَّك وعُذَيْقُها[(٢)] المُرجَّب، إن شئتم كررناها جَذَعة[(٣)]، منّا أميرٌ ومنكم أمير، فإن عمل المهاجرىُّ شيئا فى الأنصارىِّ ردّه عليـه الأنصارىّ ، و إن عمل الأنصارىُّ شيئا فى المهاجرىِّ ردّه عليه المهاجرىّ ؛ أراد عمر الكلام ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : على رِسْلِك[(٤)]، نحن المهاجرين أوّلُ النـاس إسـلاما ، وأوسطُهم دارا، وأكرمُ النـاس حسبا ، وأحسنُهم وجوها ، وأكثرُ الناس ولادةً[(٥)] فى العرب، وأمسُّهم رحما بالرسول صلى الله

(١) الجذيل : تصغير جذل بكسر الجيم قال يعقوب : عنى بالجذيل هنا الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفى به، أى قد جربتنى الأمور ، ولى رأى وعلم يشتفى بهما كما تشتفى هذه الإبل الجربى بهذا الجذل؛ وصغره على جهة المدح .

(٢) العذيق : تصغير تعظيم للعذق بالفتح، وهو النخلة . والمرجب : من الترجيب، وهو أن تدعم النخلة من جانب ليمنعها ذلك من السقوط؛ يريد أن له عشيرة تعضده وتمنعه وترفده ؛ وقيل : الترجيب هنا بمعنى التعظيم .

(٣) قال فى اللسان : إذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم : إن شئتم أعدناها جذعة : أى أوّل ما يبتدأ فيها اهـ .

(٤) الرسل : التؤدة، يقال : على رسلك، أى اتئد، كما يقال : على هينتك .

(٥) كذا فى الأصل وعيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية، يريد بهذه العبارة أنهم أكثر عددا وأعزّ نسلا ؛ ويحتمل أن يريد أن كثرة مصاهرتهم لغيرهم من القبائل جعلت أبناءهم فى قبائل العرب أكثر من سواهم ، أى أن اتصالهم بالعرب أوثق، وأشياعهم من القبائل أكثر .

عليه وسلّم ، أسلمنا قبلكم ، وقُدِّمنا فى القرآن عليكم ، وأنتم إخواننا فى الدِّين ، وشركاؤنا فى الفىء ، وأنصارُنا على العدوّ[1]، آويتم وواسَيتم، فجزاكم الله خيرا، نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تَدِين العرب الا لهذا الحىّ من قريش . قالوا : قد رضينا وسلّمنا .

قال بعض اليهود لعلىّ رضى الله عنه : ما دفنتم[2] نبيَّكم حتى آختلفتم؛ فقال : انما آختلفنا عليه[3] لا فيه، ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيّكم : ﴿ٱجْعَلْ لَنا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ .

وقال حاطب بن أبى بَلْتَعة : لما بعثنى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الى المقوقس مَلِك الإسكندريّة بكتابه ، أتيتُه وأبلغته الرسالة ، فضحك ثم قال : كتب إلىّ صاحبك يسألنى أن أَتبعَه على دينه ، فما يمنعه إن كان نبيا أن يدعوَ اللهَ فيسلِّط علىّ البحرَ فيغرقَنى فيكتفىَ مُؤْنتى، ويأخذَ مُلْكى؟ قلتُ : ما مَنَع عيسى عليه السلام إذ أخذته اليهودُ فربطوه فى حبل، وحلقوا وسَطَ رأسه، وجعلوا عليه إكليلا من شوك، وحمّلوا خشبتَه التى صلبوه عليها على عاتقه، ثم أخرجوه وهو يبكى حتى نصبوه على الخشبة ثم طعنوه حيًّا بحربةٍ حتى مات — على زعمكم — فما مَنَعه أن يدعوَ اللهَ فينجيَه ويهلكَهم، ويكتفىَ مُؤْنتهم، ويَظهرَ هو وأصحابه عليهم ؟ وما مَنَع يحيى بن زكريّا حين سألت آمرأةُ المَلِكِ المَلِكَ أن يقتله فقتله وبعث برأسه اليها حتى وُضِع بين يديها أن يسأل الله أن يحميَه ويهلكَهم " فأقبل على جلسائه وقال : والله إنه لحكيم، وما تخرج الحِكَم إلّا من عند الحكماء.

(١) كذا فى عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٤ ؛ والذى فى الأصل «فى» ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «ما دفنتم» ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) عليه : أى على الأولوية به ومن أحق بخلافته قرابته أم غيرهم " لا فيه : أى لا فى صدق [illegible]

وخطب معاويةُ بنُ أبى سفيان ذات يوم وقال : إنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ فما نلام نحن؛ فقام اليه الأحنفُ بنُ قيس فقال له : يا معاوية، إنا والله ما نلومك على ما فى خزائن الله، وإنّما نلومك على ما آثرك الله [به](١) علينا(٢) من خزائنه فأغلقتَ بابَك دونَه .

وقال معاويةُ لرجل من اليمن : ما كان أحمقَ قومَك حين مَلّكوا عليهم امرأة ! قال : قومُك أشدُّ حماقةً إذ قالوا : " اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " أفلا قالوا : اهدِنا له .

وقيل : مرّت آمرأةٌ من العرب بمجلس من مجالس بنى نُمير، فرماها جماعةٌ منهم بأبصارهم، فوقفت ثم قالت : يابنى نُمير، لا أمرَ آلله تعالى أطعتم، ولا قولَ الشاعر سمعتم، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

وقال الشاعر(٣) :

فغُضَّ الطرفَ إنّك من نُميرٍ * فلا كعبا بلغتَ ولا كلابا

فما آجتمع منهم بعد ذلك آثنان فى مجلس .

وقيل : استعمَل عُتبةُ بنُ أبى سفيان رجلا من أهله على الطائف، فظلَم رجلا من أَزْدِ شَنُوءة، فأتى الأزدىُّ عُتبةَ فقال :

أمرتَ مَن كان مظلوما ليأتيكم * فقد أتاكم غريبُ الدار مظلومُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : «عليك»؛ وهو تحريف .

(٣) هو جرير؛ والبيت من قصيدة له يهجو الراعى النميرى اطر ديوان جرير ص ٣١ طبع المطبعة

ثم ذكر ظلامته ، فقال عُتبة : إنّى أرى أعرابيّا جافيا، والله ما أحسبك تدرى كم تصلّى فى اليوم والليلة؛ فقال : إن أنبأتك ذلك تجعلُ لى عليك مسألة ؟ قال : نعم؛ فقال الأعرابىّ :

إنّ الصلاةَ أربعٌ وأربعُ * ثم ثلاثٌ بعدهنّ أربعُ
* ثم صلاةُ الفجر لا تُضيَّعُ *

قال : صدقتَ فاْسألْ؛ فقال : كم فَقارُ ظهرِك ؟ فقال : لا أدرى؛ قال : أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ؟ فأمر بردّ ظلامته عليه .

وقال الحجّاج بن يوسف ليحيى بن سعيد بن العاصى[1] : بلغنى أنّك تشبه إبليس فى قبح وجهك؛ قال : وما ينكر الأميرُ من أن يكون سيّدُ الإنس يشبه سيّدَ الجنّ؟ .

وقال لسعيد بن جُبير : اِختر لنفسك أىَّ قِتْلة شئت؛ قال : اِختر أنت فإنّ القصاص أمامَك .

وحُكِى أن حُويطب[2] بن عبد العُزّى بلغ عشرين ومائة سنة ، ستين فى الجاهليّة وستين فى الإسلام، فلما ولى مروانُ بنُ الحكم المدينةَ دخل عليه حُويطب[2]، فقال له مروان: لقد تأخّر إسلامُك[3] أيها الشيخ حتى سبقك[4] الأحداث؛ فقال: والله لقد هممتُ

(١) قال المبرد : انه العاصى بالياء لايجوز حذفها ، وقد لحنت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة ؛ يعنى أنه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها مستدرك التاج مادة «عصى» .

(٢) فى الأصل : «حويطب» بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف ، والتصويب عن القاموس وغيره . وهو حويطب بن عبدالعزى بن أبى قيس بن عبد ودّ ، ينتهى نسبه الى عامر بن لؤى ؛ ويكنى أبا محمد ، وأسلم يوم فتح مكة ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ٣٣٥ طبع ليدن .

(٣) فى الأصل : «تتعك» ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٤) هذه الكلمة فى الأصل مطموسة الحروف تتعذر قراءتها ؛ وقد أثبتناها عن العقد الفريد ج ٢ ص ١١٧ طبع المطبعة الشرفية بمصر .

بالإسلام غيرَ مرّة(١) كلُّ ذلك يعُوقنى أبوك عنه وينهانى، ويقول : أتَدَع دين آبائك(٢) [لدينٍ مُحدَث](٣)؟! أما أخبرك عثمانُ ما كان قد لَقِيَ من أبيك حين أسلم .

وقيل : لمّـا ظفِر الحجّاج بابن الأشعث وأصحـابه أمَرَ بضرب أعناقهم، حتى أَتَى على رجلٍ من تميم، فقال التميمىّ : أيها الأمير، والله لئن أسأنا(٤) فى الذنب ما أحسنتَ(٥) فى العقوبة؛ فقال الحجاج : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ فوالله ما مَننتَ ولا فاديتَ(٦)؛ فقال الحجّاج : أُفٍّ(٧) لهـذه الجِيَف، أما كان منهم من يُحسِن مثلَ هذا ؟ وأمَرَ بإطلاق من بقِيَ وعفا عنهم .

وحُكِيَ أن الرشيد سأل موسى بنَ جعفرٍ فقال : لِمَ قلتم إنّا ذرّيّةُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وجوّزتم للناس أن ينسُبوكم اليـه ويقولوا : يا [بَنِي](٨) نبيّ الله وأنتم

(١) فى الأصل : « به » وهو تحريف؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا؛ وانظر العقد الفريد .

(٢) فى الاصل : «امامك»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر العقد الفريد .

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن العقد الفريد ج٢ ص١١٧ طبع المطبعة الشرفية .

(٤) فى الأصـل : « أمرنا »؛ وهو تحريف صـوابه ما أثبتنا كما تدل عليـه مقابلتـه بقوله : ما أحسنت .

(٥) فى الأصل : « لما أحسنت » واللام زيادة من الناسخ فان الجملة جواب القسم السابق وليست جوابا للشرط لتقدّم القسم عليه؛ وفى كتب القواعد أن جواب القسم اذا نفى « بما » لم يقترن باللام وما ورد من اقترانه بها شاذ لا يقاس عليه، ومنه قول الشاعر :

أما والذى لو شاء لم يخـلق الورى * لئن غبت عن عينى لمـا غبت عن قلبى

انظر حاشية الصبان ج ٤ ص ٢٢ طبع بولاق .

(٦) يقال : فاديته مفاداة : أى أطلقته وأخذت فديته المصباح .

(٧) فى الأصل : « ان » بالنون؛ وهو تحريف .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ ولا يستقيم الكلام بدونها، ويرشد اليها قوله بعد : «وأنتم بنو» الخ .

بنو علىّ، وانما يُنسَب الرجلُ إلى أبيه دون جدّه، فقرأ[(١)] : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾ وليس لعيسى أب، وانما لحق بذرّيّة الأنبياء مِن قِبَلِ أمّه، وكذلك أُلحقنا بذرّيّة الرسول صلّى الله عليه وسلّم مِن قِبَلِ أمّنا فاطمةَ — عليها السلام — وأزيدك يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ﴾ ولَم يدْعُ صلّى الله عليه وسلّم فى مباهلة[(٢)] النصارى غيرَ فاطمة والحسن والحسين[(٣)]، وهما[(٤)] الأبناء .

قيل : لمـا وُلّىَ يحيى بنُ أكثمَ قضاءَ البَصرة آستصغر الناسُ سنَّه، فقال له رجل : كم سنُّ القاضى — أعزّه الله — ؟ فقال : سنُّ عتّابِ[(٥)] بنِ أَسيد حين ولّاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قضاءَ مكّة . فجعل جوابَه آحتجاجا .

قال يزيد بن عروة : لمّا مات كُثيِّرٌ لَم تتخلّف بالمدينة آمرأةٌ ولا رجلٌ عن جنازته، وغَلَب النساءُ عليها، وجعلن يبكينه ويذكُرن عزّةَ فى ندبهنّ له ؛ فقال

(١) فى الأصل : «فقدا» ؛ وهو تحريف .

(٢) المباهلة : أن يجتمع القوم اذا اختلفوا فى شىء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

(٣) لم يذكر عليًّا رضى الله عنه مع أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هـذه المباهلة انظر روح المعانى عند تفسير الآية المتقدّمة .

(٤) وهما الأبناء : أى وهما المقصودان بلفظ الأبناء فى الآية وإذن فالخبر مطابق للمبتدا فى التثنية .

(٥) هو عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ؛ أسلم يوم الفتح فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى حنين استعمله على مكة يصلى بالناس وأقام عتاب للناس الحج تلك السنة، — وهى سنة ثمان — وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتاب بن أسيد عامله على مكة الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ٣٢٠ طبع ليدن .

أبو جعفر محمدُ بن علىّ الباقر : أفرِجوا لى عن جِنازة كُثَيِّر[1] لأرفعها ، فجعلْنا ندفع النساء عنها ومحمدُ بنُ علىّ يقـول : تَحَيَّين يا صُوَيحبات يوسف ، فانتَدَبتْ له آمرأةٌ منهن فقالت : يابن رسول الله ، لقـد صدقتَ ، إنّا لصُوَيحباته ، ولقد كنّا له خيرا منكم له ؛ فقال أبو جعفر [لبعض مواليه][2] : احتفظ بهـا حتى تجيئنى[3] بها إذا آنصرفتُ ؛ قال : فلما آنصرف أُتِىَ بها وكأنّها شَرَرَةُ النار ، فقال لهـا محمد بنُ علىّ : إيهِ[4] ، أنتِ القائلة : إنّكنّ ليوسفَ خيرٌ منّا ؟ قالت : نعم ، تُؤَمّننى غضبَك يابنَ رسول الله ؟ فقال : أنتِ آمنةٌ من غضبى فأنبئينى ؛ فقالت : نحن دعوناه إلى اللّذّات من المطعم والمشرب والتمتّع والتنعّم ، وأنتم معـاشر الرجال ألقيتموه فى الجبّ وبعتموه بأبخس الأثمان ، وحبستموه فى السجن ؛ فأيّنا كان عليه أحنَى ، وبه أرأف ؟ فقال محمد : لله درّكِ ! لَن تُغالَب آمرأةٌ إلاّ غَلَبتْ ؛ ثم قال لهـا : ألكِ بعلٌ ؟ فقالت : لى من الرجال من أنا بعلُه ؛ فقال أبو جعفر : ما أصـدقكِ ! مثلُكِ من تَملك الرجلَ[5] ولا يملِكها ؛ فلمّا آنصرفتْ قال رجل من القوم : هـذه فلانة[6] بنت معقب[7] .

وقال المأمون ليحيى بن أكثم : من الذى يقول :

قاضٍ يَرَى الحدَّ فى الزناءِ ولا * يَرَى على من يلوط من باسِ

(١) فى الأصل : «أقرحوا لى» بالقاف المثناة والحاء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأغانى ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق .

(٣) فى الأصل : «تجيئى» ؛ وهو تحريف .

(٤) إيه بكسر الهاء ويجوز تنوينها : كلمة استزادة واستنطاق .

(٥) فى الأغانى ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق : «بعلها» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٦) كذا فى الأصل بلا تعيين لاسمها ؛ وذكر أبو الفرج أنها زينب .

(٧) كذا فى الأصل ؛ والذى فى الأغانى : « معيقب » ولعله معيقيب بن أبى فاطمة الدوسىّ انظر ترجمته فى كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٤ ص ٨٦ طبع أوربا .

فقال : يا أمير المؤمنين، هو[1] الذى يقول :

شاهدُنا[2] يرتشِى وحاكمُنا * يلوط والراسُ شرُّ ما راسِ
لا أحسب الجورَ ينقضى و[3]على ا لأ مّة والٍ من آل عبّاسِ

قال ومن هو ؟ قال : أحمد بن [أبى][4] نُعيم؛ فأَمَر بنفيه إلى السِّند[5] .

٥ وحُكِى أنّ أهل الكوفة تظلّموا إلى المأمون من عاملٍ ولّاه عليهم ؛ فقال : ما علمتُ فى عَددِ عمّالى أعدَلَ ولا أقوَمَ بأمر الرعيّة ولا أعوَدَ بالرفق عليهم منه ؛ فقام رجل من القوم فقال : يا أمير المؤمنين، ما أحدٌ أولى بالعدل والإنصاف منك، فاذا كان الأمر على هذه الصفة فينبغى أن تعدِل فى ولايته بين أهل البُلدان ، وتُسوِّى بنا[6] أهلَ الأمصار، حتى يَلحَقَ أهلَ كلِّ بلد مِن عدلِه و إنصافِه مثلُ الذى ١٠ لحقنا ، فاذا فعل أميرُ المؤمنين ذلك فلا يخصّنا منه أكثر من ثلاثِ سنين؛ فضحك المأمون وعزَلَ العاملَ عنهم .

ولنصِل هذا الفصل بذكر هفوات الأمجاد[7] وكبوات الجياد[7] — وقد رأيتُ بعضَ أهل الأدب ممن يستحِقّ الأدب تعرّض فى هذا الفصل الى ذكر قصص

(١) فى الأصل : «من هو» وقوله : «من» زيادة من الناسخ .

١٥ (٢) فى وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق : «أميرنا» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) هذه الواو ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الوزن تقتضيها .

(٤) كذا فى وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى ج ١ ص ١٢٥ طبع مطبعة جمعية المعارف ؛ والذى فى الأصل : «ابن نعيم» باسقاط لفظ أبى ؛ ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

٢٠ (٥) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان ؛ وقد فتحت فى أيام الحجاج بن يوسف (ياقوت) .

(٦) فى الأصل : « به » ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) ورد فى الأصل كل من هاتين الكلمتين مكان الأخرى ؛ والمقام يقتضى ما أثبتنا ، فان الهفوات من صفة الإنسان ، والكبوات من صفة الخيل وانظر هذه الترجمة أيضا فى المستطرف ج ١ ص ٧٤، ٧٥ طبع بولاق .

الأنبيـاء — صلوات الله عليهـم — كآدمَ ويوسفَ وداودَ وسليمانَ فكرهتُ ذلك منه، ونزّهتُ كتابى عنه —

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فكانت هـذه هفوةً من المسلمين غفرها الله وعفا عنها .

وقال الأحنف بن قيس : الشريفُ من عُدّتْ سَقطاتُه .

وقال النابغة :

ولستَ بمستبقٍ أخًا لاتَلُمُّـه * على شَعَثٍ[1] أىُّ الرجال المهذَّبُ

وقالوا : كلُّ صارمٍ ينبو، وكلُّ جوادٍ يكبو .

وكان الأحنف بن قيس حليما سيّدا يضرب به المثل ، وقد عُدّت له سقطات من ذلك أنه نظر الى خيلٍ لبنى مازن فقال: هذه خيل ما أُدرِكَتْ بالثار، ولا نَقَصت الأوتار[2]؛ فقال له سعيد بن القاسم المـازنىّ : أمّا يومَ قتلَتْ أباك فقـد أدركتْ بثارها؛ فقال الأحنف : لشىءٍ ما قيل : "دَع الكلام حذرَ الجواب" — وكانت بنو مازن قتلت [أبا][3] الأحنف فى الجاهليّة .

ومنها أنه لـمّا خرج مع مُصعَب بنِ الزبير أَرسَل اليه مائةَ ألف درهم، ولم يرسل الى زَبْراء[4] جاريتِه بشىء، فجاءت حتى وقفت بين يدى الأحنف، ثم أرسلَتْ عينيها؛

(١) «لا تلمه على شعث» : أى لا تحتمله على ما فيه من زلل فتلمه وتصلحه وتجمع ما تشعث من أمره «اللسان» .

(٢) الأوتار جمع وتر بكسر الواو، وهو الذحل، أى الثأر؛ يقول : ان هذه الخيل لم تقلل عدد الذحول والثارات التى لفرسانها عند غيرهم من القبائل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل واستقامة الكلام تقتضى اثباتها .

(٤) فى الأصل «ديرا» بالدال والياء المثناة، وهو تحريف، وتصويب عن القاموس .

فقال لها : ما يُبكيك؟ فقالت : ما لى لا أبكى عليك إذ لم تبك على نفسك ، أقعدتَها وتذر مَرْوَ الرُّوذ[١] تجمع بين غارَين[٢] من المسلمين؛ فقال: نصحتنِي والله فى دينى إذ لم أتنبّه لذلك؛ ثم أمر بفُسطاطه فقُوِّض، فبلغ ذلك مُصعبًا فقــال : ويحكم ، مَن دهانى فى الأحنف؟ فقيل : زَبْراء، فبعث إليها بثلاثين ألف درهم، فجاءت حتى أرخت عينيها بين يديه؛ فقال : مالك يازَبْراء؟ قالت : عجبتُ لأحوالك فى[٣] أهل البَصرة، تزفّهم كما تُزَفّ العروس ، حتى اذا ضربتَ بهم فى نحور أعدائهم أردتَ أن تفُتّ فى أعضادهم؛ قال : صــدقتِ والله ، يا غلام دَع الفساطيط؛ فأضطرب العسكر بمجىء[٤] زَبْراء مرّتين .

ومن سقطاته التى عُدّت عليــه أن عمرو بن الأهتم[٥] دسّ إليه رجلا ليسفّهه ، فقال له : ياأبا بحر، من كان أبوك فى قومه ؟ قال : كان من أوسطهم، لم يسُدْهم ولم يتخلّف عنهم ؛ فرجع إليه ثانية، ففطن الأحنف إلى أنه مِن قِبَل عمرو، فقال:

---

(١) مرو الروذ : مدينة بخراسان بين بلخ ومرو؛ افتتحها الأحنف بن قيس فى خلافة عثمان رضى الله عنه ؛ وأكثر ما يقال فيه : مرّوذ كسفود (التاج مادة (رود) وهى على نهر عظيم ؛ والرود بالفارسية : النهر، فلهذا سميت بذلك (ياقوت) .

(٢) فى الأصــل : عادين بالعين المهملة والدال، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، والغار . الجيش الكثير، ومنه قول الأحنف فى عبد الله بن الزبير عند انصرافه من وقعة الجمل . وما أصنع به إن كان جمع بين غارين من الناس ثم تركهم وذهب . والضمير فى قولها : « تجمع » يعود إلى مرو الروذ ، ومعنى العبارة أنها تلومه على قعوده مع مصعب بن الزبير وتركه المسير الى مرو الروذ وفيها جيشان من المسلمين يتحاربان — وهما جيش الخوارج وجيش المهلب — فهى تحرض الأحنف على أن يسير بجيشه الى مرو الروذ ويترك مصعبا .

(٣) فى الأصل : «من» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٤) فى الأصل : «يمتحى» ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٦٢ من هذا السفر .

ما كان مال أبيـك ؟ قال : كانت له صِرْمة[1] يَمنَح منهـا ويَقرِى ، ولم يكن أهتم سَــلاحا .

وقيل : إن الحسـن[2] سئل عن قوله تعالى : ﴿قَدْ جَعَـلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِياً﴾ فقال : إنْ كان لَسَرِياً ، وإنْ كان لَـكريما ؛ فقيل له : من هو؟ قال : المسـيح ؛ فقال له حُمَيد بن عبد الرحمن[3] : أَعِدْ نظرا ، إنما السرىّ : الجَدول ؛ فأَنْعم له[4] ، وقال : يا حُمَيد ، غَلَبتا عليك الأمراء .

ومات ولدٌ طفلٌ لسليمانَ بن علىّ[5] ، فأتاه الناس بالبَصرة يعزّونه وفيهم شَبِيبُ بنُ شَيبَة وبكرُ بنُ حبيب السَّهْمىّ[6] ؛ فقال شبيب : أليس يقـال : إنّ الطفل لا يزال

(١) فى الأصل : «حرمة» بالحاء ؛ وهو تحريف . والصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .

(٢) الحسن : هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرىّ ؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ؛ وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارىّ رضى الله عنه وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصرى ومن الحجاج بن يوسف ؛ فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن ؛ وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ؛ وتوفى بالبصرة مستهل رجب سـنة عشر ومائة رضى الله تعالى عنه اهـ ملخصا من وفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٠ طبع بولاق .

(٣) هو حميـد بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ، ينتهى نسبه إلى زهرة بن كلاب ؛ وكنيته أبو عبد الرحمن ؛ روى عن سعيد بن زيد ومعاوية بن أبى سفيان وأبى هريرة والنعمان بن بشـير ؛ وكان ثقة عالما كثير الحديث ؛ وتوفى بالمدينة سنة خمس وتسعين اهـ ملخصا من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ١١٤ ، ١١٥ طبع مدينة ليدن .

(٤) أنعم له : أى قال له نعم . والذى فى الأصل : «نعم له» بدون ألف ؛ ولم نجده فيما لدينا من كتب اللغة بالمعنى المراد هنا .

(٥) كذا فى الأصل ؛ والذى فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبع بولاق أن الذى مات ولده هو إسحاق بن عيسى ؛ وعبارته : ودخل شبيب بن شبة على إسحاق بن عيسى يعزيه عن طفل أصيب به .

(٦) لم يرد هذا الاسم فى العقد الفريد ضمن هذه الحكاية .

محبنطئا [1] بباب الجنّة حتى يدخل أبواه ؟ فجاء بظاء معجمة ؛ فقال له بكر بن [2] حبيب : محبنطيا [1] ، بطاء مهملة ؛ فقال شبيب : إلّا أنّ من بين لابتيها يعلم أنّ القول كما أقول [3] ؛ فقال بكر : وخطأٌ ثانٍ ، ما للبصرة لابتان [4] ، أذهبت إليه [5] بالمدينة ؟.
(من بين لابتيها [6] : أى حرّتيها) .

٥ قيل : جلس محمدُ بنُ عبدالملك [7] يوما للظالم ، وحضر فى جملة النـاس رجلٌ زيُّه زىُّ الكُتّاب ، فجلس بإزاء محمد ، ومحمد ينفّذ الأمور وهو لا يتكلّم ، ومحمدٌ يتأمّله ؛ فلما خفّ المجلس قال له : ما حاجتك ؟ قال : جئتك — أصلحك الله — متظلّما ؛ قال : ممّن ؟ قال : منك ، ضيعةٌ لى فى يدِ وكيلك يحمل إليك غلّتها ، ويحول بينى وبينها ؛ قال : فما تريد ؟ قال : تكتب بتسليمها إلىّ ؛ قال : هـذا يحتاج فيـه
١٠ إلى شهودٍ وبيّنة وأشياءَ كثيرة ؛ فقال له الرجل : الشهودُ هم البيّنة ، وأشـياء كثيرة عِىٌّ منك ؛ فخجل محمدٌ وهاب الرجلَ ، وكتب له بما أراد .

---

(١) فى الأصل : « محتبنطئا » و « محتبطئا » بالتاء والياء فى كلتا الكلمتين ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا انظر العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبع بولاق ؛ ونص هذا الحديث فى اللسان . «ان السقط ليظل محبنطيا على باب الجنة » قال ابن الأثير فى النهاية : المحبنطئ بالهمز وتركه : المتغضب
١٥ المستبطئ للشىء .

(٢) فى العقد الفريد : قال إسحاق بن عيسى .

(٣) كذا فى الأصل ؛ وعبارة العقد الفريد : ألى يقال مثل هـذا وما بين لابتيها أعلم منى بها ؟ . ومعنى العبارتين مختلف ؛ وكلا المعنيين يستقيم به الكلام .

(٤) عبارة العقد : فقال له إسحاق : وهذه أيضا ، أللبصرة لابتان يالكع ؟ .

٢٠ (٥) إليه : أى إلى سليمان بن على ؛ ويريد بهذه العبارة أن اللابتين إنما هما للمدينة لا للبصرة .

(٦) فى الأصل : « الى » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٧) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٧٣ من هذا السفر .

ووُصِف ذو الرُّمَّةِ(١) لعبد الملك(٢) بن مروان بالذكاء وحسنِ الشعر، فأمر بإحضاره، فلما دخل عليه أنشده قصيدةً آفتتحها بقوله : "ما بال عينك منها الماءُ ينسكبُ" وكانت عينا عبد آلملك تَدْمَعان دائمـا، فظَنّ أنه عَرّض به، فغضب وقال : مالك ولهـذا السؤال يآبن آلخناء ؟ وقطع إنشادَه، وأمر بإخراجه .

ودخل أبو النجم(٣) على هشـام بن عبـد آلملك وأنشـده أُرجوزتَه التي أولُهـا : "الحمـد لله الوهوبِ آلمُجزِلِ(٤)" حتى آنتهى إلى قوله يصف الشمسَ عند الغروب : " وهي على الأُفْق كعين الأحوَلِ "، وآستَدرَكَ سقطةَ لسانه ، وقطع إنشادَه ، وعَلِم أنها زلّة ، لأنّ هشاما كان أحوَل، فقال له هشام كَمِّلْ إنشادَك ويلك وأَتِمّ البيت، وأمر بوجء(٥) عنقه وإخراجه من الرُّصافة(٦) .

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا السفر .

(٢) كذا في الأصل ؛ وقد وردت هذه القصة في محاضرات الأدباء للراغب ج ١ ص ١١٨ طبع جمعية المعارف بين ذي الرمة وهشام بن عبد الملك ؛ و يؤيد ذلك أن وفاة عبد الملك كانت في سنة ست وثمانين كما في كتب التاريخ وسن ذي الرمة إذ ذاك تسع سنين فإنه ولد في سنة تمان وسبعين كما يستفاد من ترجمته في وفيات الأعيان ، فقد ذكر في وفاته ما نصه وكانت وفاته سـنة سبع عشرة ومائة رحمه الله تعالى ، ولما حضرته الوفاة قال : أنا آبن نصف الهرم ، أنا آبن أربعين سنة اه

(٣) أبو النجم : هو المفضل ، وقيل : الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبده ينتهي نسبه إلى ربيعة بن عجل بن لجيم ؛ وهو من رجاز الإسلام الفحول المقدمين ، وفي الطبقة الأولى منهم ، وكان أبلغ في النعت من العجاج انظر الأغاني ج ٩ ص ٧٧ طبع بولاق ؛ وكانت وفاته في آخر دولة بني أمية كما في معاهد التنصيص ص ١٢ طبع بولاق .

(٤) كذا في الأصل والأغاني ج ٩ ص ٨٠ طبع بولاق ؛ و روايته في معاهد التنصيص ص ٩ طبع بولاق : "الحمد لله العلي الأجلل" و بعده : "الواهب الفضل الوهوب آلمجزل" .

(٥) الوجء : اللكز ، يقال : وجأ عنقه وفي عنقه .

(٦) يريد بالرصافة : رصافة هشام بن عبد الملك ؛ وهي في غربي الرقة ، بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية ؛ بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف ؛ ثم أورد ياقوت بعد هـذا الكلام ما يفيد أن الرصافة كانت مبنية قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير .

قال المدائنيّ : كان رجل من وَلَد عبدِ الرحمن بن سَمُرَةَ أراد الوثوب بالشام في زمن المهديّ ، فأُخِذ وحُمِل إليه ، فلمّا مَثَل بين يديه اعتذر ، فرأى منه المهديّ نُبلا وفضلا ، فعفا عنه وخلطه بجلسائه ؛ ثم قال له يوما : أنشِدْني شيئا من شعر زهير ، فأنشده قصيدتَه التي أوّلُها : "لِمَنِ الديارُ بقُنَّة الحِجْرِ"(١) حتى أتى على آخرها ، فقال المهديّ : مضى من يقول مِثلَ هذا(٢) ؛ فقال السَّمُريّ : وذهب والله من يقال فيه مِثلُه ؛ فاستشاط(٣) المهديُّ غضبا ، وأمَر أن يُجَرّ برِجله ، وألّا يُؤْذَنَ له بعدها .

ولنختم ما ذكرناه من أمر كتابة الإنشاء بشيء من الحِكَم .

ذكر شيء من الحكم

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "الحِكمةُ ضالّةُ المؤمن" .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : لكلّ جوادٍ كبوه ، ولكلّ حكيمٍ هفوه ، ولكلّ نفسٍ ملّة(٤) ، فاطلبوا لها طرائفَ الحكمة .

ومن الحديث النبويّ — صلواتُ الله تعالى وسلامُه على قائله — ممّا يدخل في هذا الفصل قولُه صلّى الله عليه وسلّم : "كرمُ الرجل دِينُه ، ومروءتُه عقلُه ، وحَسَبُه عملُه" . "خيرُ الأمور أوسطُها(٥)" . "كلٌّ ميسّرٌ لِما خُلِق له" .

(١) قنة الحجر : جبل ليس بالشامخ بحذاء الحجر ؛ والحجر : قرية بحدائها قرية يقال لها : الرحضية للأنصار وبني سليم من نجد (ياقوت) وقال في مستدرك التاج مادة قنن : قنة الحجر : قرب معدن بني سليم .

(٢) في الأصل : «يقول» بالبناء للفاعل ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

(٣) استشاط : التهب .

(٤) في الأصل : «ملمة» ؛ والميم زيادة من الناسخ .

(٥) رواه ابن الأثير في النهاية : «أوساطها» صيغة الجمع .

" زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حبًّا " . " الوُحدةُ خيرٌ من قرين السوء " . " البركةُ فى الحركة " .
" صِلوا أرحامَكم ولو بالسلام " . "من كَثَّر سوادَ قوم فهو منهم " . "ما قلّ وكفى
خيرٌ مما كثُر وألْهَى " . "ليس الغِنى عن كثرة العَرَض، إنّما الغِنى غِنى النفس" .

وقال أبو بكر الصِّدِّيقُ — رضى الله عنه — : صنائعُ المعروف تَقِى مَصارعَ السوء.

وقال علىّ بن أبى طالب : اِستغنِ عمّن شئتَ فأنت[(١)] نظيرُه، وٱحتَجْ إلى من
شئتَ فأنتَ[(١)] أسيرُه، وأَفْضِلْ على من شئتَ فأنت[(١)] أميرُه .

قال بعض الشعراء :

وإذا ما الرجاء أُسْقِطَ بين النـ * ـاس فالناسُ كلُّهم أَكْفاءُ

وقال لقمان لابنه : ثلاثةٌ لا يُعرَفون إلّا فى ثلاثة مواضعَ : لا يُعرَف الحليم
إلّا وقت الغضب ، ولا الشجاعُ إلا فى ٱلحرب اذا لاقى ٱلأقران ، ولا أخـوك
إلا عند حاجتك .

وقال عمر بن ٱلخطّاب رضى الله تعالى عنه : أَحَبُّكم إلينا قَبل أن نختبرَكم[(٢)] أحسَنُكم
صمتا، فإذا تكلّم فأَبْيَنُكم منطقا، فإذا ٱختبرناكم فأَحْسَنُكم فعلا .

وفى رواية : أَحَبُّكم إلينا أَحْسَنُكم ٱسما ، فإذا رأيناكم فأَجْمَلُكم مَنظَرا ، فإذا
ٱختبرناكم فأَحْسَنُكم مَخبَرا .

وخطب علىّ رضى الله عنه يوما فقال فى خطبته : وأَعْجَبُ ما فى الإنسان
قلبُه، له أمدادٌ[(٣)] من ٱلحكمة، وأضدادٌ من خلافها، فإذا سَنَح له الرجاءُ هاج به

---

(١) المشهور فى روايته « تكن » فى المواضع الثلاثة مكان قوله : «فأنت» ؛ والمعنى به تقيم على كلتا الروايتين .

(٢) فى الأصل : « نحركم » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله : فإذا اختبرناكم .

(٣) الأمداد : الأعوان، واحده مدد بالتحريك .

الطمع ، وإن هاج به الطمعُ أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأسُ قتله الأسف ، وإن عَرَض له الغضبُ اشتدّ به الغيظ ، وإن أُسعِد بالرضا نسيَ التحفُّظ، وإن ناله الخوفُ شغله الحزن، وإن أصابته مصيبةٌ قصمه الجزع، وإن أفاد مالا أطغاه الغِنى ، وإن عضّته فاقةٌ شغله البلاء ، وإن جَهَده الجوعُ أقعده الضعف ، فكلّ تقصيرٍ به مُضِرّ، وكلُّ إفراطٍ له مفسِد .

ومن كلامه — رضى الله عنه — : فَرَضَ الله تعالى الإيمانَ تطهيرا من الشِّرك، والصّلاةَ تنزيها عن الكِبر، والزكاةَ سببا للرزق، والصيامَ ابتلاء لإخلاص الخلق، والحجَّ تقويةً للبَدَن، والجهادَ عِزًّا للإسلام، والأمرَ بالمعروف مصلحةً للعوامّ[1]، والنهىَ عن المنكر رَدْعا للسفهاء، وصِلةَ الرحم منماةً للعَدد، والقِصاصَ حَقْنا للدماء، وإقامةَ الحدود إعظاما للمَحارم، وتَرْكَ شربِ الخمر تحصينا للعقل، ومجانبةَ السرقة إيجادا[2] للعفّة، وتَرْكَ الزنى تصحيحا للنَّسب، وتَرْكَ اللواط تكثيرا للنسل، والشهاداتِ استظهارا على المجاحَدات، وتَرْكَ الكذبِ تشريفا للصدق، والسلامَ أمانا من المخاوف، والإمامةَ[3] نظاما للأمّة، والطاعةَ تعظيما للإمامة[3] .

وقال فَرفُوريوس[4] : لو تميزت الأشياء بأشكالها لكان الكذبُ مع الجبن ، والصدقُ مع الشجاعة، والراحةُ مع اليأس، والتعبُ مع الطمع، والحرمانُ مع الحرص، والعزُّ مع القناعة، والأمنُ[5] مع العفاف، والسلامةُ مع الوُحدة .

(١) العوام : جمع عامة ، كدابة ودواب (المصباح) .

(٢) فى الأصل : «ايجازا» بالزاى؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٣) فى الأصل : «الأمانة» بالنون فى كلتا الكلمتين؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) كذا فى كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٥٦ طبع ليبسك؛ والذى فى الأصل : «فرفوريس» . وفرفوريوس هذا من أهل مدينة صور من ساحل الشأم؛ وكان بعد زمن جالينوس؛ وله البراعة فى علم الفلسفة والتقدم فى تفسير كتب أرسطوطاليس .

(٥) فى الأصل : «والأمر» بالراء؛ وهو تحريف .

وقال آخر: الشكرُ محتاجٌ إلى القبول، والحسبُ محتاجٌ إلى الأدب، والسرورُ محتاج إلى الأمن[1]، والقرابةُ محتاجة إلى المودّة، والمعرفةُ محتاجة إلى التجارِب، والشرفُ محتاج إلى التواضع، والنَّجدةُ محتاجة إلى الجَدّ.

وقال حكيم يونانيّ: السعاداتُ كلُّها في سبعة أشياء: حُسنُ الصورة، وصحّةُ الجسم، وطولُ العمر، وكثرةُ العِلم، وسَعَةُ ذات اليـد، وطِيبُ الذكر، والتمكّنُ من الصديق والعدوّ.

وقال بعض الأدباء — وقد سئل عن العيش — فقال: في الغِنى فإني رأيتُ الفقير لا يلتذّ بعيش أبدا؛ فقال له السائل: زِدْني، قال: في الصحّة، فإني رأيت المريض لا يلتذّ بعيش أبدا؛ فقال له: زِدْني، قال: في الأمن، فإني رأيت الخائف لا يلتذّ بعيش أبدا؛ قال: زِدْني؛ قال: لا أجد مَزيدا. وهـذا الكلام مأخوذ من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

"من أصبح آمنا في سِربِه[2]، مُعافًى في بَدَنه، عنـده[3] قوتُ يومه، فكأنّمـا حِيزتْ له الدنيا بحذافيرها".

وقال فيلسوف: كثيرٌ من الأمور لا تَصلُح إلّا بقُرَنائها: لا ينفع العِلمُ بغير ورع، ولا الحفظُ بغير عقل، ولا الجمالُ بغير حلاوة، ولا الحسبُ بغير أدب، ولا السرورُ بغير أمن، ولا الغِنى بغير كفاية، ولا الاجتهادُ بغير توفيق.

---

(١) في الأصل: "الأمر" بالراء؛ وهو تحريف.

(٢) السرب بكسر السين: النفس.

(٣) كذا في الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٥٢ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء ج ١ ص ٢٠١ طبع جمعية المعارف بمصر، والذي في الأصل «له» بدل قوله: «عنده»؛ وقد نقلت عن عده ... أيديا من المطال.

وقالوا : المنظرُ يحتاج إلى القبول، والحسبُ إلى الأدب، والسرورُ إلى الأمن، والقُرْبى إلى المودّة ، والمعرفةُ إلى التجارِب ، والشرفُ إلى التواضع ، والنجدةُ إلى الجِـدّ[1] .

وقال علىٌّ رضى الله عنه : يَغلِب المقدار على التقدير، حتى تكون الآفةُ
٥ فى التدبير .

أخَذه ابنُ الرومىّ فقال :

غَلِطَ الطبيبُ علىَّ غلطةَ مُورِدٍ * عَجَزتْ مَوارِدُه[2] عن الإصدارِ
والناس يلحَون الطبيبَ وإنّما * غَلَطُ الطبيبِ إصابةُ المقدارِ

وقال : اذا انقضت المدّه، كان الهلاك فى العُدّه .

١٠ وقال القدماء : لا خيرَ فى القول إلّا مع الفعل ، ولا فى المَنظَرِ إلّا مع المَخبَر ، ولا فى المالِ إلّا مع الجود ، ولا فى الصديق إلّا مع الوفاء ، ولا فى الفقهِ إلّا مع الورع ، ولا فى الصدقةِ إلّا مع حسن النيّة ، ولا فى الحياةِ إلّا مع الصحّة ، ولا فى السرورِ إلّا مع الأمن .

قال بعض بنى تميم : حضرتُ مجلس الأحنف بنِ قيس وعنده قوم مجتمعون،
١٥ فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال : إن الكرَم، مَنْعُ الحُرَم؛ ما أقربَ النِّقمةَ من أهل البغى! لا خيرَ فى لذّة تُعقِب ندما؛ لن يَهلِكَ مَن قَصَد، ولن يفتقرَ مَن زَهَد، ربَّ هزلٍ قد عاد جِدّا؛ من أَمِن الزمانَ خانه، ومن تعظّم عليه أهانه؛ دَعوا المزاح فإنه

---

(١) تقدّم هذا الكلام فى صفحة ١٨٤ مع تغيير يسير فى عباراته .

(٢) كذا فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٠٠ طبع بولاق وغيره من المصادر التى بين أيدينا ؛ والذى
٢٠ فى الأصل : « محابه » ؛ وهو تحريف .

يؤرّث[1] الضغائن؛ وخيرُ القول ما صدّقه الفعل؛ احتملوا مَن أَدَلَّ عليكم ، واْقبلوا عذرَ من اْعتذر إليكم؛ أطع أخاك وإن عصاك، وصِلْه و إن جفاك؛ أَنصِفْ مِن نفسِك قبل أن يُنتصَف منك ؛ وإيّاكم ومشاورةَ النساء ؛ واْعلم أنّ كفر النعمة لؤم، وصحبةَ اْلجاهل شؤم؛ ومِن الكرم، الوفاء بالذمم؛ ما أقبحَ القطيعةَ بعد الصِّلة؛ والجفاء بعد اللُّطْف، والعداوةَ بعد الوُدّ ! لا تكونَنّ على الإساءة أَقوَى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أَسرَعَ منك إلى البذل ؛ واْعلم أنّ لك من دنياك ، ما أصلحتَ به مَثواك، فأَنفِق فى حقٍّ ولا تكونَنّ خازنا لغيرك ؛ واذا كان الغدرُ موجودا فى الناس فالثقةُ بكلّ أحد عَجْز ؛ اعرِف اْلحقَّ لمن عرَفه لك؛ واْعلم أنّ قطيعةَ الجاهل، تعدل صِلةَ العاقل . قال : فما رأيتُ كلاما أبلغَ منه ، فقمتُ وقد حفظتُه . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ومن كلام علىٍّ رضى الله عنه : من أَبصَر عيبَ نفسه شُغِل عن عيب غيره ؛ ومن سَلّ سيف البغيِ قُتِل به ؛ ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ؛ ومن هَتَك حجابَ أخيه اْنهتكتْ عوراتُ بيتِه[2] ؛ ومن نسىَ خطيئته اْستَعظَم خطيئةَ غيره ، ومن تَكبّر على الناس زَلّ ؛ ومن سَفُه على الناس شُتِم ؛ ومن خالط العلماءَ وُقِّر ، ومن خالط الأنذالَ حُقِّر ؛ ومن أكثر من شيءٍ عُرِف به ؛ والسعيدُ من وُعِظ بغيره ؛ وليس مع قطيعة الرحم تُقَى ، ولا مع الفجور غِنى ؛ رأسُ العلم الرفق ، وآفتُه الخُرْق ؛ كثرةُ الزيارة تورث اْلملالة .

وقال موسى بنُ جعفر: ماتَسابَّ[3] اْثنان إلّا اْنحطّ الأعلى إلى مرتبة الأسفل .

(١) يقال : أرّث النار تأريثا ، إذا أوقدها ؛ وما هنا مستعار منه .

(٢) فى الأصل : « بنته » بالنون؛ وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل : «ما أشب » ؛ وهو تحريف .

وقال آخر : ما تَسابَّ آثنان إلا غَلَب ألأمُهما .

وقال الحسن بن عليّ بن موسى الرِّضيّ : اعلم أن للحِباء[1] مقدارا فإن زاد عليه فهو سَرَف ، وللحزم مقــدارا فإن زاد عليه فهو جبن ، وللاقتصاد مقــدارا فإن زاد عليه فهو بخـــل .

٥ قال مهديّ بن أبان : قلتُ لوَلّادةَ العَبْدِيّة ـــ وكانت من أعقل النساء ـــ : إنّى أريد آلج فأوصينى ، قالت : أُوجِزُ فأبلغ ، أم أطيلُ فأُحْكِم ؟ فقلت : ماشئتِ ؛ فقالت : جُدْ تَسُدْ ، وآصبر تفُز ؛ قلت : أيضا ؛ قالت : لا يُبعِد غضبُك حلمَك ، ولا هواك علمَك ؛ وقِ دينَك بدنياك ، وقِ عِرْضَك بعَرَضِك ؛ وتَفَضَّلْ تُخدَم ، وآحلمْ تُقدَّم ؛ قلت : فبمن أستعين ؟ قالت : بالله ؛ قلت : من الناس ؛ قالت : الجَــلْد ١٠ النشيط ، والصالح الأميـــن ؛ قلت : فمن أستشير ؟ قالت : المجرَّبَ الكَيِّس ، أو الأديبَ الأريب ؛ قلت : فمن أستصحب ؟ قالت : الصديقَ المسلِّم، أو المؤاخى[2] المتكرِّم ؛ ثم قالت : يآبنـاه ، إنك تَفِد إلى مَلِك الملوك فآنظر كيف يكون مقامُك بين يديه .

وقال حكيم : مَن الذى بلغ جسيما فلَم يَبطَر[3] ، وآتّبع آلهوى فلَم يَعطَب ؛ وجاوَر ١٥ النساء فلَم يَفتتن ، وطَلب إلى اللئام فلَم يُهَنْ ، وواصَــل الأشرارَ فلَم يندم ، وصَحِب السلطانَ فدامت سلامتُه . (٣٧)

---

(١) الحباء بالكسر : العطاء .

(٢) فى الأصل : « المداجى » بالدال والجيم ، وهو تحريف مفسد للمعنى ؛ فإن المداجاة : المداراة ومساترة العداوة .

٢٠ (٣) فى الأصل : « ينظر » ؛ وهو تصحيف لا يستقيم به آلمعنى .

وقال : الاعتبارُ يفيدك[1] الرشاد، وكفاك أدبا لنفسك ما كرهتَ من غيرك .

وكان يقال : عليكم بالأدب فإنه صاحبٌ فى السَّــفر ، ومُؤنِسٌ فى الوُحدة، وجمالٌ فى المَحْفِل، وسببٌ إلى طلب الحاجة .

وقال بعضهم : احذر كلَّ الحذر من أن يخدعك[2] الشـيطان فيمثِّلَ لك التوانىَ فى صورة التوكّل، و يُورثك الهُوَيْنَى[3] بالإحالة على القَدَر، فإن الله تعالى أمر بالتوكّل عند انقطاع الحِيَل،و بالتسليم للقضاء بعد الإعذار، فقال تعالى : «خُذُوا حِذْرَكُمْ» « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » .

وقال آخر: لا تجاهـد الطلبَ جهادَ الغالب، ولا تتّـكل على القـدر اتّـكالَ المستسلِم ، فإنّ ابتغاءَ الفضل[4] من السنّة ، والإجمالَ فى الطلب من العفّة، وليست العفّةُ بدافعة رزقا، ولا الحرصُ بجالب فضلا .

وقالوا : عشرُ خصـالٍ فى عشرة أصـناف أقبحُ منهـا فى غيرهم : الضـيقُ فى المـلوك، والغدرُ فى الأشراف، والكذبُ فى القضـاة، والخديعـةُ فى العلماء ، والغضبُ فى الأبرار[5]، والحرصُ فى الأغنياء، والسَّفَهُ[6] فى الشيوخ، والمرضُ فى الأطبّاء، والزَّهوُ فى الفقراء، والفجورُ فى القُرّاء[7] .

---

(١) فى الأصل : « يعتدك » بالعين والتاء، وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «يدعك» بسقوط الخاء؛ والتصويب عن محاضرات الأدباء للراغب ج ١ ص ٣٠٥ طبع جمعية المعارف بمصر .

(٣) كذا فى محاضرات الأدباء؛ والذى فى الأصل . «يريك تهوينا» ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(٤) فى الأصل : «بالفضل» ؛ والباء زيادة من الناسخ .

(٥) لعله : «فى الأمراء» .

(٦) فى الأصل : « والسعة » ؛ وهو تحريف .

(٧) المراد بالقرّاء : حفظة القرآن والتالون له .

وقالوا : ثمانيةٌ إذا أهينوا[1] فلا يلوموا إلّا أنفسهم : الآتى طعاما لم يُدْعَ إليه، والمتأمِّرُ على ربّ ٱلبيت فى بيته ، وطالبُ ٱلمعروف[2] من غير أهله ، وراجِ مِنَ الفضلِ من ٱللئام، والداخلُ بين ٱثنين لم يُدخِلاه، والمستخفُّ بالسلطان، والجالسُ مجلسا ليس له بأهل، والمقبِلُ بحديثه على من لا يسمعه .

٥ ومن الأبيات المناسبة لهذا الفصل قولُ الأضبَط بن قُرَيع :

لِكلّ ضِيقٍ من ٱلهموم سَعَه * والمُسْىُ والصبح لا بقاءَ معه
فصِلْ حبالَ البعيد إن وصل ٱلـ * ـحبلَ وأقصِ القريبَ إن قطعَه
وخذ من الدهر ما أتاك به * من قرّ عينا بعيشه نفَعه
لا تَحقِرنّ[3] الفقيرَ علّك أن * تَركَع[4] يوما والدهرُ قد رفَعه
١٠ قد يَجمع ٱلمالَ غيرُ آكلِه * ويأكل المالَ غيرُ مَن جَمَعه

وقال أُحَيحة :

فما يدرى الفقيرُ متى غِناه * ولا يدرى الغنىّ متى يَعِيلُ[5]
ولا تدرى إذا أَزمعتَ أمرا * بأىّ الأرض يأتيك ٱلمَقِيلُ

(١) فى الأصل : « هيئوا » ؛ وهو تحريف .

١٥ (٢) فى الأصل : « المعروه » بالهاء؛ وهو تحريف .

(٣) فى اللسان مادة «ركع» ولا تهين الخ . وقال : أراد «ولا تهينن» بجعل النون ألفا ساكنة فاستقبلها ساكن آخر فسقطت .

(٤) يقال ركع الرجل، إذا افتقر بعد غنى وٱنحطت حاله .

(٥) يعيل . يفتقر .

وقال الصَّلَتان العبدىّ[1] :

أشـاب الصـغيرَ وأَفنَى الكبيـ * ـرَ كَرُّ[2] الغـداة ومَرُّ العَشِى

إذا ليـلةٌ هَرَّمتْ[3] يومَها * أتَى بعـد ذلك يومٌ فَتِى

نروح ونغـدو لحـاجاتنا * وحاجةُ من عاش لا تنقضِى

تمـوت مع المـرء حاجاتُه * وتبـقَى له حاجـةٌ ما بَقِى ٥

وقال المتنبّى :

ذكرُ الفتى عُمرُه الثانى وحاجتُه * ما قاته وفضولُ العيش أشغالُ

وقد جُمِعَ من شعر أبى الطيّب فى ذلك ما وافق كلام أَرِسْطوطاليسَ فى الحكمة؛ فمن ذلك قول أَرِسْطوطاليسَ : إذا كانت الشهوةُ فوق القدرة كان هلاكُ الجسم[4] دون بلوغ الشهوة . ١٠

قال المتنبّى :

وإذا كانت النفوس كبارا * تَعِبتْ فى مُرادها الأجسامُ

وقال أَرِسْطوطاليس : قد يفسد العضو لصلاح أعضاء، كالكىّ والفصد اللّذين يُفسِدان الأعضاءَ لصلاحِ غيرِها . نقله المتنبّى إلى شعره فقال :

---

(١) كذا فى الأصل ومعاهد التنصيص ص ٣٥ طبع بولاق؛ ونقل صاحب معاهد التنصيص أيضا عن الجاحظ فى كتاب الحيوان نسبة هذه الأبيات الى الصلتان السعدى، وقال — أى الجاحظ — : هو غير الصلتان العبدى . ١٥

(٢) كذا فى معاهد التنصيص؛ والذى فى الأصل : «لواء» ولعله مقلوب «ولاء» بتقديم الواو المكسورة، وهو المتابعة، مصدر والى الشىء : أى تابعه، فإن المعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) فى الأصل : «هزمت»؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما فى اللسان؛ ويدل عليه أيضا مقابلته بقوله فى آخر البيت : «يوم فتى» . ٢٠

(٤) فى الأصل : «الهم»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

لعلّ عَتْبَك محمودٌ عواقبُه * فربّما صحّت ٱلأجسادُ بالعِلَلِ

وقال أَرِسْطوطاليس : الظلم من طبع النفوس، وإنما يصُدّها عن ذلك إحدى علّتين : إمّا علّة دينيّة خوف مَعاد، أو علّة سياسيّة خوف سيف

قال المتنبّى :

٥ والظلمُ من شِيَم النفوس فإن تجِدْ * ذا عفّـةٍ فلعـلّةٍ لا يَظلِمُ

هـذا ما ٱتفق إيرادُه فى هذا البـاب من أمر كتابة الإنشـاء، وكلامِ الصحابة وٱلخلفاء، وذوى الفصاحة من الأمراء، وبلاغاتِ ٱلخطبـاء والفصحاء، ورسائلِ الفضلاء والبلغاء، وفِقَرِ الكتّاب والأدباء، وحِكَمِ أوائل ٱلحكماء ؛ وهو ممّـا يُضطرّ الكاتبُ إليه، ويَعتمِد فى ٱلاطلاع على ما خفى من أمر هذه الصناعة عليه ؛ وهى ١٠ إشاراتٌ إلى مجموعِها، ورشـفاتٌ من يَنبوعِها ؛ وبابٌ يتوصّل منه إلى رحابِهـا، وسلّمٌ يرتقى عليه إلى هضابِها، ومَسِيلٌ عذبٌ يتّصل بعبابِها؛ فقد وَضَح لك أيها الطالبُ السبيل، وظهر لك أيّهـا الراغبُ قيام الدليل؛ وفيما أوردناه كفايةٌ لمن تمسّك بهذه الصناعة ورغب فيها، وغُنيةٌ لمن تأمّل مقاصدها وتدبّر معانيها؛ فلنذكر كتابةَ الديوان والتصرّف .

---

١٥ ذكر كتابة الديوان وقلم التصرف وما يتصل بذلك (٢٨)

قد ذكرنا فى أوّل هذا الباب فى السفر السابع من هذا الكتاب ٱشتقاقَ الكتابة، ولِمَ سُمّيتْ بذلك، وذكرنا أيضا أصلَها وشرفَها وفوائدَهـا ، فلا حاجة إلى إعادته فى هـذا ٱلموضع ، فلنذكر ٱلآن ما يتعلّق بقلم الديوان والتصرّف وٱلحساب ؛ وإن كنّا قدّمنا ذكرَ كتّابِ الإنشاء لِـما هم بصدده من الصداره والوجاهه، والنبالةِ والنباهه؛ ٢٠ والفصاحةِ والصباحه، والنزاهةِ والسماحه؛ والأمانةِ والديانه، والسيادة والصيانه؛

ولِمـا تصدّوا له مِن كتم أسرار الدُّوَل، وتردّوا به من محاسنِ الأواخرِ ومآثرِ الأُوَل، واْلتَحفوا به من مَطـارف الفضائل والمكارم، وتحلّوا به من صـفات الأفاضل والأكارم؛ الى غير ذلك من مناقبهم الجمّـه، وأياديهم الّتى وَضَحتْ غررا فى ليالى الخطوب المدلهمّه؛ فكُتّابُ الحساب أكثرُ تحقيقا، وأقربُ إلى ضبط الأموال طريقا، وأَدَلُّ برهانا، وأَوضحُ بيانا، قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ وذهب بعض المفسرين لكتاب الله تعالى فى قوله تعـالى إخبارا عن يوسف عليـه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، أى كاتبٌ حاسب.

وروى البخارىّ عن أبى حُمَيد الساعدىّ قال: "استعمل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رجلا من الأَسْد[1] على صدقات بنى سَلِيم يُدعَى ابنَ اللُّتْبِيّة[2] فلمّا جاء حاسَبَه" فقد صحّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاسَبَ؛ وبكُتّاب الحساب تُحفَظ الأموال وتُضـبَط الغلال، وتُحدّ قوانينُ البلاد، وتُميَّز الطوارفُ من التّلاد؛ لم يفخر كُتّاب الإنشاء بمَنقَبة إلا فخَروا بمناقب، ولا سَمَوا إلى مرتبـة إلّا وقد رَقَوا إلى مراتب؛ ولا تميّزوا برسالة[3] إلّا ولهؤلاء فيها القِدْحُ المعلَّى، ولا نُسِبوا إلى نباهة إلّا ومحلُّهم فيها

(١) كذا فى الأصل بالسين، وهو أفصح؛ ويقال فيه: "الأزد" بالزاى، وهو أبو حى من اليمن، ومن أولاده الأنصار كلهم.

(٢) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط؛ وقد أثبتناها هكذا نقلا عن صحيح البخارى ج ١ ص ٣٨٢ طبع ليدن واللتبية: أمه، نسبة إلى بنى لتب بالضم، وهم حى من الأزد؛ ومنهم من يفتح اللام والتاء المثناة؛ وفى بعض الروايات: «الأتبية» بالهمز؛ وفى رواية أخرى بضم ففتح؛ واسم ابن اللتبية هذا: عبد الله انظر شرح القاموس مادة (لتب).

(٣) كذا وردت هـذه الكلمة فى الأصل، ولعل فيها تحريفا فإن رسائل المنشئين ليس لكتاب التصرف فيها القدح المعلى كما قال إلا اذا كانوا منشئين أيضا؛ ولعـل صوابه «بنبالة» ويرجحه حصول الجناس بها مع قوله فى الجملة الآتية «نباهة» والمؤلف يميل إلى هذا النوع فى كتابته؛ وقد سبق أن جمع بين الكلمتين فى صفحة ١٩١ س ١٩.

المحلُّ الأرفعُ ومقامُهم المقامُ الأعلى ؛ ولا اتصفوا بكتمان سرٍّ إلّا اتصف هؤلاء بمثله ، ولا شُهِروا ببــذل بِرٍّ إلا وهؤلاء هم أعيان أهله ؛ ثم اختصّ كُتّابُ التصرف بأمورٍ مُنِــع أولئك منها ، وأُطلِقتْ أقلامُهم فى أقلامٍ[1] حُبِستْ أقلامُ أولئك عنها ؛ وارتقَوا إلى قُلَل مراتبَ كَبَتْ جيادُهم عن إدراك غايتِهــا ، وتسنّموا ذرا مناصبَ لا تمتــدّ الآمالُ[2] إلى أكثرَ من نهايتِهــا ؛ ولسنا نقيمهم فى محلّ المناظره ، ولا نوقفهم فى موقف المكاثرة والمفاخره ؛ بل لكلّ طائفةٍ فضــلٌ لا ينكَر ، وفضائلُ هى أشهرُ من أن تملى وتسطَّر ؛ ولمّــا انتهيتُ فى كتابى هذا إلى باب الكتابة ، أردت أن أضرب عن ذكر كتابة التصرّف صفحا ، ولا أُعيرها من النظر لمحا ، وأقتصر على كتابة الإنشاء جريا على عادة من صــنّف ، وقاعدةِ من ألّف ؛ فسألنى بعض إخوانى أن أضع فى ذلك ملخّصا يَعلم منــه المباشِرُ كيف المبــاشَره ، ويستضىء به فيما يسترفِعُه[3] أو يرفعه من ضريبةٍ ومُوافَره[4] ؛ فأوردتُ[5] هــذه النُّبذة إزالةً[6] لسؤاله ، وتحقيقــا لآماله ؛ وذكرتُ من صناعة الكتابة ما هو بالنسبة الى مجموعها قطرةٌ من بحرها ، وشَذْرةٌ من عقود درّها ؛ ممّــا[7] لا بدّ للمبتدى من الإحاطة بعلمــه ، والوقوفِ عنــد رسمه ؛ وحين وضعتُ ما وضعتُ من هــذه الصناعة لم أقِفْ قبل ذلك على كتاب فى فنّها

(١) المراد بالأقلام هنا : أنواع كتابة الديوان كما هو المصطلح عليه عند كتاب الدواوين فى زماننا ؛ وبالتى قبلها والتى بعدها : جمع القلم بالمعنى المعروف .

(٢) فى الأصل : « الأمثال » ؛ والثاء زيادة من الناسخ .

(٣) يسترفعه : أى يطلب من غيره أن يرفعه إليه . ويرفعه : أى يرفعه هو إلى غيره .

(٤) فى الأصل : « مواحره » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «فأردت» بسقوط الواو ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٦) فى الأصل : « إرادة » وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) فى الأصل : « مما » ؛ وهو تحريف .

مصنّف، ولا آنتهيتُ إلى فصل مترجَم بهـا أو مؤلّف؛ ولا لمحتُ فى ذلك إشاره، ولا سمعتُ من نخّص فيها عباره؛ ولا من تفوّه فيها ببنت شـفة ولسان، ولا من صرّف ببنانٍ بلاغتـه فى ميادينها العنان؛ حتى أقتدىَ بمثاله، وأنسُجَ على منواله؛ وأسلك طريقه فى الإجاده، وأحذوَ حذوَه فى الإفاده؛ بل وجدتُها مقفَلةَ الباب، مسبَلةَ الحجاب؛ قد آكتفَى كلُّ كاتب فيهـا بعلمه، وآقتصر على حسب فهمه؛ فراجعتُ فيها الفكره، وعطفتُ بالكرّة بعد الفتره؛ ثم قرعتُ بابها ففُتِح بعد غَلَقِه، ورفعتُ حجابَها ففُتِق بعد رَتْقِه؛ وآمتطَيتُ صهوتَها فلانت بعد جماحِها، وآرتقيتُ ذُروتَها فظهر للفكرة طريقُ نجاحِها؛ فشرعتُ عنـد ذلك فى تأليف ما وضـعتُه، وترصيف ما صنّفتُه؛ وبدأتُ بآشتقاق تسمية الديوان، ولِمَ سُمِّىَ ديوانا، ثم ذكرت ما تفرّع من كتابة الديوان من أنواع الكتابات، وأوّلَ ديوان وُضع فى الإسـلام، وسببَ وضـعِه، ثم ذكرت ما يحتاج اليه كلُّ مباشر من كيفيّة المباشَرة وأوضاعها، وما آستقرّتْ عليه آلقواعد العرفيّـة، والقوانينُ الاصطلاحيّة، وما يرفعه كلُّ مباشر ويسترفعه، والأوضاع آلحسابية، على ما ستقف إن شاء آلله تعالى عليه، وترجع فيما أشكَلَ من أمورها إليه.

---

(١) فى الأصل: «لمط»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى. ومترجم بفتح الجيم: أى مسمى.

(٢) فى الأصل: «بنيان»؛ وهو تصحيف.

(٣) فى الأصل: «وأبيح»، وهو تحريف.

(٤) الغلق: مصدر غلقت الباب بدون ألف، وهى لغة قليلة قال الشاعر: «ولا أقول لباب الدار مغلوق».

(٥) فى الأصل: «صهرتها» بالراء؛ وهو تحريف.

(٦) لعله: «وصفته» إذ به مع قوله: «صنعته» فى الجملة الآتية يستقيم السجع الذى التزمه المؤلف.

(٧) الترصيف: التجميع والتنضيد، يقال: رصف الحجارة ورصفها بتخفيف الصاد وتشديدها.

(٨) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر.

ذكر آشتقاق تسمية الديوان ولم سمّى ديوانا ومن سمّاه بذلك

قد آختُلِف فى تسمية الديوان ديوانا على وجهين : أحدهما أنّ كسرى آطّلع ذات يوم على كتّاب ديوانه ، فرآهم يحسُبون مع أنفسهم ، فقال : دِيوانه : أى مجانين ؛ فسُمِّىَ موضعُهم بهذا الآسم، ثم حُذفت الهاء لكثرة الآستعمال تخفيفا للآسم ، فقيل : ديوان . والثانى أن الديوان بالفارسيّة آسمٌ للشياطين، فسُمِّىَ الكتّابُ بآسمهم لِحذقهم بالأمور[(١)]، ووقوفِهم على آلجلىّ وآلخفىّ، وجمعِهم لما شذّ[(٢)] وتفرّق، وآطلاعِهم على ما قرُب وبعُد، ثم سُمِّىَ مكانُ جلوسهم بآسمهم، فقيل: ديوان . هذا ما قيل فى تسميته[(٣)] على ما حكاه آلماوردىّ فى الأحكام السلطانيّة ؛ والله أعلم .

ذكر ما تفرّع عن كتابة الديوان من أنواع الكتابات

هذه الكتابة تنقسم إلى أقسام ووظائف: أصولٍ وفروع، وهى: مباشَرةُ آلجيوش، ومباشَرةُ الخزانة ، و بيتِ المال ، وأهراءِ[(٤)] الغلال، ومباشَرةُ البيوت ، ومباشَرةُ آلهلالىّ[(٥)]، ومباشَرةُ آلجوالِى[(٥)] ، ومباشَرةُ آلخراجىّ ، ومباشَرةُ الأقصاب وآلمعاصر ومطابخ السكّر، ويحتاج مباشرُ كلِّ وظيفة من هذه الوظائف إلى معرفة قواعدَ يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى ؛ ولنبدأ بذكر مباشرة آلجيوش .

---

(١) كذا فى الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٩٠ بالباء؛ ولعله « فى الأمور » ؛ إذ لم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أنه يقال : حذقت بالشىء ؛ والذى وقفنا عليه أنه يقال : حذقته ، وحذقت فيه .

(٢) فى الأصل : « شدّد » بدالين مهملتين؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «تسميتهم» والميم زيادة من الناسخ، فإن المراد تسمية الديوان .

(٤) الأهراء : جمع « هُرِىّ » بضم الهاء وكسر الراء وتشديد الياء، وهو بيت كبير تجمع فيه الغلال التى للسلطان ؛ قال الأزهرى : لا أدرى أعربى هو أم دخيل .

(٥) سيأتى شرح الهلالى والجوالى عند الكلام على ما يحتاج إليه مباشر كل منهما .

ذكر مباشرة ديوان الجيش وسبب وضع الدواوين وأول من وضعها فى الإسلام

وديوانُ الجيش هو أوّلُ ديوان وُضِع فى الإسلام[(١)]، وضعه عمرُ بنُ الخطّاب — رضى الله عنه — فى خلافته؛ وقيل : بل وُضِع فى عهد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، ويدلّ على ذلك أن البخارىّ — رحمه الله — ترجَم على هـذا بقوله : باب كتابة الإمام النـاسَ، قال : حدّثنا محمدُ بن يوسف، قال : حدّثنا سفيانُ عن الأعمش عن أبى وائلٍ عن حُذَيفةَ : قال النبى صلّى الله عليه وسلّم : "اكتبوا لى من تلفّظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل" وقد روى البخارىّ أيضا بسنده عن ابن عبّاس — رضى الله عنهما — قال : "جاء رجل إلى النبى صلّى الله عليه وسلّم فقال : يارسول الله، إنّى اكتُتبتُ[(٢)] فى غزوة كذا وكذا، وامرأتى حاجّة؛ قال : ارجع فاحجُج مع امرأتك"

واختلف الناس فى سبب وضعه فى أيّام عمر، قال قوم : سببُه أنّ أبا هُرَيرة — رضى الله عنه — قَدِم بمـال من البحرين، فقال له عمر رضى الله عنه : ما ذا

(١) فى صبح الأعشى ج ١ ص ٩١ أن أول ديوان وضع فى الإسلام هو ديوان الإنشاء؛ قال : وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكاتبونه الخ ثم قال أيضا : وهذه المكتوبات متعلقها ديوان الإنشاء .

(٢) كذا فى اللسان مادة كتب؛ والذى فى الأصل : «إنى اكتسيت»؛ وهو تحريف؛ وفى صحيح البخارى ج ٤ ص ٧٢ طبع بولاق سنة ١٣١١ : «كتبت» وقد روى البخارى هـذا الحديث أيضا فى ج ٣ ص ١٩ طبع بولاق برواية أخرى ، وهى : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «لا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم ، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم؛ فقال رجل : يارسول الله ، إنى أريد أن أخرج فى جيش كذا وكذا وامرأتى تريد الحج؛ فقال : اخرج معها» ولا شاهد فيه على هذه الرواية حيث قال : «إنى أريد أن أخرج» ولم يقل : «إنى كتبت» .

جئتَ به ؟ قال خمسمائة ألفِ درهم، فٱستكثَرَه عمرُ وقال : أتدرى ماتقول؟ قال : نعم، مائة ألف خمس مرات؛ فقال عمر : أطَيِّبٌ[(١)] هو ؟ فقال : لا أدرى؛ فصَعِد عمرُ رضى الله عنه المنبرَ، فحمِد الله وأثنَى عليه، ثم قال : أيها الناس، قد جاءنا مالٌ كثير، فإن شئتم كِلنا لكم كيلا، وإن شئتم عَدَدنا [لكم عدّا][(٢)]؛ فقام إليه رجل فقال: يا أميرَ المؤمنين، قد رأيتُ الأعاجم يدوِّنون ديوانا لهم، فدوِّن أنت [لنا][(٣)] ديوانا .

وقال آخرون : بل سببُه أنّ عمر — رضى الله عنه — بعث بعثا وعنده الهُرمُزانُ[(٤)]، فقال لعمر : هذا بعثٌ قد أعطيتَ أهلَه الأموال، فإن تخلَّف رجلٌ منهم وأخَلَّ[(٥)] بمكانه فمن أين يَعلَم صاحبُك[(٦)] ؟ فأَثبِتْ لهم ديوانا ؛ فسأله عن الديوان حتى فسّره له .

ورَوَى [عابد بن يحيى][(٧)] عن [الحارث][(٧)] بن نُفَيل أن عمر رضى الله عنه استشار المسلمين فى تدوين الدواوين ، فقال علىّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه : تَقسِم فى كلِّ سنة ما ٱجتمع إليك من المال ولا تُمسِك منه شيئا ؛ وقال عثمان بن عفّان — رضى الله عنه — : أرى مالا كثيرا يسَع الناسَ، وإن لم يُحصَوا حتى يُعرَف من أخَذ ممن لم يأخذْ خشيتُ أن ينتشر الأمر ؛ فقال خالد بنُ الوليد : قد كنتُ بالشأم

(١) الطيب : الحلال، وهو ضد الخبيث، أى هل اكتسبه دافعوه من حلال ؟ .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٤ طبع ألمنيا .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية .

(٤) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ والأحكام السلطانية؛ والذى فى الأصل : « الفيرزان »؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « آخر» وفى الأحكام السلطانية : «وأجل» وهو تحريف فى كليهما والتصويب عن صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ ومقدمة ابن خلدون ص ١١٨ طبع بولاق .

(٦) يريد بقوله : «صاحبك» أمير الجيش؛ وزاد فى الأحكام السلطانية بعد هذه الكلمة قوله : به .

(٧) هاتان الكلمتان ساقطتان من الأصل؛ وقد أثبتناهما عن الأحكام السلطانية .

فرأيتُ ملوكها دَوّنوا ديوانا، وجَنّـدوا جنودا، [فدَوِّنْ ديوانا، وجَنِّد جنودا][1] فأَخَذ بقوله، ودعا عَقيــلَ بنَ أبي طالب ومَخْرَمةَ[2] بنَ نوفل وجُبَيْرَ بنَ مطعم — وكانوا من كُتّاب قريش — فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فبدءوا ببنى هاشم فكتبوهم، ثم أتبعوهم قومَ أبي بكر، ثم عمرَ وقومَه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة[3]، ثم رفعوا ذلك إلى عمر رضى الله عنه، فلمّا نظر فيه قال: لا، [ما][4] وَدِدتُ أنّه كان هكذا، ولكن ٱبدءوا بقرابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله؛ فشكره العباس رضى الله عنه على ذلك؛ وكان ذلك فى المحرّم سنة عشرين من الهجرة، وقيــل فى سنة خمس عشرة، — والله أعلم —؛ فلمـا ٱستقرّ ترتيب الناس فى الدواوين على قَدْر[5] النسب المتصل برسول الله صلّى الله عليه وسلّم فَضّل بينهم فى العطاء على قدر السابقة فى الإسلام. وسنذكر إن شاء الله فى خلافة عمر رضى الله عنه ما فرضه من العطاء لكلّ طائفة على ما ستقف عليه — إن شاء الله تعالى — فى موضعه من فنّ التاريخ؛ وهو فى السفر السابع عشر من كتابنا هذا؛ فهذا كان سببَ وضع ديوانِ الجيش.

وأما دواوين الأموال — فإنها كانت بعد ظهور الإسلام بالشأم والعراق على ما كانت عليه قبل الإســلام، فكان ديوان الشأم بالروميّة لأنه كان من ممالك

(١) التكملة عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٥ طبع ألمانيا.

(٢) كذا فى مستدرك التاج؛ والذى فى الأصل والأحكام السلطانية: «مخرمة» بالحاء المهملة والزاى المعجمة؛ وهو تصحيف.

(٣) لعله يريد بقوله: ووضعوها على الخلافة، أنهم جعلوا ترتيب القبائل فى الديوان على حسب قربهم فى النسب من القبيلة التى منها الخلافة.

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يستقيم الكلام.

(٥) كذا فى الأحكام السلطانية؛ والذى فى الأصل: «تعدد»؛ وهو تحريف.

الروم ؛ وكان ديوان العراق بالفارسيّة لأنه كان من ممالك الفُرس ، فلم يزل أمرهما جاريا على ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان ، فنقل ديوان الشأم إلى العربيّة فى سنة إحدى وثمانين من الهجرة ؛ وكان سبب نقله — على ما حكاه المدائنىّ — أن بعض كتّاب الروم فى ديوانه أراد ماءً لدواته ، فبال فى الدواة ، فبلغه ذلك فأدّبه ، وأمر سليمانَ بنَ سعد أن ينقل الديوانَ إلى العربيّة ، فسأله أن يُعينه بخراج الأُرْدنّ[1] سنةً ، ففعل وولّاه الأُرْدُنّ ، وكان خراجه مائةَ ألف وثمانين ألف دينار ، فلم تنقض السنةُ حتى فرغ من الديوان ونَقَلَه ، وأَتَى به عبدَ الملك فدعى سرجونَ[2] كاتبَه فعرضه عليه فغمّه وخرج كئيبا ، فلقِيَه قوم من كتّاب الروم ، فقال لهم : اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم .

وأما ديوان العراق — فكان سبب نقله إلى العربيّة أن كاتب الحجّاج بن يوسف كان زاذان فَرُّوخ[3] ، وكان معه صالح بنُ عبد الرحمن يكتب بين يديه بالعربيّة والفارسيّة ، فأوصله زاذان فَرُّوخ[3] إلى الحجّاج ، فخفّ على قلبه ، فقال صالح لزاذان فرّوخ[3] إنّ الحجّاج قد قرّبنى ولا آمن أن يقدّمنى عليك ؛ فقال : لا تظنّ ذلك فهو إلىّ أحوجُ منّى إليه ، لأنه لا يجد من يكفيه حسابَه غيرى ؛ فقال له صالح : والله لو شئتُ أن أحوّل الحساب إلى العربيّة لفعلت ؛ فقال : فحوِّلْ منه ورقة أو سطرا حتى أرى ، ففعَل ؛ ثم قُتِل زاذان فَرُّوخ فى حرب عبد الرحمن بن الأشعث ، فاستَخْلَف

(١) الأردن بضم الهمزة وتشديد النون : كورة واسعة ، منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك .

(٢) كذا فى تاريخ الطبرى قسم ٢ ص ٨٣٧ طبع ليدن ؛ والذى فى الأصل : « سرحون » بالحاء المهملة .

(٣) كذا فى مقدمة ابن خلدون ص ١١٩ طبع بولاق وتاريخ الطبرى قسم ٢ ص ٤٥٨ طبع ليدن ؛ والذى فى الأصل : «زاذا فروح» ، وهو تحريف .

الحجّاج صالحا مكانَه، فذكر له ما جرى بينه وبين زاذان فَرُّوخ فأمره أن ينقله، فأجابه إلى ذلك وأجّله فيـه أجلا حتى نقله إلى العربيّة، فلمّا عرف مَرْدانشاه بن زاذان فَرُّوخ ذلك بذَل له مائةَ ألف درهم ليُظهِر للحجّاج العجزَ عنـه ، فلم يفعل ؛ فقال له : قطع آلله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسيّة .

وكان عبدُ الحميد بنُ يحيى كاتبُ مروان يقول : لله درُّ صالح ما أعظم مِنّته على الكُتّاب ! .

هـذا ما حُكِيَ فى آبتـداءِ نقلِ الدواوين ، فلنرجع إلى الجيش وما يحتاج إليه مباشرُه .

ذكر ما يحتاج اليه كاتب الجيش على ما آستقر فى زماننا[1] هذا من المصطلح

يحتاج كاتب الجيش إلى أن يرصِّعَ[2] أسماءَ أرباب الإقطاعات والنقودِ والمكيلاتِ من الأمراء على آختلاف طبقاتهم ، والمماليك السلطانيّة ، وأجنادِ الحَلْقة، وأمراءِ التُّركمان والعربان ؛ ويضَعَ لذلك جريدةً مُقفّاةً على حروف المُعجَم يُثبِت فيهـا أسماءهم ، ويذكر الاسمَ وآبتداءَ إمرته أو جنـديّته فى أىّ سـنة كانت من السنين الهلاليّة لآستقبال ما يكتب من مُغَلّ السنة الخراجيّة ، وعمن آنتقل إليه الإقطاع ؛

(١) فى الأصل : « فى مكاننا » ؛ ويرجح ما أثبتناه قوله فيا سيأتى فى صفحة ٢٠٨ س ١١ فهـذه هى القواعد التى استقرّت فى زماننا .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة فى مواضع كثيرة من هذا الباب ؛ ولعلّ كُتّاب الدواوين إذ ذاك كانوا يستعملون الترصيع بمعنى التنظيم ، كما يفهم من سياق الكلام ؛ وفى كتب اللغة أنه يقال : رصّع العقد بالجوهر ترصيعا اذا نظمه فيـه وضم بعضه الى بعض ، والمعنى أن كاتب الجيش يضمّ أفراد كل طائفـة الى بعضها ولا يدخل فيها ما ليس منها .

ويرمُن قُبالة كلِّ آسم إلى عِبْرة[1] إقطاعه رمزا لا تصريحا، ويشير فى جندىّ الحَلْقة إلى مقدَّمه، ويعيّن فى آسم التُّركمانىّ أو البـدوىّ ما قدّمه إلى الإصطبلات السلطانيّة والمُناخات من الخيل والجمال، وفى عربان مصر المقرَّر عليهم فى مقابلة الإقطاعات من التّقادِم[2]، وإقامةِ خيل البريد فى المراكز، وغيرِ ذلك من نقلِ الغلال، وما هو مقرَّر عليهم فى ابتداء أمرهم عند خروج الإقطاعات بأسمائهم، وغير ذلك على جارى العادة، فإن آنتقل أحدٌ منهم من إقطاع إلى غيره فى ذلك العمل بعينه وَضَع تحت إقطاعه الأوّل ما صورتُه : ثم آنتقل إلى غيره بمقتضَى منشورٍ تاريخُه كذا عن فلان آلمنتقلِ إلى غيره، أو المتوفَّى، أو المفارِق، أو غير ذلك ؛ فإن كان على سياقته فى إقطاعه الأوّل قال : على سياقته ؛ وضَبَط تاريخَ الأوّل ، وإن كان لآستقبال مُغَلّ أو شىء من مُغَلّ ميّزه، وآحتاج إلى محاسبة ربّ الإقطاع على إقطاعه الأوّل ؛ والمحاسَباتُ غالبا إنما تقع بعد وفاة الأمير أو الجندىّ، أو آنفصاله بوجه من وجوه الآنفصالات، وأما ما دام فى الخدمة فهى يتلو بعضُها بعضا ؛ وصورة المحاسبة أن يُقيم تاريخ منشوره إلى تاريخ آنفصاله أو نقلته ، ويَعقِدَ على ذلك جملةً، ويوجبَ له عن نظير خدمته آستحقاقا، وينظرَ إلى ما قبضه من المُغَلّات فيجمعها، فإن كان قبضُه نظيرَ خدمته فلا شىء له ولا عليه، وإن زاد قبضُه على مدّة خدمته آستعاد منه ما زاد بنسبته، وإن كانت خدمتُه أكثرَ من قبضه أُفرج له عن نظير ما فَضَل له ؛ ومن العادة فى غالب الأوقات أن يُسقط من آستحقاق أرباب الإقطاعات فى كل سنة أحد عشر يوما وربع يوم، وهى التفاوتُ بين آلسنة الشمسيّة والقمريّة، ويبر له [illegible] فى

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل فى عدّة مواضع من هذا الباب ولكن تحت [illegible] لابن الجيعان ؛ والظاهر أن المراد بها ما يقدّر على الإقطاعات، أخذ من سياق الكلام، وسميت بذلك لأنهم كانوا يعبرون الدراهم المتحصلة من البدء أى يقوّمونها بدنانير جيشية كما يفهم من التحفة السنية .

(٢) المراد بالتقادم : الهدايا، وهو جمع تقدمة .

ويُعطيَه المِثل من نسبة البارز، وقد سومح بذلك فى بعض الأوقات دون بعض ؛ وهذه ٱلجريدة تسمَّى ٱلجريدةَ ٱلجيشيَّة .

ويَحتاج إلى بسـِـط جريدة إقطاع صـورتها : أنه يرصَع[1] الأعمـال كلَّ عمـل و بلاده وضياعه وكفوره و قراه وجزائره و جروفه وجهات الهـلالى والحَوالِى ، وغير ذلك من معالمه وحدوده[2] والجهات المستظهر بها والبذول[3]، وسائرِ ما هو متعـلّق بذلك المكان ؛ ويَذكُر عِبرةَ[4] البـلد ٱلجيشيّة ، وما ٱستقرّ عليـه حال متحصِّلها أخيرا، وإن كان بالشأم ذَكَر العِبرة ٱلجيشيّة ومتحصَّلَ البلد لثلاث سنين : مُبقِلة[5] ومتوسِّطة ومجدبة، ثم يشطب[6] قُبالةَ كلِّ جهة أسماءَ مُقطَعيها، وما هو باسم كلِّ واحد منهـم ، ليَتحرَّر[7] له بذلك هل ٱستَوعب الإقطاعُ جمـلةَ النواحى والجهات ، ويتميَّز له ما بقِىَ من المحلولات ؛ وإن ٱنتقل ربٌّ إقطاع من إقطاع إلى غيره بادَرَ بشطبه لوقته فى موضعه لئلا يدخُل عليه الوهَمُ[8] والٱختلاف .

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

(٢) فى الأصل : «حقوقه» ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا فى الأصل ؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : مقبلة . وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه ؛ والمبقلة : التى كثر بقلها .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى عدّة مواضع من هذا الباب والشطب هو أن تمدّ خطا على الغلط الواقع فى الكلام كما فى شفاء الغليل ، وليس هذا مرادا هنا ؛ والظاهر أن كتّاب الدواوين فى عصر المـؤلف اصطلحوا على استعمال الشطب بمعنى التقييد والنقل من المستندات الى الدفاتر، كما هو مصطلح كتّاب الدواوين عندنا فى استعمال هذه الكلمة ، ولديهم دفاتر تسمى دفاتر الشطب ، وهـذا المعنى هو المراد بالشطب فى هذا الباب، كما يفهم من السياق .

(٧) فى الأصل : « ليتحرز » بالزاى المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٨) الوهم بالتحريك : الغلط .

ويحتــاج إلى أن يتعاهــد مباشرى ٱلمعاملات والبرور[1] بطلب الكشوف الجيشيّة فى كل ثلاث سنين ويشطبها[2] على ما عنــده لتتحرّر[3] عنده العِبرُ[4]، ويتميّز له ما تعيّن من الزيادة والنقص .

ويحتاج أيضــا إلى بسط جريدةٍ ثالثــةٍ بأسماء أرباب النقود والمكِيلات خاصّة، لأنه يحتاج أن يفرج لكلٍّ منهم فى كلّ سنة عن نقده ومَكِيله بمقتضى ما شَهِد به منشورُه، وعادةُ قبضه وجِهتِه، أو ممّا تعيّن بقلم الآستيفاء إن كان، فإذا أَفرَج لكلّ منهم شطب[5] تاريخَ إفراجه قُبــالة آسمه لتنضبط له بذلك تواريخُ قبوضهم ويَأمَنَ من التَّكرار والغلط؛ وهذه ٱلجريدة هى فرع من ٱلجريدة ٱلجيشيّة، فإنه يبسطها منها .

ويحتاج فى أجْناد[6] الحَلْقة السلطانيّة إلى أن يُضيف كل جماعة منهم إلى مقدّمٍ مشهور من أعيانهم ممن هو متميّزُ ٱلإقطاع، ويقيمَ عليهم نقيبا يَعرِف مساكنَهم ومظانَّهم، فإذا طُلِبوا جَمَعهم، أو طُلِب أحدٌ منهم أحضَرَه، ويُسمّى هذا المقدّمُ : مقدّمَ ٱلحَلْقة؛ ويضيف كلَّ جماعة من أمراء الطَّبْلخاناه[7] وأمراءِ العَشَرات،

(١) كذا فى الأصل؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب السياق .

(٢) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل : «لتتحرز» بالزاى المعجمة؛ وهو تصحيف .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) المراد بالشطب هنا : التقييد؛ كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «من أحبار»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) الطبلخاناه : أى بيت الطبل؛ وخاناه : لفظ فارسى معناه البيت إلا أنهم يؤخرون [illegible] المضاف إليه على عادة العجم فى ذلك؛ وقال فى صبح الأعشى ج ٤ ص ٨ عند الكلام على الطبلخاناه . [illegible] طبول متعدّدة معها أبواق وزمّارات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تدق فى كل ليلة بالقلعة بعد المغرب وتكون صحبة الملك فى الأسفار والحروب، وهى من الآلات العامة لجميع الملوك .

ومقدّمِى ٱلحَلْقة، ومضافيهم إلى مقدّمٍ كبير من أمراء ٱلمـائة، ويسمّى هذا الأميرُ : مقدَّمَ ٱلألف؛ ويحتاج إلى أن يضع لهاتين الطائفتين[1] جريدةَ عِدّة، يضع فيها ٱسمَ مقدّم الألف وعِدّتَه من غير تفصيل لأسمائهم وقُبالةَ ٱسمه عِبْرة[2] إقطاعه، ما هو لخـاصّه، وما هو لأصحـابه؛ ثم أمراء الطَّبْلخاناه كلّ أمير وعِدّته، وعِبْرة إقطـاعه، على ما تَقدّم فى مقدَّم الألف، ويرتّبهم فى التقـديم والتأخير على مراتبهم؛ ثم أمراء العَشَرات كذلك؛ ثم يذكر مقدِّمى ٱلحَلْقة فيعيِّن ٱسمَ ٱلمقـدَّم ونسبتَه وأتبـاعَه إن كان له أتباع، وعِبْرةَ إقطاعه، ثم يذكر مضافيه من ٱلحَلْقة على هذا ٱلحكم، ويرتّبهم بحسب مراتبهم، يبـدأ فى كلّ تَقدِمةٍ بٱسم ٱلمقـدَّم، ويختمُ باسم النقيب، ليسهل عليه طلبُ كلِّ جندىٍّ من مقدَّمه، ويطلبه مقدَّمه من نقيبه؛ وإن ٱنتقل أميرٌ أو جندىٌّ من مقدَّم ألف أو مقدَّم حَلْقة وٱنضاف إلى مقدَّمٍ آخَرَ نَقَلَه لوقتـه لئلّا يضطربَ عليه حالُهم، ويلتبسَ أمرُهم؛ وكذلك أيضا يَفعل فى ٱلممـاليك السلطانيّة من إضافة كلِّ جمـاعة منهم إلى مقدَّم من أعيانهـم، ويميِّز أربابَ الوظائف منهـم : من السلاحدارية[3] والجَمدارية والرُّمحدارية[4] والجُمَقـدارية والزَّردكَشـيّة[5]

(١) يريد بالطائفتين : الأمراء وأجناد الحلقة .

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٣) السلاحدارية : نسـبة الى السلاحدار وقد ذكر فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ أن دار لفظة فارسية معناها ممسـك ؛ فاعل من الإمساك؛ وكثير من كتّاب الزمان أو أكثرهم بل كلهم يظنون أن لفظ دار فى ذلك عربىّ بمعنى المحل كدار السلطان أو الأمير ؛ وهو خطأ الخ ماقال؛ فمعنى سلاحدار : ممسك السلاح؛ وكذا يقال فيما يأتى بعده .

(٤) الجمقدارية : نسبة الى الجمقدار وهو الذى يكون دائما حامل الدبوس، كما فى كتاب معيد النعم ومبيد النقم ص ٥٠ طبع أوربا .

(٥) الزردكشية : هم لابسو الدروع ؛ وكش باللغة الفارسيـة، معناه لابس انظر المعجم الفارسى الانجليزى تأليف ستاين جاس مادة « كشيدن» .

والبُنْدقـدارية (١) ومن السُّقاة (٢) والجَمَـدارية (٣) والخَزَندارية (٤) والحُـرّاس (٥) والبَشْمَقدارية (٦) وغيرِهم، ويضيف كلَّ جماعة من كلِّ طائفة منهم إلى متعيِّن من جملتهم، ويجمع عِدّة كلِّ طائفة ويقدّم عليهم أمثلهم ؛ وأمّا المماليك الكتَّابية (٧) أربابُ الجامكيّات (٨) فينسُب كلّ جماعة منهم إلى طبقة مُقدَّمُها من الطواشيّة، ويَنسُب المماليكَ البُرْجيـة (٩)

(١) البندق : الذى يرمى به، وهو معروف ؛ والبندقدارية : هم الذين يحملون هذا البندق خلف السلطان أو الأمير . انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨ فى تفسير البندقدار .

(٢) السقاة : جمع ساق ، قال فى صبح الأعشى ح ٥ ص ٤٥٤ هو لقب على الذى يتولى مدّ السماط وتقطيع اللحم وسقى المشروب بعد رفع السماط ونحو ذلك ، وكأنه وضع فى الأوّل لساقى المشروب فقط ثم استحدثت له هذه الأمور تبعا الخ .

(٣) قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ عند الكلام على الجمدار : إنه الذى يتصدّى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه ؛ وأصله : «جاماdar» حذفت الألف بعد الجيم و بعد الميم استثقالا وقيل : جمدار وهو فى الأصل مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاما ومعناه الثوب والثانى دار ومعناه ممسك .

(٤) فى الأصـل : «والطوبخارية» وهو تحريف لتكراره مع ما سبق ولعل صوابه ما أثبتنا ؛ قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٢ فى الخزندار بكسر الخاء وفتح الزاى المعجمة : هو لقب على الذى يتحدّث على خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما الخ .

(٥) فى الأصل : «والحران» بالنون ؛ ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٦) قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ فى تفسير البشمقدار . إنه الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير ؛ وقال : إن البشمق باللغة التركية معناه النعل ؛ ثم نقل عن صاحب الأنوار الضوئية : أن الصواب فيه «بصمق» بالصاد بدل الشين ؛ ثم قال : والمعروف فى ألسنة الترك بالديار المصرية ما تقدّم والذى فى الأصل : «السمقدارية» بالسين، ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٧) الكتّابية : أى الذين يشتغلون بالكتابة .

(٨) الجامكيات : الرواتب والأجور، واحده جامكية ؛ وأصله باللغة الفارسية : «جامكى» بفتح الميم وكسر الكاف . انظر المعجم الفارسى الإنجليزى تأليف ستاين جاس .

(٩) سميت هـذه الطائفة بهذا الاسم نسبة إلى الأبراج التى كانوا يسكونها فى القلعة ، ومنهم كانت دولة المماليك الثانية التى حكمت الديار المصرية .

الى مساكنهم ومقـدَّميهم ، والبحريّةَ(١) إلى مراكزهم ومقدَّميهم ، والأُوشاقيّــةَ ٱلذين إقامتُهم بالإسطبل إلى المقدَّم عليهم من الطواشيّة، ويرجع سائرَ المماليك السلطانيّة إلى مقدَّمهم الكبير، ولا يكون فى الغالب إلّا من الطواشيّة ٱلأمراء .

ويحتاج أيضًا الى أوراقٍ أخر تتضمّن أسماءَ أمراء الميمنة وأمراء الميسرة، والجالس — وهو المقدَّم — أمامَ قلبِ ٱلجيش، وهذه الأوراق تكون جُمليّة يُستغنَى فيها بذكر مقدّمِي الألوف دون مضافيهم .

ويتلو هذه الأوراقَ أوراقٌ أخرُ — تتضمّن أسماءَ الأمراء الذين جرت عادتهم بصحبة ركاب السلطان فى الصَّيد والركوبِ للمُتنزَّهات وفى الميادين للّعب بالكرة ، وفى غير ذلك؛ هذا ما يحتاج إليه فى الأمراء والمماليك السلطانيّةِ ورجالِ ٱلحَلْقة .

وأما أجناد الأمراء فإنّ مباشرَ ٱلجيش يَسترفِع(٢) من دواوينهم أوراقا بعِـدّة أجناد كلِّ أمير منهم، يُصْدِرُها كاتبُ عِدّةِ(٣) الأمير على عدّة نُسخٍ بحسب المباشِرين للجيش ، ويقـول فى صدرها ما مثـاله : عَرضُ رَفعِــه(٤) ٱلمملوكُ فلان الفلانىُّ على ما ٱستقرّ عليه ٱلحال إلى آخر كذا ، والعِدّةُ خاصّته ،وكذا كذا طواشيًّا ؛ وبشرح أسماء

(١) قال فى صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦ . ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم : البحرية ، يبيتون بالقلعة وحول دهاليز السلطان كالحرس ؛ وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب . اهـ كلامه وإنما سميت هذه الطائفة بهذا الاسم لأنهم كانوا يسكنون بجزيرة فى النيل وهى جزيرة الروضة ؛ ومن هؤلاء كانت دولة المماليك الأولى ، كما فى كتب التاريخ .

(٢) يسترفع : أى يطلب أن يرفع إليه ، كما سبق فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر.

(٣) فى الأصل : «هذه» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) فى الأصل : « رقعة » ؛ وهو تصحيف .

الجنـد، وما أُقطِع بأسم كلٍّ منهم من إقطاع ونقـد ومكيل، مبتدئا برأس المدرج ومن يليه فى الجند، ثم مماليك الأمير وألزامه، ويختمهم بالنقيب، ثم يعيّن فى آخر المدرّج ما بقى لخاصّ الأمير من النواحى والجهات، وما عليـه منه لأصحابه من نقد ومكيل إن كان؛ ويلزمه عملُ مَسير على نواحى الإقطاع يَشطُب[1] كلّ جهـة بأسماء من أقطِعتْ لهم، وما بَقِىَ منها للخاصّ إن كان؛ فإن كان منشور الأمير قد عُيِّن فيه ما هو لخاصّـه وما هو لأصحـابه فليس له أن يَقتطِع من المعيّن لجنـده ما يضيفه لخاصّه، ولا يُمنع أن يقطع من خاصّه زيادةً لأصحابه؛ وهذه القاعدة لاحقة بقواعد الفقه، فإنّ له التصرّف فى ماله دون مال غيره، وله أن يميّز بعضهم على بعض بحسب أحوالهم ومراتبهم؛ فإذا رُفِعتْ إليه هـذه الأوراقُ عَرَضَ جندَ كلّ أمير فى مجلس ولىّ الأمر بمشهد من الأمراء وغيرهم، فمن أجاز ولىُّ الأمر عَرْضَه حلّاه[2] قُبالةَ آسمه، ويعيِّن فى حُلاه سِنَّه ولونَه وقامتَه، ثم يذكُر حلية وجهـه، ويصف ما يتميّز به عن غيره من أثرٍ فى وجهه أو غيرِ ذلك؛ ومَن ردّه ولىُّ الأمر من العَرْض طولب الأمير بإقامة غيره، فإذا أقامه وعرَضَـه وأجاز ولىّ الأمر عَرضَـه حلّاه عند ذلك، وعيَّن تاريخ عَرَضِه إن كان عَرَضَه بعـد يوم العَرْض الشامل؛ ويرقُم المباشر بقلمه على رأس أوراق العَرْض تاريخ عَرْض الجند؛ وتستحِقّ هؤلاء الجندُ الإقطاعاتِ والنقودَ والغلالَ من تاريخ عرضِهم وتدوينهم فى الديوان، والأميرُ من تاريخ منشـوره؛ فإن مات جندىٌّ منهم أو فارق الخدمة أقام الأميرُ عوضَه، وعَرَضَه على ولىّ الأمر، وأثبت آسمه بالديوان؛ وإن قطعه الأمير فلا يخلو قطعُه: إمّا أن يكون لسبب كالعجز ونحوه فله ذلك، وإما أن يكون بغير سبب فلا يخلو:

(١) يشطب: أى يقيد كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٢) حلاه: أى وصفه، والحلية: الهيئة والصفة.

إما أن يكون قَطْعُه له فى قرب زمن إدراك المُغَلّ فأولى الأمر منعُه من ذلك، أو فى غير وقت المُغَلّ، فإن عَرَض من هو أكْفى منه وأقدر على الجندية أُجيز، وإن عَرَض من هو دونه مُنِع أميرُه من ذلك، وأُلزِم بٱستمرار الكافى أو إقامة من يماثله فى الكفاية والقدرة؛ وإذا عرض الأمير أصحابه فى السنة الثانية جَدَّد كاتبُه أوراقا بالعرض نظير الأولى، وشطب[1] كاتبُ الجيش حِلَى[2] الجند من العَرْض الأوّل، ثم يقابلها بالمسودة الجديدة فى وقت العَرْض[3] الثانى، فإن وافقتْ وطابقتْ أجازه، وإن اختلفت الحُلَى وتباينت ردّه وطالع ولىَّ الأمر به ليقع الإنكارُ على من تجاسر على فعل ذلك لما فيه من التلبيس. فهذه هى القواعد التى ٱستقرّت فى زماننا والله أعلم.

ويحتاج الكاتب إلى تحرير شواهده وحفظها، فإن كان بين يدى السلطان ورَسَم له بإقطاع أمير أو جندىّ كتب مثالا بالإقطاع، وكَتب السلطانُ أو نائبُه بقلمه أعلى المثال ما مثالُه: يُكتَب؛ وعيّن ناظرُ الجيش بقلمه تحت خطّ السلطان أو نائبه ما مثالُه: رُسِم أن يُكتَب بٱسم فلان لٱستقبال مُغَلّ سنة كذا، ولٱستقبال كذا من مُغَلّ سنة كذا؛ وحلّد الكاتب هذا الشاهدَ عنده. وكتب مثالا ثانيا مربّعا بما مثالُه: رُسِم بالأمر الشريف العالى المولوىّ السلطانىّ المَلَكىّ الفلانىّ — ويدعو للسلطان — أن يُقطع ويُقرّر بٱسم فلان الفلانىّ — ويَنعته بما يستحق — ما رُسِم له به الآن من الإقطاع والنقد والمَكيل إن كان فيه نقدٌ أو مَكيلٌ فى السنة، خارجا

(١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٢) فى الأصل: «حدا» بالجيم والدال؛ وهو تحريف.

(٣) فى الأصل: «الجندىّ»؛ وهو تحريف.

عن ٱلجَوالِى[1] والمواريثِ ٱلحَشْرِيّة[2] والرِّزَقِ[3] الإحباسيّة، إن كان الإقطاع بالديار المصريّة، وإن كان بالشأم قال: خارجا عن ٱلمِلْك والوقف، ثم يقول: خُبْز[4] فلان الفلانىّ، إن كان عن أحد، وإن كان من ٱلخاصّ أو مستجَدّا أو مستظهَرا به عيَّنه، ويذكُر حاصّته وعِدّته وأتباعَه، أو بمفرده، ثم يعيِّن جهاتِ إقطاعه، ويُثبِت هذا المثال الثانىَ فى الديوان، وتَشمَله علامةُ السلطان ونائبه، ثم يُخلَّد بديوان الإنشاء، وهو شاهِدُ الموقِّع، ويُكتَب منشورُه بمقتضى ذلك ٱلمثال، وتَشمَله علامةُ السلطان وخطُّ نائبه ووزيره بالامتثال، ويُثبَت بديوان ٱلجيش ثُمّ بالدواوين، وإن كان الكاتب فى جهـة خارجة عن باب الملك من الممالك الشاميّة وأَمَره النائب بإقطاع أحد كتب مثالا بالإقطاع، وكتب النائبُ بأعلاه: يُكتَب، ثم يَكتُب عليه الناظر نحوَ ما تقدّم، وهو شاهِدُ الكاتب، ثم يكتب ٱلمثال الثانى فى ورقة مربَّعة بمـا مثالُه: رُسِم بالأمر الشريف العـالى المولوىّ السلطانىّ المَلكىّ الفلانىّ أن يُقطَع ويُقرَّرَ بٱسم فلان ما رُسِم له به الآن من الإقطاع، ويُعيِّن خُبْز[4] من كان وسببَ حَلِّه عنه، إما بوفاة، أو بمفارقة، أو بٱنتقال إلى غيره، أو غيرِ ذلك من الأسـباب الموجبة لإخراج الإقطاع عنـه،

---

(١) الجوالى: جمع جالية، وهى الجزية التى تؤخذ من أهل الذمة، وسيأتى الكلام عنها فى ذكر الجزية

(٢) المواريث الحشرية: هى مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو نحوها، أو الباقى بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المـال ولا عاصب له انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٤ .

(٣) فى الأصل: «الورق» وهو تحريف؛ والرزق بكسر ففتح وزان عنب: جمع رزقة بكسر الراء، وهى الجراية: يقال: كم رزقتك فى الشهر: أى جرايتك . (مستدرك التاج) والإحباسية بكسر الهمزة نسبة الى الإحباس، وهو مصدر أحبست المـال: اذا وقفته .

(٤) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٣، ١٥٦ . والذى فى الأصـل: «حد»، وهو تصحيف .

ويَكتُب نائب السلطنة عليه بالتَّرجمة، ويترجِم عليـه الناظر بقلمه تحت خطّ النائب بما مثالُه : المملوك فلان يقبِّل الأرض ويُنهِى أن هذا مثالٌ كريمٌ بآسم فلان آلمرسومِ إثباته فى جملة الأمراء والمماليك السلطانيّة، أو البحريّة، أو رجالِ الحَلْقة آلمنصورة، أو رجالِ التُّركمان، أو العربان، أو الجبليّة بالمملكة الفلانيّة، أو بالجهة الفلانيّة بمـا رُسِم[1] له به الآن من الإقطاع عن فلان ، والعِدّة خاصّته[2]، وكذا كذا طواشيًّا، أو بحسب ما يكون لآستقبال ما عُيِّن فيه على ما شُرِح باطِنَه، والأمرُ فى ذلك معذوق[3] بإمضائه أو بما يؤمَر به من الأبواب . ثم يُثبَت بديوان آلجيش، ويُجهَّز إلى باب السلطان، فإذا وصل إلى الباب كَتب عليه الناظر ومن معه من الرِّفاق بالمقابَلة، وقوبل به، ثم تَشمَله علامةُ السلطان أو نائبِـه بالكتابة ، ويخلّده كاتب الجيش بالباب عنـده ، ويكتب مثالا من جهته على ما تقدم، فإذا خرج المنشور الشريف ووصل الى تلك المملكة شَمل خطَّ نائبها بالآمتثال، وكتب عليـه ناظر آلجيش ورُفقتُه بالثبوت تحت خط ناظر آلجيش بالبـاب ورِفاقِه، ثم يُثبَت بالدواوين، ويخرج لربِّ الإقطاع على حُكمه، ويُثبَت إفراجُه، ويُسلَّم اليه إقطاعُه؛ فهذه شواهد المناشير والأمثلة .

وأما غيرها من شواهد الكشوف فعلى حسب الوقائع ؛ والله سـبحانه وتعـالى أعلم بالصواب .

ويحتاج إلى ضبط أسماء من تَوجَّه بدُستور[4] إلى جهة من آلجهات، ويراعِى آنقضاءَ مدّة الدُّستور، ثم يكشِف عنه، ويطالِب مقدَّمَه به ،

(١) فى الأصـل : « ما رسم» بدون الباء ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٥، أى هذا مثال بمـا رسم الخ .

(٢) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٩؛ والذى فى الأصل : «خاصة» بدون هاء .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

(٤) المراد بالدستور : الإذن . وإطلاقه على هذا المعنى إطلاق عامىّ؛ انظر شرح القاموس .

وكذلك من توجّه إلى الحجاز وغيره، وكذلك من تخلّف عن العود مع الجيش المجرّد في المهمّات، فيراعى ذلك حسب الطاقة والإمكان، وإن تعذّرت عليه معرفة من تأخّر بعينه يستعلم[1] أخبارهم مجملة من مقدَّميهم ونقبائهم.

٣٥

ويحتاج إلى أنه مهما انحلّ من الإقطاعات، أو تعيّن من تفاوت المُدَد عمّن درج[2] وفارق[3] وانتقل[4]، أو ما تعيّن في خلال المُدَد بين منفصل ومتّصل يحرّر ذلك، ويكتب به حوطة[5] جيشيّة يضمّنها اسم ربّ الإقطاع المتّصل ونواحي إقطاعه ونقده ومكيله إن كان، ويعين استقبال الحوطة، ويميّز ما استحقّه الديوان من المُغَلّ، وتُصدّر الى ديوان التصرّف بعد شمولها بالعلامة وثبوتها، ويطالب المستوفي[6] بكتابة رُجعة بوصول ذلك إليه ليبرأ من عهدته، ويلزم المثبتون التعريف بذلك وإضافة ما يتحصّل منه، فإن أخّر كاتب الجيش إصدار الحوطات الى ديوان التصرّف حتى يفوت الزمن الذي يمكن فيه تحصيل ما فيها، كان تحت دركه[7] وتبعته؛ والله أعلم.

---

(١) في الأصل: «يستعمل»؛ وفي حروفه قلب لا يستقيم به المعنى.

(٢) درج: أي مات.

(٣) يريد بالمفارقة مفارقة الخدمة.

(٤) المراد بالانتقال: الانتقال من إقطاع الى إقطاع آخر.

(٥) الظاهر أنه يريد بالحوطة ما يسميه كتّاب الدواوين في زماننا بالحافظة، أخذا من السياق، وفي كتب اللغة أن الحوطة اسم من الاحتياط، وهو الأخذ بالحزم والثقة؛ والحوط: الحفظ.

(٦) المستوفي: هو الذي يضبط الديوان، وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك، وفي بعض المباشرات قد ينقسم المستوفي الى مستوفي أصل، ومستوفي مباشرة؛ ولكل منهما أعمال تخصه صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦.

(٧) الدرك بالتحريك والتبعة كلاهما بمعنى واحد، ومنه ضمان الدرك في البيع، وتسكن راؤه أيضا.

ويحتاج مباشر ٱلجيش إلى مراجعة جرائده : الجيشيّة والإقطاعيّة وأوراقِ العِدّة فى كلّ وقت من غير ٱحتياج إلى كشف ، لتكون على خاطره أسماءُ ٱلجنــد ونواحى إقطاعهم ، فإنه بصدد أن يُسْأَل عن شيء من ذلك بين يدَىْ مَلِك أو نائب ، فإن أَخَّرَ ٱلجوابيه بالجملة[1] إلى أن يَكشف عنه ربّمــا يُنسَب إلى عجز فيتعيّن أن يكون على خاطره من جليّات الأحوال ما يجيب به فى ٱلمجلس على الفور، ولا يَتأتّى له ذلك إلا بمراجعة حسابه ومداومة النظر فيه، والناظرُ إلى ذلك أحوجُ من غيره من ٱلمبــاشرين، لأنه ٱلمسؤول والمخاطَب فى غالب الأوقات ، والله أعلم بالصــــواب .

ويحتاج أيضا إلى معرفة ٱلحِلَى[2] وٱختلافها على ما نذكره فى فصل الوراقة[3]، ولا بدّ له من معرفة الأوضاع التى ٱصطلح عليهــا كُتّاب ٱلجيوش فى كتابة الحِلَى من الاختصار؛ فهذه أمورٌ كلّيةٌ لا بدّ لمباشر ٱلجيش من معرفتها وإتقانها .

ويتجنّب[4] مباشر ٱلجيش أن يرقُم بقلمــه عِدّةَ جيش تصريحا ، لمــا يتعيّن من إخفاءِ عِدّتِه وذِكرِ تكثيره ، فإنه إن وَضــع ذلك بقلمه لا يأمن من الاطّلاع عليه

(١) لعله : «بالحالة» كما يرشد إليه قوله بعد : «من جليات الأحوال ما يجيب به» .

(٢) الحلى : جمع حلية، وهى الصفة والهيئة وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٧ من هذا السفر.

(٣) فى كتب اللغة أن الوراقة هى حرفة من يورّق ويكتب ؛ والمراد بها هنا القواعد التى اصطلح عليها الكتّاب فيما يكتبونه من الأوراق، كما يستفاد مما يأتى فى كتابة الحكم والشروط، فإنه ذكر فيما يحتاج إليــه كاتبها أن يكون قد أتقن صــناعة الوراقة وعلم قواعدها وكيفية ما يكتب فى كل واقعة وحادثة الخ . وقال أيضا بعــد ذلك ما نصه : وأما معرفة صنــاعة الوراقة فى الأمور التى ذكرناها فلذلك من الفوائد ما لا يخفى على ذى لب لأن الكاتب اذا أخرج المكتوب من يده بعد إتقانه وتحرير ألفاظه على ما ٱستقر عليه الاصطلاح من التقديم والتأخير ومناسبة الكلام وسياقته وترصيعه وترصيفه حسن موقعه وعذبت ألفاظه الخ .

(٤) فى الأصل : «ويحسب» ؛ وهو تصحيف .

فيشيع[1] ويذيع، وقد يتّصل بالعدوّ والمعاند والمُناوِئ[2] فيترتّب عليه من الفساد مايترتّب وهذا بابٌ يجب على كاتب الجيش الآحتفال به[3]، والآحترازُ من الوقوع فيه، وكتمانه عن سائر الناس؛ وإن دعته الضرورة الى تسطير ذلك خشيةَ[4] أن يسأله ولىّ الأمر عن شىء منه، فليكن وضعه لذلك رمزا خفيّا يصطلح عليه مع نفسه لايعرفه إلا هو، أو من له دُرْبةٌ بمباشرة آلجيش .

ويتجنّب أن يكشف عِبرةَ[5] إقطاع أو متحصَّله . أو يذكر ذلك لأحد إلا بمرسوم ولىّ الأمر، ثم يذكره باللفظ دون آلخط، ووجوهُ الآحتراز كثيرة، وهى بحَسَب الوقائع، فيتعيّن على مباشر آلجيش ملاحظةُ ذلك والاحترازُ من الوقوع فيما يُنتقد عليه، أو يصلُ سببُ ضررٍ منه إليه ؛

هذا ما أمكن إيراده مما يحتاج مباشر آلجيش إلى آعتماده؛ والله أعلم .

وأما مباشرة الخزانة — فالعُمدة فيها على العدالة والأمانة، لأن خزائن الملوك فى هـذا العصر لسَعتها، وكثرةِ حواصلها، وعظمِ ذخائرها لا تنضبط بسِياقة، فإنه لوطولب كاتبُ آلخزانة بعمل سِياقة لحواصلها عن سنةٍ آحتاج إلى أن ينتصب لكتابتها سنةً كاملةً لا يشتغل فيها بغيرها ، فإذا تحرّرت سِياقة السنة فى آخر السنة الثانية وكشفها مباشر الأصل وحرّرها فى مدّة أخرى من السنة الثالثة فاتت المصلحة المستقبلَة، وتعطّل على المباشر ما بعد تلك السنة، لآشتغاله بنظر[6] تلك السِّياقة، فإذا تقرّر عجز

(١) فى الأصل : «نبيسيع» ؛ وهو تصحيف لا معنى له .

(٢) فى الأصل : « بالعدد والمعاند » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(٣) الآحتفال به : أى الآهتمام بأمره .

(٤) فى الأصل : «حسبة» ؛ وهو تصحيف .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «بطم» بالميم؛ وهو تحريف؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

الكاتب عن عمل السِّياقة بهذه المقدِّمة فقد تعيَّن أنّ[1] العمدة فى مباشرتها على الأمانة والعدالة؛ ومع ذلك فيحتاج كاتبها إلى أمور :

منها ضبطُ ما يصل[2] إليه من حمول الأموال والأصناف، ويقابِل ما يصل منها على رسائِله، ويحرّره بالوزن والذّرع والعَدَد والأحمال على آختلاف أجناسه وأنواعه وأوصافه، ويميّز ما يصل إليه من الأقاليم والثغور والأعمال والممالك، وما يصل من آلهدايا والتّقادِم[3] على آختلافها، فيضيف كلّ نوع إلى نوعه، وصنفٍ إلى صنفه؛ وكذلك يحرِّر ما يبتاعـه من الأصـناف التى تدعو الضرورة إليهـا وجرت العـادة بآبتياعها .

ومنها معرفة عوائد[4] أرباب الصِّلات والإنعام، ومصاريف[5] أرباب المنـاصب عند ولاياتهم، وما جرت عليـه عوائدهم[6] من الإنعام فى خلال مباشراتهم بالأسباب الموجِبة لذلك وغيرِ الأسباب، وعوائد أرباب التّقادِم والصنّاع وغيرِهم .

ومنها ضبطُ ما يصل إلى آلخِزانة من تَقادِم آلملوك والنوّاب، ويقابل ما يصل منها فى الوقت الحاضر على ما تَقدَّم، ويحرِّر زيادتَه من نقصِه، ويكون ذلك على خاطره،

---

(١) فى الأصل : «لأن» ؛ واللام زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : «فصل» ؛ وهو تحريف .

(٣) التقادم : جمع تقدمة بكسر الدال، وهى الهدية ؛ فعطفه على الهدايا من [illegible] المراد [illegible] .

(٤) المراد بالعوائد هنا : الصلات، واحده عائدة .

(٥) فى الأصل : «وتصاريف» بالتاء، وهو تحريف .

(٦) المراد بالعوائد جمع عادة، كما فى المصباح المنير، ولم نجد هذا الجمع فى [illegible] ؛ وقد سبق أن نبهنا على ذلك فى الحاشية [illegible] ١ من صفحة ١٣٩ من هذا السفر .

فإن سأله ولىُّ الأمر عنه أجابه، وإلّا فلا يبدؤه ؛ ويَضبِط عاداتِ مُهاداةِ الملوك وما جُهِّز إلى كلٍّ منهم فى السنين الخالية، وما كان قد وصل من هداياهم، وما جرت عليه عاداتُ رسلِهم وقُصّادِهم[1] من التشاريف والإنعام .

ومنها ضبطُ ما جرت به العادة من كُسا أرباب العوائد[2] المقرَّرة فى كلِّ سنة على آختلاف طبقاتهم من أرباب الرتب والمناصب والمماليك السلطانيّة وغيرِهم، وتواريخِ صرف الكسوة اليهم .

ومنها تجهيزُ ما جرت العادة بأن يُجهَّز فى خزائن الصحبة عند آستقلال ركاب السلطان من مَقرّ مُلكه، إما إلى الصيد والنزهة، وإما لكشف ممالكه[3] عند آنتقاله من مملكة إلى أخرى، أو فى حروبه عند ملاقاة الأعداء، فيجهِّزُ ما جرت به العادة فى ذلك، ولا يزيد عليه إلا بمرسوم ولىّ الأمر، ولا يَستكثر من آستصحاب صنف من الأصناف عند تَوجُّهه إلى مَعدِن ذلك الصنف ومَظِنّته، ولا إلى الخزانة منه بحَمْلِه[4]، بل يستصحِب منه مايكون معه ذخيرة واحتياطا، إذ لو طلب المَلِكُ ذلك الصنفَ فى مَسِيره قَبْل وصوله إلى معدن ذلك الصنف كان معه منه ما يَسُدّ به الضرورة، ولا يَعتذِر بأنه ما آستصحبه معه بحُكم تَوجُّهه إلى مَعدِنه، وأنه فعل ذلك للصلحة الظاهرة، فإن آلملوك لا تحتمل مثل ذلك، ولا تصبر على أن يُفقَد

(١) فى الأصل : «ونصادهم» ؛ وهو تحريف .

(٢) العوائد : الصلات .

(٣) فى الأصل : « مماليكه » والياء زيادة من الناسخ .

(٤) فى الأصل : «بالجملة» ؛ وهو تحريف لا يظهر به المراد من هذه العبارة، والمعنى على ما أثبتنا : أنه لا يستكثر من حمل ذلك الصنف إلى الخزانة، بل يحمل منه اليها ما تدعو الحاجة إلى حمله .

من ذخائرها ما تطلبه ، ويستكثر من آستصحاب الصنف المعدوم فى ذلك الوجه الذى يتوجّه إليه، ويحمل منه ما يعلم أنه يكفيه فى مَسيره وعَوده؛ والله أعلم .

ومنها[1] ضبطُ ما يتسلّمه الصُّنّاع من مُزركش وخيّاط وفرّاء ونجّاد[2] وسرّاج وخردفوشى[3] وغيرهم بالوزن والذّرع والعدد، ويُحرزه عند آستعادته من صانعه .

ومنها تحريرُ ما يصل إليه من الأقمشة من دار الأعمال وما جرت به العادة أن يُحمَل منها فى كلّ مُدّة ليطالِبَ به إن تأخّر عن وقته؛ وإن قلّ صنف من الأصناف عنده يبادر بمطالعة وزير المملكة أو مدبّرها بذلك ليَخلُص من عُهدته، وعلى وزير المملكة ومدبّرها طلبُ ذلك الصنف من مظانّه وحَملُه إلى الخزانة .

وأما ملبوس الملكِ المختصّ بنفسه وعادتُه فى التفصيل والجنس[4] والطُّول والسَّعة فهو أمر متعلّق برأس نوبة الجمدارية[5]، وهو المقدَّمُ عليهم، فعليه أن يحضُر إلى الخزانة ويختار من الأقمشة ما يعلم أنه ملائم لخاطر السلطان وموافقٌ لغرضه، فيفصّل منه ما يراه على ما يراه من أنواع التفصيل، وعلى معلّم الخيّاطين الدَّرَكُ فى طوله وسَعته وهندامه، ولا يستغنِى المباشرُ عن معرفة ذلك، ولا يستغنى أيضا عن معرفته

(١) فى الأصل : «ومنها» ، وهو تحريف .

(٢) النجاد بتشديد الجيم : من يعالج الفرش والوسائد ويخيطها .

(٣) كذا ضبط هذا اللفظ بالقلم فى كتاب المعرب والدخيل للمدنى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة وورد فى هذا الكتاب فى تفسير هذه الكلمة أنها كلمة يطلقها أهل الحرمين لصانعى [illegible] ونحوها ، ولم [illegible] أصل فى اللغة العربية اهـ والذى فى الأصل «خردفوشى» بالقاف والسين ، ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٤) كذا فى الأصل ، ولعله يريد بالجنس هنا : ضيق الثياب .

(٥) انظر الحاشية رقم ٣ من ص [illegible] ٢ من هذا السفر .

قِيَم الأشياء على آختلافها وعادةِ التفصيل والتَّرفِئة(١) وآلجَنْدرة(٢) وآلحَشْو ليشارك ربَّ كل صنعة فى صناعته بنظره ولسانه، ولا يكون فى ذلك مقلِّدا جملة، بل يشاركهم فيما هم فيه، وعليهم الدَّرَكُ دونه فيما لعلّه يعرض فى ذلك من خللٍ إن وقع، لأن هذه الصناعاتِ زائدةٌ على وظيفته ولازمةٌ لأولٰئك؛ فأيُّما رجل آجتمعت فيه هذه الأوصاف تعيَّن على ولىّ الأمر ندبُه لمباشرة آلخِزانة، وقرَّر له كفايتَه، وألزمه إن آمتنع.

وأما مباشر بيت المال — فعُمدتُه على ضبط ما يدخُل إليه وما يخرُج منه، ويحتاج فى ضبط ما يصل إليه من الأموال إلى أن يُقيم لكلّ عمل من الأعمال وجهةٍ من الجهات أوراقا مترجَمةً بآسم العمل أو آلجهة، ووجوهِ أموالها، فإذا وصل إليه المال وضع الرسالةَ الواصلةَ قريبةً من ذلك العمل(٣)، ثم شطّبها(٤) بما يصحّ عنده من آلواصل إليه، وذلك بعد وضعه فى تعليق المياوَمة، فإن صحّ الواصلُ صحبةَ الرسالة كَتَب لمباشر ذلك العمل رُجْعةً بصحّته، وإن نقص ضمّن رُجعتَه: من جملة كذا؛ وآستثنى بالعجز والردّ، وبرز بما صحّ، وأعاد الردّ على مباشر ذلك العمل وأثبت فى بيت المال ما صحّ فيه، فإن كان العجز عن آختلاف الصِّنَج(٥) عيَّنه فى رُجْعته

---

(١) فى الأصل: «التقرية»؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان. والترفئة: مصدر رفّأ الثياب بتشديد الفاء: إذا لأم خروقها، والتشديد فى هذا الفعل للتكثير والمبالغة، وهو وإن لم يوجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة فقد ورد فى شعر أبى العلاء المعرى، قال:

ألقى عليها جليسى فى الدجى حمما * فقام عنها بأثواب يرفئها

انظر هذا البيت فى لزوم ما لا يلزم ص ١٥ طبع مطبعة المحروسة بمصر.

(٢) فى الأصل: «العتدرة»؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما بين أيدينا من المظان؛ والجندرة: من جندرت الثوب، إذا أعدت وشيه بعد ذهابه قال الجوهرى: وأظنه معرب.

(٣) من ذلك العمل: أى من أوراق ذلك العمل.

(٤) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٥) الصنج: جمع صنجة بفتح فسكون، وهى ما يوزن به؛ وهذا الجمع ذكره صاحب المصباح مادة «سنج» والسين فيها أفصح من الصاد؛ وهو معرّب.

ولا شيء على مباشر العمل، وإن كان مع اتفاقها فلا يعتدّ لمباشر العمل أو الجهة إلا بما صحّ فى بيت المال .

ويحتاج كاتب بيت المال إذا عمل جامعةً لسنةٍ إلى أن يضمّ كلَّ مال وصل إليه إلى ما هو مِثلُه، من الخراج والجَوالِي والأخماس وغيرِ ذلك بحَسَب مايصل إليه، ويفصّل جملةَ كلِّ مالٍ بنواحيه التى وصل منها، ويَستشهِد فيه برسائل الحمول، ويضيف إلى جملة ما انعقد عليه صدرُ الجامعة من الأموال ما انساق عنده من الحاصل إلى آخر السنة التى قبلها، ويُفذلِك[1] [بعد ذلك][2]، ويعرف ما لعلّه صرّفَه من نقد بنقدٍ فى تواريخه، ويستقرّ بالجملة بعد ذلك؛ ثم يشرع فى الخصم، فيبدأ منه بما حمله إلى المقام على يد من حمل على يده وتَسلّمه، من الخزَنْدارية والجمَدارية[3] وغيرِهم إن كان، ثم يذكر ما نقله إلى الخزانة ويستشهد فيه برُجْعاته، وما نقله إلى الحوائج خاناه والبيوتِ والعمائر وغيرِها بمقتضَى استدعاءاتِ[4] هـذه الجهات ووُصولاتِ مباشرِيها، وفى أرباب الجامكيّات[5] والرواتبِ والصِّلاتِ بمقتضَى الاستئمارات[6] والتواقيع السلطانيّة؛ فإذا تكامل الحَمْلُ والمصروفُ عقد عليهما جملةً وساق ما بقِيَ إلى الحاصل؛ والله أعلم .

وطريقُ مباشر بيت المال فى ضبط المصروف أن يبسط جَريدةً على ما يصل إليه من الاستدعاءات[4] والوُصولات من الجهات ، وأسماءِ أرباب الاستحقاقات

(١) يقال: فذلك الحاسب حسابه، إذا أنهاه وفرغ منه، وهذا اللفظ منحوت من قول الحاسب: فذلك كذا وكذا إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته .

(٢) موضع هاتين الكلمتين فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٣) انظر تفسير الخزندارية والجمدارية فى الحاشيتين رقم ٣ و٤ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

(٤) فى الأصل : «استيدعات» وهو تحريف .

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «الأستئار» ؛ بالثاء، وفيه تصحيف ونقص؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

والجامكيّات والرواتب والصِّـلات، وما هو مقرّر لكلّ منهـم فى كلّ شهر بمقتضى
تواقيعهم أو ما شَهِدتْ به الأستئمارات القـديمةُ المخلّدة فى بيت المـال، ويشطب[1]
قُبالةَ كل آسم ما صرفه له على مقتضى عادته إما نقـدا من بيت آلمـال، أو حَوالة
تُفرَّع[2] على جهـة تكون مقرّرة له فى توقيعه، ويوصل إلى تلك الجهة ما فرّعه عليها،
وكذلك إذا أحال ربُّ آستحقاق غيرِ ثمن مَبيع[3] أو غيرِه على جهةٍ عادتُها تَحمِل إلى بيت
المـال سَوَّغ[4] ذلك المـالَ فى بيت المـال، وأَوصله إلى تلك آلجهة، والتسويغ[5]
فى بيت المـال هو نظير المجرى[6]؛ وإذا وصل إليه آستدعاءٌ من جهة من الجهات
أو وُصولٌ وَضَعه فى جريدته، وخصمه بمـا يُقبضه لربّه، ويُشهِد عليه بمـا يقبضه،
ويُورد جميعَ ذلك فى تعليق المياوَمة.

وأما مباشر أهراء[7] الغلال — فمبنيٌّ أمرُه أيضـا على ضبط ما يصـل
إليه، وما يُصرَف من حاصله؛ ويحتاج فى مبدإ مباشرته إلى تحرير ما آنسـاق من
حواصل الغلال بأصنافها، وإن أمكنه تميزُ ذلك بيّنه، ويكون أتقنَ لعمله؛ ثم يبسط
جريدة يرصع[8] فيهـا أسماء نواحى آلخاصّ السلطانى التى تصل الغلال منها إلى الأَهراء

(١) يشطب: أى يقيد كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٢) فى الأصل: «يفرع»؛ وهو تحريف. (٣) فى الأصل: «متبع» بالتاء؛ وهو تصحيف.

(٤) فى الأصل: «صوّغ» بالصاد؛ وهو تحريف اذ لم نقف على معنى له يناسب السياق. ولعل صوابه ما أثبتنا كما يستفاد من صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١ فإنه قال فى نظر بيت المـال ما نصه: وموضوعها حمل حمول المملكة الى بيت المـال والتصرف فيـه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسويغ محصرا وصرفا الخ. والتسويغ: التجويز، يقال: سوّغه له، أى جوّزه، والمراد به هنا: الإذن فى تناول الاستحقاق من جهة معينة تيسيرا وتسهيلا على الآخذ (التاج).

(٥) فى الأصل: «والتصويغ» بالصاد؛ وهو تحريف انظر الحاشية السابقة.

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل. (٧) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٩٥ من هذا السفر. (٨) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر.

فإذا جاءته رسالة من جهة من تلك الجهات وضعها تحت آسم الجهه[1] وعبّر[2] ما وَصل قرينَها، فإن صحّ صحّتَها كتب لتلك الجهة رُجْعةً بالصحّة، وإن نقص فلا يخلو: إما أن يكون المَركَب أو الظهر الذى حَمَل دلك الصنف قد سُفِّر من ديوان الأصل، أو سَفَّره مبـاشر العمل من جهته، فإن كان قد سُفِّر من ديوان التسفيرات طالب مباشرُ الأهراء مقدَّمَ رجال المَركَب والأمينَ المسفَّرَ عليه بالعجز، وألزمهما بحَمله، فإن كان قد سُفِّر من الأعمال كان دَرَكُ ذلك على مَن سفّره، ومبـاشرُ الأهراء بالخيار بين أن يطالِب محضَرَ الغلّة بالعجز، أو يرجعَ على مباشرِ العمل به، ويكون مباشرُ العمل هو المطالِبَ لمَن سفَّرَه، والأولى طلبُ محضِر الغـلّة، فإنه إذا أطلقه ورجع إلى المبـاشر الذى سفّره فقد يعود إلى العمل وقد لا يعود، فإن لم يَعُد كان مباشرُ الأهراء قد أَضَرّ بمباشر العمل، لأنه ألزمه الغُرْم[3] مع قدرته وتمكّنه من آسترجاعه ممن عدا عليه، ويكون هو أيضا ممن شارك فى التفريط، وإن وصلتْ إليه الغلّة متغيّرةً تغيّرا ظهر له منها أنها خُلطت بغيرها، إما بوصول عينِ تلك الغلّة اليـه، أو بقرينة الحال التى يعلم منها أن تلك الغلة لا يوجد مثلُها من فلّاح، ولا يُعتدّ بها من خراج السلطنـة لظهور غَلَثها[4]، أو وصلت إليه الغلّة مبـلولةً بللا ظاهرا لتزيد عنـد الكيل ولتَمِيْز[5] نظيرَ ما أُخذ منها، فله أن يعمل لذلك معدّلا، وهو أن يَكِيل منها جزءا معلوما ويغربله حتى يصيرَ مثلَ العين التى عنده، أو بتجفيف ذلك حتى يعود إلى حالتـه

(١) فى الأصل: «هذه» وهو تحريف.

(٢) يقال عبرت الشئ: اذا نظرت كم هو كيلا أو وزنا.

(٣) فى الأصل: «الغريم» والياء زيادة من الناسخ.

(٤) الغلث بفتحتين: اسم لما تخلط به الحنطة، يقال: علثت الحنطة بالشعير: أى خلطتها به (المصباح).

(٥) تميز: اى ترتفع، وهو من المير بمعنى الزمعة، كما فى مستدرك التاج.

(٣٩) الأولى، ويحرر العجزَ على هذا الحكم، ويطالِب به مُحضِرَ الغلّة. وينبغى له أن يبدأ بصرف ما وصل إليه من الغلال المبلولة ولا يخلطها بغيرها، فإنها بعد بللها لا تحمل طولَ البقاء؛ هذا ما يعتمده فى القبض.

وأما فى المصروف، فإن كان لِصاحب جرايةٍ أو صِلةٍ أو إنعامٍ أو تقاوِ[١] لفلاّح صرف ذلك من عرض حاصِله، ويراعِى فى صرف التقاوى أن[٢] تكون من أطيب الغلال وأفضلِها، لأنه يجنى ثمرة ذلك عند آستيفاء الخراج. وإن كان ما يصرفه مما ينقله إلى الطواحين برسم المخابز، أو للإسطبلات والمُناخات برسم العليق غربَله، وحرّر نقصه، وأورده فى جامعته من الفَذْلَكة[٣] وآستقرارِ الجملة؛ ومباشرةُ الأهراء مناسبةٌ فى أوضاعها لمباشرة بيت المال.

ذكر مباشرة البيوت السلطانية

١٠

وهى الحوائج خاناه، والشراب خاناه، والطشت خاناه، [والفراش خاناه][٤]، والسلاح خاناه؛ وأمر[٥] البيوت معذوق[٦] بأستاذ الدار.

فيحتاج مباشر الحوائج خاناه إلى أمور: منها ما يُحتاج إليه من راتب السِّماط العامّ والطارئ — وهو الطعامُ الثانى الذى يُمَدّ بعد قيام السلطان من المجلس العامّ، ويأكله

١٥ (١) التقاوى من الحبوب: ما يعزل لأجل البذر؛ وهى عامية (مستدرك التاج).

(٢) فى الأصل: «وأن»؛ والواو زيادة من الناسخ.

(٣) الفذلكة: حاصل الحساب، وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢١٨ من هذا السفر.

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها لأن الفراش خاناه من البيوت التى سيذكرها فيما يأتى.

٢٠ (٥) فى الأصل: «وأمراء»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٦) معذوق: أى منوط ومرتبط كما يناط العذق بكسر العين — وهو القنو — بالنخلة؛ وقد ورد هذا اللفظ فى مواضع من هذا الكتاب وفى مؤلفات أخرى مرادا به هذا المعنى.

خواصّ المَلك ومن يحضُره بين يدى السلطان ، وهو أخصُّ من السِّماط الأوّل — وطارئُ الطارئ وهو الطعام الثالثُ الذى يُمَدّ بعد رفع الطارئ، ومنه يأكل المَلك وخواصّه، وقد يأكل السلطان من الطارئ الذى قبله ؛ فيحرّر ما يُحتاج إليه من لحوم وتوابلَ وخَضْراواتٍ وأَبازيرَ[1] وتَحالٍ وقلوبٍ[2] وطِيبٍ وبَخور وأحطاب وغير ذلك ؛ ولذلك عندهم معدّلٌ قد عرفوه فلا يتجاوزه ، فإنه إن صرف زيادةً عنه[3] بغير سبب ظاهر خرج عنه وكان تحت دَرَكه .

ومنها معرفة مقاديرِ الأسمطة فى أوقات المهمّات والأعياد ليجرىَ الأمر فيها على العادة، ولا يتجاوزها إلا بمرسوم .

ومنها تَعاهُد أسماء الحوائج خاناه ، فيَستدعى ما يراه قد قلّ عنده منها قَبْلَ نفاده بوقت يمكن فيه تحصيلُه ، فإن أخّر طلبَ ذلك إلى أن يَنفَد، أو طلبه فى وقت ولم يَبْقَ عنده منه ما يكفيه إلى أن يأتيَه ذلك الصنف من بلد آخر كان المباشر تحت دَرَك إهماله[4] ، ومتى طَلَبَ ذلك فى وقته وطالع ولىَّ الأمر به فقد خَلَص من عُهْدته .

ويحتاج إلى بسط أسماء مَن يُعامِل[5] بالحوائج خاناه من قصّاب وحَيَوانىٍّ وطيورىٍّ وغيرهم ، ويَحصُر[6] لكلٍّ منهم ما أحضره فى كلّ يوم ، فإذا اجتمع له من ذلك

(١) الأبازير : جمع أبزار ، وهو جمع بزر بالفتح والكسر ، فأبازير جمع الجمع .

(٢) يريد بالقلوب هنا : لب اللوز والبندق والفستق وغيرها مما يؤكل قلبه ، كما يستفاد من خطط المقريزى ج ١ ص ٤٢٦ طبع بولاق فى الكلام على دار الفطرة .

(٣) «عنه» : أى عن المعدّل .

(٤) فى الأصل : «اشتاله» ؛ وهو تحريف .

(٥) من يعامل : أى من يعاملهم ، وهم الذين يشترى منهم الأصناف المطلوبة لحوائج خاناه ؛ والذى فى الأصل : «من العامل» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٦) فى الأصل : «ويحصر» بالصاد ؛ وهو تحريف .

ما يقتضى محاسبتَه جَرَّد له محاسبةً ضَمَّ فيها كلَّ صنف إلى صنفه وثَمَنه، إما بتعريف ٱلحِسْبة، أو بعادة ٱستقرّت له، وأحاله بمبلَغ ما وجب له على بيت المال، أو ٱستدعى من بيت المـال ما يُنفِق منه[1] وأَشهَد عليه بقبض ذلك .

ويحتاج أيضا إلى بسط أسمـاء أرباب الرواتب السلطانيّة وأرباب الصِّلات، وما لكلٍّ منهم فى كلّ يوم، وخصْمِه بقبوضهم مياومة أو مشاهرة، صنفا أو حَوالة؛ ويراعى حالَ مَن مَرِض من المماليك السلطانيّة ونُقِـل من ٱللّحم إلى المَزَاوِير[2] أو المَساليق[3] فيَقطع مُرتَّبَه من اللحم فى مدّة مرضه، ونظيرَ ذلك من التوابل فى مدّة مرضـه .

ويحتاج إلى معرفة عادات الرُّسُـل الواردين، والأضياف[4] المتردِّدين، ومرتَّب الصـدقة فى شهر رمضان، وعاداتِ الأضَاحى والصِّـلات فى عيد النحر، فيجرى ٱلأمرَ على حكم العادة؛ ويَضْبِط جميعَ ما يَصِل إليه من ديوان المتجَر ومطابخ السكّر وغيرِها، ويكتب لهم بما يحملونه إليه من الأصناف؛ ويَضْبِط أيضا ما ٱستقرّ فى كلّ ليلة من الوَقود من شَمَع وزيت، ويَصرِف على ما ٱستقرّ عنده، وإذا سَـلَّمَ شَمعَ ٱلوَقود إلى الطَّشْتدارية وَزَنه عليهـم، وعَبَره[5] عنـد إعادته فى بُكرة النهار ليتميّز له النقص؛

(١) عبارة الأصل : «ما نفق فيه» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما يقتضيه السياق .

(٢) كذا فى الأصل؛ ولعلـه يريد جمـع "مزوّرة" بتشديد الواو المفتوحة، وهى مرقة يطعمها المريض، وهى مولّدة، كما فى شفاء الغليل، ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من المظان .

(٣) فى الأصـل : «المصاليق» بالصاد ؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان . والمساليق : جمع مسلوق، وهو من سلقت البقل ونحوه : إذا أغليته بالنـار ؛ والمراد هنا ما شاع استعماله عند العامة، وهو ما طبخ بالمـاء وحده .

(٤) فى الأصل : «والأصاف» ؛ وهو تصحيف .

(٥) عبره : أى نظر كم وزنه .

ويَضْبِط غيرَ ذلك مما يصل إليه وينزل عنده من عادات مَن قَنِـع وتَبتَّل(١)، وغيرذلك من جميع ما يَرِد وما يُرتَّب ويزاد ويُقطَع .

وأما الشراب خاناه — وهى بيت يشتمل على أنواع المشروب من المياه على اختلافها ، والسكّر والأشربة والدِّرياقات(٢) والسَّفوفات والمعاجين والأقراص والأَقْسِما(٣) والفُقّاع(٤) والبليج والأَبقـال والحَلْويّات(٥) والجُوارِشات(٦) والفواكه ، وما يجرى هذا المَجرَى ؛ وأمر هذا البيت الخاص(٧) معذوق بأمير مجلس(٨) ، والعام بأستاذ الدار ؛ فيحتاج مباشر هذه الوظيفـة الى ضبط ما يصل إليه من جميع هـذه الأصناف ،

(١) عبارة الأصل : «من داعات ما نعق» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، والمراد : الرواتب التى جعلت للزهاد والمنقطعين إلى العبادة من طعام وشراب .

(٢) الدرياق والترياق بالدال والتاء : ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ، وهو فارسىّ معرب .

(٣) الأقسما : شراب يصنع من السكر المحلول بالماء والليمون و يطرح فى ذلك يسير من السذاب ، وهو شراب جيد للهضم انظر كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منـه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية . وفى شفاء الغليل أن الأقسما : نقيع الزبيب ، قال : وأظنـه معرّب « أبسما » .

(٤) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ، وسمى بذلك لما يرتفع فى رأسه و يعلوه من الزبد انظر القاموس وشرحه . وفى كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية أن هذا الشعير يقل و يجفف و يطحن و يضاف إليه من دقيق الحنطة قدر مثليه . إلى آخر ما ذكر فى كيفية صنعه .

(٥) الحلويات : جمع حلوىّ بفتح فسكون : نسبة الى الحلوى بقصر الألف .

(٦) الجوارشات : أنواع من الحلواء ، وهو معرب ؛ وفى المعجم الفارسى الانجليزى تأليف ستاينجاس أن الجوارش يصنع من دقيق وعسل أو سكر ، وأنه يساعد على الهضم .

(٧) فى الأصل : « خاص » بدون أداة تعريف ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما يدل عليه قوله بعد : « والعام » .

(٨) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

وما يستعمله من ذلك فى عقد الأشربة والحلويات، وما يعقده للشروب وما يصرفه من ذلك، ومعرفة عادات الأسمطة والطوارئ والرواتب المقررة فى كل يوم، فيجرى الأمر فيها على العادة المستقرة، وما يستدعيه السلطان على حسب الآتفاق، وما يصرف للرضى من المماليك السلطانية من أنواع الأشربة والمعاجين وغيرها بمقتضى أوراق الأطباء؛ هذا ما يعتمد عليه مباشرها والله أعلم . ٥

وأما الطشت[1] خاناه — فهى بيت تكون فيه آلة الغسل والوضوء، وقماش[2] السلطان البياض[3] الذى لا بدّ له من الغسل، وآلة الحمام، وآلات الوقود؛ فيكون فى هذا البيت من الآلات : الطشوت[1] والأباريق والسخانات والطاسات والكراسى والستائر واللبابيد[4] المختصة بالحمامات والسجادات والنمرقات[5] والمناشف وفوط آلخدمة ومقاعد آلجلوس من الجوخ والبسط، وغير ذلك، والمباخر وأنواع البخورات ١٠ والطيب والغوالى[6] وماء الورد والمسك، وغير ذلك من الأصناف التى تلائم هذا البيت؛ ويستدعى مايحتاج اليه برسم هذا البيت من الحوائج خاناه والخزانة؛ والله أعلم .

(١) الطشت بالشين المعجمة لغة فى الطست بالسين المهملة ؛ وقد نقلت هذه اللغة فى شروح الشفاء، فقيل : هى خطأ ؛ وقيل : بل هى لغة .

(٢) الذى يستفاد من مستدرك التاج وكتاب المعرّب والدخيل للدنى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار ١٥ الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة أن إطلاق القماش على الثياب كما هنا إطلاق عامىّ .

(٣) البياض : أى ذو البياض ، موجه الوصف به ظاهر .

(٤) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل ؛ ولم نجده فيا راجعناه من كتب اللغة ؛ والمراد بها هنا : اللبود، وهى البسط من الصوف المتلبد ، واحده لبد بكسر اللام .

(٥) وردت هذه الكلمة فى الأصل هكذا «النمرلقات» ؛ باهمال النون وزيادة لام بين الراء والقاف ٢٠ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . والنمرقات بضم النون والراء : الوسائد .

(٦) الغوالى : جمع غالية ، وهى ضرب من الطيب ؛ وإنما سميت بهذا الآسم لأنها أخلاط تغلى على النار مع بعضها ، وأول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك (انظر تاج العروس) .

وأما الفِراش خاناه — فيكون فيها أنواعُ الفُرُش والخِيامِ والخَرْكاهات[1] والتُّخوت وقُصور الخشب التي تُنصَب في الدهاليز، وحمّامات الخشب التي تُنقَل على الظَّهر في الأسفار، وما يتعلّق بذلك من اللَّبابيد[2] وشلائتِ[3] النوم وغيرِ ذلك؛ وهو بيتٌ متّسِعٌ فيه حواصلُ كثيرةٌ لها قِيَمٌ جليلةٌ تحتاج الى ضبط ومعرفة، فإن[4] مباشر هـذا البيت يحتاج الى معرفة ما يحتاج الى آستصحابه في أسـفار السلطان لخاصّته[5] ولمماليكه على ٥ آختلاف طبقاتهم ووظائفهم، وما يُنصَب برسم آدُرِ[6] السلطان ومَن يتبعها من الخُدّام وما يُنصَب برسم البيوت السلطانيّة الخزائنِ فما دونها، وما يُنصَب لأرباب الوظائف من المبـاشِرين الذين يكونون في صحبة الرِّكاب السلطانيّ، ومن غير المبـاشِرين حتى الكِلابِ السلطانيّـة والكلابزيّةِ[7] والجوارى؛ ويميِّز بين خِيام الصـيد والتَّنَزُّه والأسفارِ والحروب، وغيرِ ذلك من الحركات التي يحتاج فيها إلى آستصحاب الخيام ١٠

(١) في الأصل: «والخزكاهات»؛ وهو تصحيف اذ لم نقف عليه فيما راجعناه من المظان. والخركاهات: جمع خركاه، وأصله بالفارسية «خرجاه»، ومعناها: القبة، كما في المعجم الفارسي الانجليزى تأليف ستينجاس.

(٢) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر.

(٣) الشلائت: لفظ يستعمله العامة ويريدون به الفرش المحشوة. ولم نجده فيما راجعناه ١٥ من كتب اللغة التي بين أيدينا.

(٤) في الأصل: «قال»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٥) في الأصل: «الخاصة»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما بعده.

(٦) الآدر: جمع دار.

(٧) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا: «ومن غير المباشرين حتى الكلاب السلطانية ومن غير ٢٠ المباشرين حتى الكلابزية» وفيها تكرار وقع من الناسخ؛ واستقامة الكلام تقتضى ما أثبتنا؛ والكلابزية: هم الذين يكلفون بخدمة الكلاب والقيام عليها، كما يستفاد من كتاب معيد النعم ص ٢٠٧ طبع ليدن. وفي شفاء الغليل: أن الكلبزة هي المعرفة بحال الكلاب السلوقية.

(٨) في الأصل: «خادم»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه السياق.

ولكلّ حركة منها ما جرت به العـادة من خيام المُقام والسَّفر[1]، ويَعرِض ما يسلّمه للفَرّاشين عليهم، ويَضبِط صفاته عند السَّفَر ، ويستعيده منهم عند العَود بعَرْض ثان، وكذلك ما يسلّمه لأرباب الوظائف؛ ويَضبِط أيضا ما يتسلّمه الصُّنّاع الذين يفصّلون الخامَ الجديدَ وغيرَه من آلات الفِراش خاناه : من قُماش بياض[2] ومصبوغ وغَزْل وجلود ومُشمَّعاتٍ وشعرٍ وأخشاب، وغيرِ ذلك، ويَعرِف عوائدَهم[3] فى الأُخَر، ويحاسبهم على ما يستحقّونه من الأجر بحسب أعمالهم فيُحيلهم بمَبلَغه .

وأما السلاح خاناه — فهى من أعظم البيوت وأهمّها، وأمرُها راجعٌ الى أميرِ سـلاح؛ وعلى المبـاشر فيها[4] حفظُ ما يدخُل إليها ، وضبطُ ما يخرُج منها مما يتسلّمه السلاح داريّة والزَّرَدْكَشيّة[5] والحَرْب داريّة والرُّمْح داريّة من أنواع السلاح وأصنافه اذا ركب السلطان أو جلس فى المجلس العامّ، وٱستعادتُه منهم ، و إعادتُه لهم ، والاعتدادُ لهم بمـا أَنعَم به السلطان وذهّبه ممـا كان بأيديهم؛ ويوصِلُ ما يَصل إلى السلاح خاناه من خزائن السلاح وغيرِها، وما يَصل اليه من سيوف الأمراء الذين يُرسَم بٱعتقالهم، وما يُحمَل اليه من سلاح من تُوُفِّىَ من الأمراء على جارى العادة . «ويميِّز[6] ذلك من غيره» وعليه أن ينبِّه أميرَ سلاح على ما عنـده من العُدَد التى يُخشى عليها التلف

---

(١) فى الأصل : «والسق» ؛ وهو تحريف .

(٢) المراد بالبياض : ذو البياض، كما سبق فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ ورقم ٦ من صفحة ٢١٤ من هذا السفر .

(٤) لعله : «لها» .

(٥) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٠٤ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «ويمن» ؛ وهو تحريف . وقد وردت هذه الجملة فى الأصل قبل قوله : «وما يحمل اليه» وسياق الكلام يقتضى تأخيرها عنها كما أثبتنا .

تطاول المدّة ليأمُر بكشفها و إصــلاحها : من مسحٍ ودهانٍ وصَقْلٍ وجِلاءٍ وشَحْذٍ[1] وتثقيفٍ وخَرْزٍ، وغير ذلك .

وجميعُ ما قدّمنا ذكرَه من البيوت ليس بشيء من صناعة الكتابة العلميّة ، بل العمليّة خاصّة، فإن علوم الكتابة إنما تظهر فى نُظُم الحُسبانات، ولا نُظُم فيما قدّمناه، والعمدةُ فى صناعة الكتابة على مباشَره الهلالىّ والخراجىّ على ما يأتى بيانُ ذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر جهات أموال الهلالىّ ووجوهها[2] وما يحتاج إليه مباشرها

والهلالىُّ عبارةٌ عمّا تُستأدَى أجورُه مشاهرةً، كأجر الأملاك المسقّفة من الآدُرِ[3] والحوانيتِ والحمّاماتِ والأفرانِ وأَرْحِيهِ[4] الطواحين الدّائرة بالعوامل[5]، والراكبة على المياه المستمرّة الجَرَيان، لا الطواحينِ التى تدور بالميــاه الشَّتْويّة فى بعض نواحى الشام، فإنها تَجرِى مَجرى الخراجىّ، وسنذكر ذلك إن شاء الله فى موضعه؛ ومما يورد فى أبواب الهلالىّ عدادُ الأغنام والمواشى، ومن الهوائىّ[6] الجهاتُ الهلاليّةُ المضمونة والمحلولة، والذى يَعتمِد عليه مباشرُه أن يَتخيّر لكلّ جهةٍ من يستأجرها بقيمتها، وما لعلّه يتعيّن

---

(١) فى الأصل : « وشحن » بالنون والدال؛ وهو تحريف .

(٢) يريد بالوجوه هنا : الطرق؛ أى طرق الكتّاب واصطلاحاتهم فى كتابة هذه الأموال؛ فلا تكرار بينه وبين قوله : « جهات » .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢٦ من هذا السفر .

(٤) الأرحية : جمع رحى؛ وهذا الجمع نادر؛ بل نقل الأزهرى عن أبى حاتم أنه خطأ وأن الصواب فى جمعه أرحاء .

(٥) العوامل : البقر .

(٦) المراد بالهوائى : ما ليس له سقف؛ وعبارة المقريزى فى الخطط ج ١ ص ١٠٧ طبع بولاق : « والجهات الهوائية المضمونة والمحلولة » .

من الحيطة[1]، ويُلزِم المستأجرَ بكتابة إجارةٍ شرعيّةٍ لمدّة معلومة بأجرة معيّنة، ويجلّده
في ديوانه، وإن كانت الجهة هوائيّةً ألزم ضامنَها بكتابة حجّة بمبلغ الضمان، وطالبه
بمن يكفله من الضمّان الأملئاء[2] القادرين بالمال[3] في الذمّة، فإن تعذّر فبالوجه[4]، فإذا
خلّدت الحجّةُ عنده كَتب له من ديوانه تقريرًا يعيّن له فيه استقبالَ مدّة ضمانه، ومبلغَ
الضمان وأقساطَه مبسوطةً[5] أو منجّمة[6]، ويذكر فيه ما يستأديه من رسوم تلك الجهة
على ما تشهد به الضرائبُ المخلَّدةُ في الديوان، ويسلّمه إليه. فإذا تكاملت عنده إجاراتُ
الأملاك وحُجَجُ الضمّان بسط على ذلك جريدةً يشرح فيها الجهةَ، واسمَ مستأجرها
أو ضامنها، واستقبالَ مدّة إيجاره[7] أو ضمانه، ومبلغَ الأجرة أو الضمان في السنة والشهر
واليوم، وإنّما ذكرنا اليوم لما يحصل من أقساط أيّام السلوخ[8] للشهور الناقصة،
ولما كانت العادةُ جاريةً به من استخراج قسط يوم العدل من سائر ضمّان الجهات

---

(١) في الأصل: «العطه» [illegible]، وهو تحريف صوابه ما أثبت كما يقتضيه السياق، والحيطة اسم من الاحتياط [illegible] من الأحياط والاحتياط [illegible] في إجارة كل جهة.

(٢) «الأملئاء» بهمزتين جمع مليء [illegible] [illegible] ولم [illegible] فيه ترك الهمز [illegible].

(٣) «بالمال» متعلق بقوله: يكفله.

(٤) الظاهر أنه يريد بالوجه [illegible] يتكفل دون المال والمعنى فلمت [illegible] في الحال وإن لم يكن غنيا.

(٥) الظاهر أن المراد بالمبسوطة هنا [illegible] واحدة، كما تدل عليه مقابلته بالمنجمة [illegible] المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة، فلعله اصطلاح لكتاب الدواوين في زمن المؤلف لأن دافعه [illegible] يبسطه في المجلس ولا يؤجله.

(٦) المنجمة: هي التي يقدر عطاؤها في [illegible] معلومة مياومة، مشاهرة أو مساناة، وأصله أن [illegible] كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت [illegible] يقولون: إذا طلع النجم حل عليك مال.

(٧) الإيجار مصدر آجر، يقال: آجرت زيدا الدار مثلا إذا أكريتها.

(٨) في الأصل: «لوح» باللام والحاء؛ وفيه نقص وتصحيف.

الهوائيّة، وهو قسطُ يومٍ واحدٍ فى سَلخ ثلاثِ سنين يُؤخَذ من الضُّمّان خالصا للديوان زيادةً على الأقساط، وهـذا يُستأدَى فى بعض أقاليم الشأم؛ وإنما أوردناه خشيةَ الإخلال به؛ ويكون بَسْطُه لذلك فى يَمْنة القائمة إلى الشطر المكسور المعتاد الذى يتخلّله خيط ٱلجريدة؛ فإن ٱتّفق فى جهةٍ زيادةٌ فى أثناء السنة قرّرها فى تعليق المُياوَمة، ووضعها فى الجريدة بمـا صورته : ثم ٱستقرّت بٱسم فلانٍ لٱستقبال التاريخ الفلانىّ بكذا وكذا، العِبرةُ(١) كذا، والزيادةُ كذا؛ ويحاسب المستأجِرَ أو الضامنَ المنفصلَ عمّا ٱستُحِقّ عليـه إلى حين ٱنفصاله، ويُلزِمه بالقيام به، وذلك بعـد أن يَعرِضَ على الضامن ٱلمستقرّ مازاد عليه، فإن ٱختار قبولَ الزيادة على نفسه قبل ذلك منه، وكان ذلك له، فإن زِيدت عليه فى الوقت زيادةٌ ثانيةٌ لم يكن له الٱستمرارُ فى الجهة إلا بزيادةٍ على تلك الزيادة الثانيـة؛ وإذا انقضت مدّة مستأجِرٍ أو ضامنٍ وأراد الخروج من تلك الجهة، فإن كان قد غَلَّق(٢) ما عليـه من الأجرة أو الضّمان لم يكن للمباشِر إلزامُه بالٱستمرارِ بها، وإن ٱنطرد(٣) عليه باقٍ كثيرا كان أو قليلا لزمه ٱستئنافُ عَقـدٍ جديدٍ نظيرِ العَقد الأوّل؛ هذا ٱصطلاحُهم فى الديوان، ولهم ٱصطلاحات أيضا نحن نذكر ما تيسّر منها، إذ لا تمكن الإحاطـةُ بجميعها لٱختلاف أحوال المباشَرات، ولو ٱستقصينا ذلك لطال؛ فمن ٱصطلاحاتهم أن المبـاشِر يسلّمُ للمستأجِر الطاحونَ عند أذان المغرب من اليوم الذى حصل فيه الإيجارُ أو الزيادةُ لٱستقبال

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر.

(٢) فى الأصل : «علق» بالعين المهملة؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيـه ما يناسب سياق الكلام؛ وغلق بالغين المعجمة وتشديد اللام : أى تمم وكمل، وهـذا الاستعمال لا يزال شائعا بين العامة فى زماننا؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة، وكأنهم أخذوه من أن المستأجر إذا دفع كل ما عليه فقد أغلق باب المطالبة.

(٣) فى المصباح وغيره أنه لا يقال انطرد إلا فى لغة رديئة.

اليوم الثانى، ويسلِّم الحمّامَ من وقت التسبيح، ويسلِّم بقيّةَ ٱلجهات لٱستقبال غُرّة النهار، وإذا دخل ضامنُ نيلةٍ قوْمٍ[1] للمتفصل ماله بالخَوابِى من مياه الأصباغ المختلفةِ بالقيمة العـادلة، ولا يُمَكّن مِن أخْذِ ذلك من المصبغة لمـا فيه من الإضرار بهما، أما ضررُ ٱلمنفصل فلفساد الميـاه، وأما ضررُ ٱلمتصـل فلأنه يَتعطّل مدّةً إلى أن تختمِر له مياهٌ غيرُها، ولا يُمَكّن ضامنُ المصبغة المنفصل مِن أخذِ خابية وإن كانت مِلكَه، بل القيمةِ عنها؛ هذا ٱصطلاحهم؛ وليَحترِز مباشرُ ٱلجهات الهلاليّة من قبول زيادةٍ بسطا فى جهة منجّمةٍ قد مضت أقساطُها الخفيفةُ[2] وبقيَت الأقساطُ الكبار، لِـما يحصُل فى ذلك من التّفاوت والنقصِ على الدّيوان مع وجود الزيادة الظاهرة، مثال ذلك أن تكون جهةٌ مضمونةً فى كلّ سنة بأربعة آلاف درهم منجّمة، قسطُ ستة شهور ألفُ درهم، وقسطُ الستة شهور الثانيـةِ ثلاثةُ آلاف، فٱنقضت الستّةُ الأُوَل، وحَصَلتْ زيادةٌ فى الجهة فى أوّل الستّةِ[3] الثانيةِ مَبْلغ خَمسمائة درهم فى السنة على أن تكون قسطين، فيصير بمقتضى البسط قسطُ الستّةِ شهور الثانيةِ ألفين ومائتين وخمسين درهما، وهى على الضامن المنفصل بثلاثة آلاف، فتكون هذه الزيادة على هـذا ٱلحُكم نقصا؛ فيراعى ٱلمباشرُ ذلك، فإنه متى وقع فيه خرج عليه وكان مخرجا لازما؛ ومهما ٱستخرجه المباشرُ من مستأجِرٍ أو ضامنٍ أو أجراه بوُصولٍ[4] لربِّ ٱستحقاقٍ أو ثمنِ صنف، أو غيرِ ذلك من وجوه المصارف أَوردَه فى تعليق المياوَمة، وصورةُ وضعِهِ لذلك أن يرصّع[5] المُحَضر أو المُجرَى عن يَمْنة القائمـة، ويحصمَ عن يَسْرتها قُبالةَ

(١) فى الأصل: «مثله»؛ وهو تحريف لايستقيم به المعنى، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٢) فى الأصل: «الحقيقة»؛ وهو تصحيف.

(٣) فى الأصل: «السة»؛ وهو تصحيف.

(٤) الوصول بصيغة المصدر: هو المعروف الآن بين الناس فى معاملاتهم بالإيصال. وفى شفاء الغليل أن هذه الكلمة مولدة عامية لم يستعملها متقدم ولا متأخر محسن، إلا أنها وقعت فى الأشعار النازلة كثيرا.

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر.

المُجْرَى، فيقول فى يَمْنتها : من جهة فلان كذا، وفى مقابَلتِه : يصرف فى كذا؛ ثم يَشطُب المُحضَرَ والمُجْرَى من تلك الجهة فى يَسْرة قائمةِ الجريدةِ التى بَسَطَها قُبالةَ كلّ آسم آستَخرج منه أو أُجرَى عليه، يَفعل ذلك فى مدّة السنة، ويَرمِزُ على تعليقه إشارةَ آلخدمة على الجريدة، وصورتُه [له]؛ وكذلك اذا كتب وُصولا رَمَزَ عليه إشارةَ الكتابة، وصورتُه له ؛ فإذا آنقضت السّنة عَمِلَ محاسَبةَ كلِّ جهةٍ بما آستخرجه من مستأجرها أو ضامنها وأجراه عليه، وعقَدَ على ذلك جملةً، فان كان المستخرَجُ والمُجْرَى نظيرَ الأجرة أو الضَّمان فقد تَغلَّقت تلك آلجهة عن تلك السنة، وإن زاد المستخرَجُ على الأجرة أَوْردَه فى حسابه مضافا، ويسمّيه : زائدَ مستخرَجٍ، على ما يأتى بيانه فى كيفيّة الأوضاع الحسابيّة، وآعتَدَّ له بذلك فى السنة المستقبلَة؛ وإن تعيّن للضامنِ أو المستأجرِ آعتدادٌ بما يجب الاعتدادُ به كبِطالة الحمّامات من آنقطاع المياه عنها أو وقوفها فيها، وإصلاحِ القدور، وعُطْلِ العمائر، وبِطالةِ الطواحين لآنقطاع المياه وآنكسارِ الأحجار أو السهامِ أو العُددِ، أو حصولِ جائحةٍ أرضيّةٍ أو سمائيّة كآنقطاع الأجلاب عن الجهات الهوائيّة بسبب مداومَة الأمطار، أو سقوطِ الثلوج، أو طُروقِ عدوٍّ للبلاد، أو حادثةٍ عُطِّلت تلك الجهةُ بسببها آعتَدّ له بقسط تلك المدّة محسوبا

(١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصل : «تعلقت» بالعين؛ وهو تصحيف اذ لم نجد من معانيه ما يناسب السياق . «وتغلقت» الخ : أى تم دفع ما على هذه الجهة من الأجرة أو الضمان، كما يرشد اليه السياق؛ وهو استعمال عامىّ كما سبق توضيح ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

(٤) فى الأصل . «واعتد»، وهو تحريف . وفى المصباح انه يقال : اعتددت بالشىء، أى أدخلته فى العد والحساب .

(٥) فى الأصل : «حاجة»؛ وهو تحريف . والجائحة : الآفة والنازلة .

(٦) الأجلاب بفتح الهمزة : جمع جلب بالتحريك، وهو المجلوب .

"هذا إذا شرط ذلك فى تقريره"(١) على ما يأتى شرح ذلك؛ هذا ما يعتمد(٢) عليه المباشرُ للجهات الهلاليّة فى أصولها .

وأما مضافاتُها فلا فرق بينها وبين سائرِ الأموال ، وسيَرِد الكلام إن شاء الله على ذلك مفصّــلا ؛ وقد آصطَلَح بعضُ مباشِرى آلجهات على إيراد أَحكارِ البيوت والحوانيت ، ورَيعِ البساتين التى تُستحرَج أجورُها(٣) مشاهرةً، ومَصايدِ السمك، ومَعاصِرِ الشَّيْرج(٤) والزيت فى مال الهلالىّ؛ ومنهم من يوردها فى أبواب آلخراجىّ، وهو الأليق، وإنما نبّهْنا عليه لبيان الآختلاف فيه، ولا أرى فى إيراد رَيْع البساتين فى مال الهلالىّ وجها، بل يتعيّن ألّا يَرِدَ إلا فى أبواب الخراجىّ؛ وإن قال قائل منهم : قد يكون فى أرض البستان مَسكَنٌ يستحِقّ أجرة ، قلنا : إن أمكن إفرادُ ذلك المَسكَن بأجرةٍ معيَّنةٍ تُقيَّدُ أموالُه فى أموال الهلالىّ دون البستان، وان تعذَّر إفرادُه وأُوجِرا بعقدٍ واحد فالمَسكَنُ هنا فرعُ البستان، والفرعُ يتبع الأصلَ ولا ينعكس، هذا ما لخّصناه من حال مالِ الهلالىّ، فلنذكر(٥) آلجَوالِى .

---

(١) وردت هذه الجملة فى الأصل قبل الجملة السابقة، أى قبل قوله: «اعتمد» الخ؛ والسياق يقتضى تأخيرها عنها كما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : «تقليبه»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه قوله فى صفحة ٢٢٩ س ٤ : «كتب له من ديوانه تقريرا» الخ .

(٣) فى الأصل : «أصولها»، وهو تحريف لا يستقيم به المعنى؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا، كما فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٣ طبع المعهد الفرنسى .

(٤) كذا [illegible] اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج مادة «شرج» بالمعجمة، وذكر أن العوام يقولونه بالسين المهملة مكسورة؛ وهو [illegible] .

(٥) موضع هذه الكلمة فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

ذكر الجزية الواجبة على أهل الذمّة وما ورد فيها من الأحكام الشرعيّة وأوّلِ مَن ضربَها وقرّرها على الرءوس وما اصطلح عليه كُتّابُ التصرّف فى زماننا من ٱستخراجِها وموضعِ إيرادها فى ٱلحساب ونسبتِها فى الإقطاعات الجيشيّة وما يلزم مباشرَها من الأعمال وما يحتاج إليه والله أعلم

أما الأحكام الشرعيّة فالأصل فى وجوبها قولُه تعـالى : ﴿ قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَـرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُـولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا ٱلْجِـزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ وقد ورد فى هـذه الآية تأويلاتٌ ذكَرها أقضى القضاة أبو الحسن علىُّ بنُ محمد بنِ حَبيب ٱلمـاوردىّ — رحمـه الله — فى الأحكام السلطانيّـة ، نحن نذكرها على ما أُورَده ، قال : أما قولُه : « ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ » فأهـلُ الكتاب [وإن](1) كانوا معترِفين بأن الله سبحانه واحد ، فيَحتمِل [نفى](2) هـذا الإيمانِ بالله تأويلين ، أحدهما : لا يؤمنون بكتاب الله سبحانه وهو القرآن ، والثانى : لا يؤمنون برسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم ، لأن تصديقَ الرُّسُل إيمانٌ بالمرسِل ؛ وقولُه : « وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ » يَحتمِل تأويلين ، أحدهما : لا يخافون وعيدَ اليوم الآخرِ وإن كانوا معترفين بالثواب والعقاب ، والثانى : لا يصدِّقون بمـا وصفه الله تعالى من أنواع العـذاب ؛ وقولُه تعالى : « وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ » يَحتمِل تأويلين ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٤٦ طبع ألمـانيا .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصـل ومن نسخة الأحكام السلطانيـة طبع ألمـانيا ، وقد أثبتناها عن نسخة الأحكام السلطانية طبع مصر إذ بها يستقيم الكلام .

أحدهما : ما أَمَرَ الله سبحانهُ بِنَسْخِهِ مِن شرائِعِهم ، والثـانى : ما أَحَلَّه لهم وحَرَّمه عليهم ؛ «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ» فيه تأويلان ، أحدهما : ما فى التوراة والإنجيل من آتّباع الرسول — وهو قول الكلبيّ — ، والثانى : الدخولُ فى دين الإسلام — وهو قول الجمهور — ، وقولُه : «مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ» فيه تأويلان ، أحدهما : من أَبْناءِ[1] الذين أوتوا الكتابَ ، والثانى : مِن الذين مِلّتُهم الكتابُ ، لأنهم فى آتّباعِه كإيتائه[2] ، وقولُه : «حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ» فيه تأويلان ، أحدهما : حتى يدفعوا آلجزيةَ ، والثانى حتى يَضمَنوها ، لأنه بضمانها يجب الكفُّ عنهم ؛ وفى الجزية تأويلان ، أحدهما : أنها من الأسماء المُجْمَلة التى لا يُعرَف منها ما أُريد بها إلا أن يَرِدَ بيانٌ[3] ، والثانى : أنها من الأسماء العامّة التى يجب إجراؤها على عمومها إلا ما خصصه دليل ؛ وآسمُها مشتقٌّ من آلجزاء ، وهو إما جزاءٌ على كفرِهم ، أو جزاءٌ على أمانِنا لهم ؛ وفى قوله : «عَن يَدٍ» [تأويلان ، أحدهما : عن غِنًى وقُدرة ، والثانى : أن يَعتقِدوا أن لنا فى أخذها منهم يدًا وقُدرةً عليهم ؛ وفى قوله][4] : «وَهُمْ صَاغِرُونَ» تأويلان ، أحدهما : أَذِلّاءُ مساكينُ[5] ، والثانى : أن تُجْرَى عليهم أحكامُ الإسلام . وقال غيرُه : الصَّغار أن يُضرَب على فَكّ الذمّيّ بِرءوس الأنامل عند قيامه بالجزية ضربا لطيفا غيرَ مؤلم . وقال المـاوردىّ :

(١) إنما قدر هذا المضاف لأن الذين أوتوا الكتاب أنفسهم لم يكونوا فى زمن الإسلام فتؤخذ منهم الجزية ؛ والذى فى نسخ الأحكام السلطانيـة «من أبناء» وكذلك فى كتاب الحاوى الكبير للماوردى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعى ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) فى الأصل : «كإتيانه» ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا لأن الإيتاء هو مصدر «أوتوا» لا «الإتيان» ؛ والمعنى أنهم فى آتباعه كأنهم أوتوا الكتاب ، والذى فى الأحكام السلطانية : «كآبائه» ، وهو تحريف .

(٣) عبـارة الأصل : «تروتنان» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما فى الأحكام السلطانيـة ص ٢٤٧ طبع ألمانيا .

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يتم الكلام .

(٥) فى الأصل : «مسألين» ، وهو تحريف .

فيجب على ولىّ الأمر أن يضرِبَ ٱلجزيةَ على رقاب من دخل فى الذمّة من أهـل الكتّاب ليقرّوا بها فى دار الإسلام؛ ويلتزِم لهم ببذلها حقّين : أحدهما الكفُّ عنهم، والثانى ٱلحمايةُ لهم، ليكونوا بالكفّ آمنِين، وبالحماية محروسِين؛ روى نافعٌ عن ٱبن عمر رضى الله عنهم قال : آخرُ ما تكلّم به النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: "احفظونى فى ذِمّتى"(١) قال الماوردىّ : ولا تؤخذ من مُرتدٍّ ولا دَهْرِىٍّ ولا عابِد وثَن، وأخَذَها أبو حنيفة من عَبَدة الأوثان من العجم، ولم يأخذها منهم إذا كانوا عربا(٢)؛ وأهل الكتّاب هم اليهود والنصارى، وكتابُهم التوراة والإنجيل، وتجرى ٱلمجوسُ مجراهم فى أخذ الجزية منهم؛ وتؤخَذ من الصابئين(٣) والسامِرة(٤) اذا وافقوا اليهود والنصارى فى أصل معتقَدهم وان خالفوهم فى فروعه، ولا تؤخَذ منهم إن خالفوا اليهودَ والنصارى فى أصل معتقَدِهم؛ ومن جُهِلتْ حالُه أُخِذتْ جزيتُه، ولا تؤكَل ذبيحتُه؛

والجزية تجب على الرجال الأحرار(٥) العقـلاء، ولا تجب على صبىٍّ ولا آمرأةٍ ولا مجنونٍ ولا عبدٍ، لأنهم أَتْباعٌ وذَرارِىّ؛ ولو تفرّدت آمرأةٌ منهم [عن](٦) أن تكون تبعا لزوجٍ أو نسيبٍ لم تؤخَذْ منهـا ٱلجزية، لأنها تبعٌ لرجال قومها وإن كانوا أجانب

---

(١) أراد : فى أهل ذمتى .

(٢) فى الأصل : «عرب» ؛ وهو تحريف .

(٣) الصابئون : قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب . يزعمون أنهم على دين نوح (تاج العروس) .

(٤) السامرة : قوم من اليهود يخالفونهم — أى اليهود — فى بعض أحكامهم، كإنكارهم نبوة من جاء بعد موسى عليه السلام وقولهم : « لا مساس » ، وزعمهم أن نابلس هى بيت المقدس ؛ وهم صنفان : الكوشان والدوستان ؛ وإليهم نسب السامرىّ الذى عبد العجل (تاج العروس) .

(٥) فى الأصل : «والأحرار» ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها ؛ والذى فى نسختى الأحكام السلطانية طبع ألمانيا وطبع مصر مكان هذه الكلمة : «على» ؛ وهو تحريف .

منها؛ ولو تفرّدت آمرأةٌ فى دار الحرب فبذلت آلجزيةَ للُمقام فى دار الإسلام لم يلزمها ما بذلته، وكان ذلك منها كالهبة لا يؤخذ منها إن آمتنعتْ؛ ولا تؤخذ الجزية من خنثى مُشكِل، فإن زال[1] إشكاله وبان رجلا أُخذتْ منه فى مستقبَل أمره وماضيه؛

وآختلف الفقهاء فى قدر آلجزية، فذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف: أغنياءُ يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما، وأوساطٌ يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهما وضربٌ[2] يؤخذ منه آثنا عشر درهما، [[3] فجعلها مقدَّرةَ الأقلّ والأكثر] ومَنَع من آجتهاد الولاة فيها .

وقال مالك : لا يقدّر أقلّها ولا أكثرُها، وهى موكولةٌ إلى آجتهاد الإمام فى الطرفين .

وذهب الشافعىّ إلى أنها مقدَّرةُ الأقلّ بدينار لا يجوز الاقتصار على أقلّ منه، وعنده أنها غيرُ مقدَّرةِ الأكثر، يُرجَع فيه إلى آجتهاد الولاة، ويجتهد رأيَه فى التسوية بين جميعهم، أو التفضيلِ[4] بحسب أحوالهم . فإذا آجتهد رأيَه فى عقد الجزية معهم على مُراضاة أُولى الأمر منهم صارت لازمة لجميعهم ولأعقابهم قرنا بعد قرن، ولا يجوز لوالٍ بعده أن يغيره[5] الى زيادة عليه أو نقصانٍ منه .

(١) فى الأصل : «راد» بالدال؛ وهو تحريف .

(٢) الذى فى الأحكام السلطانية : «وفقراء»؛ وهو أظهر لأنه قد عين الصنفين السابقين بقوله : «أغنياء» «وأوساط» .

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل، وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية كما تقتضيه المقابلة بما يأتى فى قول مالك والشافعى .

(٤) فى الأصل : «والتفصيل»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا فى الأحكام السلطانية ص ٢٤٩ طبع ألمانيا .

(٥) أن يغيره، أى أن يغير عقد الجزية .

ويُشترَط عليهم فى عقد الجزية شرطان : مستحَقٌّ ومستحَبّ، أما المستحَق فستة أشياءَ[(١)] : أحدها ألّا يذكُروا كتابَ الله تعالى بطعنٍ فيه ولا تحريفٍ له ، والثانى ألّا يذكُروا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بتكذيبٍ له ولا ازدراءٍ به ، والثالث ألّا يذكُروا دينَ الإسلام بذمٍّ له ولا قدحٍ فيه ، والرابع ألّا يُصيبوا مسلمةً بزنًى ولا باسم نكاح، والخامس ألّا يفتِنوا[(٢)] مسلما عن دينه ولا يتعرّضوا لماله ولا دمه[(٣)]، والسادس ألّا يُعينوا أهلَ الحرب ولا يؤْووا أغنياءَهم؛ فهذه الستةُ حقوقٌ ملتَزمةٌ بغير شرط، وإنما تُشترَط إشعارا لهم، وتأكيدا لتغليظ العهد عليهم، فيكون انتهاكُها بعد الشرط نقضا لعهدهم .

وأما المستحَبّ فستة أشياءَ: أحدها تغيير هيآتهم بلُبْس الغِيار[(٤)] وشدّ الزُّنّار[(٥)]، والثانى ألّا يَعْلُوا على المسلمين فى الأبنية، ويكونوا إن لم ينقصوا مساوِين لهم، والثالث ألّا يُسمِعوهم أصواتَ نواقيسهم، ولا تلاوةَ كتبهم، ولا قولَهم فى عُزَيرٍ والمسيح، والرابع ألّا يجاهِروهم بشرب خمورهم، ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم، والخامس أن يُخْفُوا[(٦)] دفنَ موتاهم ولا يَجْهَروا بندبٍ عليهم ولا نياحة ، والسادس أن يُمنَعوا من ركوب الخَيل عِتاقا وهُجْنا، ولا يُمنَعوا من ركوب البغال والحمير؛ قال : فهذه الستة المستحَبّة



(١) كذا فى نسخ الأحكام السلطانية التى بين أيدينا ؛ والذى فى الأصل : «فيه أشياء» وهو تحريف ويرشد الى ما أثبتناه أيضا مقابله بقوله الآتى : « وأما المستحب فستة أشياء » .

(٢) فى الأصل : « يعينوا » ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «ذمته»؛ وهو تحريف .

(٤) الغيار : علامة أهل الذمة كالزنار؛ قال فى شفاء الغليل نقلا عن شرح المهذب : الغيار أن يخيطوا على ثيابهم الظاهرة مايخالف لونه لونها ، وتكون الخياطة على الكتف دون الذيل ، والأشبه ألا تختص بالكتف . اهـ

(٥) الزنار وزان رمان : ما يلبسه الذمّىّ يشدّه على وسطه .

(٦) فى الأصل : « أن لا يخفوا » ؛ وقوله : « لا » زيادة من الناسخ مفسدة للعنى .

لا تَلزم بعقد الذِّمّة حتى تُشترَطَ فتصيرَ بالشرط ملتزَمة، ولا يكون ارتكابُها بعد الشرط نقضا للعهد، لكن يؤخَذون بها إجبارا[1]، ويؤدَّبون[2] عليها زجرا[3]، ولا يؤدَّبون إن لم يُشترَط ذلك عليهم، ويُحتاط به[4].

[وتجب الجزية عليهم][5] في كل سنة مرّةً واحدةً بعد انقضائها[6] بالشهور الهلاليّة، ومن مات منهم في أثناء السنة أُخِذ من تَرِكته بقدر ما مضى منها، ومن أسلم كان ما لَزِم من جزيته دَينا في ذمّته يؤخَذ منه؛ وأسقطها أبو حنيفة بإسلامه وموته؛ ومَن بلَغ من صغارِهم، أو أفاق من مجانينِهم آستُقبِل به حولٌ [ثم أُخِذ][7] بالجزية ويُؤخَذ الفقيرُ بها إذا أيسَر، ويُنتظَر بها إذا أعسَر؛ ولا تسقط عن شيخ ولا زَمِن، وقيل: تسقط عنهما وعن الفقير؛ ولأهل العهد إذا دخلوا دارَ الإسلام الأمانُ على نفوسهم وأموالهم، ولهم أن يقيموا فيها أربعةَ أشهر بغير جزية، ولا يقيموا سنةً إلا بجزية، وفيما بين[8] الزمانَين خِلاف؛ ويَلزَم الكفُّ عنهم كأهل الذمّة، ولا يَلزَم الدفعُ عنهم؛ وإذا أمَّن بالغٌ عاقلٌ من المسلمين حربيّا لَزِمَ أمانُه كافّةَ المسلمين، والمرأةُ

(١) في الأصل: «يوجدون»؛ وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: «اخبارا» بالخاء؛ وهو تصحيف.

(٣) في الأصل «ويؤذنون»؛ وهو تصحيف.

(٤) وردت هذه العبارة في الأصل مكتوبة بخط كبير مشبه لما تكتب به تراجم الأبواب والفصول؛ ولم ترد في الأحكام السلطانية؛ والمعنى أنه ينبغي للامام أن يحتاط باشتراط ذلك عليهم ليعاملهم بمقتضاه.

(٥) هذه التكملة ساقطة من الأصل؛ واستقامة الكلام تقتضي إثباتها؛ وعبارة الأحكام السلطانية ص ٢٥١ طبع ألمانيا: «ولا تجب الجزية عليهم في السنة الا مرة واحدة».

(٦) هذه الهاء والباء ساقطتان من الأصل؛ والسياق يقتضي إثباتهما، كما في الأحكام السلطانية.

(٧) هذه التكملة ساقطة من الأصل وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا.

(٨) كذا في الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا و ص ١٣٩ طبع مصر؛ والذى في الأصل: «دون»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى.

فى بذل الأمان كالرجل، والعبدُ فيه كالحـرّ؛ وقال أبو حنيفة : لا يصحّ أمانُ العبد إلا أن يكون مأذونا له فى القتال؛ و[(١)] إذا تَظاهَر أهلُ الذمّة والعهدِ بقتال المسلمين كانوا حربا لوقتهم، يُقتَل مُقاتِلُهم، ويُعتَبَرُ حالُ مَن عدا المُقاتِلة منهم بالرضا بفعلِهم والإنكارِ له؛ وإذا آمتنع أهـلُ الذمّة من أداء الجزية كان نقضـا لعهدِهم؛ وقال أبو حنيفة : لا يَنتَقِض به عهدُهم إلّا أن يلحَقوا بدار الحرب، وتُؤخَذ منهـم جَبْرا كالدُّيون؛ وإذا نَقَض أهلُ الذمّة عهدَهم لم يُستَبَح بذلك قتلُهم، ولا غُنْمُ أموالِهم، ولا سَـبْىُ[(٢)] ذرارِيِّهم ما لَم يقاتِلوا، ووجب إخراجُهم من بلاد المسلمين آمنـين حتى يَلحَقوا مَأْمَنَهم من أدنى بلاد الشِّرك، فإن لم يَخرُجوا طوعا أُخرِجوا كَرْها؛ فهذه هى الأحكام الشرعيّة فى أمر الجزية .

وأوّلُ ما ضُربت آلجزية وجُعِلتْ على الرءوس فى خلافة عمـر[(٣)] بن الخطّاب — رضى الله عنــه — وكانت قبل ذلك تُحمَل قطائعَ؛ وآختُلِف : هل آستأداها سَلَفا أو عند آنقضاء الحَوْل .

---

(١) هذه الواو ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها .

(٢) فى الأصل : «ولا بغى»؛ وهو تحريف .

(٣) فى كتب الفقه ما يفيد أن الجزية كانت على الرءوس فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب من كل حالم دينارا ولم يفصل . وروى مسروق عن معاذ بن جبل أنه قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وأمرنى أن آخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافر، انظر كتاب الحاوى الكبير للماوردى ج ١٩ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقـه شافعى وكتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ٧٢ طبع المطبعة السلفية . والمعافر: ثياب تصنع باليمن . أما ما كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فهو أنه جعل أهل الذمة طبقات، فأخذ من الأغنياء ثمـانية وأربعين درهما، ومن المتوسطين أربعة وعشرين درهما، ومن الفقراء آثنى عشر درهما، وذلك فى سواد العراق لمـا افتتحه، انظر كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٢٠ و ٢١ و ٢٢ طبع المطبعة الأميرية وكتاب الأوائل لأبى هـلال العسكرى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ . ولم يكن هذا التقسيم قبل خلافة عمر .

وأما ما ٱصطلح عليه كُتّاب التصرّف فى زماننا هذا من ٱستخراجها وموضع إيرادها فى حُسباناتهم، فهُم يستخرجونها سَلفا وتعجيلا فى غُرّة السنة، وفى بعض الأقاليم تُستَخرَج قبل دخول السنة بشهر أو شهرين؛ وتُورَد فى الحُسبانات قلما مستقِلّا بذاته، بعد الهلالىّ وقبل الخراجىّ ، وسببُ تأخيرها عن الهلالىّ أنها تُستأدَى مُسانَهةً ، وسببُ تَقدُّمها على الخراجىّ ما ورد من وجوبها مشاهَرةً على الأشهر من أقوال الفقهاء؛ وقد تقدَّم ذكْرُ الحُكم فيمن أسلم أو مات فى أثناء الحَوْل، وأنه لا يَلزَمه منها إلا بقدر ما مضى من السنة قبل إسلامه أو وفاته، فلذلك وردتْ بين الهلالىّ والخراجىّ .

وأما نسبتُها فى الإقطاعات الجيشيّة عند خروج[1] إقطاعٍ ودخولِ آخر فإنها تَجرِى مَجرى المال الهلالىّ ، لأنها تُستخرَج على حكم شهور السنة الهلاليّة دون الشمسيّة؛ فإن تَعجَّلها مُقطَعٌ فى غُرّة السنة على العادة وخرج الإقطاعُ عنه فى أثنائها بوفاةٍ أو نقلة إلى غيره استَحقّ منها نظيرَ ما مضى من شهور السنة إلى حين ٱنتقاله ، لا على حُكم ما ٱستَحَقّ من المُغَلّ ؛ ويَستحِقّ ٱلمتّصلُ من[2] ٱستقبال تاريخ منشوره كعادة النقود[3]؛ وإن تَخلَّل بين المنفصل والمتّصل مدّةٌ كان قسطُها للديوان، يَرِد فى جملة ٱلمحلولات من الإقطاعات .

---

(١) كذا فى الأصل؛ ويرجح ذلك ما ورد فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسى؛ وعبارته : عند خروج إقطاع عن مقطع — بفتح الطاء — ودخول آخر على ذلك الإقطاع .

(٢) كذا فى كتاب الخطط للمقريزى؛ والذى فى الأصل : « لاستقبال » باللام مكان « من » وما أثبتناه هو مقتضى السياق .

(٣) كذا فى كتاب الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد العلمى الفرنسى؛ والذى فى الأصل : «النقود»؛ وهو تصحيف .

وأما ما يَلزَم مباشِرَ الجوالى وما يَحتاج الى عمله، فالذى يلزمه أن يبسُط جريدةً على أسماء الذمّة[1] بمقتضَى الصريبـة المرفوعهِ إليه، أو الكشفِ الذى كَشَفَه إن كان العمـلُ[2] مفتوحا[3] أو مستجَدًا، يبدأ فيها بذكر أسمـاء اليهود، ويثنِّى بالسامِرة[4] لأنّهم شَعْبٌ منهم ، ويثلّث بالنصارى، وإن كان فى عمله طائفـةٌ من الصابئة والمجوس ذَكَرهم بعد النصـارى ؛ وفى بعض بلاد الشأم تؤخذ الجزية من طائفة تُعرف بالشّمسيّة، يوحّدون الله تعالى وينكرون نبوّةَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم من يقول بنبوّة عيسى عليه السلام وأن لا نبىَّ بعده، ويكون بَسْطُ الكاتب لهذه الجريدة على التقفية إذا كانت الأسماء كثيرة، ليسهل عليه بذلك الكشفُ والشطب، وإذا آستخرج حاليةً أوْرَدها فى تعليق المياومة، وكَتَبَ له بها وُصولا[5]، وشَطَبها عن آسم من آستُخرِجتْ منه فى جريدته ، ويَرمُز فى تعليقه إشارةَ الكتابة والخدمة على ما تقدّم بيانه فى الهلالىّ .

ويَحتاج مباشر الجوالى فى كلّ سنة إلى إلزام رئيس اليهود ورئيس السامِره وقسّيس النصارى أو أُسقُفِّهم[6] بكتابة أوراق يسمّونها : الرِّقاعَ بمن عندَ كلٍّ منهم من الرواتب[7]، وما لعلّه آستجَدّ[8] من الطَّوارئ[9] والنَّوابت، ويعيّن فى آخر الرِّقاع من

(١) أسماء الذمة : أى أسماء أهل الذمة . (٢) يريد بالعمل : البلد . (٣) مفتوحا : أى مما فتحه المسلمون من دار الحرب . (٤) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣٦ من هذا السفر .

(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «أو استقفهم» ، وهو تحريف ، والأسقف بتخفيف الفاء وتشديدها فوق القسيس ودون المطران .

(٧) يريد بالرواتب : المقيمين ، وهو من رتب رتبا إذا أقام بالبلد ، كما فى المصباح ؛ وإما جمعه على فواعل لأن واحده «راتبة» ، صفة للطائفة .

(٨) فى المصباح أن استجدّ قد يستعمل لازما — أى بمعنى تجدّد — فلذلك ضبطناه بفتح التاء والجيم .

(٩) الطوارئ : الذين طرأوا على البلد ولم يكونوا منه . والنوابت : جمع نابتة ، أى النشء الصغار، والمراد بهم هنا من دون البلوغ .

آهتدى بالإسلام ، ومَن هلك بالموت ، ومَن تَسحّب[1] من العمل ، وإلى أىّ جهة توجّه ، ويَجعل تلك الرِّقاعَ شاهدا عنده بعد الإشهاد فيها على[2] الصادرِ عنه بأنه لم يُخلّ بشىء من الأسماء ، ويُلزِمه بكَتْبِ مَشاريحَ عن ضمّن رِقاعَه أنه آهتدى أوهلك أوتَسحّب[1] كلّ اسمٍ بمشروح ، ويخلّد المشاريحَ عنده ونُسَخَها[3] على جريدته ، والكتّاب فى إيراد من آهتَــدَى ونَزَح وهَلَك مختلفون : فمنهم من يُوصِل العِدّةَ المستقرّةَ عنده عن تتمّة العمل[4] ، ويَستثنِى بالتعديَة عمّن آهتَدَى وهَلَك وتَسَحّب[1] ، كلّ آسم بمقتضَى مشروحه المشهودِ فيه ، ويبرز بما تحرّر بعــد ذلك ، ومنهم من يُوصِل الجميعَ على ما آستقرّتْ عليه الحالُ الى آخر السنة المــاضية ، ويَستخرِج ممّن آستخرج منه ، ويعتدّ[5] بما يجب على المهتدى والهــالكِ والمتسحّب[1] محسوبا فى باب المحسوب قبل تذلكة الواصــل فى الرّقاع — على ما نبيّنه إن شاء الله فى الأوضاع الحسابيّة — ويكون ماعلى النازحين موقوفا الى أن يتحرّى أمرهم ؛ فإن عاد أحدٌ منهــم الى ذلك الإقليم ولم يكن قد قام بالجزية فى بلد آخر آستُخرِجتْ منه ، ووَرَدتْ فى باب المضاف فى حساب السنة ، وإن كان قد قام بالجزية فى بلد آخرَ وأَحضر وُصولَ مباشِرِ تلك الجهة بمــا آعتَدّ له

(١) تسحب : أى نزح من بلد الى بلد آخر، ولم نجــده فيما راجعناه من كتب اللغــة بهذا المعنى ، والظاهر أنها عامية .

(٢) فى الأصل : «عن» ، وهو تحريف ، واللغة تقتضى ما أثبتنا .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٤) يريد بالعمل هنا : مايسميه الكتّاب بالقائمة ، كما يرشد اليه السياق ، وسيأتى هــذا اللفظ مرادا به هذا المعنى فى موضع آخر ، وسننبه عليه فى مكانه .

(٥) يقال : اعتددت بالشىء : أى أدخلته فى العدّ والحساب (المصباح) .

به عن تلك الســـنة ، نَقَل[١] مَبلغَ الوُصول على تلك الجهة التى حَضَر وُصولُهـا قربت أو بعــدت، وٱستَشهَد فى حسابه بمقتضى الوُصول؛ وكلتا الطريقتين سائغــةٌ عند الكُتّاب ؛

وأما النّوابت[٢] والطّوارئ فإنهـا تَرِد فى باب المضـــاف باتفاق الكُتّاب فى أوّل سنة، وتستقِرّ أَصْلا فى السنة التى تليها وما بعدها ؛ ويحتاج المباشر الى تفقُّد أحوال النوابت فى كلّ مدّة لِاحتمال بلوغ صبىٍّ فى أثناء ٱلحَوْل، واختبار ذلك بأمور شرعيّة واصطلاحيّة : أما الشرعيــة فبإنبات[٣] الشّعر الخَشِن[٤]، أو بكمال خمس عشرةَ سنة[٥] ؛ وأما الاصطلاحيّة فبٱنفراق[٦] رأس الأنف، وغلَظ الصوت، وبظهور شىء على حَلَمة الثّـدْيِ من باطنه كالتُّرمُسة ، وبأنْ يُدارَ خَيطٌ على عنق الصبىّ مرّتين تحريرا ، ثم يوضَع طرفُ الخيط بين أسنانه وتُدخَل أُنْشُوطةٌ[٧] فى رأســه ، فإن دخلت دلّ ذلك على بلوغه ، وإلا فلا ؛ وٱصطَلَح بعضُ مباشِرِى الجوالى فى بعض الأقاليم على إلزام عُرَفاء الذمّة[٨] بالمطالَعــةِ بكل صبىٍّ يُولَد لوقتِــه، وبمن هلك منهم، ويرصَع[٩] أسماءهم

(١) فى الأصل : « ونقل » ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٢) انظر الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

(٣) يقال : أنبت الغلام ، اذا نبت شعر عانته ، وهو حدّ معتبر لبلوغ صبيان أهل الذمة لأنه لا يمكن الوقوف على سنهم لاتهام أقوالهم .

(٤) فى الأصل : «الحسن» ؛ وهو تصحيف .

(٥) عبارة الأصـــل : « أو الكمال فى عشرة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام ؛ وتحديد سن البلوغ بخمس عشرة سنة مذهب الشافعى وأبى يوسف ومحمد ، وعليه الفتوى عند الحنفية .

(٦) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط؛ والسياق يقتضى [illegible] .

(٧) الأنشوطة : ربطة [illegible] عقدة ، إذا شدّت من [illegible] .

(٨) الذمة ، أى أهل الذمة .

(٩) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

فى جريدة مفردة بهم ، فمن بلغ عمره ثلاثَ عشرةَ سنةً استَخرَج منه الجزيةَ سواء ظهرت أماراتُ بلوعه أم لا ، ويلازم المباشرُ الكشفَ والتنقيبَ عمّن لعلّه أُخفِىَ من الرواتب، أو استجدّ من الطّوارئ والنّوابت ولم يَرِد الدفع، فمن ظهر له أمرُه استخرَج الجالية منه لاستقبال وجوبها عليه، ويقابل من أخفاه بالإهانة والنكال؛ والمباشَرةُ تُظهِره، لا تحيط به الكُتُب؛ هذا ما يتعلّق بالجوالى، فلنذكر الخراجىّ — إن شاء الله تعالى — .

ذكر جهات الخراجىّ وأنواعه وما يحتاج اليه مباشره

(٤٧) والخراجىُّ عبارةٌ عما يُستأدَى مسانَهةً مما[(١)] هو مقرَّرٌ على الأراضى المُرصَدة للزراعة والنخلِ والبساتينِ والكرومِ والطواحينِ السنويّةِ التى تدور أحجارُها بمياه السيول فى الجهات الشاميّة، وما يُستأدَى[(٢)] من خدم الفلّاحين، ويسمّى ذلك بمصر: الضِّيافة، وبالشأم: رَسْمَ الأعياد والخميس، وهو أغنامٌ ودَجاجٌ وكَشْكٌ[(٣)] وبَيض — على ما استقرّ على كلّ جهة — وهو إنما يكون على النواحى الإقطاعيّة غالبا، وأما فى نواحى الخاصّ فلا يُستأدَى، لِما هو مقرر على الأراضى بمصر من الحقوق التى تُستخرَج دراهمَ، وبالشأم من التَّضْييف[(٤)] المقرَّر عليهم فى أيّام الفتح[(٥)] عن مدّة ثلاثة

(١) فى الأصل : «مى» ، وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «فى المياه» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) فى شرح القاموس أن كسر الكاف فى هذا اللفظ مما ولعت به العامة .

(٤) فى الأصل : «المصيف» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٥) فى الأصل : «القسم» ؛ وهو تحريف إذ [illegible] له معنى يناسب السياق ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا [illegible] الله تعالى عنه لنصارى الشأم [illegible] من مر بهم من المسلمين ثلاثة أيام مما [illegible] ذبح شاة ولا دجاجة وتبييت [illegible] من غير شعير ، وجعل ذلك على أهل السواد [illegible] السلطانية ص ١٣٨ طبع مصر .

أيّام؛ ومن أبواب الخراجىّ ما يُستأدَى بالشأم فى خدمة رؤساء الضُّيّاع فى مقابلة ما لهم من المُطلَقِ والوُلاةِ والوكلاءِ والنُّقباءِ والصَّيارِفةِ والكيّالين والضَّوئيّة(١) فى مقابلة ما يستأدونه من الرسم ، وذلك يَرِد فى أبواب المضاف؛ والخراجىُّ تختلف أحكامه وقواعده بمصر والشام؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

أما الديار المصريّة وأوضاعها وقوانينها وما جرت عليه قواعدها على ما آستَقَرّ فى زماننا هذا وتَداوَله الكُتّاب، فقانون الديار المصريّة مبنىٌّ على ما يَشمَله الرِّىُّ من أراضيها ويعلوه النيل ؛ وقد ذكرنا فى باب الأنهار فى الفن الأوّل من كتابنا هذا نيلَ مصر، ومَبدأَه، والآختلافَ فيه، وما يَمُرّ عليه من البلاد، وكيفيّة الآنتفاع به من حفرِ التُّرَع ، وضبطِ الجسور ، وتصريفِ المياه عن الأراضى بعد ريِّها ؛ ونيلُ مصر هو من أعاجيب الدنيا ؛ وقد رُوِىَ عن ذى القرنين أنه كتب كتابا عمّا شاهده من عجائب الوجود فذكر فيه كلّ عجيبة، ثم قال فى آخره : وذلك ليس بعَجَب ، ولكنّ العَجَب نيلُ مصر، ولولا ما جعل الله تعالى فيه من حِكمة هذه الزيادةِ فى زمن الصيف على التدريج حتى يَتكامَل رِىُّ البلاد، وهبوطِ الماء عنها عند بَدْءِ وقتِ الزراعة لفسد أمرُ هذا الإقليم، وتَعذّرت سكناه، إذ ليس به أمطارٌ كافية ولا عيونٌ سارحةٌ(٢) تعمّ أراضيَه، وليس ذلك إلا فى بعض إقليم الفيّوم؛ فسبحان من بيده الخلقُ والأمرُ القادرِ على كلّ شىء، والمدبّرِ لكلّ شىء، سبحانه وتعالى لا إله إلاّ هو .

---

(١) فى الأصل : «الصوية» ؛ وهو تصحيف . والضوئية : نسبة الى الضوء، [illegible] يحملون المصابيح ويمشون بها ليلا، ولا تزال طائفة منهم الى وقتنا هذا تعرف بهذا الأسم وإن لم يمسر ذلك الآن .

(٢) السارحة : الجارية .

والذى يحتاج إليه مباشرُ الخراج بمصر ويَعتمِد عليه فى مباشَرته أنه اذا شَمِل الرِّىّ أرضَ الجهة التى يباشرها أن يبدأ بإلزام خوَلَة[1] البلاد بَرفع قوانين الرِّىّ، وصورتُها أن يكتب فى صدر القانون ما مثالُه : قانونٌ رَفَعَــه كلٌّ واحدٍ من فلان وفلان الخَوَلَة[1] والمشايخ بالناحية الفلانيّة، بما شَمِله الرِّىّ وعلاه النِّيلُ المبارك من أراضى الناحية لسنة كذا وكذا الخراجيّة، وهو من الفُدُن[2]، ويذكُرون جملةَ قانون البلد، ويُفَصِّلونه بالرِّىّ والشَّراقِى، فالرِّىّ : ما شَمِله النيل . والشراقِى : ما لم يشمله؛ ولِلرِّىّ تفصيل : منه ما هو نِقاء[3]، ومنه ما هو مزروعٌ، وخُرْسٌ، وغالب، ومستبحر؛ ويُفَصَّل بقبائله[4]، ويُشَرح فى كل قَبالة هذا التفصيل؛ والنقاء : هو الطينُ السوادُ[5] الذى يَصلُح للزراعة ويَنبُت فيــه اذا لم يُزرَع الكلأُ الصــالحُ للرَّعْى[6]، ويسمَّى نبــاتُه بصعيد مصر : الكُتَّيح[7]، وهو نباتٌ تَستغنِى به الخيلُ والدوابُّ والمــاشيةُ عن البِرسيم[8]. وأما المزروع :

(١) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل بالتاء؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة، وواحده خولى، وفى مستدرك التاج أنه هو الذى يقيس الأرض بقصب المساحة .

(٢) الفــدن بالضم — والعامة تكسر الفاء — : جمع فدان بتخفيف الدال، وهى لغة فى الفدان بالتشديد؛ قال فى شفاء الغليل ما نصه : الفدان : نبطى معرّب ويخفف ويشدّد جمعه فدن وأفدنة الخ . وكذلك فى كتاب المعرّب للجواليقى؛ والذى يستفاد من شرح القاموس أن الفدان للقدار المعلوم بتشديد الدال لا غير .

(٣) النقاء فى الأصل : مصدر، وقــد أريد به هنا اسم المفعول، أى الأرض النقية مما يعوق الزارعين عن زراعتها .

(٤) القبائل : جمع قبالة بفتح القاف، وهى الأرض التى يقبلها أصحابها، أى يضمنونها بمبلغ من المــال يؤدّونه عنها فى كل سنة .

(٥) السواد : أى ذو السواد، وهذه التسمية لا تزال مستعملة بين العامة حتى اليوم .

(٦) فى الأصل : « للزرع »؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) فى الأصل : «الكثيح» بالثاء المثلثة؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما فى مستدرك التاج .

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ فى القاموس، والذى فى شرحه أن فتح الباء من لغة العامة .

فهو ما عادتُه أن يُزرَع فى كلّ سنة . وأما الخِرْس : فهو الأرض التى تَنبُت فيهـا الحَلْفاء[١]، فلا تُزرَع إلا بعــد قلعها منها وتنظيفها، وقَطيعتُه[٢] دون قطيعة النَّقاء. وأما الغالب : فهو ما غَلَبتْ على أرضه الحَلْفاء وتكاثفتْ فلا تُقلَع إلّا بكُلْفة، وقَطيعتُه دون قطيعة الخِرْس، وقلّما يُزرَع، وأكثرُما يكون الخِرْس والغالبُ ببلاد الصعيد الأعلى[٣] لسعتها، وكثرة أرضها، وتعطيلها من الزراعة سنةً بعد أخرى . وأما المستبحر : فهـو أراضى الخلجان المشتَغلة التى تستمر المياه فيهـا إلى أن يَفُوت زمنُ الزراعة، فمنها ما يبُور، ومنها ما يُزرَع مَقاثىَ[٤]، وقَطيعتُه متوسّطة، وتكون غالبـا بالدراهم دون الغلّة . وعندهم أيضا التَّرطيب[٥] : وهو الذى تخلّلت المياه باطنَ أرضه شبه النِّزِّ[٦] ولم تعلُها، ولا تصلُح لغير المقاثئ . فاذا رُفِع الى المباشر قانونُ الرِّى أشهدَ فيه على رافعيه[٧] بأن الأمر على ما تَضمّنه، ثم ينظُرُ المباشرُ إلى سنة يكون نيلها نظيرَ نيل تلك السنة، ويبرز الكشوف ، ويُحضِّر[٨] البلد على الفلّاحين القَرارِيّة نظيرَ ما حصّروه فى الســنة الموافق نيلُها لنيل تلك السـنة الحاضرة[٩]، ويُشهِد على كلِّ مزارِعٍ بمـا يُسجِّله من

(١) الحلفاء : نبت من الأغلاث ، وقلما تنبت الحلفاء إلا قريبا من ماء أو بطن واد ، وهى سلبة غليظة المس ، وتأكل منها الإبل والغنم أكلا قليلا ، وهى أحب شجرة إلى البقر .

(٢) القطيعة : الضريبة .

(٣) فى الأصل : «الأعلال» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) المراد بالمقاثئ هنا : أنواع القثاء ، فهو مجاز من إطلاق الموضع وإرادة ما يكون فيه .

(٥) فى الأصل : «الترتيب» ؛ وهو تحريف ؛ يريد : الأرض ذات الترطيب .

(٦) فى الأصل : «النزر» ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ وكسر النون فيه أجود من فتحها وهو فارسى معرب .

(٧) فى الأصل : «بايعيه» وهو تحريف .

(٨) فى الأصل : «ويحصر» بالصاد ، وهو وإن صح معناه إلا أن الذى منع منه قوله بعــد ذلك فى ص ٢٤٩ س ١١ فاذا تكامل تحضير البلد على المزارعين القرارية ؛ الخ والظاهر أن المراد بالتحضير : التسجيل ، كما يدل عليه قوله بعد : «ويشهد على كل مزارع بما يسجله» وهو من التحضير بمعنى التسجيل ، كما فى كتب اللغة .

(٩) فى الأصل : «الحاصرة» بالصاد ؛ وهو تصحيف .

أراضى كلِّ قَبالة[1] وقَطيعتها المستقرّة، ويعيّن منها ما هو بحقوق وما هو بغير حقوق، والحقوقُ: دراهمُ يَقُوم بها المزارع عن كلِّ فدّان غير الغلّة، وتكون من أربعة دراهمَ إلى درهمين، والغلّةُ بحَسَب قَطيعة الأرض وعادتها، وأكثرُ ما عُرِف من الخراج عن كلِّ فدّان — وهو أربعُمائة قصبة بالقصَبة الحاكِمِيّة[2]، والقصَبةُ ستة أذرعٍ وثلثا ذراع بذراع القماش — ثلاثة أرادبّ[3]، وهذه الأرض جزيرةٌ بالأَقْصُر من أعمال قُوص، وأقلّ ما علمناه من القطيعة عن كل فدان سدسُ إردبّ، وهى فى الأراضى التى غَلَبت عليها الأحراسُ وقلّ الانتفاع بها، فهى تُسَجَّل بهذه القطيعة عليها، وتنصلح فى المستقبل؛ وأما الأراضى التى تُسَجَّل بالدراهم فأكثرُ ما علمناه بأراضى الجِيزِيّة[4] قُبالةَ فسطاط مصر عن كلِّ فدّان مائتان وخمسون درهما، وهو كثير فى أراضيها وسُجِّل فى بعض السنين ثلاثةُ أفدنة بألف درهم، ولَم تستقرّ هذه القَطيعة، وهذه الأراضى تُزرَع غالبا كَتّانا؛ فاذا تكامل تحضير البلد[5] على المزارعين القَرارِيّة والطَّوارئ نظم المباشرُ أوراقا بجملة ما اشتمل عليه التحضيرُ[5] مفصّلةً بالأسماء والقبائل[6] والجزائر

(١) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) قال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٦ عند الكلام على القصبة الحاكية: كأنها حررت فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى فنسبت اليه، وطولها ستة أذرع بالهاشمى، وخمسة أذرع بالنجارى، وثمانية أذرع بذراع اليد.

(٣) فى الأصل: «ثلاثة عشر اردبا» ولم نجد هذا المقدار فيما راجعناه من المصادر التى بين أيدينا، كخطط المقريزى وقوانين الدواوين وصبح الأعشى وغيرها وما أثبتناه هو الموافق لما ورد فى هذه الكتب، فقد جاء فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٢ نقلا عن ابن مماتى أن قطيعة القمح كانت الى آخر سنة سبع وستين وخمسمائة عن كل فدان ثلاثة أرادب ثم إنه تقرر عند المساحة فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة عن كل فدان إردبان ونصف إردب.

(٤) فى الأصل: «الجيرية» وهو تصحيف.

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر.

(٦) تقدم تفسير القبائل فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

والحُروف ، وتَكتُب عليهـا الشهودُ الذين حُضِّرَ[١] البلد بحضورهم ، ثم يَصْرِف الكلِّ مزارع ما جرت العادة به من التَّقاوِى[٢] بحَسَب ما يُسَجِّله ، ويكون ما يَصرِفه من التقاوى من أطْيَب الغلال وأَفْضَلِها وأَنْصَعها ، ثم يَبسُط جريدةً على أوراق السجلّات يَشرَح فيها اسم كلّ فلّاح وما يُسَجّله من الفُدُن[٣] ، ويفصِّل ذلك بقبائله وجهاته وقطائعه ؛ فاذا نبت الزرعُ واستوى على سُوقه نَدَب عنـد ذلك من يباشر مساحة الأراضى : من شادٍّ وعُدولٍ ذوى خِبْرة بعلم المساحة ، وكاتبٍ عارفٍ خبيرٍ أمين ، وقصّابين : وهم الذين يقيسون الأراضىَ بالأحكام[٤] الحاكميّة المحرَّرة ؛ فيمسحون الأراضىَ المزروعةَ بأسماء أربابها وقبائلها ، ويعيِّنون أصنافَ المزروعات بها ، ويكون مباشرو المساحة قد بسطوا أيضا بسجلّات التحضير ، فإذا تكاملت المساحة نظم مباشروها أوراقا يسمّونها : المكلّفة ، يترجَم صدرُها بما مثاله مكلّفةُ تأريخ[٥] فُنْداقِ مساحةِ الأراضى بالناحية الفلانيّة لمُغَلِّ سنةِ كذا وكذا الخراجيّة . والتأريخُ[٥] : هو الأوراق التى يبسُطها مباشرُ المساحة بما فى السِّجلّات ويختِمها[٦] بمـا انتهت اليه المساحة . والفُنْداق : هو عبارة عن التعليق ، وهو الذى تُكتَب فيه المساحاتُ حالَ قياسها . فإذا انتهت ترجمةُ صدرِ المكلّفة عَقَد

---

(١) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر .

(٢) التقاوى : ما يعزل من الحبوب للزرع ، وهى عامية .

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٤) بالأحكام : أى بحسب الأحكام ؛ ويريد : أحكام المساحة ؛ وقد تقدّم بيان القصبة الحاكمية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٩ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : «تاريخ» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى القاموس وشرحه ، فقد جاء فى مادة «أرج» ما نصـه : والأوارجة من كتب أصحاب الدواوين فى الخراج ونحوه ، ويقـال : هذا كتاب التأريج الخ .

(٦) فى الأصل : «يحدمها» بالدال ؛ وهو تحريف .

جملةَ فُذُنها[1] فى صدرها وفصّلها بأصناف المزروعات وأسماء المزارعين، فإن طابقت المساحةُ السّجلّات من غير زيادة ولا نقص قال : وذلك بمقتضى السّجلّات، وإن تميّزتْ قال: ما تضمّنته السّجلّات كذا، زائدُ المساحه كذا، وان نقصتْ ذكرَ ما صحّ بمقتضى مساحته، وكمّله بالقلم تَمّة[2]؛ وإن نَقَص مزارعٌ عن سجلّه فى قَبالةٍ وزاد على سِجلّه فى قَبالةٍ أخرى كَلّ[3] عليه ما نقص بمقتضَى سِجلّه، وأورد ما زاد فى القَبالة الأخرى زيادة، ولا ينقُل الزائدَ إلى الناقص، ويُلزِمه المباشرُ بالقيام بخراج ما نقص من تلك القبالة ومازاد فى الأخرى؛ هذا مصطلَحُهم، وليس هو منافيا للشرع، إلا أنّى أرى فى هذا النقص تفصيلا هو طريقُ العدل والحقّ، وهو إن كان النقص مع وجود أرض بائرة[4] بتلك القَبالة لَزِمه القيامُ بخراج النقص، لأنه عطّلها مع قدرته على الانتفاع بها وزراعتها، ويسلّم إليه من الأراضى البائرة التى شَمَلها الرِّىُّ بتلك القَبالة نظيرَ ما نَقَص عنده لينتفع بما لعلّه نبت فى تلك الأرض من الكَلَإِ ؛ وإن كان النقص مع تغليق[5] أرضِ تلك القَبالةِ بالزراعة فلا شىء عليه لأنه لم يتسلّم ما بسِجلّه ، ويعتدّ له بمـا لعلّه زاد على تسجيل غيره بتلك القَبالة ، فإنه يعلم بالضرورة القطعيّــة أن الذى زُرِع بهـا أكثرُ مما بسجلّه أُخِذ من جملة سِجلّ غيره ؛ وإن صحّت تلك القَبالةُ فى[6] جميع المزارعين بمقتضى سجلّاتهم بغير زيادة ؛ ونَقَص عنـد واحد بعينه

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط .

(٣) كل عليه : أى كتب ذلك عليه كاملا وإن لم يكن كاملا عند المساحة .

(٤) فى الأصل : «مباشرة» ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « تعليق » بالعين المهملة ولم نجد من معانيــه ما يناسب سياق الكلام . والمراد بالتغليق : التكميل والتتميم ؛ والظاهر أن هــذا الاستعمال عامى كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر.

(٦) فى جميع : أى فى مساحات جميع .

جمعُ ما آستملت عليـه المسحه بـ . فإن وافق جملة قانونها تعيَّن أن الحاصل إمـا جاء من قِبـل المباشر ، لأنه تحمّـل فى قَبالة أكثر من قانونها ، فلا يُلزم المزارعُ بالنقص ، هذا هو العدل والإنصاف . فمن خرج عنه فقد ظلم وحاف ، فإذا تكمَّلت تكملة المساحه . صنع المباشرُ رائدَ مساحةٍ كلِّ آسمٍ تحت آسمه ، وضمّه إلى محمله . ورفع[1] الجملة بالعين والغلّة . وأضاف [إلى][2] كلِّ آسم ما لعلّه قد تسلّمه من بذرٍ وقروض .

وما عليه من عُشْرٍ ووفرٍ ورسوم ، وما لعلّه آساق من الباقى إلى آخر السنة الماضية إن كان ، وهم[3] يضيفون عُشْر التقاوى . وهو حرام لا شبهةَ[4] فى أخذه ، وهو الـ ، بعينه . فإنه يُقرض الرجلَ عشره فيأخذه أحدَ عشرَ ، ويضيفون أيضا فى بعض البلاد عشر العُشر فيقبِضُ كلَّ مائة إردبٍّ مائة إردبٍّ وأحدَ عشرَ إردبًّا ، وإنمـا آستدت هذه المظالم وأُحدثت من قِبَل أرباب البدول[5] الذين يَقبرِفون[6] المظالم ولا يجدون من يردعهم ويزجرهم عنها فتستمرّ . وهى من السنن السيئة التى عليهم وزرها ووزر من عَمِلَ بها إلى يوم القيامه .

---

(١) فى الأصل : « ربع » بالباء ، وهو محرف عن صوابه ما أثبتنا ، يقال رفع الحساب إذا عدّده ثم أجمله ، ويقال لجملته ولذلك مرفوع ، وهذا اصطلاح لحساب ... مذهب فى ... ورسائلهم انظر شفاء الغليل .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصل « وهو » ، وهو محرف .

(٤) فى الأصل « ما لا شبهة » وقوله « ما » زيادة من الناسخ ، فإن المعنى عليه ... وبعد صواب العبارة ما أثبتنا ... يستقيم الكلام . والشبهة الالتباس ، يريد أنه لا التباس فى حرمة أخذه .

(٥) لعله « البدور » بالراء جمع بذر ، وهو ما يعزل من الحبوب للزراعة .

(٦) فى الأصل : « يقبفون » بسقوط الراء .

ثم يعقد المباشر على جميع ذلك جملةً ويقسّطها(1) بما يستخرجه منه ويحصّله، والذي تنعقد عليه الجملة هو ما تعيّن عليه للديوان أخصب زرعُه أو لم يُخصِب، ومهما استخرجه منه وحصّله وأحال به كتب به وصولا، وإذا غلّق(2) كلُّ اسمٍ ما عليه أحاز عليه إشارةَ التعليق، وإن بقِيَ عليه شيء ممّا تعيّن عليه طرَدَه للباقى. هذا حكم الأرض التى تُستغَلّ بالغلّة،

وأما ما يُستغَلّ بالنقد فإنه تتساوى عليه ثلاثةُ أقساط أو قسطان. قسط من ثمن البِرسيم الأخضر عند إدراكه وبيعه لربيع الخيل، وقسطٌ من الكتّان عند قلعه إن كان، وقسطٌ عند إدراك المُغَلّ والمَقاثئ، ومنهم من يعجّل بالنقد الحاضر جملةً واحدةً فى وقت المغلّ، هذا حكم خراج الزراعة؛

وأما الخراج الراتب، فهو لا يكون إلا بالنقد عَينا(3) أو فضة، وهو خراج السواقى والبساتين والنّخيل، وذلك أن أربابه يقاطعون(4) الديوان على فدن(5) معيّنةٍ بمبلغ معيّنٍ عن كلّ فدان فى كلّ سنة يقومون به فى أوقات معلومة، رَوِيَت الأرضُ أو شَرَّقَت(6)، وهم يحفِرون فى تلك الأراضى آبارا بقدر ما يعلمون أن المياه التى تطلع منها تُروِى تلك الأراضىَ، ويركّبون على أفواه الآبار السواقى

(1) فى الأصل «ويبسطها»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام.

(2) فى الأصل: «علق» بالعين المهملة، وهو تصحيف لا يتجه له معنى يناسب السياق، وغلق بالغين المعجمة من التغليق، وهو التتميم والتكميل، والظاهر أنه عامىّ — كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر — فكأن المزارع إذا دفع كل ما عليه فقد غلّق باب المطالبة.

(3) العين: ما ضرب من الدنانير.

(4) يقاطعون، من القطيعة. وهى الضريبة.

(5) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(6) ذكر فى مستدرك التاج أن مصدره التشريق، ولذلك ضبطناه بتشديد الراء.

المتّخذة من أخشاب السنط وما ناسبه، آلمشهورةَ بالخرير(١) التى تُعين على رفع المـاء ويسمّونها بديار مصر: المَحال(٢)، وبحماةَ: النواعير، إلا أن النواعير تَدُور بالمـاء، وهذه تدور بالأبقار، ويزرعون عليها بتلك الأراضى ما أحبّوه وآختاروه من أصناف المزروعات والغُروس لا يطالَبون عليهـا بغير الخراج المقرَّر، إلا أن ينْصِبوا القصبَ(٣) فلا يُقتصَر منهم عند ذلك على الخراج، بل للديوان على الأقصاب مقرَّرٌ يستأديه عن كلّ فدّان؛ ويُستأدَى خراجُ الراتب على أقساط فى زمن الثمار والأعناب والفواكه وعند ضَرْبِ الوِسْمَة(٤) — وهى النِّيل الذى يُصبَغ به اللونُ الأزرق — وخراج الراتب يستأدَى ممن هو عليه، زَرَع أرضَه أو عطّلها، وهو لا يبطل بوفاة آلمُقاطَع(٥) على الأرض، بل ينتقل على ورثته، ويطالَبون به أبدا ما تعاقبوا وتناسلوا، ولا يوضع عنهم إلا إن آبتلع البحرُ الأرضَ المُقاطَع عليهـا بعد أن يعملوا بذلك مشاريحَ(٦) تُثْبِت عند حاكم البلد أن البحر آبتلَع(٧) تلك الأراضىَ بكمالها أو بعضها، ولا يَنهض مباشرُ الناحية أو ناظرُ العمل

(١) الخرير: صوت المـاء.

(٢) فى كتب اللغة أن المحال والمحالة: البكرة العظيمة التى يستقى عليها، سميت بذلك لأنها تدور وتنتقل من حالة إلى حالة.

(٣) نصب القصب: هو أنهم اذا هيأوا الأرض لزرعه يلقونه فيها قطعتين، قطعة مثناة وقطعة مفردة بعد أن تجعل الأرض أحواضا وتحرز لها جداول يصل المـاء منها الى الأحواض، ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاث أنابيب كوامل وبعض أنبوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها خطط المقريزى ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق وسيأتى ذلك أيضا عند الكلام على زراعة القصب.

(٤) ضرب الوسمة: هو أن يضربوا شجرها بعد جفافه ليحت الورق عنه ويسقط.

(٥) المقاطع: هو الذى جعلت عليه قطيعة أى ضريبة يؤديها إلى الديوان.

(٦) فى الأصل: «مشارعا»، وهو تحريف؛ ويرشد الى ما أثبتنا ورود هذه الكلمة فى ص ٢٤٣ س ٣، ٤ من هذا السفر.

(٧) فى الأصل: «اقتلع» بالقاف؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما سبق.

بوضعه مع وجود المَحضَر[1] الثابت[2]، بل يحضر المقاطع على الأرض أو من انتقلتْ اليه بالإرث أو الابتياع الى باب السلطان، ويرفع قصّةً الى الوزير بصورة الحال، ويوقّع عليها بقلمه أن[3] يُوضَع عنه من خراج الراتب بقدر ما ابتلعه البحرُ بمقتضى المحضر، ويستمرّ حكمُ ما بقيَ ، ويكتب على ظهر قصّته : توقيعٌ شريفٌ سلطانيٌ، ويُثبَت بدواوين الباب السلطانيّ، ثم يُثبَت بديوان العمل الجامع، ثم ينزل فى ديوان البلد التى بها تلك الأرض ، ويُوضَع عند ذلك من الضريبة الديوانية؛ هذا حُكمُ الخراج بالديار المصريّة وقاعدتُه والعادة فيه .

وأما جهات الخراجىّ بالشام وكيفيّتها وما يعتمد عليه مباشروها — فإن قانون البلاد الشاميّة مبنىٌّ على نزول الغيث، ووقوع الأمطار فى إبّانها وأوقات[4] الاحتياج اليها، فمن ذلك المطرُ المسمّى : الوَسمىّ، وهو الذى يقع فى فصل الخريف، وعند وقوع هذا المطر يُخَدُّ[5] شَقُّ الأراضى المكروبة[6] بالسِّكك[7]، ثم يُبذَر الحبُّ فيها ، ويعاد شقُّ الأرض عليه ليَخفَى عن الطير[8] خشيةَ التقاطه، فإذا نزل عليه المطر الثانى

(١) المحضر : خط يكتب فى واقعة خطوط الشهود فى آخره بصحة ما تضمنه صدره؛ وهو اصطلاح حادث ليس من اللغة، كما فى القاموس وشرحه .

(٢) فى الأصل : « النايب » بالنون والياء؛ وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل : « أو »؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) موضع هذه الكلمة فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها ، ولم يتضح لنا منها غير الواو الأولى والألف التى بعدها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٥) فى الأصل : «يحدّ» بالحاء المهملة؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا؛ يقال : حدّ الأرض حدّا : إذا شقها .

(٦) المكروبة : المحروثة، يقال : كربت الأرض كربا وكراما بكسر الكاف : إذا قلبتها وأثرتها للزرع .

(٧) السكك : جمع سكة بكسر السين، وهى حديدة المحراث التى يحرث بها .

(٨) فى الأصل : «الطين»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما يدل عليه التعليل .

بعد ذلك نَبَت و برَز إلى وجه الأرض، وهو عند ذلك يسمّى : الأَحْوَى[١]، ثم لاتزال الأمطار تسقيه والأنواءُ تغذيه حتى يصير غُثاء، ثم يقع عليه بعد ذلك المطر المُسمّى بالمطر الفاطم، وهو غالبا يكون فى شهر نَيسانَ، ثم يعقد فيه الحبُّ بعد ذلك، و ينتهى على عادة الزرع؛ هذا حكمُ ما يُزرع على الوَسمىّ .

ومن أراضى الشأم [نواحٍ][٢] يَغِبّهـا[٣] الوَسمىُّ فيَزرَع سُكّانُها[٤] الحبَّ عَفِـيرا، ومعنى ذلك أنهم يزرعون فى الأرض الحبَّ قَبـل إبّان الزرع و يَنتظِرون وقوعَ الأمطار عليـه ؛ ومن غريب ما ٱتفق فى بعض السنين أنهم أَودَعوا ٱلحبَّ الأرضَ على عادتهم فلم تَسقط عليـه الأمطارُ فى تلك السـنة، فاستمَرّ فى الأرض إلى العـام القابل، وأيس أهلُ البلاد منه، وزرعوا فى السنة الثانية شطرَ الأراضى التى كانت كِرابا غيرَ مزروعة ــ وإن عادتهم بسائر بلاد الشأم أن كلَّ فلّاحٍ يَقسِم الأراضىَ التى بيده شطرين، فيزرع شطرا، ويُرِيح شطرا، و يتعاهده بالحرث لتَقرَع الشمسُ باطنَ الأرض، ثم يزرعه فى القابل ويُرِيح الشطرَ الذى كان به الزرع؛ هذا دأبهم، خلافا لأراضى الديار المصريّة، فإنها تُزرَع فى كلّ سـنة ــ فلمـا وقعت الأمطار نَبَت الشطران معا، وأَقبَلت الزراعاتُ فى تلك السـنة، فتَضاعَف المُغَلّ، وهـذا غريبٌ نادر الوقوع .

---

(١) الأحوى من النبات : ما يضرب إلى السواد من شدّة خضرته، وهو أنعم ما يكون منه .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

(٣) يغبها: أى يتأخر عنها؛ والذى فى الأصل: «يقع بها»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق، فإن ما قبله من الكلام فيما إذا نزل المطر قبل الزرع، فيقتضى أن يكون مقابله فيما إذا تأخر نزول المطر عن الزرع .

(٤) فى الأصل : «مكانها»؛ وهو تحريف .

ومن أراضى الشأم ما يسقَى بالمياه السارحة من الأنهار والعيون، وتكون مقاسمةُ أرضه أوفرَ من مقاسمة ما يسقَى بالأمطار، وقيمةُ الأملاك بها أرفع[1] وأغلَى من تلك، ويكون غالبا فى الأراضى المُسْتَفِلة[2]؛ والله تعالى أعلم .

والذى يعتمده مباشر الخراج ببلاد الشأم أنه يبدأ بإلزام رؤساء البلاد بتغليق[3] أراضيها بالزراعة والكِراب[4]؛ ومصطلَحُهم فى ذلك أن يقولوا : أحمرَ وأخضرَ، يَعنُون بالأحمر: الكِراب، وبالأخضر: الزرع شَتويّا أو صيفيّا[5]، ويَعنُون بالشَّتوىّ: القمحَ والشعيرَ والشُّوفانَ[6] والفولَ والحِمَّصَ والعدسَ والكِرسِنّة[7] والجُلُبّان[8] والبسْتِيلية

(١) لم يتضح لنا فى الأصل من هاتين الكلمتين غير بعض حروفهما وسائرها مطموس تتعذر قراءته ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « المستقلة » ؛ وهو تصحيف . ويريد بالمستفلة : ما اطمأن من السهل وسفل .

(٣) فى الأصل : « تعليق » ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ ويريد بالتغليق التكميل والتتميم ؛ والظاهر أن استعماله فى هذا المعنى استعمال عامىّ ، كأن الشىء اذا كمل فقد أغلق باب الزيادة فيه ؛ وقد سبق ذلك أيضا فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ والحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٥١ من هذا السفر .

(٤) الكراب : الحرث .

(٥) فى الأصل : «صيفيا أو شتويا» والأولى تقديم الشتوىّ كما أثبتنا إذ هو مقتضى صنيعه بعد فى ذكر النباتات الشتوية قبل الصيفية .

(٦) الشوفان ، ذكر فى بعض الكتب باسم السلت ، والسلت : ضرب من الشعير يتجرد من قشره ، ولعل المراد من ذلك نوع من الشوفان يسمى بالمقشر ، أى الذى يخرج عاريا من قشره ؛ والشوفان نبات من الفصيلة النجيلية ، وسيقانه تعلو من قدمين الى ثلاثة ؛ وهو أنواع كثيرة ، أشهرها الشوفان المستنبت ، وهو أهم علف الخيل ، وتعلفه أيضا الماشية والطيور ، فهو يسمن الغنم ، ويزيد فى اللبن ، ويكثر بيض الطيور ، ويصنع الفقراء فى بعض الأماكن خبزا من دقيقه لكنه ردىء ، ويتخذ من الشوفان نشاء وبرغل اهـ ملخصا من دائرة المعارف للبستانى .

(٧) الكرسنة : شجرة صغيرة لها ثمر فى غلف تعلفه الدوابّ ، وهى الكشنى .

(٨) الجلبان : هو من القطانى بتشديد الياء ، أى الحبوب التى تطبخ ، وقال ابن البيطار فى مفرداته ج ١ ص ١٦٤ ، ١٦٥ طبع المطبعة الأميرية : الجلبان هو من القطانى المأكولة ، وله قضبان مربعة سباطية تنبسط على الأرض ، وله ورق حوالى القضبان الى الطول وله نوار الى الحمرة تخلفه مزاود فيها حب مدور الى البياض حلو ، ويؤكل نيا فى الربيع ، ثم يجف ويطبخ .

وهى التى تسمّى بمصر : البِسِلّى[1]، وبالساحل الطرابُلُسى : الحالبة؛ ويعنون بالصيفى : الذُّرَةَ والدُّخْنَ والسِّمسِمَ والأُرُزّ والحبّةَ السوداءَ والكُسْبرةَ والمَقَاثِئَ[2] والوَسْمة[3] والقِرْطِمَ[4] والقطنَ والقِنَّبَ[5]؛ ويَكتُب عليهم بذلك مشاريح أنهم لايبوّرون شيئا من الأراضى ومن بَوَّر شيئا منها كان عليه القيامُ بربع الغامر[6] من نسبة العامر[7]؛ فإذا زُرعت الأراضى وبدا صلاحُ الزرع، وأخذ الفول فى العقد خرج الوكلاء على الزراعة إلى النواحى يحفظون الزراعة من التَّطرُّق إلى شىء منها، ويلازمونها إلى أن تُحصَد وتُنقَل إلى البيادر[8]؛ فعند ذلك يخرج الأمر بحفظ ما يصل إلى البيادر[8]، ويأخذون فى الدِّراس؛ فإذا تكامَل وطابت البيادر ولم يَبْقَ إلا التَّذرِيَةُ أُخرِجَ مذرّيا — ووظيفة المذرّى أنه يلزمهم بتخليص الغلال من الأقصال وتنظيفها؛ فإذا فعلوا ذلك وخَلَصت الغلال من الأتبان والأقصال وصارت بيادرَ صافيةً خرج والى العمل ومباشروه إلى تلك الجهة، وتقدّموا[9] بتوزيع بيادرها على ضريبة الناحية وعادتها فى المقاسَمة، مناصَفةً — وذلك فى أراضى السَّقْى — ، ومثالَثةً ومرابَعةً — وهو فى غالب

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج .

(٢) المراد بالمقاثئ هنا نفس القثاء ، وهو مجاز من اطلاق اسم الموضع وارادة ما يكون فيه .

(٣) الوسمة : ورق النيل الذى يصبغ به كما سبق فى صفحة ٢٥٤ س ٧ من هذا السفر .

(٤) القرطم : حب العصفر .

(٥) القنب : ضرب من الكتان ، وهو الغليظ الذى تتخذ منه الحبال وما أشبهها .

(٦) فى الأصل : « بربع العامر » ؛ وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين ؛ والمراد بالغامر الذى لا نبات فيه .

(٧) لعل صوابه « بنسبة » بالباء مكان « من » كما يدل عليه ما ورد فى قوانين الدواوين صفحة ٣٧ طبع مطبعة الوطن ؛ وعبارته : « اذا استجعل المزارع أرضا على أن يزرعها مشاطرة بعد أن شملها الرىّ ثم بوّر شيئا منها وجب عليه القيام بخراجه بالنسبة لمتحصل المشاطرة » الخ .

(٨) البيادر : المواضع التى يداس فيها الفول والحنطة ونحوهما ؛ واحده بيدر بفتح الباء .

(٩) يقال : « تقدّم إليه بالشىء » أى أمره به .

البلاد — ، ومخامَسةً ومسادَسةً — وذلك فى المزارع والنواحى الخالية من السكّان التى يزرعها المُسْتَكْرُون[1] — ، ومسابَعةً ومثامَنةً — وذلك فى النواحى المجاورةِ لسواحل البحر والمتاخمةِ لأطراف بلاد العدوّ ؛ فإذا فرغ توزيعها أخذ المباشرون ما يخصّ الديوانَ من التوازيع ، ثم يُحزِّر[2] ما لعلّه تأخّر من الغلال فى عَرَصات البيادر والأقصالِ وأعقابِ التبّانات والعفائر، ويؤخَذ منه ما يخصّ الديوانَ من نسبة[3] المقاسَمة ، ويكمّل على الفلّاح على حُكم ضريبة ذلك العمل ؛ وفى بعض النواحى يكون من المواسطة[4] ، فتُفرَد لها توزيعةٌ بمفردها ، ثم يؤخَذ من حاصل الفلّاح بعد الرسوم عشرُ ما بقى له ؛ وهذا غيرُ مطّرِد فى جميع البلاد ، فإنّ فى جهات الأوقاف والبِرّ وما يناسبها لا يؤخَذ العشرُ إلا من النصاب الشرعىّ ؛ وفى نواحى الخواصّ والإقطاعات يؤخَذ ممّا بقىَ للفلّاح من كلّ عشرة أجزاءٍ جزءا ممّا قلّ أوكَثُر بحسابه ؛ وفى بعض الأقاليم لا يُؤخَذ العشر من المزارعين الذِّمّيّة ؛ وأما النواحى الإقطاعيّةُ والأملاكُ التى أعشارُها ديوانيّةٌ فمنها ما عليه ضريبةٌ مقرّرةٌ تؤخذ فى كلّ سنةٍ زاد المُغَلّ أو نَقَص ، ومنها ما يُنْدَب له من يقف على النواحى ويُحزِّرُ[5] ما بها من الغلال ويقدّر العشرَ عنها ، ويكون هذا الحَزْرُ والزرعُ قائمٌ أو حصيدٌ قبل دِراسه ، ثم يستعاد بعد ذلك من الفلّاحين ما لعلّه

(١) فى الأصل : « المشكرون » بالشين ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا .

(٢) يحزر : أى يقدر بالظن والحدس ؛ والذى فى الأصل : « يحرّر » ؛ وهو تصحيف ، إذ لا يتأتى التحرير — وهو الضبط بدقة — فى هذه الحالة .

(٣) لعله « بنسبة » كما يدل عليه ما نقلناه عن قوانين الدواوين فى الحاشية رقم ٧ من صفحة ٢٥٨ ، فانظره .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل ؛ ولم يتضح لنا المراد به فى هذا الموضع .

(٥) فى الأصل : « ويحرر » ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ؛ وقد سبق تفسير الحزر فى الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة .

عليهـم من التقاوِى[1] والقُروض، وتكون بمفردها مرصَـدةً لتقاوِى[1] السنة الآتيـة؛ ثم يُعتبَر ما يَحصّل من الغـلال على آختلاف أصنافها بالكيل المتعـامَل به فى ذلك الإقليم، وتُعمَل بذلك مخازيمُ[2] على العادة مفصَّلة بالأسمـاء وأصلِ المقاسَمة والرسومِ والعشرِ وما لعلّه آستعيد من التقاوِى والقُروض؛ وعند تكامُل قَسْمِ نواحى كلِّ عمل يُنْظَم على المخازيم[2] عمَـلٌ[3] بالمتحصَّل على ما نشرحه إن شاء الله تعـالى فى الأوضـاع الحسابيّة؛ هذا ما يعتمده فى الغلال .

وأما الحبوبُ والزيتونُ والقطنُ والسُّمّاقُ[4] والفسـتقُ والجوز واللّوز والأُرُزّ فإن الوكلاء تستمرّ على حفظ ذلك إلى أن يصـير فى بيادره، ويُقسَم على حُكم الضريبة ويحصَّل ويُورَد على المتحصَّل ؛

وفى بعض الأعمال الشاميّة نواحٍ مفصولةٌ[5] ومضمَّنةٌ[6] على أربابهـا بشىء معلوم يؤخَذ منهم عنـد إدراك المُغَـلّ من غير توكيل ولا مقاسمة، وهى نظيرُ المتأجَرات[7]

(١) تقدّم تفسير التقاوى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر، فانظره .

(٢) فى الأصـل : «مخاريم» بالراء؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ؛ فقد ذكر فى شفاء الغليل أن المخزومة : نوع من الدفاتر يخرق ، مولّدة؛ وقد وردت هذه الكلمة فى شعر ابن نباتة يذم كاتبا ، قال :

لم يدر ما مخزومة وجريدة * سبحان رازقه بغير حساب

وسيأتى كيفية عمل المخزومة فى صفحة ٢٧٤ من هذا السفر، فانظره .

(٣) المراد بالعمل نوع من القوائم يعمله كتّاب الدواوين بالكيفية التى سيأتى بيانها فى هـذا السفر عند الكلام على الأعمال وأنواعها .

(٤) السماق بالتشـديد : من شجر القفاف والجبال ، وله ثمر حامض عناقيد فيهـا حب صغار يطبخ؛ قال أبو حنيفة : ولا أعلمه ينبت بشىء من أرض العرب إلا ما كان بالشأم؛ وهو شديد الحمرة .

(٥) انظر تفسير هذه الكلمة فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦١ عند شرحنا للفظ الفصل .

(٦) فى الأصل : «مذيمة» ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) فى الأصل : «المتأخرات»؛ وهو تصحيف .

بالديار المصرية؛ ولفظُ الفصل[1] بالشأم كلّه كلمة فَرَنجيّـة ، وآستمرّ آستعمالها فى البلاد الساحليّة التى آرتجِعت من أيدى الفَرَنج جريا على عادتهم .

وأما خراج العين فهو مقرّر على البساتين والشجريّات والكروم والمقاثئ ويُستخرَج على حكم الضريبة عند إدراك كلّ صنف .

٥ ومن أبواب[2] الخراجىّ الخِدَمُ التى تقدّم[3] ذكرُها ، ومقرّرُ القصب والبريد[4] والبُسط ، وعُشْرُ العرق[5] ، وغيرُ ذلك ممـا يطول شرحه ، الّا أن جميعَ ما يُستخرَج من الأراضى منسوبٌ الى الخراج .

ومن أبواب الخراجىّ الأحكارُ على ما فيها من آلآختلاف ؛ ومهما آستخرجه المباشر وحصّـله من ذلك يَعتمِد فى إيراده نحوَ ما شرحناه فى الهلالىّ : من إيراده ١٠ فى تعليق المياوَمة ، وشَطْبِه على الجريدة المبسوطة على أبوابه ؛ هـذا حكم الهلالىّ والجوالى والخراجىّ ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) لعل أصل هذه الكلمة فى اللغة الفرنسية (Vassal) فـال ومعناه التابع الذى أعطاه متبوعه إقطاعا نظير واجبات يؤدّيها ، كما فى معجمات هذه اللغة ، فكأن أهل الشأم اشتقوا منه لفظ (الفسل) وأرادوا به المعنى المصدرىّ ، أى التبعية ، ثم حرّفته ألسنتهم الى (الفصـل) كما هنا حسب نطقهم العربى واشتقوا منه ١٥ لفظ (مفصولة) السابق فى صفحة ٢٦٠ س ١٠ .

(٢) فى الأصل : «إدراك» ، وهو تبديل وقع من الناسخ لا يستقيم به معنى الكلام ؛ ويرشـد الى ما أثبتنا ما يأتى بعد فى السطر الثامن من هذه الصفحة .

(٣) فى الأصل : «تقرر» ، وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، فقد تقدم ذكر هذه الخدم فى قوله فى ص ٢٤٥ من هذا السفر : «وما يستأدى من خدم الفلاحين» الخ .

٢٠ (٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد العلمى الفرنسى ، ولعله « البرود » بدليل عطف البسط عليه ، والبرود : الثياب ، وكان ما يؤخذ على الثياب معروفا فى مصر الى زمن قريب .

(٥) العرق : دبس التمر ، أى عسله .

وأما ما يشترك فيه الهلالىّ والخراجىّ ويختلف باختلاف أحواله بجهاتٌ، وهى المراعى والمصايدُ والأحكار ؛

أما المراعى[(١)] — فالذى يَرِد منها فى أبواب الهلالىّ ما آستقرّ حُكمه بجهة، وتقرّر فى كل سنة، وصار ضريبةً مقرّرة؛ فمن المباشرين من يَقبضه على شهور السنة، ويستخرجه أقساطا، و يورده فى جملة أبواب الهلالىّ ؛ والذى يَرِد منه فى أبواب الخراجىّ هو ما يُستخرَج من أرباب المواشى فى كلّ سنة عند هبوط نيل مصر ونباتِ الكلإ، فى مقابلة ما رعته مواشيهم من نبات الأرض، وهو يزيد وينقُص بحسب كثرة المواشى وقلّتها ؛ وعادتُهم فيه أن يُندَب لمباشرة ذلك مشدٌّ[(٢)] وشهود وكاتب، و يعدّوا الأغنام وغيرَها، ويَستخرِجوا من أربابها عن كلّ رأس شيئا معلوما بحسب ضريبة تلك الجهة وعادتها؛ وهو على هذا الوجه لا ينبغى إيراده إلا فى أبواب الخراجىّ؛ ومن الكتّاب من يُورِده[(٣)] فى أبواب الهلالىّ، وهو غلط .

وأما المصايد[(٤)] — فمنها أيضا ما يورَد فى أبواب الهلالىّ كالنواحى التى تصاد

(١) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٨١، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى أن أوّل من قرر فى مصر مالا على المراعى وأدخلها الديوان أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراجها، وذلك بعد سنة خمسين ومائتين .

(٢) لم نقف على ضبط هــذا اللفظ فيا راجعناه من الكتب التى ورد فيها، كما أنه لم يرد فيا بين أيدينا من كتب اللغة، وكأنه عامى؛ وبعض العامة فى مصر ينطقون به بكسر أوّله وفتح ثانيه؛ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم المشدين الأعمال عند ذكر أرباب الوظائف .

(٣) فى الأصل : «ما»؛ وهو تحريف .

(٤) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٨١، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى ان أول من قرر مالا فى مصر على المصايد أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراجها وأنه احتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فأمر أن يكتب فى الديوان : خراج مضارب الأوتاد ومغارس الشباك .

بها الأسماك على الدوام ، مثل ثغر دمياط والبُرُلُّس[1] وجنادل[2] ثغر أسوانَ وأشباهِ ذلك بالديار المصريّة ، و بالشام مثل نهر العاصى[3] و بُحَيرة طَبَرِيّة ، وغيرِهما من الأنهار والبِرَك ؛ ومنها ما يَرِد فى أبواب الخراجىّ ، وهو ما يصاد من الأسماك عند هبوط نيل مصر ورجوع المـاء من المزارع الى بحر النيل ؛ والعادة فى ذلك اذا انتهت زيادة النيل وشرع المـاء فى مبادئ النقص سَكَروا[4] أفواهَ التُّرَع ، وسدّوا أبوابَ القناطر التى عليها حتى يرجع المـاء (ويتكاثف مما يلى المزارع)[5] ثم ينصبون الشِّباكَ ، و يصرفون المياه ، فيأتى السمكُ وقد آندفع مع المـاء الجارى ، فيجد الشباكَ تَحُول بينه و بين الأنحدار مع المـاء ، فيجتمع فيها ، ثم يُخْرَج منهـا الى البَرّ ، فيوضع على نَخاخ[6] و يُملَّح و يودَع فى الأمطار ، وأكثرُ ما يكون ذلك فى طول الإصبَع ونحوه[7] ؛ وله أسماء : منها البُلْطِىّ[8]

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى القاموس ؛ وضبطه ياقوت بفتحتين ؛ وهى بلدة بسواحل مصر من جهة الاسكندرية (شرح القاموس) .

(٢) الجنادل : موضع فوق أسوان بثلاثة أميال فى أقصى صعيد مصر قرب بلاد النوبة ، وهى حجارة ناتئة فى وسط النيـل (ياقوت) . وقال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٩١ إنها هى الجبل الذى ينحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النوبة فى انحدارها ومراكب مصر فى صعودها .

(٣) نهر العاصى : هو اسم لنهر حماة وحمص ، و يعرف بالمياس ، مخرجه من بحيرة قدس ، ومصبه فى البحر قرب انطاكية ؛ واسمه قرب انطاكية : الارند (ياقوت) وذكر فى صبح الأعشى ج ٤ ص ٨٠ فى سبب تسميته بهذا الاسم أن غالب الأنهار تسق الأرض بغير دواليب ولا نواعير بل تركب البلاد بأنفسها ، وهذا النهر لا يسق إلا بنواعير تنزع المـاء منه .

(٤) سكروا ، أى سدوا .

(٥) هـذه العبارة فى الأصل مطموسة الحروف تتعـذر قراءتها ، وقد أثبتناها عن خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى .

(٦) النخاخ : جمع نخ بتشديد الخاء ، وهو بساط طويل ، طوله أكثر من عرضه ؛ وقد شاع فى مصر إطلاقه على الحصير الذى يتخذ من البردىّ ونحوه ، وهو المراد هنا .

(٧) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى : «فما دونه» .

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج ؛ وقال عنه : إنه أطيب الأسماك ، ويشبهون به المترعرع فى الشباب والنعمة .

والرّاىُ والبُنّيُّ[1][2] وغيرُ ذلك، وما يؤكل منه طريًّا بعد قَلْيه يسمّونه الإبسارية[3]؛ ومنهـا ما يكون بقدر الفِتْر، ويسمّى الشال[4]، وهو يُملَّح أيضا[5]؛ فهـذا الذى يتعيّن إيرادُه فى أقلام الخراجىّ، ومنهم من يورده فى الهلالىّ، ومن الكُتّاب من يورد المصايدَ والمراعىَ قلما مستقلاّ بعد الجوالى وقبل الخراجىّ .

وأما الأحكار — فقد تقدّم الكلامُ عليهـا عند ذكرنا للهلالىّ .

وهـذه الاختلافات بين الكُتّاب هى بحسب آرائهـم وعاداتِ النـواحى وما استقرّت عليه قواعدها؛ وإنما أوردنا ذلك على سبيل التنبيه عليه، وذكرِ مصطلَح الكُتّاب فيه .

وأما أقصاب السكّر ومعاصرها — فهى[6] تختلف بحسب الأماكنِ والبقاعِ والنواحى والديارِ المصريّة والشأم، وتختلف أيضا فى الديار المصريّة بحسب الأعمال والنواحى والأراضى؛ وقاعدتُها الكليّةُ التى لاتكاد تختلف فى الديار المصريّة أن تُختارَ لها الأراضى الجيّدةُ الدَّمِثةُ[7] التى شمِلها الرِّىُّ وعلاها النيل، ويُقلَع ما بها من الحَلْفاء وتُنظَّف، ثم تُبرَش بالمقلقِلات — وهى محاريثُ كِبار — ستةَ وجوه، وتجرَّف

(١) فى الأصل : «الراى» ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما هو الشائع فى مصر؛ ولم نجد الراى بالمعجمة فيما لدينا من المظان . (٢) كذا ضبط هذا اللفظ فى القاموس .

(٣) كذا ورد هـذا اللفظ فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى؛ وعامة مصر يقولون : «بسارية» بحذف الألف الأولى وكسر الباء؛ والظاهر أنه ليس بعربىّ، إذ لم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة .

(٤) كذا فى مسـتدرك التاج؛ والذى فى الأصل : «الرشال» والراء زيادة من الناسخ .

(٥) فى الأصل : «فصا» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٦) فى الأصل : «وهل» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام؛ ويرشد اليه ما يأتى فى أقصاب الشأم صفحة ٢٧١ سطر ١٤ . (٧) الدمثة : السهلة الليّنة .

حتى تُمَهَّدَ، ثم تُبْرَش ستةَ وجوهٍ أخرى وتجرَّف — ومعنى البَرْش الحرث[1] — ؛ فإذا صَلَحتْ وطابتْ ونَعُمتْ وصارت ترابا ناعما وتساوت بالتجريف تُشَقّ عند ذلك بالمقلقِلات، ويُرمَى القصبُ فيها قطعتين : [قطعةً[2]] مثناةً[3]، وقطعةً مفردة ؛ وذلك بعد أن تُجعلَ أحواضا وتُفرزَ لها جداولُ يصل الماء منها الى تلك الأحواض، ويكون طول كلّ قطعة منها ثلاثةَ أنابيبَ كواملَ وبعضَ أُنبوبة من أعلى القطعة وبعضَ أخرى من أسفلها ؛ ويُختار برسم النَّصْب من الأقصاب ما قصرتْ أنابيبُها، وكثُرت عيونُها ؛ فإذا تكامل النَّصْبُ أعيد الترابُ عليه ؛ وصورة النصب أن تكون القطعة ملقاةً لا قائمة ؛ ثم يُسقَى من حال نصبه فى أوّل فصل الربيع فى كلّ أسبوع مرّة ؛ فإذا نبت القصب وصار أوراقًا ظاهرةً على وجه الأرض نبتتْ معه الحَلْفاءُ والبقلةُ الحَمْقاء[4] ، فعند ذلك تُعزَق أرضُه — ومعنى العَزْق أن تُنْكَش الأرضُ وينظَّف ما نبت مع القصب — ويُتعاهد[5] بذلك[6] مرّةً بعد أخرى إلى أن يَغْزُر القصب ويقوَى ويتكاثف، فلا يتمكّن العُزّاقُ من الأرض، فيقال فيه عند ذلك : طَرَدَ القصبُ عُزّاقَه، وذلك عند بروز الأُنبوب منه ؛ ومجموعُ ما يُسقَى بالقادوس ثمانيةٌ وعشرون ماءً .

---

(١) لم نجد البرش بمعنى الحرث فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا ؛ وكأن هذا الاستعمال عامىّ .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن خطط المقريزى ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق .

(٣) كذا فى خطط المقريزى ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق ؛ والذى فى الأصل : « جفناه » وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) البقلة الحمقاء : هى المعروفة فى مصر بالرجلة ؛ وإنما سميت بذلك لأنها تنبت على مجارى المياه فتمرّ بها الماء فيقتلعها ، ثم تعود فتنبت هناك أيضا .

(٥) فى كتب اللغة أن يتعهد أفصح من يتعاهد ، لأن التعاهد إنما يكون بين اثنين ؛ وأجازهما الفراء .

(٦) هذه الباء ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها ، فإن المعنى أن القصب يتعاهد بذلك العمل ؛ وستأتى هذه العبارة أيضا فى صفحة ٢٦٦ سطر ٩

والعادةُ أن الذى يُنصَب من الأقصاب على كلّ محالٍ[1] بحرانىّ[2] — أى مجاور للبحر — إذا[3] كان مُزاحَ[4] العِلّة[5] بالأبقار[6] الجياد مع قُرْبِ أَرْشِيَة الآبار ثمانيةُ أفدنة؛ ويحتاج إلى ثمانية أرؤس بقر؛ فإذا[7] كانت الآبارُ بعيدةً عن مجرى النيل لا يَقُوم المحالُ[1] بأكثر من ستة أفدنة الى أربعة أفدنة؛ فإذا طلع النيلُ وارتفع سُقِيَ القصب عند ذلك ماءَ الراحة؛ وصفةُ ذلك أنه يُقْطَع عليه من جانب جسرٍ يكون قد أدير عليه ليقيَه من الغرق عند ارتفاع الماء بالزيادة، فيدخُل الماء من تلك الثُّلْمة التى فُرِضتْ من الجسر، ويعلو على وجه أرضه نحواً من شبر، فيُسَدّ[8] عند ذلك، ويُمنَع الماء من الوصول اليه، ويُترَك ذلك الماءُ عليه مقدارَ ساعتين أو ثلاثٍ الى أن يَسخُن، ثم يُصرَف عنه من جانب آخَرَ إلى أن يَنضُب، ثم يجدَّد عليه الماءُ مرّةً أخرى؛ يُتعاهد بذلك مرارا فى أيّام متفرّقة بقدر معلوم ، ثم يُقطَع بعد ذلك؛ هذا هو القصب الذى يوفَّى حقّه فى حرثه وتَصبه[9] وسَقْيه وعَزْقه وغير ذلك؛ فما نَقَص من ذلك كان المباشرُ قد أخَلَّ به إلا النصبَ على الرَّىّ وسقىَ ماءِ الراحة فإنه أمرٌ ربّانىٌّ لا قدرة للباشر على استجلابه .

---

(١) المراد بالمحال آلة الرى المعروفة بالساقية، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٥٤ سطر ٢ . والمحال والمحالة فى الأصل : البكرة العظيمة التى يستقى بها، كما فى اللسان والتاج مادة « محل » . (٢) قال ابن سيده : ان النسب إلى البحر بحرانىّ على غير قياس؛ وقد ردّ عليه السهيلىّ فى ذلك وأنكر هذه النسبة انظر اللسان مادة (بحر) . (٣) فى الأصل : "أو"؛ وهو تحريف . (٤) عبارة الأصل : « إذا كانت مزاحة »؛ والذى يؤخذ من كتب اللغة أن المحال مذكر، قال حميد الأرقط :

يرقن والليل مرم طائره ✽ مرخى رواقاه هجود سامره

✽ ورد المحال قلقت محاوره ✽

انظر اللسان والتاج مادة (محل) .

(٥) فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٧٧ طبع المعهد العلمى الفرنسى : « الغلة »؛ وهو تصحيف لا يظهر به معنى الكلام . (٦) « بالأبقار »، أى يدار بالأبقار، فالمتعلق محذوف لفهمه من الكلام . (٧) هذه الفاء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها . (٨) فى الأصل : «فيشتد»؛ وهو تحريف . (٩) فى الأصل : « ونضه » بالضاد المعجمة، وهو تصحيف .

ولا غُنْيَةَ للقصب عن القَطِران قبل أن يحلوَ، فإنه يمنع السوسَ من الوصول إليه؛ وصفةُ ذلك أنهم يجعلون القَطِران فى قادوس مبخوش(١) من أسفله، ويُسَدّ ذلك البُخْش(١) بشيء من الحَلْفاء، ويُعلّق القادوسُ على جَدْوَل الماء، ويُمزَج القِطْران بالماء فيَقطُر من خلال ذلك البُخْش المسدود، ويمتزج قَطْرُه بالماء الذى يصل إلى القصب، ويحصل به المقصود.

و إن خشِيَ المباشر على القصب من فساد الفأر أدار حوله حيطانا رقيقة مقلوبةَ الرأس إلى خارج أرض القصب تُسمَّى حيطانَ الفأر، وتُصنَع من الطين المخلوط بالتبن فتمنع الفأرَ من الوصول إلى القصب، فإنه إذا تَسلَّق(٢) فى الحائط وانتهى إلى آخرها منعتْه تلك الحافّةُ المقلوبةُ وأصابت رأسه فيسقُط إلى الأرض.

هذا ما يلزم المبَاشرَ الاحتفالُ به واعتمادُه فى أمر القصب.

فإذا كان فى أوّل كيهك من شهور القبط كُسِرت الأقصابُ وقُشِرتْ، ونُقِلتْ إلى المعاصر؛ وإذا كان فى أوان نصب القصب من السنة الثانية حُرِقتْ آثار الأقصاب وسُقِيتْ وعُزِقتْ كما تقدّم، فتُنبِت أرضُها القصبَ؛ ويسمُّونه بمصر: الخِلْفَة، ويسمّون الأوّل: الرأس؛ وقنود(٣) الخلفة فى الغالب أجوَدُ من قنود(٣) الرأس.

ذكر كيفية الاعتصار والطبخ وتقدير المتحصّل

الذى جرت عليه العادة بالديار المصرية أن الأقصاب إذا نُقِلت من المَكْسِر إلى المعصرة على ظهور الجمال أو الحمير وُضِعت فى مكان برسمها يسمَّى دارَ القصب،

(١) مبخوش، أى مثقوب. والبخش: الثقب، ينطق به العامة بضم أوّله وسكون ثانيه؛ والظاهر أنه لفظ عامى إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان، بل إن مادته لم ترد فى كتب اللغة التى بين أيدينا.

(٢) الذى وجدناه فى كتب اللغة التى بين أيدينا أن «تسلق» يتعدّى بنفسه لا بالحرف كما هنا؛ ولعله ضمن هذا الفعل معنى «صعد» فعدّاه «بفى».

(٣) القنود: جمع قند، وهو عسل القصب اذا جمد، وهو معرّب «كند».

بهـا وَتَراتٌ وحطبٌ ورجالٌ مُرْصَدون لإصـلاح القصب بالسكاكين الكبار التى[1] مقدارُ حديدِها ثلثا ذراع، فى عَرْض سدس ذراع فى سُمْك إبهام، فينظّفون عيدانَ القصب، ويقطعون من أعلاه ما ليس فيه حلاوة، ويسمّونه اللّكلوك،[2] وينظّفون اسفلَ العود ممّـا لعلّه به من عروق وطين؛ ويسمّى هذا الإصلاحُ التطهيرَ؛ ثم يُنقَل من تلك الوَتَرات الى وَتَرات أُخَر مؤبّدةٍ بأعلى حائطٍ عريضٍ مرتفعٍ عن الأرض، أحدُ جانبى الحائط ممّـا يلى دار القصب، والوجهُ الآخَرُ إلى بيتٍ آخر يسمّى بيتَ النُّوب[3]؛ وعلى ذلك الحائط رجالٌ جالسون فى مقاعدَ أُعِدّتْ لهم، وبأيديهم السكاكين التى ينظّف بها القصب، والوَتَراتُ المؤبّدةُ أمامَهم، فيَجمَع الرجل منهم عدّةَ عيدان من القصب، ويضعها على الوَتَرة، ويَقطّعها قِطعا صغارا فتسقط فى بيت النُّوب[3]؛ ثم تُنقَل من بيت النُّوب الى الحَجَر فى أفرادٍ[4] تسـمّى العيارات[5] متساويةِ المقـادير؛ فيوضع ذلك القصبُ المقطّع تحت الحَجَر، ويدوِّرُ الحَجَرَ عليه الأبقارُ الجياد فيَعصِره؛ ويَنزِل ما يخرج منه من المـاء فى أبحاشٍ[6] فى القاعدة التى تحت الحَجَر إلى مكانٍ ضَنِك[7]

---

(١) فى الأصل: «الدى»؛ وهو تحريف.

(٢) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى الذى ذكره فيما راجعناه من كتب اللغة، والظاهر أنه من ألفاظ العامة، وهم ينطقون به بفتح أوله؛ ويسمونه أيضا: «الزعزوع».

(٣) لم نجد هذا اللفظ فيما راجعناه من المظان التى بين أيدينا؛ وقد أخبرنا بعض من لهم علم بالمعاصر القديمة لقصب السكر أنهم يسمون المكان الذى يغسل فيه القصب قبل عصره بيت النوبة؛ فلعله اصطلاح لهم.

(٤) الأفراد: أوعيـة تتخذ من خوص، واحده فرد بفتح فسكون؛ وهو لفظ شائع الاستعمال بين العامة فى مصر؛ ولم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة.

(٥) فى الأصل: "القبارات"؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق.

(٦) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر.

(٧) فى الأصل: «مضنك»؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة بمعنى الضيق بتشديد الياء كما هو المراد هنا.

مُعَـدٌّ له ؛ فإذا انتهى ذلك القصب من العَصْر تحت الحَجَر نُقِل إلى مكانٍ آخر ، ثم يجعل فى قفاف مُتّخذةٍ من الحَلْفاء مشّبكة الأسافلِ والجوانب، ويُلقَى تحت دولاب التَّخت (١)، ويَدُور الدولاب عليـه بالأعواد حتى يأخذ حدَّه، ويخرج ما بقى فيه من المـاء ؛ ويجتمع ما تحصّل من ماء القصب من الحَجَر والتَّخْت (١) فى مكان واحد ؛ ثم يُنَقل ذلك المـاء فيصفّى من مُنْخُلٍ موضوعٍ فى قفص مُعَـدٍّ له ، وينزل ما يخرج الى مكانٍ متصلٍ يسمّونه البَهو (٢)، له عِيـارٌ معلومٌ محرَّر ؛ فإذا امتلأ من ذلك المـاء المصفّى نُقِل إلى المطبخ، وصفّى تصفية ثانيـة فى قِدْرٍ كبيرةٍ يسمّونها الخابية يُصَبّ فيها بعـد التصفية جميعُ ما كان فى البَهْو، وهو ستون مَطَرا (٣) من ماء القصب ضريبةُ كلِّ مَطَر نصفُ (٤) قنطار باللّيثىّ على التحرير — والرطل اللّيثىّ مائتا درهم — فيكون مافى الخابية ثلاثةَ آلاف رطل وهو ما كان فى البَهْو؛ ثم يوقَد عليها من خارج المعصرة إلى أن يغلىَ المـاء غليانا كثيرا، وينقُص نقصا معلوما ، فعند ذلك يبطل الوقيد (٥) عنها؛ فإذا سكن غليانُها نُقِل ما فيها من المـاء المسلوق فى يقاطِينَ كِبار، فى كلّ قرعة منها خشبةٌ منجورةٌ طويلةٌ كالساعد نافذةٌ فى جانبِ القرعة، ويُصَبّ فى أكسية من الصوف

(١) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى المراد هنا فيا راجعناه من المظان ؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف عند أصحاب المعاصر .

(٢) عبارة الأصل : «السهولة عيار» الخ وهو تحريف . والبهو : حوض مبنى ينزل فيه ما يصفى من العصير كما أنبأنا بذلك من له علم بمعاصر القصب؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف بين هذه الطائفة اذ لم نجده بهذا المعنى فيا راجعناه من المظان .

(٣) كذا ضبط هذا اللفظ بالقلم فى كتاب المعرب والدخيل المحفوظ منه بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة تحت رقم ٦٤ لغة وقال مؤلف هذا الكتاب : كأنها لغة مصرية، ولم أرها فيا وقفت عليه من كتب اللغـة اهـ . وفى هامش كتاب مناقب الليث بن سعد لابن حجر ص ٥ طبع بولاق : أن المطر وعاء معروف عند بعض اهل مصر .

(٤) فى مناقب الليث بن سعد ص ٥ طبع بولاق : أن المطر مائة وعشرون رطلا؛ وفى هامش هذه الصفحة انه يسع مائة رطل مصرىّ تقريبا . (٥) الوقيد مصدر كالوقود بضم الواو انظر لسان العرب .

تحتها دِنَانٌ كِبَار فيصفَّى المـاء منها تصفية ثالثة، ويستقر فى تلك الدِّنان؛ ثم يُنقَل من الدنَانِ فى دُسوت[١] إلى القُدور، فيُطبَخ فيها إلى أن يأخذ حدّه من الطّبخ؛ ويحتاج كلُّ حَجرٍ الى خابية وثمانى قدور لطبخ ما يُعتصَر تحت الحَجَر والتَّخْت؛ ثم يُنقَل بعد طبخه فى دُسوت[١] من النُّحاس، لكلّ دَسْت منها قبضتان من الخشب مسمورتان فى أعلاه يقبض الرجـل عليهما ليقيـاه حرارةَ الدَّسْت؛ ويُصَبُّ ذلك المطبوخ ـ ويسمَّى إذ ذاك المَحْلب ـ فى أباليجَ من الفخّار ضيِّقةِ[٢] الأسافل، متسعةِ الأعالى، مبخوش فى أسفل كلّ أُبْلوجة منها ثلاثةُ أبخاش[٣] مسدودةٌ بقَشّ القصب، وهـذه الأباليجُ موضوعةٌ فى مكان يسمَّى بيتَ الصبّ، فيه مصاطبُ مبنيّةٌ مستطيلة تشبه المذاود[٤]، ويُجعل تحت كلّ أُبْلوجة من تلك الأباليج قادوس يقطُر فيـه ما يتخلّص من رقيق ذلك المَحْلب[٥] ـــ وهو العسل القَطْر ـــ ثم يَخْدُمها الرجال بالكرانيب[٦] مرّة بعد أخرى حتى تمتلئ تلك الأباليج، وهى تختلف، فمنها ما يسع أكثرَ من قنطار، وأقلّ منه؛ فإذا امتلأتْ وتكاملتْ خدمتها وأخذت فى الجفاف نُقلت من بيت الصبّ الى بيت الدفن[٧]؛ فتعلّق فيه على قواديسَ يَقْطُر فيها ما بقِىَ من أعسالها .

(١) اطلاق الدسوت على القدور المتخذة من النحاس ـــ كما هو المراد هنا ـــ اطلاق عامىّ شائع الاستعمال فى مصر وغيرها من بلدان المشرق انظر تاج العروس .

(٢) فى الأصل : «رقيقة» ؛ وهو تحريف .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر .

(٤) المذاود : معالف الدواب، واحده «مذود» وزان منبر .

(٥) فى الأصل : «المجلب» بالجيم؛ وهو تصحيف، والتصويب عن القاموس .

(٦) فى الأصـل : «الركانيب» ؛ وهو تحريف لا معنى له . والكرانيب : المعارف، واحده كرنيب؛ وهو لفظ عامىّ شائع الاستعمال فى مصر حتى اليوم، وفى مستدرك التاج : الكرنبـة : المغرفة، مصرية .

(٧) لعل وجه تسميته بيت الدفن أن الأباليج تستر فيه وتوارى مدّة حتى يقطر منها ما بقى من أعسالها .

وأما أوساخ الأقصاب التي تنظّف منها في دار القصب فإنها تُعتَصَر على انفرادها، وتُطبَخ بمفردها، وتسمَّى الخابية ، وهي أردأ من عسل القصب .

ولما يتحصّل من الاعتصار أسماء[1] وعِبَر: منها الضريبة، ومنها الوضعة[2]، ومنها اليد؛ فالضريبة عبارة عن ثماني أيادٍ؛ واليدُ ملءُ خابية ؛ والخابيةُ ثلاثة آلاف رطل من عصير القصب بالرطل اللَّيثيّ كما تقدّم؛ فتكون الضريبة أربعةً وعشرين ألف رطل من الماء، يَجمُد منها مع جَودة القصب وصلاحه من القَنْد خمسةٌ وعشرون قنطارا إلى خمسةَ عشرَ قنطارا ، ومن الأعسال اثنا عشر قنطارا إلى ثمانية قناطيرَ؛ ونهايةُ ما يتحصّل من الفدان القصب ثلاثُ ضرائب : منها قَنْدٌ وقَطْرٌ ضريبتان ونصف وعسلُ خابيةٍ نصفُ ضريبةٍ مقدارها أربعة وعشرون قنطارا بالمصريّ؛ ومن الأقصاب ما يفسد فلا يَجمُد طبيخُ مائه ولا يصير قَنْدا، فيُطبَخ عسلا، ويسمّونه المُرْسَل ؛

وهذا الذي ذكرناه من الوَضْع[3] والمتحصِّل والتسميةِ اصطلاحُ بلاد قوص من الصعيد الأعلى بالديار المصريّة، وهو وإن اختلف في غيرها من البلاد فلا يبعد من هذا الترتيب .

وأما أقصاب الشأم — فهي تختلف أوضاعها بحَسَب البقاع والنواحي والأعمال، فمنها ما هو بالسواحل الطَّرابُلُسيّة والبَيْروتيّة والعكّاويّة؛ ولهم اصطلاحٌ في نصب الأقصاب واعتصارها : فمنها ما يُعتصَر بحجارة الماء ، ومنها ما يُعتصر بالأبقار، ومنها ما يُعتصَر بالسِّهام[4]؛ وليس ذكرُها وبسطُ القول فيها من المهمّات التي

(١) يريد بالعبر المقادير، لأنها تعبر، أي توزن .

(٢) لم يذكر مقدار الوضعة كما ذكر مقدار الضريبة واليد فيما يأتي ؛ ولم نقف على تعيين مقدارها فيما بين أيدينا من المصادر .

(٣) في الأصل : « الموضع » ؛ وهو غير مستقيم ؛ والمراد بالوضع المصطلح .

(٤) السهام : الأعواد من الخشب .

تقتضى الأنصباب[1] اليهـا ؛ والذى قدّمنا ذكَره أيضا من أمر أقصاب مصر هو على الحقيقة فلاحةٌ ودَولَبةٌ[2] ، وليس هو كتابة ، وهو للباشر زيادةً على صناعته ، على أنه لايَستغنِى عن معرفته والأطلاع عليه .

وعمـدةُ المباشر فى الأعتصار ضبطُ ما يتحصّل ، وحراستُه من السارق والخائن والمفرِّط ؛ ويلزم مباشرَ الأعتصار أن يَنظِم فى كلّ يوم وليـلة مخزومةً[3] بمـا أعتُصِر وبمـا تَحصَّل ؛ فإذا انتهى الأعتصـار نَظَمَ عمـلاً[4] شاملا لجميعـه على ما نشرحه فى الأوضاع الحسابيّة .

والقَنْد إذا جَفّ وأخذ حدّه من البياض نُقل إلى مطابخ السكّر، فيُحَلّ بالمـاء وشىء من اللبن الحليب، ويُطبَخ فيصير منه السكّرُ البياضُ[5] والقُطارة؛ ويَتحصّل من كلّ[6] قنطار من القَنْد ربعُه وسدسُه سكّرا ، وثلثُه وربعُه قُطارة؛ ومنه ما يُكرَّر ثانيا فيصير فى غاية البياض والنقاء، وقُطارتُه تقارب قَطرَ النبات؛ ومنه أيضا ما يُطبَخ نباتا؛

وهذه أمور جملِيّة يُستدَلّ منها على المقاصد، والمباشَرةُ تشمَل مالا يمكن إيرادُه فى كتاب، وتُظهِر ما لا يكاد ينحصر بخطاب، فلنذكر الأوضاع الحسابيّة .

---

(١) لعل صوابه : « الآنصراف » .

(٢) الدولبة : العمل بالدولاب .

(٣) تقدم تفسير المخزومة فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ ، دطره .

(٤) تقدّم بيان المراد بكلمة « العمل » فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٦٠ وسيأتى فى هذا السفر الكلام على الأعمال وأنواعها وكيفية كل نوع منها .

(٥) البياض : أى ذو البياض ؛ فوجه الوصف به ظاهر .

(٦) فى الأصل : «دلك» ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق العبارة .

ذكر أوضاع الحساب وما يسلكه المباشر ويعتمده فيها

أوّل ما يحتاج اليه كلُّ مباشر أن يضع له تعليقا ليوميّته، يذكُر فيه تاريخَ اليوم والشهر من السنة الهلاليّة، ويذكُر فيه جميعَ ما يتجدّد ويقع فى ذلك اليوم فى ديوانه: من مُحْضَرٍ ومستخرَجٍ ومُجرًى ومُبتاعٍ ومُباعٍ(١) ومَبِيع ومصروف، وما يتجدّد من زيادات فى الأُجَر والضمانات، وعطلٍ، وتقريرِ أجائر، وترتيبِ أرباب استحقاقات على جهات، وتنزيلِ(٢) من يستخدمه، وصرْفِ من يصرفه من أرباب الخِدَم، وغير ذلك بحيث لا يُخِلّ بشىء مما وقع له فى مباشَرته قلّ أو جلّ؛ وهذا التعليق هو أصل المباشَرة، فمَن ضَبَطَ اليومَ انضبط ما بعده(٣)؛ وكلُّ المباشرين فى وضعه سواء، يضع الشاهدُ(٤) فيه ما يضعه العاملُ(٥)، فإذا كان فى آخر النهار قوبل على مجموعه بين المباشِرين، ويُساق ما يُحتاج إلى سياقته من العين والغلّة والأصناف .

---

(١) المبتاع: المشترى بفتح الراء . والمباع: الشىء المعروض للبيع، وهو من أبعت السلعة — بالألف فى أوّله — أى عرضتها لأن تباع .

(٢) التنزيل: كلمة شاع استعمالها بين العامة فى مصر بمعنى التولية والتنصيب — أى فى مقابلة العزل — فيقولون: « نزل السلطان فلانا فى العمل وعزل فلانا عنه »؛ وهذا هو المراد هنا أخذا من السياق . والتنزيل فى اللغة: الإحلال فى المنزلة؛ وما هنا منه .

(٣) فى الأصل: « ما نقده »؛ وهو تصحيف .

(٤) الشاهد هو الذى يشهد بمتعلقات الديوان نفيا وإثباتا انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم الشاهد من الأعمال فى ذكر أرباب الوظائف .

(٥) العامل هو الذى ينظم الحسبانات ويكتبها؛ وقد كان هذا اللقب فى الأصل إنما يقع على الأمير المتولى العمل، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب وخصه به دون غيره صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم العامل من الأعمال فى ذكر أرباب الوظائف .

ثم يكتب العـامل مخزومةً يورِد فيها المستخرَجَ والمُحضَر والمجرَى والمصروف[1]، ويرفعها على عدّة نُسَخٍ بحَسَب المسترفِعين؛ وإن شاحّه[2] المسترفِـعُ لزِمه أن يوردها فيما أورده فى مياوَمته من سائر المتجدّدات والأحوال، فيصير بها المسترفِعُ الغـائبُ كالمباشر الحاضر، وتَشمَل المخزومــةُ خَطَّ مَن هو مباشرٌ: مِن ناظرٍ مباشَرةٍ فمَن دونَه؛ وقــد قدّمنا ذكرَ بسطِ الجرائد على الأموال والغلال، وكيفيّةَ خِدمتها فى الأصول؛ ونظيرُ ذلك أن يبسُط أسماءَ أرباب الاستحقاقات وأربابِ المصاريف تِلوَ أصول الأموال ومضافاتِهـا، ويضعَ لكلّ اسم ما يستحقّه مشاهرةً ومسانهةً عينا وغلّة، أو ثمنَ صنفٍ أو غيرَ ذلك؛ ثم يشطب قُبالةَ كلّ اسمٍ ما قبضه مفصَّلا بتواريخه من جهة قبضه، لتَسهُل عليه بذلك محاسبةُ كلّ نَفَرٍ[3] عند الاحتياج الى محاسبته كما شرحناه فى الأصول؛ ولا بدّ لكلّ مباشر من جريدة على هــذه الصفة تشتمل على الأصــل والخصم؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(١) فى الأصل : «والمصروب» ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «شاححه» وهذا مما يجب فيه الإدغام؛ وشاحه بتشديد الحاء، أى ناقشه؛ ومنه قولهم : «لا مشاحة فى الاصطلاح» أى لا مناقشة فيه ولا منازعة .

(٣) إطلاق النفر على الواحد كما هو المراد هنا إطلاق شائع بين عامة مصر، والذى وجدناه فيما بين أيدينا من كتب اللغة أن النفر الجماعة من الرجال من ثلاثة الى عشرة، وقيل : الى سبعة، ولا تصح إرادته هنا كما لا يخفى .

ذكر ما ينتج عن التعليق من الحسابات بعد المخازيم (١)

وهى الختم والتوالى والأعمال والسياقات التى (٢) تلك كلها شواهد الارتفاع :

فأما الختم — فتختص بجهات العين من سائر الأموال ؛ وكيفيتها أنه إذا مضت على المباشر مدةٌ لا تجاوز أحد عشر شهرا فما دون الشهر إلى عشرة أيام — وما دون (٣) الشهر لا يقع إلا عند انفصال كاتب فى أثناء الشهر أو اقتراح مقترح — نظم (٤) حسابا سماه الكتاب فى مصالحهم : الختمة، يشرح فى صدرها ما مثاله بعد البسملة : ختمة بمبلغ المستخرَج والمُجرَى من أموال الجهات، أو المعاملة الفلانية لاستقبال كذا، والى آخر كذا ؛ ويذكر أسماء المباشرين فيقول : بولاية فلان، ونظر فلان، ومشارفة فلان، وكتابة فلان ؛ ويعقد فى صدرها جملة على ما استخرجه فى تلك المدة وأجراه من أصول الأموال، يفصل ذلك بسنيه، ويشرحه بجهاته وأسماء أربابه وتواريخ مُحصَره ومُجرَاه، إلى نهاية ذلك ؛ ثم يقول : وأضيف إلى ذلك ما وجبت إضافته ؛ يبدأ بالحاصل المساق إلى آخر المدة التى قبلها ، ثم يذكر ما لعله استخرجه من الجهات التى ترد فى باب المضاف، وما ورد من أثمان المبيعات والمصالحات والخدم ، وما لعله اقترضه ، وما لعله حصل من المواريث الحشرية (٥) والمجتذبات والتأديبات ، وما لعله اعتد به لمعاملة أخرى ونقل عليه (٦) ، إلى غير ذلك من أبواب

---

(١) فى الأصل : « المحاريم » ، وهو تصحيف ، وقد سبق تفسير المخازيم فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ من هذا السفر، فانظره .

(٢) فى الأصل : « والذى ذلك » الخ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) يظهر لنا أن هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه ، فلذلك وضعناها بين خطين .

(٤) « نظم » جواب « لإذا » ؛ والذى فى الأصل : « ونظم » ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٥) تقدّم تفسير المواريث الحشرية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ من هذا السفر، فانظره .

(٦) « ونقل عليه » ، أى ونقل محسوبا عليه ، وإرادة المؤلف لهذا المعنى سوّغت له ذكر « على » مكان « إلى » التى هى مقتضى اللغة .

المضاف على اختلافها . ممـا يطول شرحه لو آستُقصى ؛ ثم يفذلك[1] على الأصـل والإضافة ؛ وإن صرف نقدا بنقدٍ ذَكَرَه بعـد الفذلَكة ، وآستقر بالجمـلة بعـده وإلّا فالفذلَكة بمفردها ؛ثم يخصم تلك الجملةَ بما لعلّه حَمَله أو نَقَله على[2] معاملة أخرى أو صَرَفَه،ويذكُر الحَلَ بتواريخه ورسائله ، وآسم من حُمِل[3] فى يده ، والمنقولَ كذلك والمصروف بأسماء أربابه وتواريخه ، ثم يسوق إلى التحصيل إن آنطرد[4] له حاصـل وإلّا فيقول فى آخرها : ولم يَبْقَ حاصلٌ فنذكرَه .

وقد آقتُرِح فى بعض الممالك الشاميّة فى بعض السنين على المباشرين أن يضمّوا خِتَمهم ما يوردونه فى الأصل من جهات الأصول — كلَّ جهة من المستخرَج والمُجرَى — الأصلَ مختوما والخصمَ مفصَّلا بجهاته ؛ مثال ذلك أن يقول فى الأصل : الجهةُ الفلانيّة فى التاريخ الفلانىّ كذا [و] كذا درهما ؛ ويذكُرَ تحت ذلك التاريخ خصمَ تلك الجملة ؛ وفى الخصم إذا ذَكَر آسمَ ربّ آستحقاق وما وَصَل اليـه فى كل تاريخ يقول : التـاريخ الفلانىّ ؛ ويعيِّن جهاته ؛ ويشطب المسترفعُ الأصلَ على الخصم ؛ وفى هذا تضييق كثير على المباشر ، ولَم يستقرّ ذلك ، وعادت الأوضاعُ على ما بيّناه ؛ هذا مصطلَحُهم فى الختم ؛ والله أعلم .

وأما التوالى — فهى إذا أُطلقتْ أُريدَ بها توالى الغـلال ؛ وكيفيتها أنه إذا مضت مدّة على ماقدّمناه فى شرح الختم نَظَم كاتب الجهة حسابا للغلّة آسمـه التالى

(١) يقال : فذلك الحاسب حسابه اذا أنهاه وأجمله ؛ والفذلكة : جملة الحساب ؛ وهو لفظ منحوت من قول الحاسب إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا .

(٢) ذكر «على» مكان «إلى» لإرادة المعنى الذى ذكرناه فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥ .

(٣) هذه الكلمة فى الأصل مطموس بعض حروفها ؛ وسياق الكلام والحروف الواضحة منها يرشدان إلى ما أثبتنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

يَشرح فى صدره بعد البسملة : تالٍ بما انساق حاصلا من الغـلال بالجهة الفلانيّة إلى آخر المدّة الفلانيّـة ، مضافا مخصوما إلى آخر كذا ؛ ويذكُر أسماء المبـاشرين على ما تقـدّم، ثم يوصِل فى صدره ما آنساق إلى آخر آلمدّة التى قبلها من الغـلال على آختلافها، ويفسِّر[1] الغلالَ بسنيها، ويضيف اليـه ما لعلّه آنضاف[2] من متحصَّلٍ ومبتاعٍ وقرضٍ وغيرِ ذلك؛ ثم يفذلِك عليه، ويذكُر بعد الفذلكة ما لعـلّه وقع من تبـديل صنف بصنفٍ لوجود ذلك الصنف وعدمِ غيرِه، إما فيما قَبَضه أو فيما صَرَفَه، وما لعلّه أُبيع[3] وثُمِّن، وما لعلّه يُنقل من كيل إلى كيل؛ ويستقِرّ بالجملة بعد ذلك على ثمن ما أُبيع[3] وما آستقرّ من الغلال بعـد التبديل والتنقيل، ويَستخرِج ثمنَ البيع بمقتضَى خَتْمة تلك المدّة ، وهى شاهـده ؛ ويخصمُ بالمحمول والمنقول والمصروف على آختلافه؛ ويفصِّل ذلك بتواريخه على ما شرحناه فى آلخَتْمة، ويسوق الحاصلَ من الغلّة إن كان؛ هذا مصطلَحُهم فى توالى الغلال .

ولهم أيضـا توالٍ يسمّونها توالى الآرتفاع — تشتمل على العين والغلّة والأصناف، ولا تُعمَل إلّا عند اقتراحها؛ وصورتها أن يُوصِل فى صدر تالى الآرتفاع ما آنساق آخر الآرتفاع الذى قَبله من الحاصل والباقى عينا وغلّة؛ ويفصّله بسنيه؛ ثم يضيف اليـه ما آستُحِقّ فى تلك السـنة أصلا ومضافا، ويخصم بالخصم السائغ المقبول، ويطرده بعد ذلك إلى حاصلٍ وباق .

---

(١) « يفسر » ، أى يوضح ويبين .

(٢) أنكر الحريرى فى درة الغواص أنه يقال : «انضاف» ؛ وقد ردّ عليه فى ذلك، ووردت هذه الصيغة فى اللسان مادة «ملد» .

(٣) أبيع بالألف فى أوّله : أى عرض للبيع وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٧٣ من هذا السـفر .

ولهم أيضا توالى الاعتصار — وصورتها أن يُوصِل ما انساق حاصلا آخرَ [المدّة] (١) على الاعتصار أو تاليِه (٢)، ويضيف ما لعلّه تحصّل من قَطْرٍ وغيرِه، ويفذلِكَ عليه، ويكرّر منه ويبيع، ويستقرّ بالجملة، ويخصم، ويسوق إلى الحاصل.

وأما الأعمـال — وهى تختلف — : فمنها أعمال متحصّـل الغلال والتقاوى، وأعمالُ الاعتصار، وأعمـالُ المَبيع، وأعمالُ المبتاع، وأعمالُ الجَوالِى، وأعمالُ الخدم والتأديبات والجنايات (٣).

فأما أعمال الغلال والتقاوى — فكيفيّتها أن يَشرح فى صدر العمل بعد البسملة ما مثالُه : عَمَلٌ بما تحصّل من الغلال بالناحية الفلانيّة لمُغَلّ سنة كذا وكذا الخراجيّة، المدرِك فى شهور سنة كذا وكذا الهلاليّة، مضافا إلى ذلك ما وجبت إضافته، ويُوصِل فى صدره ما تحصّل من الغلال على اختلافها وأ كيالها (٤) مفصّلا بأسماء الفلّاحين؛ ويضيف إليه ما لعلّه استعاده من التّقاوِى والفروض أو حصّله من رسوم أو غير ذلك؛ ويفذلِك عليه؛ فمن الكُتّاب من يسوقه بجملته حاصلا، ويخصم بمقتضى التالى؛ ومنهم من يخصم بما حَمَلَه وصرَفَه فى مدّة تحصيله لُلْغَلّ، ويسوق ما بقى إلى الحاصل، ويَستغنِى بذلك عن تالٍ لتلك المدّة.

وأما عمل الاعتصار — فصورته أن يترجم فى صدره بعد البسملة بما مثالُه : عَمَلٌ بما تحصّل من اعتصار الأقصاب بالجهة الفلانيّة لاعتصار أقصابِ سنةِ

(١) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ والمعنى لا يتضح بدونها؛ ويرشد الى هذه الكلمة ما سبق فى سطر ٣ من صفحة ٢٧٧ عند الكلام على توالى الغلال، فانظره.

(٢) فى الأصل : « ثالثه »؛ وهو تصحيف.

(٣) فى الأصل : « والكايات »؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما يأتى فى صفحة ٢٨٢ سطر ٧.

(٤) فى الأصل : «وما»؛ والواو زيادة من الناسخ.

كذا وكذا الخراجيّة؛ ويقول فى يَمْنة العمل : عن كذا وكذا فدانا أو مَنظَرة[(١)] إن كان بالأغوار، أو قسما إن كان بالسواحل؛ ويفصّل القُدُن بما فيها رأسا[(٢)] وما فيها حلفة[(٢)] إن كان بمصر، ومقنطرا[(٣)] أو قائما[(٤)] إن كان بالشأم، ويبرز عن يَسرته بكمية ما تحصّل فيقول : من أصناف الحُلو كذا وكذا قنطارا، ويفصّل ذلك بالقَنْد والأعسال على آختلافها : من المرسَل والقَطْر والحُرّ والأسطروس[(٥)] والمردودة؛ والمرسَلُ هو من القصب الذى لا يجُد ولا يصير قَنْدا . والقَطْرُ هو ما يتحصّل من قَطْر أباليج القَنْد . والحُرُّ هو ما يتحصّل من أطراف الأقصاب، وهذه الأطراف يسمّونها بالشأم: العيكون[(٦)]، ولا يعتصرونها ألبتّة، بل ترْصَد للنَّصْب[(٧)]، فإنّهم يستغنون

(١) المطرة فى الأصل : المرقبة، أى الموضع المشرف الذى يكون فيه الرقيب، والمراد هنا : مقدار من الأرض يمكن للحارث الذى يجلس فى المطرة أن يراه ويحرس ما فيه من المزروعات .

(٢) تقدّم بيان الرأس والحلفة فى ص ٢٦٧ س ١٤ من هذا السفر، فانظره .

(٣) المقنطر : لفظ عامى معناه الملقى على قطره أى جانبه؛ يقولون : تقنطر أى وقع؛ وعربيته تقطر بتشديد الطاء؛ انظر شرح القاموس مادة (قطر) وشفاء العليل؛ والمراد بهذه الكلمة القصب المزروع أوّل مرة وهو المسمى بالرأس فى مصر؛ وذلك لأن طريقتهم فى زراعة القصب أن يضعوا قطعه فى الأرض ملقاة لا قائمة، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٦٥ سطر ٧ و ٨ من هذا السفر . هذا ما يظهر لنا من معنى هذه الكلمة أخذا من السياق . وفى الأصل : «مقنطارا» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالقائم القصب الذى ينبت تاليا للقصب الأوّل، وهو الخلفة، وسمى قائما لأنه ينبت من الجذور القائمة فى الأرض بعد قطع القصب الأوّل .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل فى هذا الموضع، وفيما يأتى بالشين المعجمة فى آخره مكان السين المهملة، ولم نقف على كلتا الكلمتين فيما راجعناه من المظان التى بين أيدينا .

(٦) لم نجد هذا اللفظ فيما بين أيدينا من مصادر اللغة ولا فى الكتب المدوّنة فى الألفاظ الدخيلة، ولعله : «العثكول» ، تشبيها له بعثكول النخلة، وهو قنوها .

(٧) تقدّم تفسير نصب القصب فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٥٤ من هذا السفر، فانظره .

بها عن العيدان[1]، ومنهم من يسمّى الحُرّ المردودة . وأما الأسطروش[2] : فهو ما يُعمل من جُرادة وجوه الأباليج حالَ الطبخ ، وما يتأخّر على البوَارىّ[3] عند خلعه بالشأم . (٥٧) وأما الخابيــة[4] فهى ما يتحصّــل من الأوساخ والرَّيْم[5] . والمرسَلُ والحُرُّ والخابيــةُ لا تُعرَف بالشأم ألبتّة ، وإنمـا يعرفون القَطْرَ والأسطروش[2] ؛ ثم يذكُر بعــد ذلك تفصيلَ المتحصَّل بجهاته إن كان بمصر ـ يفصِّل كلَّ ساقية وقُدُنها وما يُحصَّل منها من الضرائب ـ وتفصيلَ الأقصاب الرأسِ والخِلفة ، ويذكُر آسمَ الطبّاخ ؛ ثم يبيع من عرض ذلك ويُثمِّن ، ويستقِر بالجملة ، ويَحِل ويَصرِف ويسوق إلى الحاصل .

وأما عمل المَبيع — فصورته أن يقول فى صدره بعد البسملة : [عَمَــلُ][6] بمـا بِيعَ من الغلال والأصناف بالجهة الفلانيّــة لمدّة كذا وكذا ؛ ويَعقِــد على الثمن جملة ، ثم يفصِّلها بأصنافهـا ، يذكر عن يَمْنة القائمة الصنفَ ، وفى الوسط السـعرَ إن كان سعرا واحدا ، وإلّا فيقول مكانه : بأسعارٍ تُذكَر ، وفى اليَسْرة الثمن ، ثم يفصِّله بأسماء مبتاعِيه ؛ فإذا كَمَل ذلك أضاف ما آنساق له آخرَ العمل الذى قَبله

(١) فى الأصل : «الإيدان» ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٧٩ من هذا السفر .

(٣) البوارىّ بتشـديد الياء هى الحصر المنســوجة من القصب ، واحده بورىّ وبارىّ ، فارسىّ معرّب . وقوله : «عند خلعه» : أى عنــد اخراج السكر الجامد من القوالب التى يوضع فيها ؛ وكأنهم كانوا عند اخراجه من القوالب يضعونه على الحصر ليكمل جفافه .

(٤) لم يذكر الخابيــة فى أصناف العسل التى سردها فيما سبق ؛ ولعلها هى المرادة بالمردودة السابق ذكرها ضمن أنواعه .

(٥) يريد بالريم فضول الشىء وزوائده التى لا يعتنى بها لخستها ، وفى كتب اللغة : الريم بفتح الراء : الزيادة والفضل ، والعامة فى مصر يكسرون راءه .

(٦) هــذه الكلمة ساقطة من الأصل والسياق يقتضى اثباتها ، كما يرشد اليه ما تقدم فى أعمال [illegible] وأعمال الاعتصار وما يأتى بعد ذلك من الأعمال .

من أثمان آلمبيعات؛ و يفصّل ذلك بأسماء من تأخّر عليه منها شىءٌ إن كان؛ ثم يفذلك على الجملة، و يستخرج من عرضه بمقتضى ختم المدّة ، و يسوق إلى الباقى دون الحاصل .

وأما عمل المبتاع — فيقول فى صدره : عَمَلٌ بالمبتاع بالجهة الفلانيّة من الأصناف التى تُذكر لمدّة كذا وكذا، ويَعقِد على ثمن المبتاع جملة يجعلها عن يَمْنة نصف القائمة ، ويبرز بالأصناف المبتاعة إن أمكن، وإلّا فيقول : ما يُذكَر؛ ويَشرح ما آبتاعه صنفا صنفا بتواريخه ، وأسماءِ من آبتاع منهم ، وأسعارِه ، و يضيفُ إلى جملة الثمن ما لعلّه تأخّر عليه من ثمن ما آبتاعه فى العمل الذى قَبله ، ويفصّله بأسماء أربابه ؛ و يفذلك على ذلك، ويخصم بما صرفه من عرضه بمقتضى ختم المدّة، ويسوق إلى متأخّرٍ أو فائض(1) إن كان قد سَلَف عليه [شىء](2) .

وأما عمل الجوالى — فيقول فى صدره ما مثاله بعد البسملة : عَمَلٌ بما وجب من مال الجَوالِى بالمعامَلة(3) الفلانيّة لسنة كذا وكذا الهلاليّة مخصوما مساقا إلى آخر المدّة؛ ويُوصِل ما كان قد آستقرّ من الأنفار(4) على ما تقدّم(5)؛ و يضيف النوابتَ والطوارئَ(6) بأسمائها ومِلَلِها، وما لعلّه آنساق باقيا إن كان ، وقلّما يكون ، و يفذلك

(1) يريد بالفائض : الزائد، وهو من قولهم : فاض الماء إذا كثر حتى سال .

(2) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل يسع كلمة ؛ والسياق يقتضى اثباتها أو اثبات ما يفيد معناها.

(3) الظاهر من سياق الكلام انه يريد بالمعاملة : الناحية والجهة ؛ وسيأتى هذا اللفظ فى مواضع أخرى من هذا السفر مرادا به هذا المعنى .

(4) يريد بالأنفار : الأشخاص ؛ وإطلاق النفر على الشخص الواحد إطلاق عامىّ ، اذ لم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا ؛ وقد سبق التنبيه على ذلك فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر، فانظره .

(5) يشير بقوله : «على ما تقدّم» الى ما ورد فى صفحة ٢٤٣ سطر ٥ من هذا السفر، فانظره .

(6) انظر تفسير النوابت والطوارئ فى الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

على ذلك ؛ ثم يذكر بعد الفذلكة من اهتدى بالإسلام ، أو هلك بالموت ، أو تسحّب[(١)]
إلى عملٍ آخر على ما قدّمناه[(٢)] من الاختلاف فى ايراد ذلك فى هذا الموضع ، والاستثناءِ به
فى الصدر بالتعدية[(٣)] أو إيرادِه فى باب المحسوب ؛ وكلُّ ذلك سائغ فى الوضع ؛ ثم يستقرّ
بالجملة بعد ذلك ، ويستخرج بمقتضى الختَم ، ويسوق ما لعلّه آنساق إلى الباقى ؛ وإن
عاد اليه متسحّبٌ[(٤)] أو نازحٌ وبيَـده وصولٌ[(٥)] من مباشرِ عَمَلٍ آخَرَ اعتدّ له به ، وأورَدَه
فى باب المحسوب ، وفذلكه على الجملة .

وأما عمل الخدم والجنايات والتأديبات — فصورته أن يُوصِل
فى صدر العمل بعـد الترجمة عليه ما تعيّن من أموال الخدم أو ما تقرّر من الجنايات
والتأديبات ، يَذكُر فيه الأسماء والجرائم ؛ ويضيف إلى ذلك ما لعلّه آنساق قبل تقرير
هذا المـال آخَرَ العمل الذى قبله ؛ ويفذلك عليه ؛ ويَستخرِج من عرضه بمقتضى
ختم المدّة ، ويَعتدّ بمـا لعلّه رُسم بالمساحة به ممـا كان قُرّر ، ويسوق ما ينطرد بعد
ذلك إلى الباقى ؛ فهذه هى الأعمال .

وأما السياقات — فهى مختلفة : فمنها[(٦)] سِياقة الأَسْرَى والمعتقَلين ، وسِياقة
الكُرّاع[(٧)] ، وسِياقة العُلوفات ، وسِياقات الأصناف والعُدَد .

(١) تسحب : أى هرب ، أخذا من السياق ، ولم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة فى مصر .

(٢) يشير بقوله : « على ما قدمناه » الى الخلاف بين الكتاب المذكور فى صفحة ٢٤٣ من هـذا السفر ، فانظره .

(٣) فى الأصل : « بالتقدية » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا ، كما يرشد إلى ذلك ماسبق فى صفحة ٢٤٣ سطر ٦ من هذا السفر .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : « فيها » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

فأما سياقة الأَسْرَى والمعتَقَلين — فصورتها أن يُوصِل فى صدرها عِدّة من ٱنساق عنده الى آخر المدّة التى قبلها، و يفصِّلها بالمعتقَلين وأسمائهم و جرائمهم، والأَسْرَى ومِلَلِهم وأجناسِهم، و يضيفَ اليها ما لعلّه تجدَّد عنده من معتقَلٍ أو أسير، و يفذلِكَ عليها، ثم يذكُر من أُفرِج عنه: إما بمقتضى المراسيم «فيذكُر تواريخَها وأسماءَ من حضرتْ على يده، ومن تسلّم المعتقَل» وإما بالهداية الى دين الإسلام من الأَسْرَى «فيذكُر ٱسمَ ٱلمهتدى وجنسَه، ومن أىّ ٱلملل كان، وتاريخَ إسلامه والإفراج عنه، أو من فُودِىَ به، أو من تسحَّب[1]، أو من هلك بالموت بعد ٱعتبار ما يجب ٱعتباره فى الهالك، ويستقِرّ بالجملة بعد ذلك؛ وٱستقرار ٱلجملة هو ٱلحاصل .

وأما سِياقة الكُرَاع[2] — فهى سياقةٌ تشتمل على الخيل والجمال والدوابّ والأبقارِ والأغنام؛ وصورتها أن يوصِل الكاتبُ ما انساق عنده حاصلا آخرَ السياقة التى قبلها؛ و يضيفَ [الى][3] ذلك ما لعلّه ٱبتاعه بتواريخه وأسماء من ٱبتيع منهم، وما لعلّه نُتِج، وما لعلّه ٱجتُذب؛ و يفذلِك على ذلك؛ ثم يذكر بعد ذلك ما باعه من عرض الجملة وما نَفَق[4] وتُنُبِّل[5] وذُكِّىَ[6]؛ ويستقِرّ بالجملة على ما ٱستقرّ من حيوانٍ وجلود وثَمَن، ويَصرِف ويَنقُل ما لعلّه صَرَفَه أو نَقَلَه، و يسوق الى ٱلحاصل .

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر .

(٢) الظاهر أن إطلاق الكراع على الدواب التى ذكرها إطلاق اصطلاحى فان فى كتب اللغة التى بين أيدينا أن الكراع اسم يجمع الخيل؛ ولم نقف على أنه يطلق على الجمال والأبقار والأغنام ويدل على أن هذا الاطلاق من مصطلحات الكتاب أن الخوارزمىّ ذكره فى كتاب مفاتيح العلوم ص ٥٩ طبع أوربا فى الكلام على مواضعات كتاب ديوان الخراج .

(٣) عبارة الأصل : «و يصيب ذلك» وفيها تحريف ونقص؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) نفق، أى مات .

(٥) فى الأصل : «تبل»؛ وهو تصحيف؛ وتنبل بالبناء للمجهول، أى اختير، يقال : فلان متنبل، أى يأخذ الأنبل فالأنبل؛ والمراد ما يختار من المواشى القنية .

(٦) ذكى، أى ذبح .

ويحتاج المباشر لذلك الى ملاحظة أحوال الأغنام ، ومعرفةِ أوقات نِتاجِهـا وما يكون منها توأمًا ، واستقبالِ النِّتاج لينضبط له نِتاجُ النِّتاج .

وأما سياقة العُلوفات — [فصورتها][1] أن يوصل فى صدرها ما صرفه على الكُرّاع فى المدّة التى نَظَم لها السّياقة ، ثم يفصِّل ذلك كلَّ صنفٍ من الكُرّاع وعددَه فى الزيادة والنقص ، وما صرفه على ذلك النـوع فى كلّ مـدّة ، فى اليـوم كذا فى المدّة كذا ، والزيادة والنقص على حَسَب الاتفاق ، ويراعِى فى ذلك ما تضـمّنته سـياقةُ الكُرّاع ؛ وإن صَرَف عُلوفةً لطارئ لا يستقرّ عنده ميّزه فى التفصيل من المستقرّ فيقول : المستقرّ كذا ، والطارئُ كذا إضافةً إلى هذه السياقة ؛ ولا فذلكة ، ويَتجنّب أن يصرف عُلوفةً عن أيّامِ نقصِ[2] الشهور الهلاليّة ، وهى ستةُ أيام فى السـنة فإن ذلك من المُخرَّج اللازم ، وكذلك أيّامُ الربيع .

وأما سِياقات الأصناف والزَّرَدخاناه[3] والعُدَدِ والآلاتِ والخزائنِ والبِيمارِستانات[4] — فإنه لا يمكن استيعابُها لمؤلّف كتاب ، وقلّمـا عُمِلتْ فيما كثُر ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما يرشـد اليه ما سبق فى السياقتين اللتين قبلها .

(٢) فى الأصل : « بعص » ؛ وهو تصحيف .

(٣) الزردخاناه ، أى بيت الزرد ، وهى الدروع ؛ وفى صبح الأعشى ج ٤ ص ١١ أن هذا اللفظ ربما أطلق على السلاح خاناه ، فقد قال عند الكلام على السلاح خاناه ما نصه : السلاح خاناه ومعناها بيت السلاح ، وربما قيل الزرد خاناه الخ .

(٤) البيمارستان : لفظ فارسى استعمله العرب ، ومعناه مجمع المرضى ؛ وهذا اللفظ مؤلف من كلمتين : « بيمار » ومعناه المريض ؛ « وستان » ومعناه الموضع ؛ وأول من صنعه أبقراط ، وسماه : (أخشندوكين) انظر شفاء العليل .

و إما تعمل فيما قلّ من الأصناف، وصفتُها إذا أمكن عَملُها أن يوصِل ما عنده من الأصناف مفصّلة، و يضيف إليها ما آبتاعه أو ما وَصَـل اليه، و يفذلكَ على ذلك ثم يذكر بين الفذلكة وآستقرارِ الجملة ما يَرِد من الأبواب: من المتنقِل[1] والمستهلَكِ وغيرِ ذلك على كثرته ؛ و إذا آستُقصِيَ ما يَرِد بين الفذلكة واستقرارِ الجملة زاد على مائة باب لا يعرفها إلا أفاضـلُ الكُتّاب ومن له حِذْقٌ بهذه الصناعة ، واختلفت مباشَراتُه وتكررتْ ؛ فاذا ذكَر ما وقع عنده آستقرّ حينئذ بالجملة على ما قام عليه ميزان عمله ؛ ثم يخصم بما يَسُوغُ الخصمُ به ، و يسوق إلى حاصله .

فهذه هي الخِتَمُ والتَّوالِي والأعمالُ والسياقات، وهى شواهد الآرتفاع .

وأما الآرتفاع — فهو العملُ آلجامعُ الشاملُ لكلّ عمل ؛ وصورة وضعه أن يشرح الكاتب فى صدره بعد البسملة ما مثالُه : عملٌ بمـا اشتمل عليه آرتفاعُ المعاملة[2] الفلانيّة لمدّة سنة كاملة، أوّلُها المحرّمُ سنةَ كذا وكذا، وآخرُها سَلْخُ ذى الحِجّة منها ، ممّا آعتُمِد فى إيراد ذلك الهلالىُّ والجَوالِى للسنة المذكورة، والخراجىُّ والأقصابُ لسنة كذا وكذا الخراجيّة، مضافا إلى ذلك ما وجبت إضافته، مفذلَكا عليه، وما آستقرّت عليه الجملة، مخصوما[3] مساقا إلى حاصل ، وما آعتُدّ به محسوبا إن كان، وما آشتملتْ عليه فذلكةُ الواصل، وما آنساق إلى الباقى والموقوف فى المدّة؛ ويذكر أسماءَ المباشرين كما قدّمناه فى الخَتْمة؛ وإن آنفصل أحدٌ من المباشرين

(١) فى الأصل : « من النقل » بصيغة المصدر، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد : « والمستهلك » ولم يقل : والاستهلاك ويرشد الى ذلك أيضا ما يأتى بعد فى صفحة ٢٨٨ سطر ١٢ إذ قال : « والمنتقل من سنة الى سنة » الخ .

(٢) تقدّم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر، فانظره .

(٣) فى الأصل : « مخصوما » وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

فى أثناء تلك السـنة و باشر آخرُ بعدَه قال : بمباشرة فلانٍ الى آخر المدّة الفلانيّـة وفلانٍ بعده الى آخر المدّة؛ و يقول فى صدره عن يَسْرة نصف القائمة : ما مبلغهُ من الذهب كذا، ومن الدراهم كذا، ومن الغلات كذا، ومن الأقصاب كذا، ومن الأصناف كذا، ومن الكُراع كذا؛ يفصِّل ذلك بسنيه، ثم يأخذ فى تفصيل كلِّ مال بجهاته، فيبدأ بمال الهلالىّ، يَذْكُر كلَّ جهة، وآسمَ مستأجِرِها أوضامنها، وآستقبالَ ٥ (٥٩)
عَقدِ إجارته أو تقريره، و يوجِب عليه فى الشهر وفى السنة، الى أن يستوعب أبوابَ الهلالىّ، و يشطب فى مسوّدته التى ينظمها لنفسه قُبَالَةَ كلِّ جهةٍ ما آستخرجه بمقتضى خَتَمات المستخرَج ليقوم له ميزانُ كلّ جهة فى الباقى والفائض(١)؛ ولا يلزمه هذا العملُ فى الحساب المرفوع منـه؛ فاذا آنتهت أبواب الهـلالىّ ذكر الجَوالِى وآعتمَد فيها كذلك؛ ثم يذكر الخراجىّ، و يفصّله بأقلامه وجهاته مستقصًى واضحا جليّا، و يَعتمِد ١٠
من الشطب قُبالةَ كلِّ جهةٍ ما تقدّم شرحُه؛ فاذا تحرّرتْ له جهاتُ الأصول قال: وأضيف الى ذلك ما وجبت إضافته؛ و يعقِـد على المضاف جملة، ويذكر أبوابه يبدأ فيها بالحاصل والباقى المُساقَيْن(٢) آخرَ العمل الذى قَبْله ، و يعقِد عليهما جملة ، ثم يقول : الحاصلُ كذا، والباقى كذا؛ و يفصِّل ما أمكن تفصيلُه من الحاصـل بسنيه ويفصِّـل الباقىَ بجهاته وأسماءِ أربابِه وسنيه وأسماءِ مباشرِيه إن أمكن ، و يشطب ١٥
فى مسوّدته قُبالةَ كلِّ آسم ما لعـلّه آستخرجه من عرض ما هو عليـه كما تقدّم؛ ثم يذكر جهاتِ مضافِ السـنة الحاضرة؛ يبدأ بمـا هو مستقرّ من الأموال التى تَرِد [فى] جهات المضاف ، و يشطب قُبالةَ كلّ آسم ما تقدّم بيانه؛ ثم يذكر بعد ذلك ما لعلّه وَصَل اليه أو آعتَدّ به : من الأموال والغلال على آختلافها، وأثمانِ المبيعات

---

(١) فى الأصل : « القابض » ؛ وهو تصحيف ؛ وقد تقدّم شرح « الفائض » فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ . ٢٠
(٢) فى الأصل : « المساق » بصيغة المفرد؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

والمواريث الحَشْرِيّة[1] والمجتذَبات والجايات والتأديبات والقروض والأصناف المبتاعة، يستقصى أبوابَ المضاف على حسب ما ورد عنده منها فى طول السنة بمقتضى ما ورد فى الشواهد التى ذكرناها بحيث لا يخلّ منها بشىء .

ومن أبواب المضاف ما يضاف بالقلم — ولا أصل له، بل يكمّله الكاتب على نفسه فى حسابه لينطرد نظيرُه الى الباقى، ويقومَ به الميزان، وهو نظير التقاوى[2] والقروض ؛ وكُتّاب الشأم يفعلون ذلك دون كُتّاب الديار المصريّة ، وهم على الصواب فى إيراده، لأن الكاتب اذا أوردَ نظيرَ التقاوى[2] والقروض آنطرد له الى الباقى نظيرُ ذلك، وصحّ ميزان العمل، فإنه لا يمكن أن ينطرد الى الباقى إلا بإضافة نظيره، فاذا آنطرد الى الباقى وجب إيراده [فى] المضاف فى السنة الثانية وما بعدها الى أن يُستخرَج ويحصَّل ؛ وكُتّاب مصر يقتصرون فى ذلك على أعمال التقاوى[2] والقروض، والتحريرُ ما يورد كُتّابُ الشأم فى ذلك .

ومن وجوه المضاف الغريبة : آلمستعادُ نظيرَ المُعاد، مثال ذلك أن يكون المباشر أحال ربَّ آستحقاقٍ على ضامنِ جهةٍ بمبلغٍ بمقتضى وُصولٍ[3] أجراه

---

(١) تقدّم تفسير المواريث الحشرية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ نقلا عن صبح الأعشى فانظره ؛ وقال المقريزى فى خططه (ج ٢ ص ١١٠) طبع المعهد العلمى الفرنسى انها هى التى يستحقها بيت المال عند عدم الوارث ؛ وقال قبل ذلك : إنها فى الدولة الفاطمية لم تكن كما هى اليوم من أجل أن مذهبهم توريث ذوى الأرحام ، وأن البنت اذا انفردت استحقت المال بأجمعه ، فلما انقرضت أيامهم واستولت الدولة الأيوبية ثم الدولة التركية صار من جملة أموال السلطان مال المواريث الحشرية الخ.

(٢) التقاوى من الحبوب : ما يعزل لأجل البذر ؛ وهى عامية .

(٣) الوصول بصيغة المصدر : هو البطاقة المعروفة عندنا بالإيصال ؛ وقد سبق فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر ان هذه الكلمة مولدة عامية انظر شفاء الغليل .

وآعتــدّ به لضامن تلك آلجهــة ، واعتدّ على ربّ الآستحقاق بمبلغه ، وقطَع الباقىَ والمتأخّر بعده ، وصدر حسابه بذلك ، فأعيدَ(1) عليــه وُصولُه فى أثناء الســنة الثانية فمِثلُ هــذا تجب إضافتُه و إضافةُ نظيرِه ، فيكون خصمُ إضافته الأولى المُعـادَ على الضامن، وخصمُ الثانيــة الباقىَ المُساق، ويكمّل لربّ الآستحقاق نظـير ذلك المبلغ فى محاسبته — على ما يأتى بيانه فى المحاسبات؛ فاذا آستوعب ما ورد عنده من أبواب المضاف فَذْلَك على ذلك فيقول: فَذْلك الأصل وما أُضيفَ اليه؛ ويَعقِد على الفذلكة جملةً، ومعناها أن يضمّ ما عَقَد عليــه الجملةَ فى صدر الآرتفاع الى ماعَقَد عليه جملةَ المصاريف، فتشتمل الفذلَكة على الجملتين، ويفصّل ذلك عينا وغلّة وأصنافا وكُراعا على ما تقدّم، ويفصّل ماهو متميّز بسنيه؛ وما لم يتميّز كالحواصل من العين والكُراع وغيرِ ذلك يقول فيه: ما لم يتميّز بسنة؛ ويشرحه؛ ثم يذكر الأبواب التى تَرِد بين الفذلكة وآستقرارِ الجملة على آختلافها بحَسَب ما وقع عنده منها، يبدأ بالصرف من نَقْدٍ إلى نَقْد، والمبدَّلِ من صنفٍ إلى صنف، والمنتقِل من سنة إلى ســنة، ومن كيلٍ إلى كيل ومن وزنٍ إلى وزن، ومن عَدَدٍ إلى وزن، ومن وزنٍ إلى عَدَد، ومن صفةٍ إلى صفة وما وقع من مَبيع ومُثمَّنٍ(2) ونافقٍ ومستهلَك، وغير ذلك؛ وقد جمَع بعض فضلاء الكُتّاب جميعَ ذلك وآختصره فى لفظتين فقال: هو عبارة عن منقول ومعدوم؛ وإذا نظرت إلى حقيقة هاتين اللفظتين وجدت جميع هذه الأبواب وإن كثرت مندرجة فيها(3)، كما أن جميع الكلام لا يتعدّى أن يكون آسما أو فعلا أو حرفا؛ فإذا آنتهت هذه الأبواب قال: واســتقرت الجملة بعــد ذلك على ... ويذكر ما آستقرت عليه آلجملة بمقتضى

---

(1) فى الأصل: «فاعتدّ»؛ وهو تصحيف؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا.

(2) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر.

(3) فى الأصل: «عنها»؛ واللغة تقتضى ما أثبتنا.

قيام ميزانه، ويفصّله بسنيه ، ثم يقول : آستُخرِج من ذلك وتحصّل ... ويذكر المستخرَج بمقتضى الخَتم ، فيشرح ما آستقرت عليه جملةُ الخَتْمة الأولى، وما آشتملت عليه فذلكتُها بعد وضع الحاصل من الجهة الثانية وما بعدها لئلا يتكرّر عليه ؛ ويحصّل بمقتضى الأعمال والتّوالي والسّياقات على هذا الحكم؛ ويفصّل المستخرَجَ والمتحصّل بسنيه، ثم يخصم ما آستخرجه وحصّله ، فيبدأ فى الخصم بالحَمْل من الأموال، والحمولِ من الغلال والأصناف، والمُساقِ من الكُراع؛ ويتلوه ما لعلّه تَقَلَه[1] على معاملة أخرى مفصّلا بأبوابه ومعقودِ الجملة على كل باب فيها ؛ فإذا تكامل له الخصم فى العين والغلّة والمواشى والأصناف ساق ما تأخّر من جملة ما آستخرجه وحصّله إلى حاصل، ويفصّله بالعينِ والغلّة والصنفِ وغيرِه، فيكون ما حمله وتَقَلَه وصَرَفَه وساقه إلى الحاصل خَصْمَ ما آستخرجه وحصّله ؛ ثم يذكر بعد سياقة الحاصل ما لعلّه ورد عنده من المحسوب على آختلافه : من عُطْلة[2]، ويذكر أسبابها، وما لعلّه ثبت من الجوائح الأرضيّة[3] والسمائيّة[4] بمقتضى المَحاضر[5] الشرعيّة[6] إذا بَرَزت المراسيمُ بالحَمْل على حكمها؛ فيذكر كلّ جهة وآسمَ مستأجِرِها أو ضامنها، وتاريخَ مَحضَر الجائحة ، وتاريخَ المرسوم بحمل الأمر على حكمه، وجملةَ المبلغ المتروك بسبب ذلك ، وما لعلّه سومح به من البواقى المُساقة ، وغير ذلك ممّا هو داخل فى باب

(١) لعل صوابه : « من الختمة » كما يرشد إليه السياق .

(٢) ذكر « على » مكان « الى » مع أن الفعل قبلها يقتضيها لإرادة المعنى السابق فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥ ، فانظره .

(٣) فى الأصل : « عنه » ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يرشد اليه التعبير بذلك فى السطر الخامس من صفحة ٢٨٨ ، فانظره .

(٤) عبارة الأصل : « ثبت من الحوائج الأصلية » ؛ وهو تحريف فى الكلمات الثلاث ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ؛ ويرشد إلى ذلك ما سبق فى صفحة ٢٣٢ س ١٢ من هذا السفر، فانظره .

(٥) ينسب إلى السماء فيقال : «سمائى» على لفظها ، و «سماوىّ» بالواو اعتبارا بالأصل (المصباح) .

(٦) انظر تفسير المحضر فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥٥ من هذا السفر .

المحسوب ؛ وسائرُ المساحات تَرِد بعد سياقة الحاصل ، وتَرِد فى أماكنَ نذكرها بعد إن شاء الله تعالى؛ فإذا آستوعب الكاتب جملة ما عنده من المحسوب فى بابه قال بعد ذلك : فذلك جملةُ آلمستخرَج والمتحصَّل والمحسوب ؛ ويعقد عليه جملة يفصّلها بسنيها وأقلامها؛ ويسمّون هذه الفذلكةَ فذلكةَ الواصل؛ وما بقىَ بعد ذلك مما آستقرت عليه آلجملةُ بعد هذه الفذلكة تعيّنتْ سياقتُه إلى الباقى والموقوف، ٥
فيطرحه باقيا وموقوفا، أو باقيا بغير موقوف، معقودَ آلجملة ، مفصّلا بالسنينَ والجهات والأسماء والمباشَرات ،ويميِّزما يُرجَى آستخلاصُه وتحصيلُه منه ومالا يرجَى ؛ وما آنعقد عليه الباقى والموقوفُ وآشتملتْ عليه فذلكةُ الواصل هو خَصْمُ ما آستقرت عليه جملة الآرتفاع .

وأما الحواصل المعدومة المُساقة بالأقلام — ولا حقيقة لوجودها ، ١٠
وإنمـا يُورِدُها الكُتّابُ حفظا لذكرها ، كالحواصـل آلمسروقة وآلمنهوبة — فإنه إذا رُسِم بالمساحة بها فقد اختلفت آراء الكُتّاب فى إيرادها على وجوه كثيرة : منها ما يَسُوغ ، ومنهـا مالا يجوز فعله ، ونحن نذكر أقوالَهم وطرقَهم فى ذلك ، ونوضح ما يجوز منها ومالا يجوز، ونذكر ما ينبغى أن يُسْلَك فيها : فمن الكُتّاب من يرى أن ينقُل هذا الحاصلَ بين الفذلكة واستقرارِ آلجملة من الحاصل الى الباقى، ولا يورده ١٥
فى باب آلمســتخرَج ، ويطرده إلى الباقى، ويورده فى باب المسموح بعد سياقته الحاصلَ؛ وهذا لا يجوز، وفى إيراده على هذا الوجه غلطٌ وسوءُ صناعة، لأن آلحاصل لا يجوز نقله إلى الباقى، والباقىَ أيضا، فلا بدّ أن يكون بآسم إنسان أو أُناس، فإن ساقه باقيا باسم مباشِره فقد أتى بغير الواقع، وعَرّض المباشرَ الى الغرامة، ولا يفيده، إذ[1] مرسومُ المساحة يتضمّن المساحةَ بحاصل معدوم ، وقد آنتقل هذا من تسمية ٢٠
الحاصل إلى الباقى .

(١) فى الأصل : « إذا » ؛ وما أثبتناه هو مقتضى اللغة .

ومن الكُتّاب من يرى آستثناءه من جملة ٱلمستخرَج، ثم يورده أيضا [فى] باب[1] المسموح؛ وفى هذا أيضا ما فيه مِن نقلِه من الحاصل إلى غيره تسميةً، فإنه لا عِبرة عند ذلك بتسميته ولا بنسبته إلى الباقى والموقوف؛ وإن نُقِلَ فلا يجوز، لأن الحواصل لا يجوز نقلُها إلى تسمية أخرى ألبتّة؛ فهذه الوجوه لا تجوز فى صناعة الكتابة .

٥ وأما الذى يجوز فى هـــذا فوجوه[2] : منها أن يكمّله الكاتب فى باب المستخرَج من ذلك، ويخصمَ إلى نهاية المصروف ، ويقولَ قبل سياقة الحاصل : ما نُقِل رُسِم بالمسامحة به عن[3] الحاصل المعدومِ المُساقِ بالقـلم حفظا لذكره، بمقتضى مرسومٍ تاريخُه كذا؛ ويشرح مقاصدَ المرسوم، وسببَ عدمِ الحـاصل، وجملتَه؛ ويكتفى بذلك عن إيراده فى باب المســموح؛ ويَعقِد جمـلةَ الخصم على الحَمـل[4] والمصروفِ

١٠ والمسموح به .

ومنها أنه إذا ساق الحاصلَ بعد الحَمْل والمصروف يقول : من جملة كذا بعــد مَأمَنه ما سوِمح به عن الحاصل المعــدومِ والمُساقِ بالقـلم؛ ويَشرح ما تقدّم، ويبرز بالحاصل بعد ذلك .

ومنها أن يستثنيَه عند ذكر[5] المضاف، فيقول عند إضافة الحـاصل ما صورتُه :

١٥ الحاصلُ المُساقُ إلى آخر السنة الحاليّة من جملة كذا بعــد مَأمَنه ماعُدِم فى تاريخ كذا

---

(١) فى الأصل : « فان » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «مرجوة» ؛ وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصــل : « تاريخ مرسومه » ؛ وفى هاتين الكلمتين تقديم وتأخير لايستقيم بهما المعنى ويرشد إلى ما أثبتنا ما يأتى فى السطر الأوّل والثانى من صفحة ٢٩٢ ، فانظره .

٢٠ (٤) فى الأصل : «والموصوف» ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «عن» ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، كما يرشد إليه قوله بعد . «فيقول عند» الخ .

ووَرّد فى سياقات الحـاصل حفظا لذكرِه، ورُسم بالمسامحة به بمقتضى مرســوم شريف تاريخُه كذا، ويعيِّن جملةَ المسموح به، وهى جملةُ المعدوم، ويبرز بما بقى، ويستثنيه أيضا من المستخرَج عندما يَستشهِد بالخَتم والتّوالى والأعمال.

فهذه صورة نَظْم الارتفاع وشـواهدِه التى قدّمناها قبـله؛ والارتفاعُ هو جُلُّ العمل، وقاعدةُ الكتابة، والجامعُ لسائر ما يَرِد فى المعاملة.

وإن انفصل الكاتب أثنـاء السنة لزمه أن ينظِم لمـا مضى من السنة فى مبـاشرته حسابا يسمّونه بالشأم الملخَّص، وبمصر التـالىَ، وهو نظيرُ الارتفاع فى نَظْمه، إلا أنه يكون لمـا دون السنة، والملخَّص عند المصريّين هو الارتفاع، ويَلزَم الكاتبَ المباشرَ بعده عمـلُ ملخّصٍ أوتالٍ يتلوه لمـا بقِىَ من المدّة، ثم يعمل جامعـةً على الملخَّصين أو[1] التاليَـين، وهما شاهداها[2]؛ ويسـتغنى الكاتبُ فى إيراد المستخرَج والمتحصَّل والمصروفِ عن الاستشهاد بالخَتم والتّوالى والأعمال، ويَستشهِد بهـذين الملخَّصين فيقول: ما تضمّنه ملخَّص مدّة كذا وكذا [كذا[3]] وما تضمّنه ملخَّص مدّة كذا وكذا كذا؛ وقـد تكون الملخصات أكثرمن اثنين بحسب الاستبدال بالأعمال[4].

(١) فى الأصل: «و»؛ والسياق يقتضى العطف "بأو" كما أثبتنا.

(٢) فى الأصل: «شواهدها»؛ وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتنا؛ إذ به تحصل المطابقة بين المبتدإ والخبر.

(٣) هـذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها كما يرشد الى ذلك ورودها فى الجملة التى بعدها.

(٤) الظاهر أن الباء هنا بمعنى «فى» الظرفية، أى بحسب استبدال العمال بعضهم ببعض فى الأعمال.

ومما يلزم الكاتب رفعه المحاسبات — وتختلف :

فمنها محاسبة أرباب النقود الجيشيّة والمكيلات والجامكيّات[1] والجرايات ، وأربابِ الوظائفِ والرواتبِ والصِّلات عما هو مستقر مشاهرةً أو مسانهة ؛ وهذه المحاسبة تنظم من الجريدة المبسوطة على أسمائهم، المشتملة على كميّة استحقاقاتهم، المشطوبة بقُبوضهم؛ وصورةُ عملِها أن يقول الكاتب : محاسبةٌ لأرباب النقدِ والمكيل والقَرارات[2] والجامكيّات والرواتبِ والصِّلات بالمعاملة الفلانيّة لاستقبال مدّة كذا، والى آخر كذا؛ ويَعقِد جملةَ صدرها على ما يُستحَقّ لهم فى تلك المدّة المعيَّنة من عينٍ وغلّة وأصناف، ويضيف الى تلك الجملة ما تأخّر لهم الى آخر المدّة التى قبلها، ويفذلك على ذلك ، ويُقبِضهم ما صَرَفَه لهم بمقتضى خِتَمَ المدّة وأعمالِها وتَواليها ، ويعتدّ عليهم بما لعلّه انساق فائضا[3] على مَنْ قَبَض منهم زيادةً على استحقاقه فى المدّة التى قبلها، ثم يطرد ما انساق لهم الى متأخّر، وما انساق عليهم الى فائض ، ثم يفصِّل ذلك بالأسماء ، فيضع الاسمَ ويذكره واستحقاقَه فى الشهر وعن المدّة ، ويضيف اليه ما لعلّه تأخّر له إن كان، ويفذلِك عليه ، ويخصم بقبضه ، ويسوق إلى متأخِّرٍ إن بقِيَ له ، أو فائِضٍ إن زاد قبضُه على استحقاقه ؛ ومن كان منهم قد تعجّل قَبل تلك المدّة زيادةً على استحقاقه استُحِقّ له ما وجب له فى المدّة، واعتدّ عليه بما انساق فائضا[3] ؛ وما لعلّه صرفه له فى تلك المدّة يسوقه[4] إلى متأخّر أو فائض[3] ، يفعل ذلك فى جميع الأسماء .

(١) قد سبق تفسير الجامكيات فى الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ ، فانظره .

(٢) الظاهر أنه يريد بالقرارات : الاستحقاقات ؛ وقد ورد لفظ «القرار» فى كتاب قوانين الدواوين صفحة ٢٠ سطر ٢٦ مرادا به هذا المعنى أخذا من سياق العبارة التى ورد فيها ، فانظره .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٤) فى الأصل : «ويسوقه» ؛ والواو زيادة من الناسخ فإن السياق يأباها .

وهذه المحاسبة إذا كان الكاتب مستمرًّا المباشرة عَمِلَها لسنة، وان انفصل قبل استكمال السنة أو اقترحها مقترِحٌ عليه لزمه عملُها؛ والله أعلم .

ومنها محاسبات أرباب الأُجَر[1] والاستعمالات[2]، ويعتمد الكاتب فيها نظيرَ تلك، إلا أنه لا يُستحَقّ لكلّ نفرٍ[3] إلّا بمقدار عمله، ويضيف إليه ما لعلّه تأخّر له ويفذلك عليه، ويخصمه بالقبض والأعتداد بالمُسْلَف ان كان؛ وهذه المحاسبة على منوال تلك، إلا أنها تُعمل بمفردها .

ومما يلزم الكاتبَ رفعُه ضريبةُ أصول الأموال ومضافاتها عن كلّ سنة كاملة، يذكُر فيها كلَّ جهةٍ من جهات الهلالىّ، واسمَ مستأجِرها أو ضامنها، ومبلغَ إجارتها أو تقرير ضمانها مشاهرةً ومسانهة، واستقبالَ العقد، وتاريخَ الحجّة المكتتَبة به، ويشطب[4] قُبالتَها أسماءَ كُفلاءِ[5] ضامنِ الجهة؛ ويذكُر الجوالىَ ويفصّلها بالأسماء والمِلل، ويفصِّل الخراجىّ بجهاته وأقلامه، والأحكارَ بأسماء أربابها؛ وإن كان بتلك المعاملة[6] شىء من نواحى الخاصّ

(١) فى الأصل: «اثات»؛ وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه ما سبق فى صفحة ٢٩٣ سطر ٢ من هذا السفر .

(٢) لعل صوابه «والعمالات» بضم العين، كما يقتضيه عطفه على الأجر، والعمالة: ما يأخذه العامل من الأجر على عمله .

(٣) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر .

(٤) الظاهر أن المراد بالشطب هنا ما سبق بيانه فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر فانظره .

(٥) فى الأصل: «فملا»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، فإنه لا بد لضامن كل جهة من كفيل يكفل بما عليه من المال كما سبق ذلك فى صفحة ٢٢٩ من هذا السفر، فانظره .

(٦) تقدم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١، فانظره .

ذَكَرَ كلِّ ناحية، وآسمَ رئيسها، وحدودَها وعدّةَ فُدُنها[1] الرومية[2] والكادية[3] والعاطلة، وأسماءَ من بها من الفلّاحين القرارية[4]، وما يُبذَرُه كلّ فدان من الشَّتْوىّ والصيفىّ، ورَيْعه فى الثلاث سنين المقبلة[5] والمتوسّطة والمجدبة، وشروطَ المقاسَمة، وما على كلّ فدان من الحقوق والرسوم، وما بها من المطلَق، وما فيها من جهات العين وما عليها من الخدم[6] والصيافات، وغير ذلك من معالمها بحيث لا يخلّ بشىء من جميع أحوال القرية، بل يوضحها إيضاحا شافيا كافيا حتى يَعلمَ الغائبُ عنها حليةَ أمرها كالحاضر فيها .

فإذا تكامل ذكرُ جهات الأصل[7] فى هذه الضريبة ذَكَرَ جهاتِ المضاف الراتبة كالخدَم وما يناسبها، وذَكَرَ فى آخرها ما تتعيّن إضافتُه من المتوفّر من العين والغلّة على آختلاف ضرائبه؛ وهذه القواعد تكون فى ضِياع الشأم .

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٢) لم نجد للفظ الرومية معنى يناسب سياق الكلام، ولعل صوابه «الردمية» بفتح فسكون، أى الأرض التى فيها الردم، وهو تراب يكون من الطين الذى يأتى به النيل عند فيضانه فى كل سنة، وهو مخصب للأرض ومصلح لزرعها، واستعمال هذا اللفظ فى ذلك شائع بين العامة فى مصر، والذى فى كتب اللغة أن الردم هو ما يسقط من الجدار المتهدّم .

(٣) فى الأصل: «الكادنة»، وهو تحريف، ولعل صوابه ما أثبتنا؛ والكادية من الأرض: التى يبطئ نباتها .

(٤) القرارية، أى المقيمون، نسبة الى القرار .

(٥) فى الأصل: «المقبلة» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ ويريد بالمقبلة السنة التى تقبل بالنبات، أى تجىء به .

(٦) تقدّم بيان المراد بالخدم فى ص ٢٤٥ من هذا السفر، فانظره .

(٧) هذه الكلمة فى الأصل ناقص بعض حروفها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

ويلزمه رفعُ المؤامَرات — وتُسمَّى ضرائبَ المستقرِّ إطلاقهُ — وهى تشتمل على أسماء من هو مرتَّبٌ على تلك المعاملة : من ربّ نقدٍ ومكيلٍ ومقرَّرٍ[1] وصدقة، يذكر اسمَ كلِّ واحد واستحقاقَه مشاهرةً ومسانَهة، ويعقد على ذلك جملةً فى صدر المؤامَرة مشاهرةً ومسانَهة ؛ فإن كان فى حصن ذكر فى صدر الأوراق عدّة أرباب الاستحقاقات ، ثم يفصّلهم بوظائفهم وأسمائهم من الخَرَجية[2] والأَجْقية[3] وغيرهم .

ويلزمه رفعُ ضريبة مايُستأدَى من الحقوق ، يذكر فيها ما يستأديه ضامنُ كلِّ جهة من رسومها وحقوقها ، وما لعلّه يُستأدَى بالدُّروب من الخَفْر[4] ، وغير ذلك من سائر مايُستأدَى من حقوق تلك المعاملة، وما لعلّه يُقتَطع من أرباب النقود والمَكِيلات وغيرهم من الوفر والمقتطَع على اختلاف الضرائب، بحيث لايخلّ بشىء منها ، لتُعلَم بذلك أحوالُ تلك الجهة ، فلا يمكن للضُّمّان أن يستأدوا زيادة على ذلك، لمـا فيه من تجديد الحوادث على الرعيّة .

---

(١) فى الأصل : «ومولد» ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) لم نجد من معانى هـذا اللفظ ما يناسب سياق الكلام فيما راجعناه من الكتب التى بين أيدينا ، وقد سألنا بعض من لهم علم بالمصطلحات التركية القـديمة فأخبرنا أن المراد بهذه الكلمة الذين يقبضون استحقاقهم حنطة ولحما ونحو ذلك من المأكولات ؛ ويرجح ذلك عطف الأجقية عليه .

(٣) المراد بالأجقية الذين يقبضون استحقاقهم نقودا ، وهو نسـبة الى الأجقة ، وهو لفظ تركىّ يراد به نوع من النقود ، كما فى معجمات هذه اللغة . والذى فى الأصل : «والأجقة» بدون ياء النسبة ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٤) "من الخفر" بيان « لمـا » يريد من أجرة الخفر ، وهو الحراسة .

وممّا يلزمه رفعُه فى كلّ سـنة تقديرُ الآرتفاع — وهـو الآرتفاع بعينه إلا أنه لا يضيف فيه حاصلا ولا باقيا، ولا يفصّل فيه الجوالىَ بالأسماء، بل يعقد الجملةَ فى صـدره على ما يُستحقّ بتلك المعاملة من جهات الأصـول والمضاف، ويخصم بالمرتَّب عليها عن سنة كاملة، ويسوقه إلى خالص أو فائض[(١)]، ليَظهَر بذلك ميزانُ تلك الجهة .

هذا ما يَلزَم المباشرَ رفعُه مشاهرةً ومسانَهة .

ويلزمه فى كل ثلاث سـنين رفعُ الكشوف الجيشيّة، يذكر فيها أسمـاء النواحى العامرة والغامرة، والفُدُنَ الكادية[(٢)] والعاطلةَ وما تقـدّم شرحه فى الضريبة: مِن ذكرِ البِذار والرّيع والشروطِ والمطلَق وغيرِه؛ ثم يذكر المتحصّل منها فى ثلاث سنين لثلاث مُغَلّات، يعقد على ذلك جمـلة، ويفصّله بسنيه وأقلامه، ولا يخلّ بشىء ممـا بكلّ ناحية من الحقوق الديوانيّة والإقطاعيّة، ويعقد فى صدر الكشف جملة على عدّة النواحى وعدّة الفُدُن، وجملةَ جهات العين والغلّة، مفصّلا بالمعاملات[(١)]؛ هذه هى الحسابات اللازمة .

وأما المقترَحات — فلا يمكن ضبطها، إلا أنه مهما آقتُرِح ممـا يكون سائغَ الآقتراح مُمكنَ العملِ لَزِمَ الكاتبَ عَملُه .

وحيث آنتهينا إلى هذه الغاية فلنذكر أرباب الوظائف .

---

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٢) فى الأصـل : « الكادنة » ، وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السـياق ، وقد تقدم تفسير الكادية فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٩٥ من هذا السفر .

ذكر أرباب الوظائف وما يلزم كلا منهم مع حضور رفقته ومع غيبتهم وما يسترفعه كل مباشر عند مباشرته وما يلزمه عمله

أما المشدّ[1] أو المتولِّى — فالذى يَحتاج إلى استرفاعه عند مباشرته ضرائبُ أصول الأموال والمرتَّبُ عليها ليَعلَم حالَ المعامَلة، وما بها من الخالص، أو عليها من الفائض؛ ويسترفع أوراقا بالحاصِلِ والباقى والفائِض والمتأخِّر،[2] ليَعلَمَ أحوالَ الناس ومحاسباتهم، ويعلمَ مِمَّن يَطلُب وإلى من يَصرِف؛

والذى يلزمه عمارةُ البلاد، وٱستجلابُ من نزح منها، وإقامةُ السطوة، وإظهارُ المَهابة والحرمة، وتسهيلُ السُّبل، وإقامةُ الخُفَراء عليها، وتشييدُ مَنار الشرع الشريف، والتسويةُ بين القوىّ والضعيف؛

ويلزمه ٱستخراجُ الأموال من سائر جهاتِها ووجوهِها المستحَقّة[3] فى مباشرته، والبواقى التى رُفِعتْ إليه بعد تحقيقها بحيث لا ينطرد إلى الباقى الدرهمُ الفرد؛ ومتى ٱنساق فى مباشرته شىءٌ لَزِمَه؛

ويلزمه تقريرُ الجنايات[4] والتأديبات على أرباب الجرائم لتنحسم بذلك مَوادُّ المفسدين.

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٢ .

(٢) فى الأصل: «والمتاجر» بالجيم؛ وهو تصحيف .

(٣) سياق العبارة يقتضى أن المراد بالمستحقة هنا، المطلوبة منها الحقوق، يقال: «استحقه» اذا طلب منه حقه انظر لسان العرب .

(٤) فى الأصل: «الجبايات» بالباء، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه السياق .

وأما الناظر على ذلك — فيحتاج عند مباشرته الى آسترفاع ضرائب أصول الأموال ومضافاتها، والمستأدَى من الحقوق، وضرائبَ بما آستقر إطلاقُه[1]، وأوراق الحاصل والباقى، وأوراقِ الفائض والمتأخر، وتقديرِ الآرتفاع، والكشوف الجيشيّة، ويطالب بمخازيم المياوَمَة[2] لآستقبال مباشَرته، والخِتَم والتَّوالِى عند مضىّ المدّة، والأعمالِ وسائرِ الحُسبانات المتقدّم ذكرُها فى أوقاتها، وما لعلّه يقترحه ممّا يَسُوغ آقتراحُه ويمكن عملُه؛

والذى يلزمه الآجتهادُ فى عمارة نواحى آلخاصّ، وتمييز آلجهات ونموّها[3]، والنظر فى أحوال المعاملات[4]، وإزاحةُ أعذارها، وتقرير قواعدها، وآختبار من بها من المباشرين، والكشف عن أحوالهم، وكَتْبِ[5] كلِّ واحد منهم بما يلزمه مباشرةً وعملا، ويَتصفّح ما يَرِد عليه من الحُسبانات الصادرة عنهم؛ وينظُر فيما يَتجدّد من أحوال المعاملاتِ[4] وما يطرأ من الحوادث على آختلافها ممّا لا يحصره ضبط، بل هو بحسَب ما يقع؛ وإنما جعلنا هذه الإشاراتِ أُنْموذَجا يُستدَلّ بها على ما بعدها؛

ويقيِّد بخطّه الآستدعاءاتِ والإفراجاتِ والمراسيمَ والتواقيعَ وغيرَ ذلك ممّا جرت به العادة : من الكتابة بالمقابلةِ والثبوتِ والتَّمحيةِ[6] والآعتمادِ وغيرِ ذلك .

(١) ضرائب المستقر إطلاقه : هى التى تسمى عند الكتّاب بالمؤامرات، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٩٦ من هذا السفر مع بيان كيفية عملها، فانظره .

(٢) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ .

(٣) لعل صوابه : «وتمييها» كما يقتضيه العطف على «تمييز» .

(٤) انظر حاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : "وكشف" وهو لا يستقيم مع قوله بعد : "بما يلزمه". ولعل صوابه ما أثبتنا؛ والمعنى أنه يكاتب كل مباشر بما يلزمه من الأعمال ليسأل كل مباشر عن عمله وتكون عليه التهمة دون غيره فيما قصر فيه .

(٦) فى الأصل : «التجهة» وهو تحريف لا معنى له، وما أثبتناه هو المناسب لأصطلاحات الكتّاب .

وأما صاحب الديوان — فإنه يسترفع مايسترفعه الناظر من المعالم خاصّة، وليس [له](١) أن يسترفع الأرتفاعات ولا شواهدها؛ فإن آسترفعها لزمه من دَرَكها ما يلزم المستوفى؛ وهو يكتب على ما يكتب عليه الناظر، وله زيادةٌ على ذلك: وهى الترجمة على التذاكر والاستدعاءات، والكتابةُ على تواقيع المباشرين بأخذ خطوطهم عند آستخدامهم، والكتابةُ على محرَّراتهم بالتخليد، والكتابةُ على تذاكر المخرَّج والمردود الصادرةِ عن مستوفى العمل بأن يجيب المباشرون عنها بما يَسُوغ قبولُه، والكتابةُ بقبول الجواب عند عَوده إن كان سائغا، والكتابةُ على الحساب الصادرِ عن المباشرين بتخليده [فى](٢) ديوان الاستيفاء بعد أن يتصفّحه وتَظهرَ له سياقةُ أوضاعه؛ وكلُّ عمل لا يكون له صاحبُ ديوانٍ قام الناظر بهذه الوظيفة إلّا الكتابةَ بقبول الحساب.

وأما مقابِل الآستيفاء — وهو بمنزلة الشاهد فى ديوان الأصل — فله أن يسترفع المعالمَ لنفسه فى كلّ سنة، ويسترفِعَ نتيجةَ الحُسبانات اللازمة التى تصدُر الى الديوان العالى بالباب الشريف، ويضبِطَ(٣) مياومة المجلس، ويكتبَ على ما يكتب عليه المستوفِى، ويكتبَ على الحُسبانات الواصلة من جهة المباشرين بتاريخ حضورها إلى الديوان قبل تخليدها [فى](٤) ديوان الآستيفاء، ويُسَدِّدُ بقلمه تواريخَ التذاكر والمراسيم، ويتصفّحَ ما يصدر عن المستوفى من المخرَّج والمردود

(١) الدرك: التبعة.
(٢) فى الأصل: «سياعة»، وهو تصحيف.
(٣) ضبط هذا اللفظ فى اللسان بضم الباء ضبطا بالقلم؛ وفى المصباح أنه من باب ضرب.
(٤) كذا ورد هذا اللفظ هنا وفى ص ٣٠٢ س ١١ من هذا السفر؛ ولم نقف على المعنى الاصطلاحى الذى يريده كتاب الدواوين به.

(٦٤) ويطالِب بحَمْل ما ثبت منه، ويطالِب أربابَ الخطوط والبُذول[١] بما يُستحَق عليهم ويُنيب شادُّ[٢] الدواوين عنه[٣]، ويكتُب فى كلّ يوم بمـا يطالب به ؛ واذا لم يكن للديوان مقابل قام المستوفى بوظيفته .

وأما المستوفِى — فله أن يسترفعَ سائرَ الحُسبانات اللازمة، وما تدعو إليه حاجتـه من المقترَحات فى المُدد المـاضية والحاضرة ممّـا يمكن عمـله ، فاذا صار الحساب إليـه مشمولا بخطّ صاحب الديوان بتخليـده ومؤرّخا حضورُه بخـطّ المقابِل تصفَّحه وآستَوفَى تفاصيـلَه على جُمَلِه أصلا وخصما، وشَطَبَ ما يحتاج إلى شـطبه — كلَّ عمـلٍ على شواهده — وخرَّج ورَدّ ما يتعيّن تخـريجُه وردُّه ، وكتب بذلك مطالَعةً تُعرَض على المقابِل، فإذا وافقه عليهـا عُرِضت على صاحب الديوان وكَتَب بالإجابة عنهـا، ثم يطالِب المباشرَ بالإجابة عمّـا تجب الإجابة عنه، وإضافةِ ما تجب إضافتُه [الى][٤] حساب المدّة التالية لتلك المدّة، وحَمْلِ ما يجب حمـلُه ؛ وتكون إضافتُه فى الحساب منسوبةً إلى قلم مسـتدرَكه ؛ فإن أَخّر آستيفاءَ الحُسبانات وشطْبَها وتخريجِ[٥] ما يلوح فيهـا ومضت عليها مدّة يمكن فيها العملُ، كان

(١) الظاهر أنه يريد بأرباب الخطوط والبـذول : الذين يكتب لهم من السلطان ببـذل شىء من الإقطاعات ونحوها .

(٢) شادّ الدواوين هو شخص يكون رفيقا للوزير متحدثا فى استخلاص الأموال وما فى معنى ذلك ؛ والعادة أن يكون أمير عشرة . انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ فى شرح وظيفة شدّ الدواوين .

(٣) فى الأصل : «عليه» ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٥) فى الأصل : «وتخرج» وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يرشد اليه ما ورد فى قوانين الدواوين صفحة ٨ طبع مطبعة الوطن ، فى الكلام على المسـتوفى إذ قال : «وإن ظهر أنه لم ينبه على وجوب مال أو استرفاع حساب أو آخر ما يجب تقديمه ، أو أهمل ما تعين تخريجه » الخ .

ما يتعيّن فيهـا لازما له إذا عُنِّتَ[1]، وإلا فتلزمه إعادةُ ماتناوله من الجامكيّة[2] عن تلك المدّة، ويطالَب مَن صدر عنه الحسابُ بمـا يلزمه ؛

ويتعيّن على المستوفى أنه إذا رُفِـع اليه حسابُ معاملة تأمّل[3] خطوطَ المباشرين على عاداتهم،[و][4]نظر فيه[5] بعد ذلك ، فإن تغيّرت عن العادة، فإن كان بزيادة تأكيد فلا بأس، وإن كان بإخلال مثل أن يكتُب الشاهدُ على الحساب بالمقابلة، وعادتُه أن يكتُب : «الأمرُ على ماشُرِح» يلزَمه الكشفُ عن موجِب ذلك ؛

ويَلزَم المستوفىَ ضبطُ مياوَمة المجلس،وكتابةُ الكشوف بخطّه والتـذاكر ونُسَخ المحرَّرات، وتعيينُ الجهات لأربابها بعد كتابة الناظر بتعيين الجهة،وعليه نَظْمُ جوامع التقدير بعـد عمل موازينها وتحريرها وشَـطْبها على التقادير الصادرة عن المباشرين وجوامع الحواصـل : من العَين والغلال والكُراع[6] والأصـناف المعدودة والموزونة والمذروعة[7] والسـلاح خاناه والعُدَدِ والآلاتِ وغيرِ ذلك، يَسُدّ على ما أمكن سـدُّه جملة، ومالايمكن نَثْرَه أقلاما يستشهد فيها بما رُفِـع اليه من جهة المباشرين،وكذلك يَعتمِد فى جامعة البواقى،يَعقِد عليها جملة،ويفصّلها بمعاملاتها وجهاتها وسنيها وأسماء

---

(١) عنت بالبناء للجهول ، أى شدّد عليه وأريد به العنت ، وهو المشقة .

(٢) تقدّم شرح الجامكية فى الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر، فانظره.

(٣) «تأمل خطوط المباشرين على عاداتهم» . أى نظر فيها مطابقا لها على عاداتهم فى الكتابة .

(٤) فى الأصل، « نظر » بدون واو، والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) « فيه » ، أى فى الحساب السابق ذكره .

(٦) الكراع : هى الدواب «انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى» ، وانظر سياقة الكراع فى صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

(٧) المذروعة ، أى المقيسة .

مباشريها ، وما يُرجَى منهـا ومالا يُرجَى بمقتضى أوراق المباشرين ؛ وكذلك يَعتمِد في جامعة الفائض والمتأخّر وغيرِ ذلك من الجوامع ؛

وعليه عملُ ما يُطلَب من الأبواب من المقترَحات والمطاوَلات ؛

ويَلزمه عملُ المقايَسات وفوائدِ المتأخّر، وغير ذلك من لوازم قـلمِ الاستيفاء ؛

٥ ويَلزَمه محاسباتُ أرباب النّقْدِ والكيْلِ المرتّبين على ما تَعيّن بقلم الاستيفاء، فيحاسبهم على استحقاقاتهم، ويَعتدّ[1] عليهم بمـا ثبت ممـا عيّنه لهم بقلمه ؛

ويَلزَمه التنبيهُ على خوالص المعامَلات وطلبها : حَمْلاً[2] الى بيت المـال، أو حَوالةً على ما يعيّنه بقلمه ؛

ويلزمه تخريجُ تَفَاوُت[3] المُدد والمحلولات[4] وغيرِ ذلك ؛

١٠ ويلزمه التفريعُ[5] بما يصل اليه من الخُوطات الجيشيّة لوقتِه على ما جرت به العادة .

ووظيفة الاستيفاء كبيرة ، كثيرةُ الأعمال، لا تحصر لوازمها في كتاب ، وانمـا هي بحسب الوقائع .

فاذا انفصـل المستوفى من المباشرة فليس له أن يأخذ ورقةً من حسابه الذى استرفعه أو وضعه بقلمه، ويتلقّاه المباشرُ بعده .

---

١٥ (١) فى الأصل : «ويعتمد» ، والميم زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : «جملا» بالجيم ، وهو تصحيف .

(٣) «تفاوت المدد» ، أى ما توفر من الأموال عما قدّمن المدد ، كما يستفاد من قوانين الدواوين ص ٢٠ طبع مطبعة الوطن وقد ذكر صاحب قوانين الدواوين مثالا لذلك يوضح هذا المعنى ، فانظره .

(٤) يريد بالمحلولات : الاقطاعات التى انحلت عن أصحابها ولم تقطع لآخرين .

٢٠ (٥) لعل صوابه : «التعريف» .

(٦٥) وأما المُشارِف — فله أن يسترفع عنـد مباشرته مَعالِمَ الجهـة ليستعين بها على المباشرة : من ضرائبَ وتقاديرَ[1] وحاصـلٍ وباقٍ وفائِض ومتأخِّرٍ وغيرِ ذلك ؛ وهو مطلوب بتحقيق الحواصل، وله الخَتْمُ عليها ؛ وهو مطلوب بنَظْم سائر الحُسبانات اللازمة والمقترَحة إن تَسحَّب[2] العامل أو مات، ومع وجود العامل إن كان قد ٱلتزم عند مباشرته العملَ؛ وتلزمه المقابَلةُ مع العامل على الحساب الصادر عنهما، وسِياقةُ التعليق معه ، والكتابةُ على الوُصولات[3] والحُسبانات ؛ وهو مطلوب بجميع ما يُطلَب به العاملُ من المخرَّج وغيرِه .

وأما الشاهد — فيلزمـه ضبطُ تعليق المياوَمة ، والكتابةُ على الوُصولات[3] والحُسبانات؛ومتى فُقِد العاملُ والمُشارِفُ لَزِمه رفعُ ٱلحساب اللازم دونالمقترَحات؛ ولا بدّ له من جريدة مبسوطة على الأصل والخصم .

وأما العامل — فقد قدّمنا ذكَرَ ما يحتاج إليه كلُّ مباشرٍ من ضبط تعليق المياوَمة[4] وبسْطِ الجريدة وخدمتها فى الأصـل والخصم أوّلا فأوّلا ، والتيقُّظ لذلك وأنّ من أهمله فقـد قصّر فى مباشرته وأخَلّ بوظيفته ؛ والعاملُ أحْرَى بجميع ذلك ممن سواه من سائر المستخدَمين، لمـا هو مطلوب به من نَظْمِ الحُسبانات وموقِعه[5] من

(١) يريد بالتقادير ، تقادير الأرتفاعات ، وقد سبق الكلام على تقدير الأرتفاع فى صفحة ٢٩٧ من هذا السفر، فانظره . والذى فى الأصل : « مقادير » بالميم؛ وهو تحريف .

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر .

(٣) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٤) فى الأصـل : «مياومة التعليق» وفى هاتين الكلمتين تقديم وتأخير وقعا من الناسخ ؛ والصواب ما أثبتنا ، كما سبق فى سطر ٨ من هذه الصفحة ومواضع أخرى من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : «ومتوقعه» ، ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام .

عملِ المقترَحات والأجوبةِ عن المخرَّج والمردود ، وأنه هو الملتزِمُ لذلك[1] دون غيره وأنه لا يَلزم من سواه شيءٌ من الأعمال مع وجوده .

وقد ذكرنا تلخيصَ قواعد هـذه الكتابة والمباشِرين وأوضاعِهـم ولوازمِهـم والأوضاع الحسابيـة وغير ذلك من مَعالم المباشَرات ، مجملا غيرَ مفصَّل ، وبعضا من كلّ ، وقليـلا من كثير ، إذ لو آستقصينا ذلك لطال ولتعَذَّر لآختلاف المباشَرات والوقائع والأوضاع والآراء ؛ ولقـد حصل الآجتماعُ لجماعة من مشايخ أهلِ هـذه الصناعة ممّن آتخذها حرفة من مبادئ عمره إلى أن طَعَنَ فى سـنّه ، وما منهم إلا من يُخبِر أنه يَستجِدّ[2] له فى كلّ وقت من أحوال المباشَرات ما لم يسمع به قبل ، ولا طرأ له[3] فيما سلف من عمره ؛ فكيف يمكن حصرُ ما هو بهذه السبيل؟ ! وفيما نبّهنا عليه مَقنَعٌ لطالب هذه الصناعة ، والعمدةُ فيها على الدُّرْبة والمباشرة ، وقد قيل :

ولا بدّ من شيخ يريك[4] شخوصَها وإلّا فنصُّ العـلم عندك ضائعُ

كمل الجزء الثامن من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى
— رحمه الله تعالى — ويليه الجزء التاسع وأوّله :
ذكر كتابة الحكم والشروط

---

(١) فى الأصل : «بذلك» ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أن «التزم» يتعدّى بالباء .

(٢) «يستجدّ» بكسر الجيم ، أى يتجدد ؛ وفى المصباح أن استجدّ قد يستعمل لازما .

(٣) لم نقف فيما راجعناه من كتب اللغة على أنه يقال : « طرأ له » والذى وجدناه أنه يقال : « طرأ عليه » ؛ ولعله ضمن « طرأ » معنى « وقع » فعدّاه باللام مكان « على » .

(٤) فى الأصل : « منك » ولا يستقيم الوزن به ؛ ولعله تحريف صوابه ما أثبتنا .

اســـــتدراك

راجعنا هذا الجزء بعد طبعه فبدت لنـا فى تفسير بعض ألفاظه معانٍ أخرى نرجّحها على ما كتبناه أوّلا فى حواشيه فرأينـا أن نستدركها فى آخره خدمة للعلم وتتميما للفائدة .

ص	س	
٦٠	٩	«بنوء المُرزِم» وكتبنا على قوله : «المُرزِم» ما نصه : المرزم : «من أرزم الرعد اذا اشتدّ صوته» اهـ ومع صحة هذا الضبط واحتمال اللفظ لذلك التفسير المتقدّم فإننا نرجّح أن يضبط : « لِمرزَم» بكسر الميم وفتح الزاى ، وهو من نجوم المطر قال فى اللسان : «المِرزَمان. نجمان من نجوم المطر، وقد يفرد» .
١٩٣	١١	« من ضريبة وموافرة » وكتبنا على قوله : «وموافرة» ما نصـه : «فى الأصل : «وموامرة» بالميم؛ وهو تحريف» اهـ وقد بدا لنـا بعدُ أنّ للفظ «المؤامَرة» معنًى مصطلحا عليه بين كتّاب الدواوين، وتصح إرادته فى هذا الموضع، فقد ورد فى مفاتيح العلوم ص ٥٦ طبع أوربا ما نصه : «المؤامرة عملٌ تُجمع فيه الأوامر الخارجة فى مدّة أيام الطمع، ويوقّع السلطان فى آخره بإجازة ذلك؛ وقد تُعمَل المؤامرة فى كل ديوان تجمَع جميع ما يُحتاج اليه من استئمار واستدعاء توقيع» اهـ وانظر صفحة ٢٩٦ من هذا الجزء .
٢٠٢	٥	«والبذول»؛ وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : « كذا فى الأصل؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا» اهـ ويظهر لنا أن البذول فى هذا الموضع جمع بذل؛ والمراد ما يبذله السلطان من الإقطاعات لخواصّه وأجناده؛ وقد نبهنا على هذا المعنى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٠١، فانظره .

ص	س	
٢٠٢	٨	«مبقلة» وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : «فى الأصل : «مقبلة»، وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشـد اليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه الخ» .

ومع جواز ما اخترناه واستقامة الكلام به فقد بدا لنـا أنه يصح أن يراد بقوله : «مقبلة»، السنة التى تقبل بالنبات، أى تجىء به. وقد ذكرنا هذا المعنى فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٩٥، فانظره .

٢٠٣	١	«ويحتاج الى أن يتعاهد مباشرى المعاملات» ولم نفسّر لفظ المعاملات فى هذا الموضع، وقد فسرناه فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١، فانظره.
٢٠٤	١٣	كلمة «الزردكشية» وكتبنا عن هذه الكلمة ما نصه : «الزردكشية» هم لابسو الدروع ؛ وكش باللغة الفارسية معناه لابس انظر المعجم الفارسى الإنجليزى تأليف ستاين جاس مادة (كشيدن) .

هذا ما كتبناه فى تفسير هذا اللفظ ؛ وقد وقفنا بعد ذلك على أنهم يريدون بالزرد كاشـية : صانعو الزرد والأسلحة انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢

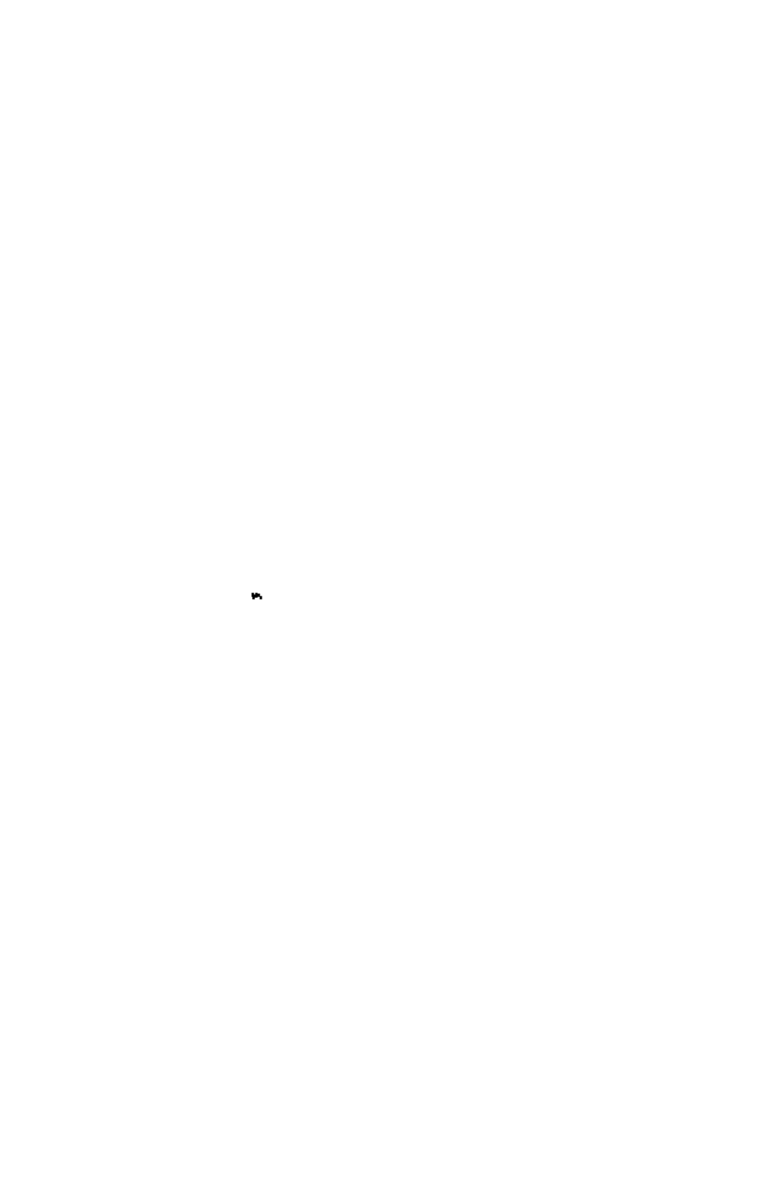
ونحن نرجّح هذا المعنى ونؤثره على الأول .

٢٢٩	٣	قوله : «فإن تعذر فبالوجه» وكتبنا فى تفسير هذه العبارة ما نصه : «الظـاهر أنه يريد بالوجه هنا : الجـاه ، أى إن تعـذر الكفيل ذو المـال والغنى قبلت الكفالة بذى اجاه وإن لم يكن غنيا» اه

وقد بدا لنا بعد ذلك فى تفسير هذه العبارة معنى آخر نرجّحه على الأول ، وهو أن الكفالة بالوجه هى أن يضمن الكافل إحضـار المكفول بوجهه، أى بذاته، اذا طُلب منه أن يُحضره؛ فمعنى العبارة إذن أنه إن تعذّر الكفيل بالمـال قبلت الكفالة بأن يُحضر الكافل شخص المكفول .

إصلاح خطأ

ص	س	خطأ	صواب
٤٦	١٤	ذُكِرَ	ذَكَا
٦١	٢٢	حاصرة أى سابقة	حاضَرَه، أى سابَقَه
« «	« «	الفضّل	الفضل
١٢٣	١	ونرجوا	ونرجو
١٢٨	٥	ونرجوا	ونرجو
١٣٢	١٦	كان كان صحيح	كان صحيح
١٣٣	٥	نرجوا	نرجو
١٤٤	١٨	أنّ	إنّ
١٦٥	١٣	أثارك	آثارك
١٨٧	٢	الرّضىّ	الرّضا
٢٠٤	١٣	والزّرد كَشِيّة	والزَّرد كاشِيّة
٢٠٨	٢	وأقدرَ	وأقدرُ



مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر ج ع م
تليفون ٩٠٠١١٨ ص.ب ٢٠٠ ٦٣٤١١